الفيصل

مجلة ثقافية شهرية – العدد (٢٠٩) – ذو القعدة ١٤١٤هـ – (أبريل / مايو) ١٩٩٤م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (209) APR / MAI 1994

الحداثة العربية وموقفها من الدين

لقاء الأجيال لا صراع الأجيال

الخط العربي

من أرقى الفنون الإسلامية

نهر درينا .. شاهد على عمق المأساة

٢

الجزء الثاني من كتاب الجامع الصحيح

من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه

تأليف الإمام

أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف بن بردزبة الدهقاني الجعفي مولاهم البخاري

المجلد الثاني من البخاري من أبواب سجود القرآن إلى باب من استقرض من الدين من كتاب الاستقراض وهذا المجلد سدس البخاري يعني السدس الثاني من البخاري

رواية أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري عنه
رواية أبي الهيثم محمد بن المكي بن محمد بن المكي بن زراع الكشميهني عنه
رواية أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية عنه
رواية أبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال النحوي السعدي عنها
رواية أبي القسم هبة الله بن علي بن سعود الخزرجي البوصيري عنه
رواية الشيخ الأجل الإمام العالم الأوحد الفاضل المحقق سيد الفضلاء والفقهاء جمال الدين أبو عمرو عثمن بن عمر بن أبي بكر المالكي المعروف بابن الحاجب رحمه الله تعالى والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

٢٨٢

عن جابر بن عبد الله أنه أخبره أن أباه توفي وترك عليه ثلثين وسقا لرجل من اليهود فاستنظره جابر فأبى أن ينظره فكلم جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له فأبى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل فمشى فيها ثم قال لجابر جد له فأوف له الذي له فجده بعدما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوفاه ثلثين وسقا وفضلت له سبعة عشر وسقا فجاء جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذي كان فوجده يصلي العصر فلما انصرف أخبره بالفضل فقال أخبر ذلك ابن الخطاب فذهب جابر إلى عمر فأخبره فقال له عمر لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن فيها ٥

آخر الجزء السادس عشر من أجزاء كتبه وهو آخر المجلد الثاني من نسخة التجزئة يتلوه في أول المجلد الثالث إن شاء الله تعالى أول الجزء السابع باب الاستعاذة من الدين ٥

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين ٥

الجزء الثالث

ثلثين آية أو أربعين آية ثم ركع ٥ حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن عبد الله بن يزيد وأبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا فيقرأ وهو جالس فإذا بقي من قراءته نحو من ثلثين أو أربعين آية قام فقرأها وهو قائم ثم ركع ثم سجد يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك فإذا قضى صلاته نظر فإن كنت يقظى تحدث معي وإن كنت نائمة اضطجع ٥

كتاب التهجد

بسم الله الرحمن الرحيم

باب التهجد بالليل

حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاوس سمع ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات

١٢

والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك ٥ قال سفيان وزاد عبد الكريم أبو أمية ولا حول ولا قوة إلا بالله ٥ قال سفيان قال سليمان بن أبي مسلم سمعه من طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ٥

باب فضل قيام الليل

حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر ٥ ح وحدثني محمود حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت غلاما شابا وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر
عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
د. زيد بن عبد المحسن الحسين

في هذا العدد

مجلة الفيصل العدد (٢٠٩) - ذو القعدة ١٤١٤هـ - السنة (١٨) - أبريل (نيسان) - مايو (أيار) ١٩٩٤م

ملاحظات عامة

□ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

□ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

□ حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

□ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

□ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

ص. ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ - فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:
السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلساً - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلساً - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٢٥ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٣ جنيهات - المغرب ٦ دراهم - تونس ٦٠٠ مليم - الجزائر ١٠ دنانير - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٢٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنكاً - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية.

الاشتراكات السنوية: للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعودياً.

الاعلانات: يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

لا شرقية ولا غربية

تشهد الساحة الإعلامية العربية والإسلامية جدلاً واسعًا حول الغزو الثقافي، وقد انقسم جُل المجادلين إلى فئتين رئيستين، فئة ترى أننا نعيش وهم الغزو الثقافي، وأن هذا الوهم مرده الفكر التآمري الذي يتحكم في العقلية العربية والإسلامية، وإصرار هؤلاء على أن ما يقال له غزو ثقافي إنما هو تلاقح حضاري يجب أن تُفتح له الأبواب، ليكون سبيلنا إلى اللحاق بركب العصر. أما الفئة الأخرى فتؤكد على أن الغزو الثقافي حقيقة ماثلة أمام أعيننا ـ ولا مجال لإنكارها ـ، وقضية لها دلالات ومؤشرات واضحة، تنتفي معها كل محاولات طمس ملامحها، وإفراغها من مضمونها، وتحوير معناها. وتذهب هذه الفئة إلى أن الخلط بين مفهومي التلاقح الحضاري والغزو الثقافي هو نتاج طبيعي لهذا الغزو الذي من أهم أهدافه تشويش المفاهيم، وإشاعة الجدل العقيم.

إن الاحتكام لحسم هذا الجدل الناشئ حول هذه القضية الحيوية يكون للتاريخ والواقع. فالمتتبع لأحداث التاريخ يجد أن الاستعمار حين أدرك استحالة استمرار احتلاله للأرض، عمل على اتباع سياسة جديدة تقوم على توطيد قواعده الثقافية، بما يضمن استمرار نفوذه وسيطرته. كان هذا تحولا استراتيجيا قام على دراسة مستفيضة ـ كما حدث في فترة التمهيد للاستعمار العسكري ـ لأحوال المسلمين وطرائق تفكيرهم، شارك فيها العلماء والمفكرون وكبار العسكريين والقساوسة والرهبان والمستشرقون. وقد ارتأت الدول الاستعمارية الراحلة عن البلدان العربية والإسلامية أن توطيد ثقافاتها في العالم الإسلامي هدف مصيري، لذلك يلاحظ أنها خلعت رداء العلمانية الذي تباهي به، واتفقت الدولة مع الدين في تحديد ملامح ومرتكزات النفوذ الثقافي الذي يحفظ مصالحها.

وقد أدرك المستعمر من خلال استقرائه للتاريخ أن الإسلام هو مكمن قوة المسلمين، وسبب عزتهم، والحافز والمثبت لهم في ميادين الجهاد، على الرغم مما يعانونه من ضعف، وتجرد من أسباب القوة المادية، بالقياس إلى ما لدى الغرب من قوة مادية هائلة، أنتجتها فترة ما بعد الثورة الصناعية، وخروج أوربا من غياهب القرون الوسطى، بفضل اتصالهم بالعرب في الأندلس، وإفادتهم من إبداعات الحضارة الإسلامية وإنجازاتها غير المسبوقة في مجالات العلم والفن والأدب والفكر. وقد قابلت أوربا هذا الفضل العربي بالجحود، والنكران، والتآمر. ثم جاءت الحروب الصليبية معبرة عن الحقد الدفين تجاه الإسلام والمسلمين، إذ كان هدفها الرئيس تدمير الإسلام وتحطيمه، وقد عبر أحد الجنرالات عن حنق بني جلدته على المسلمين عندما دخل دمشق، حيث وقف عند قبر البطل صلاح الدين الأيوبي، وقال في لهجة تنم عن التشفي والوعيد: « ها قد عدنا يا صلاح الدين». ولا تزال روح الحروب الصليبية مستعرة في قلب أوربا، حتى بعد أن أصبح الدين عندها طقوسًا كهنوتية لا يمارسها إلا قلة من أبنائها.

إن الاستعمار في إدراكه لخطورة الإسلام على وجوده استدعى كل ما في ذاكرته من تجارب الماضي القريب والبعيد، ورأى أن يفيد من دراسات المنصرين والمستشرقين التي مهدت له الطريق إلى الشرق الإسلامي، مع العمل على تطويرها بما يتلاءم مع مقتضيات المرحلة، وتشجيع دراسات أخرى تستشرف آفاق المستقبل، وترسم خططه وبرامجه. وفي الواقع أن خطط المستعمر وبرامجه لم تكن قاصرة على الشرق الإسلامي فحسب، وإنما شملت كل البلدان المحتلة، ولكن الديار الإسلامية حظيت باهتمام خاص، إذ لم تكن الديار الأخرى تملك نظاما في قوة الإسلام وحيويته، وقدرته على بث روح المقاومة والصمود في نفوس أبنائه، فكان لابد للمستعمر أن يرى الإسلام خطرًا يهدد بقاءه واستمراريته، وهذا ماشدد عليه «لورد جلادستون» رئيس الوزراء البريطاني، حين قال : «مادام هذا القرآن موجودًا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولن تكون هي نفسها في أمان».

وقد استغلت أوربا بذكاء تطلع المسلمين وطموحهم إلى امتلاك أسباب القوة المادية التي لديها، فاستقبلت بعثاتهم بترحاب شديد، ووفرت لها كل متطلبات الدعة والراحة، وكان لابد لطلاب تلك البعثات من الإعجاب والانبهار بمدنية الغرب، وما بلغه من مجد في السُّلَّم الحضاري، فالبون شاسع، والفارق عظيم بين مجتمعاتهم المصفدة بأغلال الفقر والجوع والجهل، وهذا المجتمع الغربي الذي يرفل في أثواب المدنية والتحضر. ولم يكن الانبهار قاصرًا على هؤلاء، بل طال علْيَةَ القوم وقادتهم كذلك، فها هو الخديوي إسماعيل باشا يتطلع إلى أن تكون مصر قطعة من أوربا ، دون أن

يكون له من الخطط والبرامج ما يحقق له هذا الطموح، ودون أن يحدد ما إذا كان يريد مصر أوربية في تقدمها المادي فحسب، أم أنه يريدها أوربية كذلك في قيمها وأخلاقها.

إن الصدمة الحضارية التي أصابت قلة من أبناء المسلمين المبتعثين إلى أوربا لتلقي العلم والمعرفة كانت سبيل أوربا إلى إقناعهم بأن التمدن كل لا يتجزأ، فإذا أراد المسلمون ارتقاء السلم الحضاري، فعليهم أن يقبلوا كل ما لدى أوربا من تقدم مادي، وقيم وعادات ومعتقدات في مجالات الحياة كافة. بل إنهم ذهبوا إلى الربط بين الإسلام وما عليه المسلمون من جهل وتخلف، فأثاروا الشُبَهَ والاعتراضات في العقيدة الإسلامية ، وطعنوا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وشوهوا صورة القادة المسلمين، ونعتوهم بكل نقيصة،وجعلوا التاريخ الإسلامي - عبر مراحله كافة - عبودية ورقا وحروبًا واضطهادًا دينيا وعنصريًا، وعرضوا على أبناء المسلمين - الذين لا يزال فكرهم غضًا - كل النظريات والفلسفات الهدامة، فانشغل كثير منهم - ولا نعمم - عن الهدف الذي ذهبوا من أجله إلى أوربا، ألا وهو النهل من منبع تقدمها، والوقوف على سره، لإيقاظ أمتهم من سباتها العميق الذي دام قرونا، فعادوا حاملين فكر أوربا، لا علومها وتقدمها. جاءوا منبهرين بالغرب وقادته في مجالات السياسة والفكر والأدب والفن، مشيدين بهم وبإنجازهم، ومشككين في كل ما هو أصيل، وكان هؤلاء وسطاء لإيصال أفكار أساتذتهم من المستشرقين. وبدلاً من أن يدع هؤلاء في المعامل والمصانع، ملأوا الساحة ضجيجا وسفسطة، بل بلغ الغلو ببعضهم مبلغا عظيما، إذ روجوا للأفكار المغيِّبة لقيم الأمة وأصالتها جهاراً نهارًا، ودعوا إلى أن نأخذ من أوربا كل ما عندها من تقدم ونمط حياة، دون استثناء، وأصروا على أن هذا هو الطريق الأوحد لبلوغ المراتب التي وصلتها أوربا في الرقي الحضاري.

وقد أتيح لبعض هؤلاء تَبَوُّء مناصب حيوية وحساسة في مؤسسات تعنى بتشكيل المجتمع ورسم مستقبل الأمة في عدد من دولنا الإسلامية، فوضعوا سياسات التربية والتعليم والتشريع والإعلام وفق تصوراتهم المستقاة من روافد الثقافة الغربية. وكانت تلك السياسات ترسيخًا لفكر المستعمر وثقافته، وبعداً في الوقت نفسه عن روح الإسلام وعقيدته، وفرضا للعلمانية كنظام حياة وفكر.

وعلى الرغم من أن هذا الاتجاه التغريبي وجد من يتصدى له بالنقد والتفنيد، ويحذر من مخاطره، إلا أن التدفق الإعلامي القادم من المنبع نفسه حجَّم تأثير الأصوات الناقدة، وأعطى ثقلا ومصداقية للآراء التغريبية، وأسبغ على أصحابها هالة من التبجيل، مما هيأ الظروف لسريان روح العلمانية في كثير من المجتمعات الإسلامية، برزت معها الاتجاهات القومية والوطنية، التي تنازعت فيما بينها، واتفقت في الوقت نفسه على معاداة أي توجه إسلامي.

إن الانبهار لم يدع فرصة لدعاة التغريب لاتباع طرائق التفكير السوي في تحديد موقفهم من الحضارة الغربية، ماذا يأخذون منها؟ وماذا يدعون؟ وفاتهم - نتيجة لانقطاعهم الثقافي - أن الحضارة الإسلامية حين سادت هذا العالم لم تخضع لسلطان الحضارات المعاصرة، ولم تنبذ عطاءات الحضارة الإنسانية، بل عمدت إلى الإفادة منها جميعها، من خلال فهمها، والانتقاء منها بوعي وإدراك تامَّين، والإضافة إليها، وصياغة كل ذلك في قالب جديد متميز يعبر عن روح الإسلام وعمقه، وشمول نظرته للكون والحياة.

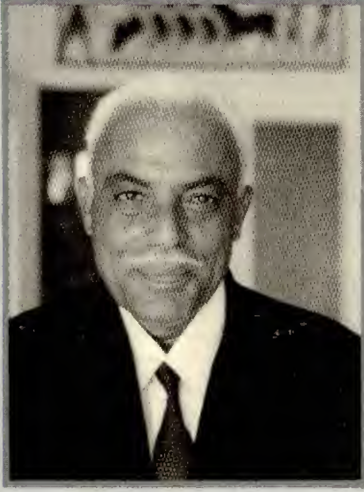
إذا كان ما سلف استقراء للتاريخ، ومحاولة لاستنطاقه، فإن الواقع المعاش ينبىء عن طوفان إعلامي يكاد يطمس ملامح هويتنا الثقافية، ويذيبنا في حضارة الآخر، ويقضي على كل محاولات الانعتاق من التبعية. ويساند هذا الطوفان الإعلامي تقدم تقني يتيح له كسر الحواجز والحدود، والوصول إلى المدى الذي يبتغيه، وإذا أخذنا في الحسبان أن معظم الدول الإسلامية تستورد أكثر من ٧٠٪ من المواد الإعلامية التي تقدمها أجهزتها الاتصالية، يتضح حجم الخطر الذي يتهدد مجتمعنا الإسلامي.

إن التاريخ والواقع يبينان أن الغزو الثقافي حقيقة لايمكن إغفالها، أو إنكار وجودها، وهو يفوق الغزو العسكري تأثيرًا، فاحتلال العقل أمضى وأخطر من احتلال الأرض، فالمحتل عقله يملك إحساسا كاذبا بالاستقلال، في الوقت الذي يحقق فيه مرامي من يحتله دون وعي أو إدراك. ودروس التاريخ توضح أن التحكم في قيم أمة من الأمم ومفاهيمها، يعني خضوعها التام لمن يمارس عليها هذا التحكم.

النظرة الموضوعية للواقع تقتضي من الأمة الإسلامية ألا تفتن بدعاوى التفاعل الحضاري التي يُروِّجُ لها بعض أبنائها، وأن تدرك جيدا أن الغزو الثقافي الذي تتعرض له، يستهدف كيانها ووجودها، مما يوجب عليها أن ترسم من السياسات والخطط ما يكفل لها مجابهة هذا الغزو، وإبراز هويتها الثقافية، وشخصيتها المتميزة المنبثقة من تعاليم دينها الحنيف وقيمها، وعليها أن تدرك - وهي تضع تلك السياسات والخطط - أن من الخطأ النظر إلى كل النتاج الفكري للحضارات الأخرى على أنه غث لا يفيد، وخطر يهددها. وعليها كذلك إعمال العقل، واستدعاء تجربتها الحضارية للتفريق بين الغث والسمين، والانتقاء الواعي من ثقافات الآخرين.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

لغـات اليهـود



بقلم: د. حسن ظاظا

إذا كان عنوان هـذا المقال من اختياري، فإنه ليس من اختراعي. إذ يقابله الباحث في كل الكتب الصهيونية التي تبحث في التاريخ اللغوي لليهود، وفي دوائر معارفهم ومعاجم الفكر اليهودي الكثيرة التي ينشرونها، وقد ظهر آخرها - بالفرنسية - منذ بضعة أشهر فقط.

والبحث في لغات اليهود من أشقّ فروع البحث اللغوي. فهم فئة من الناس عاشوا منذ فجر التاريخ، بل في ظلمات التاريخ، يهيمون على وجوههم في أرجاء الأرض، يعادون سكانها الأصليين، ويحاربونهم، ويستولون على ممتلكاتهم، حتى اللغات التي يتكلمها أولئك الأقوام، بل الكتابات والأبجديات التي كانوا يستخدمونها، تفنن اليهود في اغتصابها والتمويه على سرقتها بأساطير لا يقوم عليها دليل من عقل أو نقل. وتأتي في مقدمة ذلك اللغة العبرية.

١ - اللغة العبرية

وهي لغة لم تذكر بهذا الاسم في أي نص من نصوص العهد القديم، وهو الكتاب الذي يتعبد به اليهود ويقدسونه. إذ وردت كلمة «عِبْــري» صفة لفئة من الناس دون إشارة إلى أن لهم لغة خاصة. ففي مصر تصف «امرأة العزيز» يوسف بأنه عبري (سفر التكوين ٣٩ : ١٤)، وتسمّيه في موضع آخر العبد العبري (٣٩ : ٧)، وفي نص آخر من هذه التوراة نفهم بوضوح أن المصريين في زمن يوسف كانوا لا يأكلون الطعام مع بني إسرائيل، العبريين، إذ قالت عن يوسف: «فقال: قدِّموا الطعام، فقدموا له وحده، ولهم وحدهم (إخوة يوسف) وللمصريين الآكلين عنده وحدهم؛ لأن المصريين لا يجوز لهم أن يأكلوا مع العبريين؛ لأن ذلك رجسٌ عند المصريين» (التكوين ٤٣ : ٣١)، ونسبوا إلى سيدنا إبراهيم هذه الصفة مرة واحدة (التكوين ١٤ : ١٢)، وفي قصة النبي يونس في كتابهم يقول لأهل السفينة التي ركبها «أنا عبري» (يونس ١ : ٩)، ويأتي المؤنث من هذه الصفة في قول التوراة «أخوك العبري أو أختك العبرية (التكوين ١٥ : ١٢). ويشير النبي إرميا إلى نداء من ملك اليهود المعاصر له في أورشليم (القدس) لتحرير العبيد من العبريين، ذكوراً وإناثاً «حتى يُطْلق كل واحد عبده وأَمَتَه العبري والعبرية حُرَّين فلا يستعبد إنسان يهودياً من إخوته» (إرميا ٣٤ : ٩). ونلاحظ هنا أن العبري ترادف اليهودي وتؤدي معناها. وورد جمع الإناث في قصة اضطهاد فرعون موسى لبني إسرائيل: «فكلّم ملك مصر مُوَلِّدَتي العبريات، وكان اسم إحداهما شِفْرَة والأخرى فُوعَة، وقال: إذا ولَّدتُما العبريات فانظرا إلى الحَجَرَيْن (كرسي الولادة) فإن كان ذكرٌ فاقتلاه، وإن كانت أنثى فاستحيياها. فخافت المولِّدتان الله، ولم تفعلا كما قال لهما ملك مصر، وأبقتا على الذكور. فاستدعى ملك مصر المولِّدتين وقال لهما: ما بالكما فعلتما هكذا، واستبقيتما الذكور؟ فقالتا لفرعون: إن العبريات لَسْنَ كالنساء المصريات، إذ هُنَّ قويّات، يَلِدْنَ قبل أن تدخل عليهن القابلة» (الخروج ١ : ١٥ - ١٩) وفي هذا السفر نفسه من التوراة يسمّي الله نفسه إله العبريين إذ يقول لموسى «وتدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل على ملك مصر وتقولون له: قد وافانا الربّ إله العبريين..» (الخروج ٣ : ١٨).

لغة التوراة ومخاطبة موسى ربه

وهكـذا نجد الصفـات الثلاث : يهودي ، عبري ، من بني إسرائيل مترادفـة تماما ، وأنها لم تـرد أبداً وصفا للغة العبريـة . ومن هنا يسأل الباحثون : بأيـة لغة أنـزلت التـوراة على مـوسى؟ فـلا يجدون لـذلـك جـوابـا! ذلك أنـه واضح من ملابسات القصـة أن موسى نشأ في بيت فرعون ، العـدوّ اللدود للعبريين ، فلم يستعمل لغتهم ـ إن كانت لهم لغة إذ ذاك ـ ثم فرّ من مصر وهو فتى بعد أن قتل مصريا ، واتجه إلى أرض مَدْيَن ، في شمال الحجـاز حيث أقام في عشيرة نبيّ عربي هو شعيب ، وتزوج بـابنته ، وبقي دهراً طويلاً بعـد أن قضى دينه عند شعيب ، بخدمتـه سبع سنين أو عشراً ، وعاش راعيـاً يتجول بين بـوادي الجزيرة العـربية والأردن وسيناء حتى بعثه الله إلى فـرعون . وتقول التوراة إن عمره عنـد بعثته كان ثمانين سنة ، من المؤكد أنه نسي فيها اللغة المصرية الفرعونية بعد غياب طال أكثر من ستين عاما ، كـان لا يستعمل فيها إلاّ العربية . أما لغة اليهـود فلم ترد عنها أية إشارة في التـوراة ، ولا في ما يعاصرها من النصوص والنقـوش التي حفر عنها الآثاريـون في كل أرجاء الشرق الأوسط ، ثم إن مـوسى الكليم يشكو إلى الله من عقـدة في لسانـه ، ويطلب منه أن يـرسل معه هـارون ـ وكـان أكبر منه بثـلاث سنين ، ولكنه بقي في مصر لم يغادرها ــ ويقول : رُحماك يا رب! إنيّ لست أُحْسِن الكلام ، لا من أمس ولا ممّـا مضى قبل ، ولا منذ مـا كلّمت عبدك ، فإني بطيء النطق ، ثقيل اللسان . فقال له الرب : مَنْ الذي خلق للإنسان فماً؟ أو من الذي يخلق الأخرس أو الأصـمّ أو البصير أو الأعمى؟ أليس أنا الـربّ؟ والآن فامضِ! فإني سأكون مع فمك ، وأعلّمـك ما تتكلّم به . قـال : رحماك يا رب! ابعث من أنت بـاعثـه! فحَمِيَ غضب الـربّ على مـوسى وقـال : ألستُ أعلم أنّ أخـاك هارون اللاوي هو أفصح لسانا؟ وهـاهو ذا خارجٌ للقائك ، وحين يراك يفرح في قلبه . فخاطِبْـهُ وألْقِ كلامي هذا في فمه ، فإني أكـون مع فمكَ وفَمِه ، وأعلّمكما ما تعملانـه ، وهو يخاطب الشعب عنك ، فيكون لك فماً وأَنت تكون لـه بمثابة الله (سفر الخروج ٤ : ١٠ ـ ١٦) .

في كل هذا ، لا نجـد أدنى أثر للغـة العبرية! بل نشعـر أن الصفة (عبري) كانت تطلق على أيٍّ من تلك القبائل الساميّة إذا (عبر) حدود مواطن أهله ووفد على أرض أخرى . فإبراهيم عليه السـلام (عبري) ؛ لأنه جاء إلى الشام ومصر من بـلاد الـرافديـن (العراق) ، والعبريـون في مصر؛ لأنهم عبروا إليهـا من الشـام .

فالعبري تبدو كأنها صفة للطارئ والغريب ، وتسميـة لغة اليهود بالعبرية لا أثر لها في نصـوص العهــد القـديم كما قلنــا . وفي تلك الأزمـان السحيقــة لم تكن الخصائص الفارقة بين اللغات الساميّة كالعربية والعبرية والآرامية والكنعانية قد استقرت بعد ، بل كـان أكثرها مفهوما من العشـائر المختلفة التي تعيش في هذه المنطقة . وعندنا في نصوص العهد القديم اليهودي مثال طريف لتلك الظاهرة .

فكلمة (سُنبلة) العربية كانت تنطـق بين اليهود (شبولّتُ) بالشين المعجمة ، ما عدا قبيلـة إفرايم التي كـانت تنطقها بـالسين . وحدث قتـال بين الجلعاديين في جنوب غرب سورية وهذه القبيلة ، فمنع الجلعاديون أبناءها من عبور نهر الأردن في المخاضـات الكثيرة له في تلك المنطقة . فكان الحرس يسألـون أي واحد يعبر النهـر : إفـرايميّ أنت؟ فيقـول : لا . فيقـولـون لـه : إذَنْ قُلْ (شبـوُلتُ) فيقـول (سبوُلتُ) غير منتبـه إلى نطقها الصحيح ، فيأخذونـه ويذبحونـه على مخاضات الأردن . فقُتلَ في ذلك الوقت من إفرايم اثنان وأربعون ألفاً! (سفر القضاء ١٢ : ٦) ـ والأرقام المذكورة للقتلى فيها كـذب من كُتّاب هذا السفر ، كعادة رواتهم في ذكر الأرقام . ونحن هنا في عصر القضاة ، أي بعـد موسى ويوشع بن نون بأكثر من قرن من الزمان ، ولغات المنطقة ما تزال مختلطة رجراجة!

والباحثـون في فقه اللغة العبرية ــ حتى الصهاينة منهم ــ لا يختلفون في أن بني إسرائيل تكلمـوا ـ وكتبوا ــ باللغـة الكنعانية ، رغم أنـف الكذّابين من رواة التوراة الذين زعموا في محاولة يائسـة لإبعاد تهمة السيطرة الكنعانية على لغتهم ، أن يلحقـوا الكنعـانيين بـالجنس الحامي ، وهـو الجد الأعلى لسكـان أفـريقيـا

○ لم يعرف اليهود التأليف في العلوم المختلفة إلّا في ظل الدولة الإسلامية ، وكان ذلك باللغة العربية ، لا باللغة العبرية !!

السوداء ، وأخو جدهم الأعلى (سام) الـذي حظي ببركة أبيه نوح ، على حين باء (حام) بلعنتـه ، وهي أول افتراء ديني يهودي للتفرقة العنصريـة في العالم! كما أن أولئك الباحثين يتفقون على أن (العبريـة الفصحى) لم تظهر إلاّ في مُلك سليمان لأن اللغات لا تنضج ولا تأخذ صورة كاملة إلا في ظل حكـومة مركزية منظمة ، تشرف على التعليم والقضـاء والدين ، الأمـر الذي عـاشه بنـو إسرائيل في الفترة الـوحيـدة من تاريخهم تحت حكـم سليمان عليه السـلام . أمـا بعـد موتـه فقـد انقسمـوا شطرين ، سيـاسيـا ولغـويا ، يهوذا في الجنـوب ، حيث تعـاقب نسل سليمان في أورشليم (القـدس) ، والسـامـرة في الشمال ، حيث أنشأ يُـربْعَامْ بن نَبَـاطْ مملكـة منشقّـة . فـاستعمل سكـان يهوذا اللهجة الجنـوبيـة (اليهـوديـة) وأعـداؤهم في الشمال تكلمـوا بـاللهجة السـامـريـة ، وأخـذ كلاهما الأبجـديـة الكنعانية للكتابـة . والأكاذيب التي ذكرها الرواة حول كتـابة التوراة التي أنزلت على موسى (بإصبع الله) أصبح أكثر اليهـود لا يؤمنون بها ، إلاّ في حدود التعبير البلاغي الفنّي المجـازي البعيد عن المفهوم الحرفي لقوله في التـوراة : «ولمّا فرغ من

لغات اليهود

مخاطبة موسى على طور سيناء دفع إليه لَوحَيْ العهد، لوحين من حجر مكتوبين بإصبع الله» (الخروج ٣١ : ١٨)، وتكرر مثل ذلك في موضع آخر من التوراة (التثنية ٩ : ١٠). ولكن اليهود أصبحوا يؤمنون بالمخاطبة لا المكاتبة.

أما لغة هذه المخاطبة بين موسى الكليم عليه السلام وربه سبحانه وتعالى فلا ندري عنها شيئا، ولا يجرؤ باحث واحد على تعيينها بيقين: أكانت العربية، لغة موسى في أرض مدين منذ أكثر من أربعين عاماً؟ أم كانت لهجة كنعانية؟ لأن اللغة الكنعانية على عهد موسى كانت لغة مستعملة في كل بلاد الشرق الأدنى، بشهادة الوثائق الدبلوماسية التي تحتوي على جمل من هذه اللغة، كشف عنها الآثاريون في تل العمارنة بصعيد مصر، وترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهي الفترة التي ظهر فيها سيدنا موسى عليه السلام. ومن تلك الفترة نفسها تأتي النقوش الكنعانية السورية التي تمخضت عنها حفائر (رأس شمرة) بالقرب من اللاذقية. كل هذا أقرب إلى الواقع من التسليم بوجود لغة عبرية مثل لغة التوراة. فحتى في داخل التوراة نفسها نجد لهجات متباينة أقدمها عبرية «دبورة» النبيّة، كما يسميها الرواة، إذ يجمع فقهاء اللغة العبرية على أن قصيدتها في التغني بانتصار القائد العبري باراق بن أبي نوعمْ على الفلسطينيين هي — من الناحية اللغوية — أقدم نص عبري بين أيدينا على الإطلاق، مع أنه متأخر عن موسى بأكثر من مائتي سنة، فما بالنا بما يسمى (العبرية الفصحى) في مُلك سليمان في القرن التاسع قبل الميلاد، أي بعد موسى بخمسمائة سنة! وكل هذا مازال يغرق في ظلام التاريخ.

وبعد ما يناهز ألف سنة من عصر موسى تعرضت مملكة اليهود في أورشليم لحصار جيش أشوري وجّهه الإمبراطور سنخاريب إلى يهوذا، بعد أن انتصر على السامرة الشمالية ودمّرها وشرَّدَ أهلها. يقول راوية هذه الوقائع في (سفر الملوك الثاني): فقال إلياقيم بن حلقيا (كبير كهنة الهيكل) وشبْنَة (الكاتب) ويُوآح (ابن آساف المسَجِّل) لربْشَاقَا (قائد الجيش الأشوري) كلّم عبيدك (يعنون أنفسهم) باللغة الآرامية، فإننا نفهمها، ولا تخاطبنا (باليهودية) على مسامع الناس الواقفين على السور. فقال لهم ربشاقا: وهل بعثني سيدي (ملك أشور) إلى سيّدك (حزقيا ملك يهوذا) وإليك لأقول هذا الكلام؟ أليس إلى الناس القائمين على السور، الذين سيأكلون رَوْثَهُمْ ويشربون بَوْلَهم معكم؟ ثم وقف ربشاقا وصاح بصوت عظيم باليهودية وتكلم قائلاً: اسمعوا كلام الملك الكبير ملك أشور (الملوك الثاني - الفصل ١٨ : ٢٦ - ٢٨).

تعلق اليهود بلغتهم

فنحن هنا أمام لغتين مستعملتين عند اليهود: (اليهودية) وهي لهجة عبرية شعبية للعامة، ثم (الآرامية) وهي لغة المثقفين من اليهود، وقد تغلبت بعد رجوع اليهود من السبي البابلي الذي ضربه عليهم بختنصّر في القرن الخامس قبل الميلاد، وبعد عودتهم منه إلى فلسطين تحت حماية (قورش) إمبراطور إيران في القرن الذي يليه.

وفي هذه الحركة (الصهيونية) المبكرة ظهر تعلق اليهود بلغتهم اليهودية، ووصفوها بالكثير من صفات الجلال والاحترام مع مرّ الأجيال، فادّعوا أنها (لغة الملائكة) كما جاء في التلمود في باب الأعياد (حاجيجا ١٦ : أ) وكذلك في التلمود الغربي (الأورشليمي) باب السبت (شبّات ١٢) وكتاب الموازين (شقاليم ٣، ٤). وسمى التلموديون اللغة العبرية «اللغة المقدسة». لكن بفضل التلمود - ومعظمه باللغة الآرامية — احتلت الآرامية المنزلة الثانية مباشرة بعد العبرية. لاسيما عبرية المشنا - وهو كتاب الأحكام الشرعية اليهودية مروية عن السلف من أحبار اليهود — إذ كانت هذه العبرية لغة أخرى متطورة في نحوها وصرفها وتراكيبها، وأغزر مادة في ألفاظها، سموها «لسان الحكماء»؛ لأنها كانت تفتح أبوابها للألفاظ الضرورية الدخيلة من اللغات الأخرى كالآرامية والعربية واليونانية والفارسية وغيرها. وقد أسهمت عبرية المشنا في صنع اللغة العبرية الحديثة إسهاماً قوياً، كما أن هذه العبرية انتقلت من المشنا إلى التفاسير والشروح والحواشي، لا سيما في العصور الوسطى، بل استمرت عند المتزمتين من يهود أوربا الشرقية إلى العصر الحديث. جاء في بعض هذه التفاسير (مدراش سفرا، وكذلك التوسفتا للأعياد ١، ٢) أن الأب إذا كان لا يخاطب ابنه مستعملاً (اللغة المقدسة) فكأنما هو قد دفنه! وأدى هذا إلى تسليم الأولاد - الذكور فقط - إلى معلم يقوم بهذه المهمة ابتداء من سنّ ثلاث سنين وحتى سن الثالثة عشرة وهي عندهم (سنّ التكليف) وسن المسؤولية العامة في الديانة اليهودية (بَرْ مِصْوا)، كما يجوز فيها التجنيد في حالة الخطر المهدد للطائفة، إذ إن كل حرب عندهم هي (حرب مقدّسة)!

وكان تعليم الأطفال - والكبار في كثير من الأحيان — بالتلقين والحفظ عن ظهر قلب، والتصحيح بإرشاد المعلم أو الحاخام.

تأثرهم بعلوم المسلمين

وعندما انتشر الإسلام، ومنح اليهود صفة (أهل الكتاب) أو (أهل الذمة) أصبحت الدولة الإسلامية مسؤولة عن سلامتهم وحريتهم، فأخذوا بعلوم المسلمين، وألفوا - للمرة الأولى في التاريخ — كتب النحو ومعاجم الألفاظ تقليداً للعرب. بل كتبوا في علم العقائد اليهودية المؤلفات القيمة — باللغة العربية - مثل كتاب «الأمانات والاعتقادات» الذي ألفه سعديا سعيد بن يوسف الفيومي حاخام الخلافة الإسلامية في بغداد، المتوفى عام ٩٤٥م، وكذلك العلاّمة اليهودي الأندلسي موسى بن ميمون المتوفى في القاهرة حيث كان كبير أطباء الدولة الأيوبية، وعنوان كتابه «دلالة الحائرين». وفي زمن سعديا الفيومي ظهر في إيران الحاخام عنان بن داود، فأدخل مذهب المعتزلة المسلمين في الدين اليهودي، ورفض الأخذ من المشنا والتلمود، مكتفيا بالرجوع إلى نص العهد القديم فقط، وهو النص المقروء في العبادة، ورأس فرقة اشتهرت باسم القرّائين. وألّف سعديا الفيومي كتابا في نقض هذا المذهب سماه «الرد على

عنان»، كما ألف كتاباً كبيراً في قواعد اللغة العبرية سماه «كتاب اللغة» ضاع كله إلاّ بضع أوراق منه. واشتهر من أهل اللغة العبرية في أواخر عصر الدولة الأموية في قرطبة بالأندلس أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي الذي ألّف في اللغة العبرية كتاباً جامعاً سماه «كتاب التنقيح»، جعل نصفه الأول لقواعد اللغة وعنوانه «كتاب اللُمَع»، والثاني جاء معجماً عبرياً عربياً لألفاظ العهد القديم، سماه «كتاب الأصول». وقد تُرجمت هذه الكتب وغيرها من العربية إلى العبرية في العصور الوسطى، بعد ظهورها بقليل، لينتفع بها من لا يعرف العربية من اليهود، كما ترجم سعديا الفيومي الكتاب اليهودي إلى العربية ترجمة دقيقة جيدة، وصلنا منها أكثر من نصفها. ويطول بنا الحديث - وقد يخرج عن إطاره - إذا أردنا أن نصف التفاعل بين العربية والعبرية في ظل الإسلام، أو أن نبين فضل الفكر العربي في إحياء اللغة العبرية وآدابها.

واستمر تفاعل اللغتين في إسبانيا الإسلامية حتى عام ١١٤٨م عندما هاجر عدد كبير من يهود الأندلس، تحت ضغط دولة الموحّدين، وانتشروا في جنوب فرنسا وإيطاليا مما نشّط حركة ترجمة الكتب العربية إلى العبريّة، فكان هذا رصيداً ثقافياً للصهيونية الحديثة في شؤون إحياء العلم والتعليم بين اليهود. كذلك شعر اليهود المنتشرون في مختلف بقاع الأرض بالحاجة إلى (لغة عامة) يفهمونها جميعاً. فاختار الأتقياء منهم العبرية، وشجع على ذلك المجاذيب والدراويش من متصوفة اليهود، خصوصاً في أوربا الشرقية والشمالية، حتى ظهرت فيها المجلات الأدبية منذ القرن الثامن عشر.

العبرية والفكر الصهيوني

وفي غضون القرن التاسع عشر ظهر نشاط غير عادي في القوميات الأوربية الصغيرة مثل التشيك، والسلوفاك، والبلغار، والأرمن، وحرب استقلال اليونان، وقيام دولة الصرب والكروات وألبانيا والبوسنة والهرسك، فتحرك اليهود مع هذا التيار أيضاً وانخرطوا فيه، خصوصاً بعد أن أصدر أحد علمائهم وهو هاينريش غريتس تاريخاً عاماً لليهود بالألمانية، في عشرة مجلدات، سرعان ما ظهرت له ترجمات أو ملخصات بالإنجليزية والفرنسية والعبرية والروسية، مما ألهب حماسة اليهود في الشتات ومهّد الطريق لنجاح تنظيمات يهودية تخطط لاستعمار فلسطين، مثل منظمة «بيلو» وبعدها «أحبّاء صهيون».

وفي عام ١٨٨٦ ظهر الأديب شالوم يعقوب ابراموفيتش - المعروف بتوقيعه الأدبي «مندلي الكتبي» - الذي كتب بالعبرية أدباً أدخل هذه اللغة في العصر الحديث. وساعده على رواج إنتاجه المدارس الكثيرة التي افتتحها الاتحاد الإسرائيلي العالمي الذي تكون في باريس، وأخذ على عاتقه تعليم أبناء اليهود ورعايتهم في جميع أنحاء العالم، فكانت مدارسه في كل مكان توجد فيه جالية يهودية نشيطة من حيث العدد والقوة المادية. وكان برنامج تلك المئات من المدارس تعليم اللغة العبرية، وجعلها صالحة للقراءة والكتابة والتفاهم، إلى جانب مدارس يهودية خيرية خاصة هنا وهناك، كان كثير منها لا يستعمل إلاّ اللغة العبرية في التعليم. وفي هذا الجو الواعي النشيط ظهر اللغوي الصهيوني اليعازار بن يهودا (١٨٥٨ - ١٩٢٢م)، واسمه الأصلي إليعازار بيرلمان، من مواليد ليتوانيا على بحر البلطيق. أقبل في شبابه الأول على دراسة الماركسية الروسية، ومن أجل ذلك تعلم الروسية وأتقنها، ثم رحل إلى باريس في العشرين من عمره، لدراسة الطب، ولكن ساءت صحته في باريس، ومرض بالسُلّ، فسافر إلى شمال أفريقيا للاستشفاء، حيث الدفء والجفاف، وهناك جاور اليهود السفرد (الشرقيين) ومنهم عرف شيئا من العربية. ثم هاجر إلى فلسطين، وسكن القدس عام ١٨٨١م، ولكنه اصطدم بالمتزمتين اليهود الرافضين لكل تقدم، فسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية إبان الحرب العالمية الأولى، (١٩١٤ - ١٩١٨م)، وهناك بدأ بتأليف معجمه الكبير للعبرية الحديثة، وجمع حوله من أجل ذلك فريقاً من اللغويين والباحثين اليهود من محبّي اللغة العبرية، وسمى هذا الفريق «مجلس اللغة العبرية» الذي كان نواة لما يعرف الآن بالمجمع اللغوي الإسرائيلي. ولكي يواجه مطالب الحضارة الحديثة اعتبر اللغات السامية كلها: العربية والآرامية والسريانية، بل اليونانية واللاتينية والفارسية والتركية من روافد العبرية الحديثة. فهو للصهيونية اللغوية والثقافية يوازن هرتسل في صهيونيته الاستعمارية السياسية.

وبعد، فعذرنا في هذه الوقفة البطيئة على العبرية، أنها في مفهوم الصهيونية الآن اللغة القومية لإسرائيل، التي تحاول بالوسائل كافة أن تفرض نفسها على يهود العالم جميعاً، وإن كان حظها من النجاح ما يزال محدودا جدا؛ لأن اللغة أمر شديد الحساسية قد ينفر من الإلحاح والإجبار، وقد ينكمش أمام الدعاية الصارخة، وقد تصرفُ اليهوديَّ عنها مصالح مادية متشابكة، أو شعور داخليّ بالغربة فيها، ربما زادته شتاتا على ما هو فيه.

لغات قديمة أخرى

وفي الحديث مرت بنا لغات قديمة أخرى تفاعلت مع «اللغة المقدسة» قابلنا منها:

٢ - الكنعانية:

وهي العنصر الأول والأقدم والرئيس في تكوين العبرية ومنها ولدت:

أ - اليهودية، لهجة يهوذا القديمة.

ب - السامرية، وهي لهجة السامرة، وما تزال معروفة إلى الآن.

ويمكن أن نضيف إليها مزيجاً من الآرامية والكنعانية يسميه اللغويون، الآرامي الجبلي، وهو لهجة باقية إلى اليوم في مجتمعات يهودية ومسيحية تسكن جبال كردستان.

٣ - الآرامية:

ولا يقل أدبها اليهودي القديم عن الأدب العبري، فهي لغة التلمود والترجوم والمدراش وكتب التصوف (الزوهر)، وغير ذلك مما يسمى بالآرامية اليهودية.

٤ - اليهودية الألمانية (اليديش):

وهي لهجة ألمانية قديمة استعملها اليهود في الأحياء الخاصة بهم، وكتبوها

لغات اليهود

بحروف عبرية . ولأنهم كانوا منبوذين ومحرومين من التعليم فقد جاءت لهجة كثيرة الخطأ والاضطراب في نطقها وتركيبها ومعاني ألفاظها ، واكتسبت قدسية كبيرة في الأوساط اليهودية في الغرب وفي أمريكا ؛ لأنها ترجع في نشأتها إلى نحو من ألف سنة . وكانت هذه النشأة إحدى غلطات التزمت الديني اليهودي ، حيث كان المتشددون في الدين يعتبرون المرأة نجسة . وكتابهم لا يمسه إلا المطهرون ، فألّف لهنّ حاخام ذكي ترجمة بلهجة ألمانية قديمة مكسرة كانت مستعملة في (الجيتو) اليهودي ، يتعلمن منها معاني الكتاب . ونشأ الأطفال لا يسمعون من أمهاتهم إلا تلك اللهجة الملحونة . وبسرعة صارت هي (اللغة الأم) لأجيال وأجيال من اليهود إلى الآن ، وأدبها أرقى وأكثر أصالة من الأدب العبري الملفّق المرقّع ، وهو أيضاً أكثر صدقاً وأخف روحاً ، وما تزال الصحافة اليهودية المكتوبة باليديش أوسع رواجاً وانتشارا من الصحافة العبرية ، كما أن تاريخ أدب اليديش جذب كثيراً من الباحثين والمترجمين في جميع أنحاء العالم ، خصوصاً اليديش الحديث ، فهو متجدد مساير للزمن والأحداث ، مع كثير من البراءة والتلقائية التي لا يقابلها إلا ما في الأدب العبري الحديث من تواضع مصطنع ، أو على النقيض من ذلك ما شئت من ادعاء وكبرياء ، وكلا الطرفين مبطّن بالنفاق .

واليديش الحديث يبدأ منذ قرنين ونصف ، وفيه شعر وقصص وغناء ومسرحيات ، ويغلب على ذلك كله روح النقد الاجتماعي اللاذع .

٥ ـ اليهودية العربية :

وهي لهجة اليهود في البلاد العربية ، وكانت من اللهجات الرئيسة لليهود ، لكنها انطفأت مع الصهيونية . وقد ذكرنا منهم بعض الأسماء الشامخة مثل سعديا الفيومي ومروان بن جناح وموسى بن ميمون . ويمكن أن نضيف إليهم داود بن إبراهيم الفاسي اللغوي مؤلف «جامع الألفاظ» وهو أقدم معجم عبري ـ عربي معروف لدينا ، ودونش بن لَبْرَط الذي أدخل موازين الشعر العربي للخليل بن أحمد إلى الشعر العبري ، ويهودا اللاوي الشاعر والمجادل عن منزلة الدين اليهودي في كتابه «الحجة والدليل في نصرة الدين الذليل» ، والفيلسوف الشاعر سالومون بن جبيرول والأخلاقي بحيا بن فاقودا صاحب كتاب «واجبات القلوب» ، وكلهم عاشوا قبل عام ١٤٩٢م عندما أصدرت إيزابلا الكاثوليكية وزوجها فرديناندو ـ عقب طرد المسلمين نهائيا من إسبانيا ـ أمرا بإنشاء محاكم التفتيش لإرغام المسلمين واليهود على اعتناق النصرانية الكاثوليكية أو إبادتهم .

٦ ـ اللادينو :

وهي اللاتينية اليهودية التي كانت مستعملة في الحيّ اليهودي بروما في أواخر العصر الروماني ، ومن (جيتو روما) انتشرت مع اليهود في منطقة شمال البحر الأبيض المتوسط ، وتطوّرت في اتجاه أبعدها مع الزمن عن أصلها اللاتيني .

٧ ـ اليونانية اليهودية :

وقد بدأت في الإسكندرية أولاً ، ثم تفرعت نحو الإمبراطورية البيزنطية في ما يعرف ببلاد الروم . ومن أهم آثارها الترجمة السبعينية للعهد القديم التي تمت في الإسكندرية على يد سبعين حاخاماً ، وكذلك أسفار الأمراء المكابيين اليهود الذين حكموا في فلسطين منذ فتح الإسكندر إلى تدمير الكيان اليهودي الثاني في فلسطين عام ٧٠م على يد القيصر الروماني فسبازيان وابنه تيتوس .

٨ ـ الجيديو :

وهي لهجة يهودية من أصل لاتيني اصطنعها اليهود الإسبان السفرد .

٩ ـ يهودية جنوب فرنسا :

وهي تحتفظ بكثير من الألفاظ الفرنسية التي اندثرت من الاستعمال ، واحتفظ ببعضها مكتوباً بحروف عبرية في ثنايا الشروح والتفاسير ، علماء من أشهرهم الحاخام شلومو بن إسحق المشهور باسم (رشي) .

١٠ ـ الفارسية اليهودية :

وهي قديمة جداً في بلاد فارس ، لكنها انحسرت في العصر الحديث إلى جمهورية طاجيكستان ، وتعرف باسم اليهودية البخارية .

لهجات المجموعات اليهودية

وأخيراً هناك مجموعات محدودة العدد سجلت لهجاتها ، منها :

١١ ـ يهود الصين وهونغ كونغ .

١٢ ـ يهود الهند المعروفين باسم (بني إسرائيل) .

١٣ ـ يهود اليمن :

ولهم لهجة متأثرة بالعربية أخذت حقها من الدراسة في إسرائيل .

١٤ ـ البربرية اليهودية :

ومن نصوصهم المطبوعة قصة (عيد الفصح) بلغة جبال الأطلس .

١٥ ـ اليهودية التترية :

وهي منتشرة بين يهود شبه جزيرة القرم في جنوب روسيا ، وهي لهجة خاصة باليهود القرائين (الذين لا يؤمنون بالتلمود) في تلك المنطقة .

١٦ ـ اليهودية الكريتشيك :

لليهود الربّانيين (أتباع التلمود) في منطقة القرم والقوقاز ، وهي لهجة تمتزج فيها التترية بالروسية والقوقازية والآرامية .

وما تزال في يهود الشتات نتوءات لغوية أخرى تجعل من غير السهل ولا المحتمل صهر هذه الأمة في سبيكة لغوية واحدة . وقد تنجح الصهيونية في إنتاج مثل هذه السبيكة في فلسطين ، مع أن التسرب العربي قد بدأ يغزو اللغة القومية للصهيونية في إسرائيل ، وكما فشلت زعامات الصهيونية في توطين يهود العالم أجمع في فلسطين ، أو جزء كبير منهم على الأقل ، فإنها ستكون أكثر فشلاً في تصدير لغتها إلى مواطن الشتات ، وستصحو إسرائيل لتجد نفسها قد أصبحت دولة (أجنبية) لبقية يهود العالم .

موقف الحداثة العربية المعاصرة من الدِّين

د. وليـد قصَّاب

توضيـــح

يتوفّر هذا المقـال على بيانٍ لموقف الحداثة العربية المعاصرة مـن الدِّين. وهو يودّ أن يقدّم بين يديـه توضيحًا مهمًّا وضروريًّا، وهو أنه يعرض لحداثة ينادي بها نفر معين، لكن هؤلاء النفر يحتلون أماكن الصدارة في أدبنا المعاصر، ويقال إنهم الأعلام فيه، وهم يُعَدّون - فيما هو ذائع شائع من الكتابات النقدية - رادة الحداثة وصُنَّاعها، ولا يُذكر هذا المصطلح إلا مقترنًا بهم.

وكاتِب هذه الأحرف غير ناسٍ أو متناسٍ أن هنالك أكثر من مفهوم للحداثة، وبعض هذه المفاهيم أكثر أصالة وصدقًا في التعبير عن فكرنـا وواقعنا، لكن الحداثـة الرائجـة التي تحظى بالصخب والضجيج الإعـلامِيَّيْنِ هي التي سيعرض هـذا المقال أفكار أبرز رَادَتها في قضية معينة، هي موقفهم من الشرائع والأديان السّماوية.

صدور الحداثة العربية عن المنابع الغربية

إن الحداثة العربية المعاصرة - كما ترسمها ريشة الذين يُنظر إليهم على أنهم رادتها وكبراؤها ــ نسخة من الحداثة الغـربية، تغترف من الآخـر، وتصدر عن ينـابيعه المختلفة، لا صدور حـوار أو منـاظرة، بل صـدور انصياع وفقـدان هوية.

يقول غالي شكري: «إن الخطاب الكهنـوتي للحداثة (العربيـة) يتخذ من الغرب إطارًا مرجعيًّا»[1]. ويقول بـاحث آخر: «تشكل الخطـابات القـومية الليبرالية والماركسية المصادر الإيدلوجية الكبرى التي صبغت الحداثة..»[2].

ويشير باحث إلى تعـدد دلالات الحداثة في الكتابـات العربية، وتـوفر كمٍّ هائل حـولها في جانبهـا النظري والتطبيقي، وهي «تعـود في معظمها إلى نفس الإطـار المرجعـي من الكتـابــات في الحضـارة الغــربيـة في تحليلهـــا اللغـوي والفكري..»[3].

وتبدو مشكلات الآخر وهمومه وثقافته هي المهيمنة على عقول هؤلاء القوم، وكأننـا نسخة من هـذا الآخر، أو وجـه من وجوهـه، **يقول أحمد عبـد المعطي حجازي** في رسم صورة التبعيـة: إن أي مثقف غربي سيصدم «صدمـة عظيمة حين يقدّر له أن يشهد مجلسًا من مجالسنا؛ لأنه سوف يفاجأ بأننا نتحدث عن ثقافته هو لا عن ثقافتنا، وسوف يفاجأ فوق ذلك بأننا نتحدث عن ثقافته بثقة لا يعهدها في نفسه أو في أساتذته المختصين..[4]».

وفي غيبة الإحساس بالهوية الذاتيـة، والذوبان في الآخر، أو لعله من باب تسويغ هـذا الذوبان، ردّد بنو الحداثة مـزاعم الغرب في **أن حداثته هي قضية العصر، وأنها صيغة معرفة عالمية إنسانية**، والمشروع الحضاري المُتَصَوَّر للبشرية جمعاء، على اختلاف أجناسهـا وأديانها ومعتقداتها؛ فهذا **يوسف الخال** - أحد وجوه القوم - يتبنّى رأي الغرب في أن حضارته إنسـانية كونية شاملة، فينظر إلى الحداثة ــ كما يقول عنـه أحد البـاحثين [5]ــ «عبر الغـرب الليبرالي، إذ يحضر الغرب في هـذه النظرة بوصفـه عالميا، كـونيًّا، وشـاملاً. ويعود ذلك بـالنسبة للخال إلى أن الغرب نتاج العقل الذي يتميز بكونية وشمولية قوانينه. ومن هنا فإن حضارتـه ليست غربيـة إلا بالمعنى الجغـرافي، في حين أنها إنسانيـة بالمعنى المعرفي الثقـافي.. الحضارة الغـربية هي حضـارتنا نحن بقـدر ما هـي حضارة الفرنسي والألماني والـروسي، إلخ.. ونحن لا قيمة لنا في العالم العـربي إن بقينا خارجهـا، ولم نتبنّها من جـديد، ونتفـاعل وننفعل بها. إن هذه الحضـارة هي نحن بقدر ما هي هم..»

ويضرب **الخال** في أوهـام تـاريخيـة بعيــدة، تحمل معنى التنكـر لهويتنـا الحضـاريـة، كما تحمل معنى التمـويه والتـزييف، إذ يتجـاهل أثـر الإسـلام والثقافة العـربية في تكوين العقل العربي، ويرده إلى جذور إغـريقية، ويرى - كما يقول الباحث السابق - أنه «في جوهره، عقـل إغريقي/ غربي - وهو يذكرنا بطه حسين - إذ إنه عقل متوسطي، تكونت روابطه الأولى مع العالم الإغريقي/ الغربي منذ مراجعه في فينيقيـا وما بين النهرين - الهلال الخصيب - ويعني ذلك في المحصلة أن الاندمـاج بالعالم الحديث، الذي هو نتاج العقليـة الإغريقية/ الأوربية، ليس سوى عودة إلى جذور العقـل العربي المتوسطي وينابيعه الأولى المرتبطة بهذه العقلية، وبذلك يبدو الاندماج بالغرب وكأنه استكشاف للهوية القومية الحضاريـة نفسها. فالعقل العربي في اندماجه بالغـرب يستعيد منه ما

موقف الحداثة العربية المعاصرة من الدين

كان أعطاه له، ويعـود ذلك بالنسبة **للخال** إلى أن هذا العقل متـوسطي، أي إغريقي المعرفة. وتبدو طريقة تفكير **الخال** هنا قريبة جدًّا من طريقة تفكير **طه حسين** في «مستقبل الثقافة..»(٦).

ويمضي **غالي شكري** ـ على درب **الخال** ـ في ترسيخ هذا الاستعلاء الغربي، وفي بسط نفوذ التلاشي في الآخـر، فيتحدث عن عالمية الحداثـة الغربية، وعن مفاهيمها الكونية الشاملة التي لا بدّ من الانحناء أمامها. يقول: «ليس هناك حداثـة واحدة، بل عـدة حداثات. والحداثـة مفهوم شـامل، وليست منهجًا أدبيًّا. الـوضعية، والماركسية، والـوجودية، والبنيـوية، هي مفاهيم شـاملة، تحلل التاريخ والمجتمع والثقافة جميعًا..»(٧).

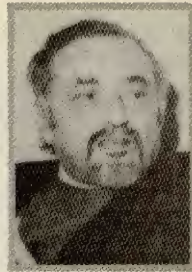
ويقول في مـوضع آخر: «الحداثة منطق جـديد لرؤية العـالم... والحداثة عـالمية بمعنى الـروح التي تشيعهـا الـرؤية الجديـدة للعـالم، كعـالمية الثـورتين الفـرنسية والـروسية، وكعـالمية اكتشـاف البـارود، وكرويـة الأرض، وكعالميـة الموسيقى أو الأدب أو الرسم والنحت..»(٨).

ومثلما يحاول عبيد الفكر الغربي الليبرالي الإيهام بعالمية حداثته، ويدعون إلى التزامها عقيدة جـديدة للحياة والكون والإنسان؛ يعزف على الـوتر نفسه عبيد الفكـر الغربي الماركسي، فيعلنـون عالميـة الماركسية، ويهاجمون المفهـوم الليبرالي للحـداثـة، طارحين أنفسهم بـديـلاً، مـدعين وصال ليلى، وأن فكـرهـم هـو الصيغة المعرفية الكونية الشاملة. يقول ماركسي لينيني كما يسمي نفسه(٩):

«إن الحداثة ــ كفعل ماركسي ـ ستكـون أشمل لمناحي الحيـاة البشرية من الحداثة المستندة إلى شرط الغربنة الليبرالي. وهي بالتالي حداثة إنسانية الجوهر، ليس بالمعنى الغـامض لمبدأ حقـوق الإنسان في الغـرب، بل في معنى الإنسان الاشتراكي المحصّن ضد الجوع والرق والبغاء».

ويمضي أرباب الحداثة الماركسية المحصّنة في تسفيه الحداثة الليبرالية، وفي الطعن في بعض رمـوزهـا، والتشكيك في انتمائهم القـومي، والتنبيـه على الانفصام الحاد بين التقدمية والوطنيـة عندهم، فهذا الماركسي اللينيني السابق يشير إلى اثنين من كبراء رمـوز الحداثـة الغـربيـة الليبراليـة، هما **طه حسين والزهاوي**، ويقول عنهما:

«أنا أعرف أن **طه حسين** ـ كمفكـر حر أسس للحداثـة العربيـة ـ حسم خياره السيـاسي بالانتماء لحزب الوفـد، قائد الحركة الوطنيـة في ثورة يوليـو، مما جعلني أميزه عن مثقف إمبريـالي مثل الشاعـر العراقي **جميل صدقي الزهاوي** الذي أيّد الاحتلال البريطاني للعراق، وهـاجم الوطنيين العراقيين الذين رفعوا السلاح بوجه الاحتلال، وهو ما لم يفعله **طه حسين**. إلا أن **طه حسين** لا يملك بـدوره صفحة وطنيـة تـامة النقـاوة، وكـان من لـوازم الموضوعيـة أن لا تهمل كتاباتنـا عنه هذا الجانب. وأود أن أحيل هنا بالخصوص على مـوقفه من قضية فلسطين، التي هزت شاعـرًا رومانسيًّا حالمًا **كمحمود طه المهندس**، ومغنيًا لا علاقـة له بالسيـاسة **كمحمد عبد الـوهاب**، وقـد وصلت سلبيـة عميـدنـا بخصوص هذه القضية الوطنية والإنسانية الكبرى حد الامتناع عن نشر قصيدة


يوسف الخال


د. غالي شكري


الزهاوي

للجواهري كتبها عام (١٩٤٦) يحذر فيها من احتمال ضياع فلسطين، وكان قد طلب بنفسه من **الجواهري** تزويده بنتاجه الشعري لينشره في «الكاتب المصري» ونشر الكثير منـه عدا هـذه القصيدة، وقـد أخبرني **الجواهري** شخصيًّا أن **طه حسين** اعترف له عنـد لقائه معـه عام (١٩٥١ م) في القـاهرة أن اليهـود الذين كانوا يعملـون في المجلة لم يوافقوا على القصيـدة. والحقيقة أن وطنية **طه حسين** أقل رسوخًا من حداثته الفكرية. وهذه عقيدة مشتركة بين مثقفي العالم الثالث نـاتجة عن ازدواج الثقـافـة والإديولوجيـــا في مصـدر حـداثتنـا الوحيـد وهـو أوربا..»(١٠).

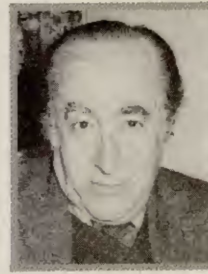
وهكذا يمضي فرسـان الحداثة عندنا: من ميمـم وجهه شطر ثقافـة غربية رأسماليـة، ومن ميمم وجهه شطـر ثقافـة شيوعيـة ماركسيـة(١١)، فـرحين بما لديهم، يتنازعون وصال ليلى، فيدعي كلٌّ أن حداثته هي النظام المعرفي العالمي الشامل، وهي العقيـدة الجديدة للبشرية جمعاء، متجاهلين ديـن هذه الأمة، ومثلها، وقيمهـا، وتراثها كله، داعين إلى التبعيـة الكاملة للغـرب، مرسخين هيمنتـه الاستعمارية، مـوهمين أن تفـوقه التكنولـوجي يعطيه حق الاستعـلاء الثقافي، والزعم أن عقيدته الإيـديولوجية هي النموذج المصطفى المؤهل ليحل محل عقائد الأمم الأخرى جميعها.

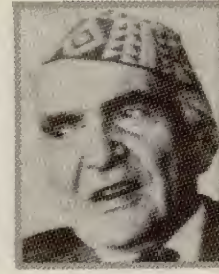
الحداثة علمانية وتنكُّر للدين

تقوم الحداثـة العربيـة ـ في جـانبيها النظـري والتطبيقي، وفي عُظم النماذج التي بين أيـدينـا ــ على فكـر مـادي علماني، وعلى تصـورات تخالف الأديـان والشرائع، وتنتبذ الصدور عـن قيمها التي تعدها متخلفـة رجعية. ولا غَرْوَ في ذلك؛ فـالحداثـة الغربيـة التي يتتلمـذ القـوم عنـدنـا على يديها سليلـة هـذه التصـورات. يقول حـداثي: «منذ أعلـن الفيلسوف نيتشـه موت الله، وخـرج فرويـد بتحليله النفسيّ الـذي (خربش) مداركنـا، هذا إذا تجاوزنـا ديالكتيك ماركس، وماديته التاريخية، ورأس ماله، مرورًا بنظرية دارون في أصل الأنواع، وانتهاءً بنسبية أينشتاين، داهم الأوربيين هوس اسمه الحداثة..»(١٢).

ومضى أبناء جلدتنا الحداثيون على إثرهم، فقال **عبد الرحمن منيف** مدركًا معنى الحداثة: «أول معنى من معاني الحداثة الجديد في مواجهة القديم و... وعلمانية في الفكر والسلوك، لأن مركز الثقل أخذ ينتقل من السماء إلى الأرض ـ كما يقولون ـ خلال تلك الفترة..»(١٣).

وذكر **غالي شكري** أن الحداثة تتخذ من الغرب إطـارًا مرجعيًّا لها، ثم مضى يتحدث عن منابعها المختلفة من هـذا الإطار. وهي: «اليسار الذي استقطب


جبرا إبراهيم جبرا


الجواهري


علي محمود طه

السياب والبياتي والحيدري وشوقي بغدادي وعبد الرحمن الشرقاوي. والليبرالية التي استقطبت أنسي الحاج وجبرا إبراهيم جبرا ومحمد الماغوط وشوقي أبو شقرا وتوفيق صايغ وصلاح عبد الصبور ومحمد عفيفي مطر. والقومية بأنواعها التي استقطبت أدونيس وأحمد عبد المعطي حجازي ورياض نجيب الريس وخليل الحاوي وعلي الجندي وجميع الشعراء الفلسطينيين. .» (١٤).

وتتحدث خالدة سعيد عن ارتداد هذه الينابيع جميعها إلى «العلمنة» التي هي البعد الرئيس للحداثة العربية، فتقول: «تبدو العلمنة ـ كمبدأ ـ بعدًا من أبعاد الحداثة، دون أن يعني ذلك صيغة محددة بعينها. وفي إطار الحداثة علينا أن نقرأ المفكرين العلمانيين، القوميين منهم والماركسيين، وقد أسهم هؤلاء المفكرون ـ بدورهم ـ في إذكاء تيارات الحداثة العربية وتعميقها. الفكر القومي: السوري أو العربي، نشط في إطار سؤال الهوية خاصة، وطرح مسألة الأصالة من حيث هي ديناميكية الأنا التاريخية. واعتبر الفكر السوري القومي الاجتماعي الأرض بعدًا صميميًّا من أبعاد الأنا، . . **وجاءت الواقعية ـ على اختلاف اتجاهاتها، وبتأثير الفكر الماركسي غالبًا ـ إنجازًا كبيرًا»** (١٥).

ولا بدّ لحداثة تغترف من هذه المنابع، وتعدّها الحق الذي لا مرية فيه، أن تصطدم بالأديان السماوية، وأن تراها عائقًا في وجه انطلاقتها المتمردة، فنشب العداء بينهما. راحت كتابات للحداثيين ـ لا حصر لها ـ تحتقر الدين، وتسخر من قيمه، وتروّج للإلحاد ـ تحت مسمّى التحرر الفكري ـ بشكل سافر، لا احتشام فيه ولا استتار، كأن يقول أحدهم مثلاً:

«هي حداثة وريثة لكل معطيات الدين والسحر والفلسفة، وهي قطيعة مع الشعر السابق. . . إنها روح الإنسان التي تعيش بتوتر، وبخير وسلام، ولكن دون آلهة ومطبات طبيعية لا معنى لها. . » (١٦).

ويستنكر حداثي آخر أن يكون لنا ـ نحن العربان ـ حداثة ونحن ما زلنا نؤمن بالعفاريت والجان والملائكة. . (١٧) وتنتاب آخر ـ حريصًا على مصلحة أمته ـ الخشيةُ من «أن يسمح العربان لأنفسهم برفع الكلفة بين ما هو حداثة عندهم، وبين الحداثة التي لا يمكن أن تكون إلا أوربية» إذ «بأي حداثة يتباهى أدعياء الحداثة في الثقافة العربية المحلقة منذ ظهورهم بين طائرة وجمل؟ . . » ويخلص إلى أن «المجتمع العربي هو في أشد الحاجة إلى العقل حتى يخلصه من عبودية الوحي ورسالته البالية. . . » (١٨).

وفي سياق الثورة على الأديان، والسخرية من الكتب السماوية؛ لا يمل أصحاب الحداثة من تكرار أن الإنسان هو الذي ينبغي أن يكون مصدر التشريع لا الله، وأنه صاحب الحق في وضع القيم والمعايير، والمؤهل لذلك، لأن كل قيمة تأتي من خارجه تشكل قيدًا ثقيلاً يغلّ حريته. وإليك غيضًا من فيض أقوالهم: تقول **خالدة سعيد** متباهية: الحداثة العربية «تتميّز باعتبارها الإنسان مركزًا وغاية، ومحورًا للمعنى، ومصدرًا للقيم، وبأنه المؤهل للقبض على مصيره، والمخوّل تفسير العالم. . » (١٩).

وتردِّد في موضع آخر كلام الأساتذة: نيتشه الذي جعل الإنسان محور العالم؛ إذ نقل الغيب إليه. وماركس الذي نقل الميتافيزيقا إلى المجتمع. وفرويد الذي رأى غيبًا جديدًا وقدرًا جديدًا في باطن الوعي الإنساني. ثم تعتصر من زلال هذا الكلام (المقدس) أنه «في الحداثة العربية لم يعد الإنسان مكانًا، أي محلاً، للأوامر والنواهي، أو قوانين القوى الخارجة عنه، بل قطبًا آخر يقابل هذه القوى. كما تكشف عن ذلك قصيدة **أدونيس**«أمس، المكان، الآن» وفي الإصحاح الأول من سفر التكوين، من ديوان «العهد الآتي» **لأمل دنقل** نرى الإنسان في البدء:

في البدء كنت رجلاً. . وامرأة. . وشجره
كنت أبًا. . وابنًا. . وروحًا قُدُسا
كنت الصباح والمسا
والحدقة الثابتة المدوره (٢٠). .

ويتحدث **محمد جمال باروت** عن النظام المعرفي الذي تنطلق منه الحداثة العربية ـ كما يراها الخال ـ وعن مفهوم العلمنة التي تشكل العمود الفقري في هذا النظام، فإذا هي ـ على هذا الجلاء ـ: «انعطاف من الإله إلى الإنسان، ومن مملكة العرب إلى مملكة الإنسان. وبذلك لم يعد الإنسان يرى العالم نتاج «نظام إلهي أبدي» بل وجد نفسه أمام نظام من صنع يديه لا استئناف لأحكامه إلى سلطة عليا. ومن هنا تغيرت نظرة الإنسان إلى العالم تغيرًا جذريًّا، فلا شيء محرم على العقل، فعوض عالم مستقر آمن قائم على قواعد ثابتة لا تتزعزع، وجد الإنسان نفسه ـ شيئًا فشيئًا ـ في عالم لا قواعد ثابتة له، عالم على ساكنيه أن يعيدوا بناءه بأيديهم، وعلى صورتهم ومثالهم. هكذا أصبح الإنسان ـ أكثر من أي وقت مضى ـ مقياس كل شيء، إذ إن العصر الحديث عصر علماني، بدأ حين وعى الإنسان قدرته، وأخذ يعرب عن وجهة نظره الفردية المستقلة إلى نفسه والله والكون. . . وبذلك يصبح الإنسان مصدر القيم لا الآلهة على حد تعبير أدونيس. ومن هنا يخوض الإنسان «صراعًا روحيًّا مع الفراغ» إذ يؤدي المجتمع الحديث إلى «التبعثر والتمرد والرفض والحيرة والقلق وما إلى ذلك مما يطبع عصرنا الحاضر» ومن هنا يحل الشعر مكان الدين، ويصبح «متيافيزيقيا» المجتمع الحديث، حيث يلعب الشاعر «دور الآلهة التي اختفت» على حد تعبير **خالدة سعيد** «يزيح كابوس الآله والنظام. . » (٢١).

وينهض حكم الحداثة على النص وصاحبه على هذا المعيار، فبقدر ما يحقق كل منها من كسر لقيم الشرائع السماوية، وانتباذ ما تقوله الأديان، وبقدر التصورات الإلحادية، والأفكار السقيمة التي يروّج لها تكون خطوته في عالم الحداثة. ولقد كان هذا من أبرز معايير القوم في تخيرهم من التراث، وفي الإشادة بنماذج معينة فيه، وهم على الدرب نفسه عند اصطفاء الأدب المعاصر، والحكم على مبدعيه.

موقف الحداثة العربية المعاصرة من الدين

تتحدث **خالدة سعيد** عن بدايات الحداثة العربية المعاصرة، وتمنح شرف ريادتها **جبران، وطه حسين، وعلي عبد الرازق**، وذلك لأن ريادتهم «لا تقوم على مجرد الانشقاق، بل على كونهم قد ارتكزوا في انشقاقهم على مصدر عقلي أو ذاتي، وأقاموا معايير جديدة، منقطعين ـ**طه حسين وجبران** بالأخص ـ عن المرجعية القديمة.» (٢٢).وراح **طه حسين، وعلي عبد الرازق**: «يخوضان معركة زعزعة النموذج بإسقاط صفة «الأصلية» فيه، ورده إلى حدود الموروث التاريخي..» (٢٣). أما **جبران** فإن موطن التميّز فيه أنه لم يجعل الإنسان الأعلى متدينًا، مستمسكًا بأهداب الفضيلة ـ مثلاً ـ بل «جعل **جبران** إنسانه الأعلى يتمثل في «المجنون» و«السابق» وجعل «خليل الكافر» يبني مجتمعه الفاضل، أو مجتمع الإيمان الحق. ولم يكن فقط يهدم معايير وتصورات، ويبشر بأخلاقيات تقوم على الحرية والعفوية، بل كان يهدم الصورة القديمة التي تتوسطها الثوابت وتحكمها، ليجعل الإنسان مركزًا ومصدرًا للمعايير بدل أن يكون خاضعًا لمعايير سابقة. وعندما أعاد كتابة الإنجيل في «يسوع ابن الإنسان» ليقدم المسيح كإنسان صاعد أو مجاوز لنفسه، مقابل يسوع ابن الإله، لم يكن يعارض المؤسسة الكنسية وحدها، بل كان يعارض تصورًا عامًّا سائدًا لوضعية الإنسان في الكون، ويعلن القطيعة مع المرجعية الدينية. كان يستعيد لهذا الإنسان صلاحية وضع المعايير، وكسر الشرائع، وكشف الحقائق. وهو القائل: لا يكسر الشرائع البشرية إلا اثنان: المجنون، والعبقري. وكلاهما أقرب الناس إلى قلب الله..» (٢٤).

وعلى نحو ما أطالت خالدة في تمجيد جبران ـ بعد أن ضربته على محك كسر الشرائع والأعراف ـ يصنع **أدونيس**، فيشيد به، ويعده رائد الحداثة، ما دام يتلاعب بكل شيء حتى الذات الإلهية، وحسبه شرفًا أنه غيّر «علاقات الإنسان مع الكون، وأول ما يتغير منها علاقته مع الله. ففي المقطوعة الثانية من كتاب المجنون، وهي بعنوان «الله» نفي كامل للعلاقة التقليدية بين الله والإنسان، وتأسيس لعلاقة جديدة، وفي هذه العلاقة الجديدة: لم يعد الإنسان عبدًا لله، ولا خاضعًا له، أي لم تعد علاقته به علاقة عبد بسيد. ولم تعد هذه العلاقة علاقة مخلوق بخالق. ولم تعد علاقة ابن بأب. ولم يعد الله يجيء من الماضي بل من المستقبل. هكذا أصبح الله والإنسان كيانًا واحدًا بمظهرين: الله غد الإنسان، الإنسان عرق، والله زهرة العرق، وهما ينموان معًا أمام وجه الشمس..» (٢٥).

وعلى معيار المروق من الأديان، والتنكر للنبوات والشرائع، يُعرض **الرصافي** كذلك، فإذا الرجل هجّام ولوج في هذا الضرب من الفكر الذي يرضي الحداثة، فيسبغ **أدونيس** عليه بركاته، ويطنب في تبجيله؛ إذ تتجلى عبقريته ـ كما يعرضها ناقده المعجب ـ في أن «الأديان بالنسبة إليه ليست موحاة، وإنما هي وضع قام به أشخاص أذكياء. وإذ ينكر الوحي ينكر بالضرورة النبوة، وينكر وجود الأنبياء، والنتيجة الطبيعية لإنكار الدين ـ وحيًا ونبوة ـ هي إنكار التعاليم أو المعتقدات التي جاء بها... لذلك لا يؤمن بفكرة الحشر أو البعث... ويرفض فكرة الثواب والعقاب..» (٢٦).



أنسي الحاج



شوقي بغدادي



محمد عفيفي مطر

وتقول **خالدة سعيد** في تسويغ الإشادة **بأنسي الحاج**: «إن ديوان «لن» لأنسي الحاج قد أسهم في تجريح المقدس، ورفع لواء العصيان البشري، وإقامة لغة التجديف..» (٢٧).

وللحداثة المعاصرة من التراث العربي الإسلاميّ عدة مواقف، أحدها «التخير والانتقاء»، لكن لهذا الانتقاء معايير معينة، وهنالك تصورات فكرية خاصة يحتفي بها، كالثورة، والتمرد، والشذوذ عن المألوف، والمجون، والزندقة، وما ارتبط بهذا من قريب أو بعيد، مما يشكل انتهاكا للأعراف والقيم والأديان. ونورد هنا في سياق التأكيد على صدور الحداثة ـ في عُظم ما صدرت عنه ـ عن فكر مادي إلحادي نماذج تراثية يسيرة تصور هذا المنحى.

يتحدث **أبو ديب** عما يسميه مكونات بنيوية للحداثة، فإذا هي: «الحداثة هي ظاهرة اللاقداسة. النص الديني نص مغلق. النص المقدس في جميع الثقافات التي نعرفها نص قديم، فليس هناك من نص مقدس حديث. يبدو أن ثمة تعارضًا بين القداسة والحداثة. ارتبطت في الثقافات البشرية شهوة الاكتشاف باقتراف الخطيئة، بالخروج على السلطة، بالشهوة الجنسية. اقتراف الخطيئة يشكل مكونًا بنيويًّا للحداثة في مراحل تاريخية مختلفة. الخطيئة رمز التجدد، وانفجار الحياة، والقدرة على قهر الموت، والتعات الحيوية..» (٢٨). وغير ذلك من التصورات التي تشكل تحديًا خطابيًّا فاضحًا لجميع الشرائع السماوية والأديان، وتروج للإلحاد والخطيئة. ثم يضرب بعض شعراء العصر العباسي على هذه (المكونات البنيوية) فيشيد بها، لأنها ـ في زعم الإسقاط الحداثي ـ تتساوق معها:

يقول مثلاً عن أبي نواس وأبي الهندي: «إن اقتراف الخطيئة يشكل مكونًا بنيويًّا للحداثة في مراحل تاريخية مختلفة. ولا شك أنه كان في الجوهر من تجربة شاعرين كأبي الهندي، وأبي نواس، حيث يتخذ شكلاً مبدئيًّا هو التعبير عن قبول وجود القيم الجماعية ثم رفضها في إصرار وانتهاكها. هنا إذن يتحدد مفهوم الخطيئة في منظور السلطة فقط، ويكون ما يمارسه الفرد انتهاكًا للمحرم، حتى في شعوره الخاص، ويغدو هذا الانتهاك في ذاته نبعًا للشهوة لا ينضب، وعلاقة متميّزة للمنتهك. هكذا يعبّر **أبو الهندي** دون غموض:

ثبت الناس على راياتهم — وأبو الهندي في كوى زيان
منزل يزري بمن حلّ به — تستحلّ الخمر فيه والزواني

إنما العيـــــش فتـــاة غـادة   وقعـــودي عـــاكفًـــا في بيت حـــان
أشرب الخمـر وأعصي مـن نهى   عن طـلاب الراح والبيض الحسـان

ويمتـاح أبـو نـواس من هـذا العصيـان المعلن نفسـه، من الحرام ذاتـه، نشوته:

فإن قـالـوا حرامـا قل حـرام   ولـــكن اللذاذة في الحـــرام . . »(٢٩).

عن هـذه (المكـونات البنيـويـة) للحـداثة: ارتكـاب الحرام، والخطيئـة، والسخرية بالأديـان ـ لا الجدة، ولا الابتكار، ولا التألق الفني ـ يصدر القوم في الحكم على الكاتب، ومنحه جواز مرور إلى عالم الفن الرفيع.

يقول أدونيس عن أبي نواس: «شاعر الخطيئة، لأنـه شاعر الحرية، فحيث تنغلق أبواب الحرية تصبح الخطيئة مقـدسة. بل إن النواسي يأنف أن يقنع إلا بالحرام ولذيـذه. . فالخطيئة ـ بالنسبـة إليه، في إطار الحياة التي كـان يحياها ـ ضرورة كيانية، لأنها رمز الحرية، رمز التمرد والخلاص . . »(٣٠).

ويقول عنـه في موضع آخـر: «يؤكد أبـو نواس فصل الشعـر عن الأخلاق والدين، رافضًا حلول عصره، معلنًا أخلاقًا جديدة، هي أخلاق الفعل الحر، والنظر الحر: أخلاق الخطيئة. . إنه الإنسان الذي لا يواجه الله بدين الجماعة، وإنما يواجهه بـدينه هو، ببراءته هو، وخطيئتـه هو. ولعله ـ من هـذه الناحية ـ أكمل أنموذج للحداثة في موروثنا الشعري . . »(٣١).

ويقول عن ديك الجن: «هو كذلك شاعر الخطيئة، شاعر الآن واللحظة، يـؤمن بـالحب الجديـد، لا الماضي. والبعث عنـده خـرافـة. إنـه يـؤمن بنـار اللحظـة. وفي سبيل ذلك يـوطن نفسـه ـ قـاصـدًا مختـارًا ـــ على دخولـه نـار الأبدية . . »(٣٢).

وهكـذا تمجد الحداثـة الكفـر والإلحاد، والفكر العلماني في شتى صـوره، وتشيـد ـــ في القديم والحديـث ـ بأولئـك النفر الـذين مثل إنتـاجهم ثـورة على الأديان، وسخريـة من الكتب والشرائع السماوية، وانتقاصًـا من قيـم المجتمع وأخلاقه ومثله الفاضلة.

وها هـو ذا حداثي حريص على مصلحـة أمته، يقول ـ في مـوطن الإشادة بآيات شيطانية لسلمان رشـدي، وانتقاص جميع من نقدوه وتجهيلهم ـ: «حين أمعن النظر في النتـائج البعيدة المتضمنـة في مواقع رشـدي الأدبية، وانتقـاداته السيـاسيـة، وسخريتـه الاجتماعيـة، ومعـارضتـه الدينيـة؛ أستنتج أن العـالم الإسـلامي بحاجـة اليوم إلى حـداثة العقل والعلم والتقـدم والثورة، بـدلاً من أصالة الدين والشرع والتراث والرجعة . .» (٣٣).

ومثلما يـدعو صـاحب النص السابق أمتـه إلى أن تستبدل بأصـالة الـدين والشرع حـداثة العقل والعلم، في إيهام مـاكـر بأن الـدين والعلم متناقضـان، يدعو أدونيس الأديـب العربي أن يتخذ رامبو ـ الـذي سخر من نبيّ الله المسيح عليه السلام ـ مثلاً يحتذى، ليصل إلى قمة الإبداع، يقول: «كلنا يعرف من هو المسيح. ولعلنا نعرف جميعًـا كيف خاطبه رامبو: «يسوع، يـا لصًّا أزليًّا يسلب البشر نشـاطهم» حين تصل جرأة الإبـداع العـربي إلى هذا المستـوى، أي حين تـزول كل رقـابـة، يبـدأ الأدب العـربي سيرتـــه الخالقـة، المغيّرة، البـادئة، المعيدة . . »(٣٤).

وقد آتت جهـود أدونيس وأمثاله أُكلها، فتجـرأ الحداثيون على كل شيء، على الـذات الإلهية، والأنبيـاء، والأديـان، والشرائع السماوية. ومضى الشعـر الحديث يروّج لمئات الأفكـار الإلحادية المرضية: كالتمرد على الكـون والوجود، والألوهية، والأعراف، والدعوة إلى عبثيـة الحياة، ولا معقولية الموت، والضياع في عـالم لا يُحسُ فيـه بـالانتماء، ومجهـوليـة الهويـة، والغـربـة والتشرد، والقلق، والسأم، والتمزق، والخوف من المجهـول الغامض، والضرب على غير هـدى في حياة لا هـدف لها، وفي عـالم معـادٍ لا تلمح فيـه إلا الشر والكراهيـة والبغضاء . . »(٣٥).

الهوامش:

١ ـ مجلـة الناقد، عدد تموز / يوليـو (١٩٨٩ م) ص ٥٣، من مقال «الحداثة بلا كهنوت».
٢ ـ مجلة الناقـد، العدد العـاشر (نيسـان ـــ أبريل ١٩٨٩ م) ص ٢٠، مقال محمد جمال باروت.
٣ ـــ رمضـــان بسطـاويسي، قضـايـــا وشهـادات (الحداثة: ٢) ص ١٨٨، دار عيبال، قبرص.
٤ ـــ مجلة إبـداع، عـدد تشرين الثـاني ـــ نـوفمبر (١٩٩٢ م) ص ٤.
٥ ـ محمـد جمـال بـــاروت، قضايـــا وشهـادات (الحداثة: ١) ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥، دار عيبال.
٦ ـ السابق: ٢٥٦.
٧ ـ مجلـــة النـاقد، العـدد التاسع (آذار ـــ مارس ١٩٨٩ م) ص ١٥ من مقال الحداثة والنفط.
٨ ـ مجلة الناقد، العدد الثـالث عشر (تموز ـ يوليو ١٩٨٩ م) ص ٥٤.
٩ ـ هادي العلوي، قضايا وشهادات (الحداثة: ٢) ص ٩٣ ـ ٩٤.
١٠ ـ السابق: ٩٤ ـ ٩٥.
١١ ـ انظر شهادات بعـض الأدباء والنقـاد العرب على مصادر الحداثة العربيـة من الفكر الغربي، في بحثنا «الحداثة الغربيـة» ص ٢١٣ ـ ٢١٦ في مجلة كليـة الـدراسـات الإسـلاميـة والعـربيـة، العـدد السـادس (دبي).
١٢ ـ مجلة الناقـد، العدد السابع عشر (١٩٨٩ م) ص ٤٢، وانظر بحثنا «الحداثة الغربية» مجلة كلية الدراسات، العدد: ٦، ص ٢٠٣، ٢٠٤.
١٣ ـ قضايا وشهادات (الحداثة: ١) ص ٢١٠.
١٤ ـ النـاقد، العـــدد الثالـــث عشر (١٩٨٩ م) ص ٥٤.
١٥ ـــ قضايـا وشهادات (الحداثـة: ٢) ص ٦٥ ـ ٦٦.
١٦ ـــ خزعل الماجـدي، النـاقـد، العدد الثـالث (١٩٨٩ م) ص ٣٣.
١٧ ـ النـاقد، العدد السـابع عشر (تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٨٩ م) ص ٤٣.
١٨ ـــ عبد القـادر الجنابي، النـاقـد، العدد الثـاني (أغسطس/ آب: ١٩٨٨ م) ص ٢١.
١٩ ـ قضايا وشهادات (الحداثة: ٢) ص ٦٧.
٢٠ ـ مجلة فصول: ٤/ ٣/ ١٩٨٤ م، ص ٣١.
٢١ ـ قضايـا وشهادات (الحداثة: ١) ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
٢٢ ـ قضايا وشهادات (الحداثة: ٢) ص ٦٣.
٢٣ ـ فصول: ٤/ ٣/ ١٩٨٤ م، ص ٢٦.
٢٤ ـ السابق نفسه.
٢٥ ـ صدمة الحداثة: ١١٧ ـ ١١٨، وانظر جميع مـا كتبه عن جبران في المرجع السابـــق: ١٦٣ ـ ٢١١.
٢٦ ـ صدمة الحداثة: ٦٥.
٢٧ ـ قضايا وشهادات (الحداثة: ٢) ص ٨٤.
٢٨ ـ فصول: ٤/ ٣/ ١٩٨٤ م، ص ٥٩، ٦٠.
٢٩ ـ السابق نفسه.
٣٠ ـ مقدمة للشعر العربي: ص ٥٢.
٣١ ـ السابق: ٥٣.
٣٢ ـ السابق نفسه.
٣٣ ـ جـلال صادق العظم، الناقد، العـدد الرابع والخمسون (كـانون الأول ـــ ديسمبـــر ١٩٩٢ م) ص ٣٧.
٣٤ ـ زمن الشعر: ١٤٨.
٣٥ ـــ انظر نماذج في كتاب «انبار رفض المجتمع» ١٤٩ ـ ١٦٩ للدكتور سعيد عيسى، وانظر بحثنا «شعرنا العربي المعاصر، متى يسترد هويته» في العدد الخامس من مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية (دبي).

القوانين الوضعية من التسلّل إلى الهيمنة

د. عبـــده زايـــد

كانت الشريعة الإسلامية هي المرجع الوحيد للمجتمع الإسلامي منذ قامت الدولة الإسلامية في المدينة قبل أربعة عشر قرنا من الزمان، ولم تكن هذه المرجعية موضع اختلاف بين الحكام والرعية، وإن اختلف التزامها والتفريط فيها ما بين عصر وعصر، أو مجتمع وآخر، أو طبقة وأخرى. ولم يكن التمرد على هذه الشريعة تمرد إنكار ورفض، ولكنه كان حيثما وقع تمرد مخالفة وتفريط.

ولقد كانت مرونة الشريعة، وعوامل السَّعَة فيها من أهم أسباب بقائها وحيويتها وقدرتها على معالجة المشكلات المتجددة تبعا لتغير المكان والزمان والظروف والملابسات.

ولم تكن هذه الشريعة قانونا واجب الالتزام من غير المسلمين إن كانت لهم شريعة خاصة بهم، إلا إذا رغبوا هم في تطبيقها عليهم، ويظهر هذا بوضوح في قوانين الأسرة من زواج وطلاق ومواريث، وكذا فيما أحلته لهم شرائعهم وحرمته شريعة الإسلام، فلم يحرِّم المجتمع الإسلامي مثلا على النصارى تربية الخنزير ولا أكل لحمه، ولم يقم عليهم حد الشرب، وإذا أتلف المسلم خمرا أو خنزيرا لغير المسلم ضمنه؛ لأنه عنده مال مقوّم، ومن هنا لم يجد غير المسلمين حرجا إذا شاؤوا أن يتمسكوا بشرائعهم الخاصة مع تمتعهم الكامل بكافة الحقوق في المجتمع الإسلامي.

ولقد كان الاجتهاد من أعظم مزايا هذا الدين، وكان المجتهدون طبقة متميزة قدرا وجزاء عند الله وعند الناس.

ومن المعروف أن أحدًا من المجتهدين لم يكن يدّعي لنفسه قدسية أو عصمة، ــ إلا ما ادعاه الشيعة لأئمتهم ـ. إنه كان يجتهد في إطار مقاصد الشريعة وغاياتها، ويعلن أن رأيه صواب يحتمل الخطأ، وأن رأي الآخرين خطأ يحتمل الصواب، ومن هنا لم يكونوا يلزمون أحدًا باجتهاداتهم، وتركوا للناس حرية الاختيار، والاقتداء بهذا المجتهد أو ذاك تيسيرا على الناس ورحمة بهم.

وإذا أدركنا أن الجهاد والاجتهاد يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق، وأن درجة العلماء كدرجة الشهداء، وأن مداد العالم كدم الشهيد، إذا أدركنا هذا كله تبين لنا الدور العظيم الذي يقوم به المجتهدون في هذه الأمة.

إن المجتهدين يقع عليهم عبء صيانة الأمة من العدو الخارجي الذي يتربص بديار الإسلام، والتقصير في هذا الدور أو التفريط فيه يهدم الإسلام من الخارج. وإن المجتهدين يقع عليهم صيانة سلوك الأمة وضبط حركة الحياة فيها بما لا يخرج عن منهج الله الذي رضيه لنا، وإن التقصير في هذا الدور أو التفريط فيه يهدم الأمة الإسلامية من داخلها.

وحينما كانت الأمة قوية كانت مصونة من الخارج بدماء الشهداء، ومصونة في الداخل بمداد العلماء واجتهاداتهم. ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا: **إن صيانة الأمة من داخلها أعظم شأنا وأقوى أثرا من صيانة الأمة من خارجها** إن كان هناك وجه للمقارنة والمفاضلة.

إن العدو قد يغير عليك ويهزمك، ويشتت شملك، ويحتل أرضك، وينتهك عرضك، ويسلبك مالك، ولكن هذه الهزيمة ـ مهما بلغت بشاعتها ـ يمكن أن تكون موقوتة، إذا كانت مناعتك قوية، وذاتيتك مستعصية على

الاختراق . لكن إذا بدأت الهزيمة من النفس ومن الخصوصية ، وفرطت في الثوابت ، وتخليت عن الأصول ، وركنت إلى التبعية ، فهنا تكون الهزيمة الحقيقية . من هنا أدرك الغرب الحديث أن غزو المجتمع الإسلامي من داخله أجدى وأنفع وأبقى أثرا من غزوه من خارجه .

إن الحروب الصليبية المتكررة ، واستئصال شأفة المسلمين من إسبانيا قبل خمسة قرون لم تقضِ على الإسلام ، إذن فلابد من تعديل المسار ، وتغيير الأساليب .

ولهذا كان **نابليون بونابرت** حريصًا عندما غزا مصر على أن يفتح بابا للدخول إلى النظام القضائي ، وإلى تعديل نظام المواريث ، ولم يتحقق له ما أراد بالطبع ، ولكن عندما تغلغل النفوذ الأجنبي في مصر والجزائر وتركيا وسائر بلاد الخلافة العثمانية بدأ اختراق النظام القضائي في مختلف نواحيه حتى قلاعه الحصينة في نظام الأسرة .

وأنت إذا نظرت إلى قانون العقوبات العثماني الذي صدر عام ١٨٤٠ م ، وهو أول تقنين كامل يصدر في بلد إسلامي ، وجدته ينقل الكثير عن القانون الجنائي الفرنسي الصادر سنة ١٨١٠ م ، وقد ألغى هذا القانون عقوبة التعزير ، وعقوبة رجم الزاني ، وعقوبة قطع اليد في باب السرقة ، وقد تعدل هذا القانون أكثر من مرة في زمن وجيز حتى وصل إلى الاقتباس الكامل من القانون الفرنسي سنة ١٨٥٨ م[١] .

فإذا علمنا أن تركيا كانت قد هُزِمت هزيمة منكرة عام ١٨٣٩ م على يد جيش **محمد علي** ، وأن بعض الدول الأوربية قد فرضت على **محمد علي** معاهدة لندن المشهورة سنة ١٨٤٠ م ـ وهي التي رفضها أولا ثم اضطر إلى قبولها سنة ١٨٤١ م بعد أن تخلت عنه فرنسا التي كانت قد رعته أدبيًا وماديًا ، وشجعته على رفض المعاهدة التي تمت من وراء ظهرها في إطار التنافس الاستعماري التقليدي آنذاك بينها وبين بريطانيا ـ وإذا علمنا أيضا أنه كان قد تولى الخلافة في تركيا شاب صغير لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره بلا خبرة ولا دراية هو **السلطان عبد الحميد** ، أدركنا كيف كان هذا التوقيت مناسبا لمزاحمة القوانين الأجنبية للشريعة الإسلامية في تركيا وبلاد الخلافة العثمانية من ورائها .

إن تركيا التي كانت مصدر رعب وفزع للبلاد الأوربية ، أصبحت الآن غير قادرة على حماية نفسها خارجيا ، وأصبحت بهذه المعاهدة مستباحة داخليا «ويمكن اعتبار تسوية لندن التي كانت تنطوي على تدخل الدول الخارجية في شؤون الإمبراطورية العثمانية الداخلية بمثابة حماية أوربية مشتركة فرضت على تركيا»[٢] ، وفي ظل هذه الحماية المفروضة يصبح الطريق مفتوحا إلى عقل الأمة ووجدانها ، وتشريعاتها وقوانينها .

وكما أصبح الطريق مفتوحا إلى عقل الأمة ووجدانها في تركيا المنهزمة ، أصبح كذلك مفتوحا في مصر المنتصرة التي كبلتها قيود المعاهدة ، وفرضت عليها الهيمنة الأجنبية ، ومن هنا تسلل القانون الفرنسي إلى «قانون المنتخبات» ـ ولعله أول تجميع للقوانين المصرية في العصر الحديث ـ[٣] ، ولم يتوقف هذا التسلل حتى تمكنت القوانين الأجنبية من النظام القضائي المصري .

وقد كان حظ مصر المستقلة قضائيا في هذا أسوأ من حظ تركيا وبلاد الخلافة العثمانية الأخرى ، ففي الوقت الذي فكرت فيه تركيا في الرجوع إلى الشريعة الإسلامية وتقنينها فأخرجت موسوعتها التشريعية الإسلامية : «مجلة الأحكام العدلية» فيما بين ١٨٦٩ م و١٨٧٦ م على يد مجموعة من الفقهاء ، ـ وهي أول تقنين إسلامي بالمعنى الصحيح الكامل ـ وقد استوعبت فرعا كاملا من فروع القانون ، فهي عبارة عن قانون إسلامي للعقود والالتزامات على مذهب أبي حنيفة[٤] . أقول في هذا الوقت الذي صدرت فيه هذه المجلة كانت مصر تمضي في طريقها نحو التغريب الكامل للقوانين والتشريعات ، وقد وصلت إلى ذلك بالفعل مع بداية الاحتلال الإنجليزي لمصر .

وقد كان تسلل القانون الغربي إلى البلاد الإسلامية مسبوقا بتطبيق القوانين الأجنبية على الأجانب المقيمين في البلاد الإسلامية في ظل الامتيازات التي كانت تمنح للأجانب في مراحل الضعف . **ومن المعروف أن الدول القوية تطبق قوانينها على كل من يرتكب ما يوجب المحاكمة على أرضها ، وطنيا كان أم أجنبيا** ، أما الضعفاء فهم الذين يمنحون هذه التنازلات صريحة أو مغلفة ، فقد كان السلاطين العثمانيون «يصدرون رسائل تشتمل على منح بعض الامتيازات ، هذه الخطابات كانت تعرف لدى الشرقيين باسم «البراءة الإمبراطورية» ولدى الأوربيين باسم «امتيازات» ، تمنح للبحارة ، والتجار الأجانب الذين يفدون للتجارة في ممتلكات الخليفة ، وتقضي بإعطائهم حصانة ضد إلقاء القبض عليهم أو الإزعاج من جانب السلطة المحلية»[٥] .

ولم تكن مصر في عهد **محمد علي** وخلفائه بأفضل حالا من بقية بلاد الخلافة العثمانية . إن الامتيازات التي حصل عليها الأجانب في مصر وخاصة في مدينة الإسكندرية جعلت من قناصل الدول الأجنبية حكاما مستقلين «كان الأجانب من المسيحيين فيما يختص بحكمهم وكل الإجراءات القضائية الخاصة بهم يعتبرون كأنهم مقيمون في بلادهم ، وكان يمثل هذه الدول عدد كبير من القناصل يتراوح بين ١٤ و١٨ ، وكل قنصل كان الحاكم الفعلي لأعضاء جاليته ، وقاضيا يفصل في الشكاوى والقضايا التي ترفع ضدهم ، ولم يكن لأحكامه وقراراته أي استئناف إلاّ لدى حكومته»[٦] .

ولم يقتصر الأمر في تطبيق النظام القضائي الأوربي على الجاليات الأجنبية وحدها في ذلك الوقت ، فقد كان هذا النظام «يمدّ اختصاصه عموما إلى ما يجاوز المنازعات بين الأوربيين ، إلى المنازعات التي تقع بين أجنبي ووطني ، بل يمتد إلى المنازعات التي تقع بين الوطنيين الذين يعملون في خدمة الأوربيين»[٧] .

القوانين الوضعية
من التسلل إلى الهيمنة

وبهذا أصبح يطبق على رعايا الدول الإسلامية قوانين الدول صاحبة الامتيازات، ومع أن هذا التطبيق كان ضيقا في بداية الأمر، فإنه أخذ يتسع شيئا فشيئا مع مرور الزمن بزيادة الهيمنة الأجنبية.

ولقد تحول القضاء القنصلي إلى القضاء المختلط، وذلك بإنشاء المحاكم الدولية، أو المحاكم المختلطة، أو المحاكم النظامية المختلطة، وذلك إبان ذروة التدخل الأجنبي في مصر، وإفلاس **إسماعيل**، «وبإنشاء هذه المحاكم النظامية دخلت مصر في دور جديد، فقد صدرت بها تقنيات كاملة كلها فرنسية المصدر تناولت مختلف فروع القانون بما فيها القانون المدني نفسه»(٨)، والغريب في الأمر أن **الخديوي إسماعيل** قد بذل جهدا كبيرا ودفع رشاوى كثيرة حتى يتسنى له إنشاء هذه المحاكم(٩).

ولم يقضِ هذا النظام القضائي على الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع فقط، ولكنه قضى كذلك على اللغة العربية في المرافعة وتدوين الأحكام، فمن الناحية العملية ظلت هذه اللغة غريبة عن هذه المحاكم برغم جواز استعمالها إلى جوار الفرنسية والإيطالية ثم الإنجليزية(١٠). إن القضاة الأجانب في هذه المحاكم رفضوا التعامل بهذه اللغة، كما رفضوا التعامل بقوانين هذه البلاد التي عاشت فيها منذ الفتح الإسلامي.

وفيما بين سنة ١٨٧٦ م ـ تاريخ تنظيم محاكم الإصلاح القضائي ـ وسنة ١٨٨٣ م ـ تاريخ إنشاء المحاكم النظامية الوطنية في ظل الاحتلال البريطاني ـ صدرت في مصر ستة قوانين هي: القانون المدني، وقانون التجارة، وقانون التجارة البحرية، وقانون المرافعات المدنية والتجارية، وقانون العقوبات، وقانون تحقيق الجنايات، «وبذلك انقطعت الصلة في الجملة بين الشريعة الإسلامية والقوانين المطبقة في الجرائم وعقوباتها، وفي مسائل الملكية والمعاملات المالية والتجارية، وكذا في مسائل الإجراءات والمرافعات»(١١)، ولم **يبقَ من الشريعة الإسلامية إلا قوانين الأحوال الشخصية التي كان الأجانب حذرين من الاقتراب منها**، والذي حدث في مصر وهي منهزمة ومحتلة حدث أكثر منه في تركيا بعد ذلك بأكثر من أربعين سنة وهي مستقلة، صحيح أن تركيا آنذاك لم تكن إمبراطورية كما كانت، لكنها كانت قد تخلصت من الهزائم المتتالية، ومن جيوش الاحتلال المتعددة، التي كان آخرها احتلال القوات الإنجليزية لإسطنبول سنة ١٩٢٠ م. إن **مصطفى كمال** الذي حقق هذا الاستقلال، وأعلن الجمهورية استطاع أن يقضي على كل أثر للشريعة الإسلامية في تركيا حتى في قانون الأحوال الشخصية، وأن يستبدل بها القانون المدني السويسري الذي ترجم إلى اللغة التركية ترجمة رديئة(١٢)، وكان **محمود أسعد** وزير العدل آنذاك أحد مترجمي القانون السويسري إلى اللغة التركية، وقد حرص هو وزملاؤه على ألا يستخدموا لفظا عربيا برغم كثرة المفردات العربية في اللغة التركية، وقد كتب هذا الوزير مقدمة هذا القانون المترجم، وملأها بالشتم والسب للإسلام، ووصف القرآن بأنه «قانون الصحراء»(١٣)، ومازال العلمانيون يرددون هذا الوصف بلفظه وبمعناه ترديدا ببغاويا، ولست أدري إن كان وزير العدل قد اخترع هذا الوصف أم استورده، كما استورد القانون السويسري!!.

وهكذا اقترن القضاء على الشريعة بالقضاء على اللغة العربية في التجربة التركية التي تمت على يد الأتراك المسلمين، وفي التجربة المصرية التي تمت على يد الأجانب المستعمرين!!.

إن التجربة التركية يثني عليها الغربيون كثيرا، ويمتدحون **مصطفى كمال** الذي تولى كبرها، ويضعونه في مقدمة الأبطال التاريخيين.

ولقد شهد النصف الأول من القرن العشرين تحول كثير من دول الإسلام إلى القوانين الغربية، وكان بعضهم ينقل هذه القوانين نقلا دون أي اعتبار لخصوصية المكان والظروف، وكان هذا النقل كثيرا ما تنشأ عنه مشكلات أثناء التطبيق، فيدخل التعديل بعد التعديل لستر هذه العورات القانونية!!.

ولقد ترتب على إقرار هذه التشريعات الأجنبية قيام نظام قضائي علماني ونظام دراسي ـ في كليات الحقوق التي ملأت الجامعات المدنية في مختلف بلاد العالم الإسلامي ـ علماني، ونظام للمحاماة علماني.

وأغرب ما وصل إليه التغريب القانوني والتشريعي هو دخول هذه القوانين العلمانية الغربية إلى جامعة الأزهر، فقبل تطوير الأزهر لم تكن تدرس فيه إلا الشريعة الإسلامية، وبعد تطويره أنشئت فيه كليات للشريعة والقانون، وطلاب القانون هم الكثرة الغالبة، وطلاب الشريعة هم الأقلية، وأغلبهم من الوافدين من البلاد الإسلامية، **وهكذا أصبح الأزهر يخرج محامين وقضاة يحكمون بالقوانين العلمانية، لا فرق بينهم وبين أيّ خريج في جامعة مدنية علمانية في مصر أو في الخارج، وهذا من أغرب المفارقات!!.**

الهوامش:

(١) د. شفيق شحاتة، الاتجاهات التشريعية في قوانين البلاد العربية ص ٢١.

(٢) جورج لنشوفسكي: الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ١/ ٣٧.

(٣) د. شفيق شحاتة: مصدر سابق ص ٢٦.

(٤) السابق: ص ١٩.

(٥، ٦) ألبرت فارمان: مصر وكيف غدر بها ص ٢٧٩.

(٧) اليونسكو: تاريخ البشرية، المجلد السادس، الجزء الثاني ١/ ٢٣٤.

(٨) د. شفيق شحاتة: مصدر سابق ص ٣١.

(٩) ألبرت فارمان: مصدر سابق ص ٢٨٠.

(١٠) السابق: ص ٢٨١.

(١١) د. شفيق شحاتة: ص ٣٧.

(١٢) عبد الله عبد الرحمن (مترجم): الرجل الصنم ص ٣٢٦، ٣٢٧.

(١٣) السابق: ص ٣٣٣.



جِسْرٌ عَلَى نَهْرِ دَرِينَا

عبد الله الطنطاوي

عنوان الديوان الجديد الذي أصدره الشاعر المغربي المبدع الدكتور حسن الأمراني هو: «جسر على نهر درينا . . ملحمة الإسلام في البوسنة» وهذا يعني أن الديوان ذو موضوع واحد يتحدث عن الملحمة التاريخية التي يخوضها مسلمو البوسنة والهرسك في قلب أوربا (الديمقراطية المتحضرة) التي تنعى على المسلمين تشددهم وتعصبهم، وتتهمهم بالرجعية والبعد عن التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى، فيما هي (تتفرج) على مذابح المسلمين، وقتل أطفالهم وشيوخهم وشبانهم، واغتصاب نسائهم وفتياتهم، وتكتفي بالتنديد مرة، وبإلقاء الأقوات من الجوّ مرة، وكأنهم ـ بهذا وذاك ـ قد كُفُوا القتال والتدخل العسكريّ من أجل إنقاذ مئات الآلاف من المسلمين الذين يموتون تباعًا جوعًا وقتلاً وذبحًا واغتصابًا . .

و(جسر على نهر درينا) هو ـ في الأصل ـ عنوان الرواية التي كتبها الروائي البوسني الكاثوليكي إيفو أندريتش ونشرها بُعَيد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ م.

يقول الشاعر الأمراني :

«إن رواية (جسر على نهر درينا) تختصر تاريخ البوسنة والهرسك منذ الفتح العثماني، حتى الاستعمار النمساوي، برؤية الكاتب المتميزة».

جسر درينا

لقد بُني الجسر الذي كان قائما على نهر درينا، عام ٩٧٩ هـ ـ ١٥٧١ م بأمر الوزير العثماني **محمد باشا سوكو لوفيتش** الذي ولد في قرية صغيرة من قرى البوسنة، قرب **فيشيجراد**، القرية الواقعة عند ملتقى النهرين : **درينا ورزاف**، وقد أراده الوزير رابطًا بين الإقليمين العثمانيين : البوسنة والصرب.

واليوم، يعود نهر درينا ليشهد مآسي لم يعرف لها العالم نظيرًا، حيث يقوم الصرب بتذبيح المسلمين، رجالاً ونساء وأطفالاً، ويلقون بجثثهم إلى النهر.

وحين يمتنع النهر عن التهام الجثث، فتظل طافية، يقوم الصرب ببقرها لتستقر في أعماق النهر.

إن أعماق نهر درينا تضم اليوم كثيرا من الشهداء.

ويقول الشاعر الأمراني :

«إني أرفع هذه الأشعار إلى المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من شعب البوسنة والهرسك، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا».

العنوان

استعار الشاعر عنوان الديوان من الرواية، واقتطف من الرواية أيضا كلمات معبرات عما يجري الآن هناك، مِثْل قوله :

«أخذ بعض سكان المدينة ينشدون، على طريقة أهل المدينة، هذا النشيد، وقد شحبت وجوههم من فرط الانفعال :

في سراييفو والبوسنة
كلّ أمّ حزينة
من فراق ابنها
الذي بعثت به إلى الإمبراطور مجندًا. — الرواية : ١/ ٣١٣.

تساؤلات

تُرى . ماذا ينشد سكان سراييفو في هذه الأيام، والأمهات يُغتصبن أمام بناتهن، وأزواجهن وأبنائهن وحفدتهن؟

ماذا سيقول الشعراء والكتاب والمغنون والمنشدون وهم يرون من فظائع الصرب ما تجاوزوا به مذابح قبية ودير ياسين وكفر قاسم التي نفذها همج القرن العشرين في فلسطين؟

وماذا عساه أن يفعل ذلك الوزير العثماني البوسني **محمد باشا** الذي أمر ببناء ذلك الجسر ليربط بين الإقليمين، وليتعارف الناس من خلاله وعبره ويتعاونوا؟

جسر على نهر درينا

ماذا عساه أن يفعل فيها لو اطَّلع على الغيب ــ الذي لا يعرفه إلا الله، ولا يُطلع عليه إلا من شاء من أصفيائه ـ ورأى الصرب يعبرونه ليقتلوا المسلمين ـ حفدته ـ ويفعلوا بهم الأفاعيل؟

أما كان يعدل عن فكرة بناء الجسر، ليبني سدا من نار، يفصل ما بين البشر و الصرب المتوحشين المتخلفين؟

ولو عاش كاتب الرواية البوسني الكاثوليكي إلى أيامنا هذه، ورأى ما يفعله الصرب بالمسلمين ــ والعالم على أبواب القرن الحادي والعشرين ـ . أما كان يترحم على (النبّاش) الأول: امبراطور النمسا الذي كان يسوق شبان البوسنة إلى محرقة الحرب التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل؟ أو ما كان يرى ما كتب ووصف من جرائم متواضعًا وأقل بكثير من الواقع المأساوي المعيش، والناس يودعون هذا القرن؟

لقد كتب مؤلف الرواية يقول: «كما يقع كثيرا في تاريخ الإنسانية أصبحت أعمال العنف والنهب وحتى القتل من الأمور التي يُسكَت عنها وتُباح، شريطة أن تُرتَكَبَ باسم مصالح عليا، وتحت ستار شعارات معينة، وأن تنزل على عدد صغير ممن يسمون بأسماء معينة، وينتمون إلى عقيدة معينة» الرواية: ٢/ ١٤٩.

فأين هذا مما يحدث الآن؟

لا بد أنه كان سيغير كثيرا مما كتب، حتى تكون رواية جديدة حافلة بمخازي الصرب وتوحشهم المنبعث من أحقاد دفينة موغلة في أعماق التاريخ.

رفاقية الرفاق

ولعل هذا ما يفسر ويشرح للذين يعجبون من قتال (رفاق) الأمس، وتذبيحهم وتذبيح نسائهم وأطفالهم، وهم الذين كانوا (رفاقا) في الحزب الأحمر، وزملاء في الجامعة، فما الذي جرى حتى يُجْروا دماء الرفاق والزملاء أنهارا؟

لم نكن نعرف يوم احتضنتنا الجامعة
فاحترقنا في ميادين الصراع
أن أبناء الأفاعي
في الليالي الحالكة
ينفثون السمّ باسم الطبقات الكادحة
في العروق الجائعة

***

عندما كنا نغني الشعر والثورة
في ساحة (هوشي منه)
والقلب على الكف و(يوميات بوليفيا) وأشواق الكفاح
لم نكن نعرف غير (ديان بيان فو) أملاً يشفي الجراح

لقد كانوا (رفاقا) في الحزب الدمويّ الأحمر، وما كان يخطر في بال مسلم أو مسلمة من الرفاق والرفيقات، أن **ماركس وأنجلز ولينين وستالين** وكل أبالسة الشيوعية، سوف يعجزون عن استلال سخائم الأحقاد من قلوب سود تعيش في بلاد الصرب والجبل الأسود، فالصرب فعلوا بالمسلمين بعد الحكم الشيوعي، وعلى يد **تيتو** ـ صديق بعض المستعربين ـ مثل ما يفعلونه في هذه الليالي الدوامس المترعات بألوان قاتمة من الجرائم . .

حديث الشيخ علي يعقوب

وقد حدثنا **الشيخ علي يعقوب** ـ شيخ استانبول الفقيد الذي نجا من إحدى مذابحهم في الأربعينيات، حين أطبق الصرب على المصلين الذين كانوا يصلون صلاة عيد الأضحى في بلدتهم التي كانت تربض على كتف نهر درينا ـ أطبق الصرب (الرجعيون) من جانب، والصرب (التقدميون) الشيوعيون من جانب، وأحاطوا بالمسلمين المصلين، وذبحوا منهم مذبحة هائلة، قدرت بثلاثة آلاف شهيد، ورموا جثثهم في ذلك النهر الذي صار نهرًا أحمر قانيًا، ورمى الطفل **علي يعقوب** بنفسه في النهر، لينجو من المذبحة، وليحدثنا حديثه هذا بعد أربعين سنة من حدوثها (عام ١٩٨٤ م) . . حديثا اقشعرت منه أبداننا، حتى وقع في خاطري أن يكون الطفل **علي يعقوب** الذي شهد المذبحة، ما يزال يعيش في ضمير الشيخ **علي يعقوب**؛ لأنه كان يحدثنا والذعر ملء عينيه، والخوف مرتسم على قسمات وجهه، ومعشش في أعماقه، حتى بلغ به الأمر أن يرجونا أن لا ننشر شيئا من حديثه، لأنه يخشى من الصرب الشيوعيين (العقائديين) على بقايا أسرته المنكوبة . . لقد كان يخشى من انتقام الصرب المجانين المجرمين بعد أربعين عاما من المذبحة . .

رباط الماركسية

إن البوسنيين الشيوعيين ليعجبون من تصرفات رفاقهم الشيوعيين من الصرب، كانوا يحسبونهم قد انصهروا في بوتقة الماركسية الأممية، ونسوا أصولهم العرقية، وعقائدهم النصرانية، وأخلاقهم الجبلية، وأحقادهم الصليبية التاريخية . . كانوا يظنون أن رباط الماركسية الأممية أقوى وأصلب من أي رباط، وإذا هم، وقد انفرط عقدهم الذي لم يكن سوى وهم وتدليس على الذات، يعودون سيرتهم الأولى، وحوشًا في غابات أوربا الصليبية الحاقدة ينقض بعضهم على بعض في لمحة بصر، ويمارس بعضهم ضد بعض أقسى أنواع الهمجية، وأحط أنماط العهر والفجور . .

رؤية مستقبلية

هذه بعض ما تعبر عنه وتوحي به **اللوحة الأولى من الديوان** . . وهذا هو الجانب المظلم من هذه اللوحة، أما الجانب المشرق فيها، فهو ما تجلى في وعي أصحاب البصائر، كذلك الشيخ الشاب الذي كان ينظر بنور إيمانه نحو المستقبل، فيرى المأساة الكارثة قادمة على أيدي أولئك الرفاق، ولعل من كان يسمع كلام ذلك الشيخ كان يضحك ملء شدقيه على هذا التخلف السياسي والفكري لدى المشايخ:

يومها وشوشني الشيخ الفتى:

إني سأفضي لك بالسر، فلا تجهر به من قبل أن تؤنس نار الأبديّة

فجميل الصبر مفتاح القضية

يا بني

سوف يأتي ـ واحفظ القول ـ على الناس زمان

تصبح اللحية فيه بندقية

وحجاب البنت يغدو قنبلة

ويعلق حيران بن الأضعف على قول هذا الشيخ (المتخلف):

وظننت الشيخ يهذي

وبأعماقي ضحكت

لم أكن أفهم شيئا

وهو يتلو الزلزلة.

وقد كان الذي توقعه ذلك الشيخ، فكانت الزلزلة التي خفيت أسبابها على (حيران) ـ الرفيق الشيوعي الضائع بين ما كان يحلم بـه، وبين الواقع المر ـ ابن (الأضعف) ويا ليته كان ابن (المستضعف) **فالإسلام كان وما زال وسيبقى إلى الأبد، هو الأقوى**، وإن استضعف أبناؤه في عصر العلو اليهودي الصليبي هذا.

الجسر بين الماضي والحاضر

وفي اللوحة الثانية: (البيان) يتداخل الماضي بالحاضر عند جسر درينا، فعلى الجسر تعلق إعلانات الغزاة، ويُعلق الضحايا، ويُصلب الثوار..

ومن خلال الحوار بين **علي خجا وإسماعيلوفتش** نطّلع على الواقع المرير، وعلى النفوس المتأزمة نتيجة الحصار القاسي، والقصف والدمار والرعب ونقض العهود والمواثيق، ولكن.. يبقى الجهادُ الأملَ في الخلاص، فترك الجهاد مذلة، والمذلة محرمة على المسلم الذي يريده الإسلام عزيزا على الزمان، يتبوأ قمة المجد، ويأبى العيش بين الحفر.

صوت الشاعر

ويأتي صوت الشاعر هادرا في حزن عبر **اللوحة الثالثة (الجرح الهادر)**. وجرح الشاعر هو جرح سائر المسلمين، هو جرح الفلاح المستضعف الذي يحكي عن قريته التي كانت آمنة مطمئنة جميلة، فغدت مهجورة، بعد أن كانت موئلا للحَسَاسِين ومأوى للياسمين، هجرتها طيورها وتركت أوكارها، ففقدت بذلك جمالها، كما فقدت جلالها وعظمتها بعد أن استضعف الصرب رجالها، واغتالوا مآذنها التي كانت تنشر البِشر والبشريات، ثم يأتي النَّفَس الملحمي شامخا مفتخرا بالقرون الوضاء التي عاشتها هذه البلاد في ظلال دوحة الإسلام:

يا قرونا خمسة لألاءة ... كرحيق الفجر ما بين القرون

من طوى أعلامك الخضراء؟ من ... نسج الأكفان للحق الرزين؟

قد غدا نهر «درينا» ظامئا ... ولكم كان يروّي الظامئين!

والعصافير التي كانت هنا ... زينة الروض وكحل الناظرين

ذبحوها، هدموا أعشاشها ... صادروا ألحانها بين اللحون

هتكوا ستر الصبايا، عذّبوا ... كل شيخ، قطعوا كلَّ وتين

سرقوا الأطفال من أمهاتهم ... شردوهم.. يا لظلم الظالمين

قتلوا كل أبيّ، صلبوا ... يا سراييفو بنيك المهتدين

ويلخص الشاعر رأيه في هذه الملحمة بأن نكون أو لا نكون.. هذه هي الخلاصة وعلى المسلمين أن يعوها جيدا وأن يبشروا بها، ويسعوا إلى تحقيقها.

أحقاد وغباء

وفي **اللوحة الرابعة (الصلب)** يتحدث أحد الرفاق المحسوبين على الإسلام والمسلمين، وهو معلق وموثق إلى الجسر.. يتحدث عن مأساته التي لا يعرف لها سببا، ويتساءل عن سبب تعليقه وتعذيبه واغتصاب أخته أمامه، وعن سبب تعذيب أمه وأبيه الذي قاتل النازيين ودافع عن بلغراد وزغرب ـ عاصمتي الصرب والكروات ـ، ولا يدري لماذا صار هو ومن على شاكلته من الرفاق (المسلمين) غرباء وكالوباء؟ والمسكين لا يدري أنها حرب دينية وليست حربا عرقية كما يروّج لها الإعلام الغربي الصليبي الحاقد، ويلحق به في الترويج لهذا الزعم، كل إعلامٍ غَبيّ في دنيا الناس.

صوت التاريخ

وفي **اللوحة الخامسة (الواقعة)** يتداخل التاريخ بالحاضر، كما في (البيان) فيتحدث الشاعر ـ مازجا بين (غرناطة) و(سراييفو) الشهيدتين ـ مستصرخا ضمائر المسلمين، عبر نداء قادم من وراء الأفق، غير أنه نداء دامٍ ما يزال ينزف، مستعيرا أبيات صاحبة (البراق) بتغيير طفيف، وفي الأفق نداء نازف الجبهة يستصرخ أبناء العقيدة:

ليت للمسلم عينا فترى ... ما ألاقي من عذاب وضنى

قيدوني عذبوني، ضربوا ... موطن العفة مني بالعصا

ويأتي الجواب مدمى:

آه يا أمّ اعذرينا

نحن أصبحنا أسارى الذلّ والقهر الشديد

اعذرينا

فلقد أدمت سجايانا القيود.

(ألا ما أجملها من صورة، وما أروعه من تعبير.. فقد أدمت سجايانا القيود).

ويأتي الجواب على الجواب حازما صارما:

لم أجد عذرًا لكم بعد امتهان العرض والدين

وما غبطة حيّ صار يحيا كالعبيد؟

لم أجد عذرا سوى أن تطلبوا درب الشهيد.

(فسلوك درب الجهاد والاستشهاد هو نفسه الصعود إلى العزة والكرامة والمجد).

ولم يبعد الشاعر في المقارنة بين غرناطة وسراييفو، فالمسلمون جميعا يخشون ضياع البوسنة كما ضاعت الأندلس، وكلاهما في أوربا، **ولا يريد شاعرنا أن تقول الأمهات المسلمات البوسنيات كما قالت أم أبي عبد الله الصغير لابنها:**

جسر على نهر درينا

ابكِ مثلَ النساء ملكا مُضاعًا   لم تحافظ عليه مثل الرجال

بل جعل الأم البوسنية تستدرك قبل أن يكون لوم وتلاوم، فتدعو بنيها إلى الجهاد والاستشهاد، فدربها هو وحده الدرب الموصل إلى الكرامة وصون العرض والأرض والدين والشعب.

شاعر أهمته أمته

وهكذا تتوالى لوحات الديوان، معبرة عن الواقع البئيس الذي يعيشه المسلمون في البوسنة والهرسك، تحت ثقل الجزارين الصرب، راضعي حليب الذئاب والأحقاد، و. . .

والشاعر الأمراني متفنن مبدع في التعبير عن قضايا أمته العربية والإسلامية، في هذا الديوان وفيما سبقه من شعر ونثر، تناول فيهما هموم هذه الأمة. وهو في هذا الديوان ذي الموضوع الواحد، رائد في هذا الميدان، فلم نعرف شاعرا أصدر ديوانا حول البوسنة ومعاناة المسلمين فيها، وهو واع لطبيعة المعركة الشرسة التي يسميها الإعلام العربي التابع للإعلام الغربي الصليبي المتصهين: حربا عرقية، وهي في حقيقتها الظاهرة للعُمْي والمبصرين، حرب دينية بكل ما في هذه الكلمة من معنى، تريد الإجهاز على الإسلام، واستئصال شأفة المسلمين من قلب أوربا، كما صرح الصرب أنفسهم، ولكن الإعلام الغربي يحاول طمس حقيقة ما يجري، لِيَصرف المسلمين ـ العاجزين أصلا عن فعل أي شيء لمناصرة إخوانهم المسلمين هناك وهنالك ـ عن تقديم أيّ شيء ذي بال لهؤلاء، الذين يُقتلون ويصلبون وتقطع أيديهم وأرجلهم، وتغتصب نساؤهم وفتياتهم وصبيتهم، لسبب واحد ولا سبب سواه، هو كونهم ينحدرون من أصول إسلامية.

الشعر في الديوان

تهمة الخطابية والوعظية السردية المباشرة تتلبس الشعر الإسلامي في نظر النقاد العلمانيين، وأحب أن نحتكم في هذه الدعوى المريبة، إلى هذا الديوان الصغير الحجم، الكبير المعنى، الذي تقرأ فيه شعرا صرفا. .

فإذا كان الشعر ـ حسب المقولات الحديثة ـ صورا وموسيقى، فإننا نرى شاعرنا قد عبر عما يريد من معان وأفكار، من خلال الصور والموسيقى معا. .

اقرأ معي ما جاء في اللوحة السادسة (**الاغتصاب**) من شعر:

لجسد مرتعش
على سرير الرعب
لصرخة موءودة
من طفلة شرقية شقراء
تجأر بالدعاء
لرافع السماء
لجسد منفطر مما جناه الصرب
وأذرع مشلولة. .
تهتف في مرارة: يا رب
صبرت سيفي قلمي
جعلت حبري من دماء القلب
لعل رمح الصرخة الخرساء
يشق قلب عابد المحراب
بالغضب المغموس في قرارة الأحقاب
ويبعث الدماء
كاسحة من قلب هذا الشعب.

ألا ترى هذا الصراخ المدمر للأعصاب، ينطلق من حناجر الصبايا اللواتي تعرضن للتعذيب الشيطاني الذي لا يوصف؟

هل ترى في تلك الصرخات غير التعبير عن الفجيعة من خلال الصور التي هي من المجاز العقلي البديع: «سرير الرعب ـ صرخة موءودة ـ صبرت سيفي قلمي ـ حبري من دماء القلب ـ رمح الصرخة الخرساء ـ الغضب المغموس في قرارة الأحقاب».

والموسيقى الحزينة التي تنساب عبر القصيدة، توشح تلك الصور بهالة من حزن وألم، والكلمات والتراكيب التي حملت تلك الموسيقى من خلال انتقائية محببة، لأنها عفوية، لاابتسار ولا اقتسار لقافية أو حرف رويّ. .

وهذا الحكم ليس على هذه القصيدة اللوحة فحسب، بل تراه في سائر لوحات الديوان، التي حفلت بالتصوير والتجسيد المناسبين لطبيعة الموضوع المأساوي.

اقرأ معي هذه الأبيات، وتأمل ما فيها من صور حفلت بها هذه **اللوحة (الذكرى)**:

ها هنا ربعي الطفولي
ها هنا حلمي الربيعي

ها هنا بستان أحلامي المنضد
وهنا في الأفق الغربي شلال من الضوء، لُجَيْنيٌّ تَهَجَّدْ
فوقه شلال عسجد.

هل تحتاج هذه الصور إلى من يشرحها ويفسرها؟

وهل تحتاج الموسيقى التي تنساب في نعومة حينا، وفي تصخاب حينا آخر، إلى من يفتش عنها؟

ها هنا شهقة بحر
ها هنا صولة غابة
ها هنا غيمة عشق
ها هنا ظل سحابة

وفي (الخرافة) عبّر عن الدعاية القديمة المستجدة عن إرهابية المسلم في **الأدب الغربي، منذ ما قبل شكسبير وحتى يومنا هذا.** عبّر عن تلك الخرافة بكلمة (**الغول**)مرة، وبهذه الصور الفاقعة التي تهدهد الأمهات بها أطفالهن مرة أخرى:

خليع عربي ضيق الجبهة أسود

يطلع الليلة من قلب الجدار

يزرع الرعب بأعماق الصغار

(وهذا المسلم ليس بشرا سويا)

بل عدو ظامئ للدم والقتل المريب .

ولنشنّف أسماعنا بهذه الموسيقى الشجية التي تذكرنا بسورة الشمس في الفرقان المجيد :

أغريب أنا في أرضي؟

هيهات . . أبي روّى ثراها

كل شبر فوقها يشهد أني من بناها

ورعاها

وسقاها

وأبي الذي من أجلها أعطى دمه

ضحّى لتبقى مسلمة .

وهذه الصور الممتعة ـ فنيا ـ المحزنة ـ واقعيا ـ في قصيدته (بديع يتلو أشعاره) وفيها الكثير مما رواه لنا الشيخ علي يعقوب تغمده الله بفيض رحمته :

طاول النجمَ الحجر

شاخت الأزهار والبدر انتحر

وتمطت عند أعتاب القمر

ذئبة تعزف ألحان الظفر

أي جمال وأي سحر حلال نطالعهما في هذه القصيدة المترعة صورا وموسيقى ومعاني شامخات عن المذابح التي شهدها ولا يزال يشهدها نهر درينا وجسره العتيد؟

وهذه الموسيقى الملونة بألوان الأسى الأسيان ، في (وا إسلاماه) :

ولدي الحبيب

ماذا صنعت وأنت ما أدركت بعد

سن الفطام

ماذا أتيت من الذنوب؟

ذبحوك بين يديّ ، شقوا الجيب ، واغتصبوا دمي

أبُنَيَّ ما صنع العُتاة؟

كانوا أضرَّ من الذئاب الجائعات

نقشوا على الصدر الصليب

ولدي الذبيح

أرأيت أعداء المسيح؟

باسم المسيح

ذبحوك بين يديّ ، أعداء المسيح

أعداء كل الأنبياء

الصرب مصاصو الدماء

ساقٌ هنا . . وهناك معصم

عنقٌ مضرجة هنا وهناك رأس قد تحطم

والذنب؟ لا ذنب سوى أن قيل : مسلم .

وأحيانا تشتد الموسيقى ، ويهدر النغم في تعنيف :

وهناك في بعض الجهات

يغفو الولاة

يغفو الولاة على سرير الطيبات

كل يجالس عجله الذهبي يسأله صكوك المغفرة

حينا ويغفو كالصنم

ما بينهم يوم الكريهة خالد أو معتصم .

ويختم الشاعر قصيدته الرائعة (وا إسلاماه) التي تحمل على جناحيها ملحمة المسلمين في كل العصور . . يختصها بهذه الأبيات الحزينة بمعناها ومبناها ، بموسيقاها وصورها ، بألفاظها وتراكيبها :

يا أرض أندلس سلاما

ما عدت وحدك جمرة الذكرى ، سلاما

هذي سراييفو تبادلك التحية والختاما

يا أرض أندلس سلاما

فكما ضاعت الأندلس ، فردوسنا المفقود ، ضاعت الخلافة ، وضاعت فلسطين ، وضاعت سراييفو التي قاتل أبناؤها المجاهدون في فلسطين من أجل الإسلام والمسلمين .

وفي لوحته الأخيرة (أطفال سراييفو يتحدون الحصار) موسيقى صاخبة أشبه ما تكون بالنشيد الحربي ينشده أطفال سراييفو في قوة حزينة ، على ألحان المدافع والصواريخ وأزيز الرصاص :

نحن أطفال سراييفو العتيدة

إن حُرِمنا مِن حنان الأمهات

في الليالي الحالكات

فَلأنا مسلمون

نحن رغم القهر والقيد اللعين

سوف نبقى مسلمين

نحن أطفال سراييفو القتيلة

قيَّدونا

عَذَّبونا

أحرقوا المسجد والروض وأحلام الطفولة

صادروا الآباء منا والبراءة

والحكايات الجميلة

علمونا في ربيع العمر أن نلعق جرح الكبرياء

علمونا أن نغني للردى الزاحف . .

أن نعزف ألحان المنية

علمونا أن نصلي ، ويد تحضن جسم البندقية

نحن أطفال سراييفو الشهيدة

سنصلي ونصلي

ونعيد الضوء باسم الله للشمس الطريدة

جسر على نهر درينا

فـالأطفـال وشاعـرهـم متفـائلـون أبـدا، برغـم تـراكم الظلمات، وجـرائم المجرمين، لأنه لا ييأس من روح الله إلا الكافرون، ولسوف ينبثق فجر الإسلام من بين أسجـاف الظـلام، بعـد أن قـرع الصرب نـواقيس صلبـانهم، فنبهـوا المسلمين إلى الأخطار المحـدقة بإسلامهم وبوجـودهم، بعدما غفلوا عنـه دهرا طويلا، منذ اجتاحت الصليبية الحديثة والشيوعية الكافرة ديارهم . .

ولئن تخاذل المتخاذلون اليوم، فإن غدًا لناظره قريب، وسيأتي القادمون من قلب الغيـوب، ليمحـوا العـار عن مسلمي اليـوم، الـذين أعلنـوا الحرب على الإسلام :

أيها الظالم ما أقسى القصاص
أيها الظالم ما أقسى القصاص

فأطفال اليوم هم رجال الغد وأبطاله المجاهدون :

يا سراييفو المجيدة
يا سراييفو الشهيدة
أذن الله بأن ترفع رايات الجهاد
نحن أطفالك حراس العقيدة
لن يطول الانتظار
لن يطول الانتظار

ولعل قائلا يقول : أليس في هذا المقطع خطابية ومباشرة؟

والجواب : هذه الأبيـات هي ختام الديوان، وهـي بمثابة القفلة الصـارخة له، ولكل مقام مقال .

الشاعر الملتزم

والدكتور حسن الأمراني شاعر ملتزم إسلامه، مبادئه وتعاليمه، ملتزم قضايا أمته، يعبر عنها في عقـلانية لا تخلو، ولا يجوز لها أن تخلو، من العـاطفة المتقدة حينا، الحانية بدفء حينا آخر. فبعد هذه الصور الجميلة الرائعة :

جمرة مطفأة شمس الضحـى	**وفـؤاد الليـل بكّاء حزيـن**
جُنَّت الأرض من الذبح فمن	**يملك الرُّقية من مس الجنون**
يا دموع الأرض كوني منصلاً	**يتلظى في صـدور المعتدين**

قال :

يا سـراييفـو جراحـي جمـة	**ونـداء القلب مكتوم الأنيـن**
واصطباري فيك أضحى خنجرًا	**كلهيـب يبعث الداء الدفيـن**

وهذه العـاطفة المشبـوبة نلمحها في قصـائد الديـوان عمومـا، وهذا ليس بعجيب ولا غـريب على شاعـر تشغله أمتـه بقضايـاها المصيريـة عن قضايـاه الشخصية :

ما الذي يبقى من الشعر إذا صار فما دون قضية
ما الذي يبقى إذا صار كورد المزهرية

في بلاط المترفين
أيها الحرف الأمين
لتكن سيفًا بصدر الظالمين .

كما نلحظ التـزامـه الإسلامي في تعبيره عـن نفسه من خـلال شخصيـات قصائده :

هذا نشيدي شقّ أروقة الفضاء :
حريتي نعمتي
ديني أنا كينونتي
أنا نجمة الصبح التي تهدي الورى سبل السلام .
أنا مسلم وحقيقتي :
أن أحمل النور الذي جلاه صوت الأنبياء إلى الوجود .

فهذه هي رسالـة الشاعر، وهي نفسها رسالـة المسلم في كل زمان ومكان، أن يكون داعية سلام، يحمل نور النبوة إلى سائر الأنام .

كما يظهر التـزام الشاعر في تأثره بكلمات القـرآن الكريم وتراكيبـه وصوره، كقوله :

وهتفت : سيري يا جبال وأوّبي .

وقوله :

أين آتيلا ونيرون وفرعون؟ تماروا بالنذر
فإذا هم كهشيم المحتظر
أيها الظالم مهلا . .
إن ربّي أخذه أخذ عزيز مقتدر .

وفي هذه الصور البديعة :

يا محمد
دع عيون القمر الناعس تشهد
دع شفاه النَّهَر الظمآن تشهد
مولد الفجر على ساعد شيخ يتعبد
مثل بلقيس التي أبصرت الحق وقد لامست الصرح الممرد .

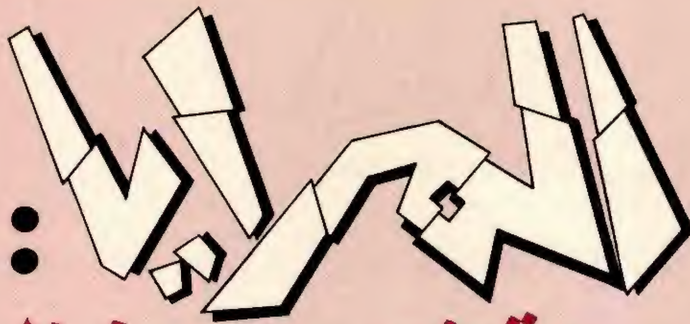
وهذه الأنفاس الإيمانية المتفائلة أبدا :

يا محمد
أُحْدُ باسم الله، ضع رجليك في عز الركاب
إنها قافلة الإيمان لا تخشى الذئاب .

وأخيرا :

ماذا أنقل من هذا الديوان وماذا أدع؟

هل أنقله كلـه في هذا المقـال، لأني أريد لسـائر القراء أن يقـرؤوه ويفهموا مغازيه ويستمتعوا بصوره وموسيقاه الحزينـة حينا، الثائرة حينا آخر؟ وأن يعرفوا حـدود المأسـاة . . حدود الحريق الـذي شبّ في وسط أوربـا المتحضرة، أوربـا الـديمقـراطيـة التي رفعت الصليب، وسـار (فـرسـانها) الـذين لا يحملـون في رؤوسهم وقلوبهم نخوة الفرسان، سـاروا تحت الصليب من جديد، فأجهزوا في بـداية هـذا القرن على وحـدة الأمة، ومـزقوا شملهـا، واغتصبوا أرض الأنبيـاء وأسكنوا فيها أوباش البشر . . .



المرايا: سيرة نجيب محفوظ الذاتية

محمد أحمد الشافعي


نجيب محفوظ

ولد نجيب محفوظ في ١١ كانون الأول ـ ديسمبر ١٩١١ م. وقبل أن يكمل الستين عاما ويحال إلى المعاش في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٧١ م كان قد بدأ في نشر سيرته الذاتية «المرايا» منذ أواخر ١٩٧٠ م على وجه التقريب. فقد أورد كمال النجمي في كتابه المجموع «نجيب محفوظ وأصداء معاصريه» مقالة حول المرايا ـ أو بالأدق أوليات المرايا ـ عُرِف منها أنه «يوالي نشرها في مجلة الإذاعة»(١) آنذاك، وأن ما نشر يمثِّل في نظر النجمي زبدة معاناة نجيب «الفكرية والروحية بعد مسيرة بضعة وخمسين عاما من حياته المديدة»(٢). ولم يؤرخ النجمي مقالات كتابه، إلا أنه ذكر في مقدمته أنها كتبت «بين أوائل الستينيات وأواخر السبعينيات»(٣). ثم كتب يحيى حقي بعد ذلك مقالته «أمام المرايا» التي نشرت بـ «المساء ٢١/ ٦/ ١٩٧١»، وأعاد نشرها بعد ذلك في كتابه «عطر الأحباب»، وأشير فيها إلى أن ما نشر من صور المرايا ـ إلى وقتها ـ عشرين صورة تقريبا. وعلى ذلك فإن قول الدكتور محمد حسن عبد الله بأن نجيبًا كتب المرايا «حين أكمل الستين عاما»(٤)، تعْوزه الدقة.

فكرة مبهمة

على أن المرايا لم تكن حتى شباط/ فبراير ١٩٧٠ م غير فكرة مبهمة المعالم في ذهن صاحبها. فقد سئل نجيب حينئذ: «. . ألم تفكر في كتابة ترجمة ذاتية صادقة وشاملة بالرغم مما قد تمسه من موضوعات حسَّاسة؟»(٥) فأجاب «. . أما فكرة السيرة الذاتية فهي تراودني من حين لآخر. أحيانا تراودني كسيرة ذاتية بَحْتة وأخرى تراودني كسيرة ذاتية روائية»(٦).

وإذا حاولنا أن ننظر بعين النقد إلى المرايا والصور التي تعكسها فسنجد أنفسنا أمام عديد من القضايا المطروحة:

أولاها: حول كونها سيرة ذاتية لنجيب على وجه الاحتمال أو اليقين.

ثانيتها: حول شكلها الفني الذي يجعلها من إحدى الزوايا «إطارًا روائيًا على نسق فريد غير مسبوق في أدبنا القصصي»(٧) مما يقتضي التحقّق من فرديّته الكاملة أو المنقوصة، وعلاقة ذلك بكون هذا العمل الأدبي سيرة ذاتية أو لا.

ثالثتها: مناقشة الكاتب ـ إذا انتهينا إلى أنها سيرته الذاتية ـ فيما بثَّه فيها من الرؤى الفكرية والأخلاقية، اعتمادا على أن وضوح الرؤية في السيرة الذاتية يساوي في وضوحه الآراء الصريحة العارية من سرابيل الفن، لا سيما وقد كتبها ـ في ظاهر الأمر ـ بعد أن اكتمل له النضج الفكري والفني، وتسنَّم ذروة المجد الأدبي، في ميدان الرواية العربية.

رواية فنية أم سيرة ذاتية

وقد اختلف الأدباء والنقاد حول المرايا فاعتبرتها غالبيتهم مجرد رواية فنية.

وعولجت فيها كتب حولها على هذا المفهوم. . ولم يَلتفِت إلى كونها سيرة ذاتية ـ على ما أعلم ـ غير كمال النجمي ويحيى حقي، وفي غير ما نشر بمجلة المجتمع الكويتية ٢٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣ م(٨) ومجلة الهلال القاهرية في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٨ م.

فقد رأى النجمي أن نجيبًا في «مذكراته القصصية البديعة التي يسميها «المرايا» يومض بلفتات فكرية وروحية، يكشف لمحها الخاطف مساحات شاسعة من معاناته الفكرية والروحية» (٩). أما أديبنا الراحل يحيى حقي ـ رحمه الله ـ فقد صرَّح وأسهب في التصريح وألحَّ على كون المرايا تمثل سيرة نجيب الذاتية. والعلاقة الشخصية التي ربطت الأديبين تجعل لقول يحيى حقي أهمية أكبر من قوله المجرد أديبًا ومفكرًا كبيرًا، ومن ثم فقد سيق التوكيد ـ في بعض مواضعه ـ على كونها سيرة ذاتية في ثنايا قوله يخاطب نجيبا: «قلت لنجيب محفوظ: ـ أهنئك على شجاعتك الكبيرة في «المرايا» سواء وأنت تتحدث عن نفسك وعلاقاتك بصراحة غير مألوفة أو وأنت تجهر بآراء عن أشخاص من معاصريك يعتنقها غيرك أيضا، ولكنه يتكتمها أو لا يتبادلها إلا همسا. .»(١٠)

المرايا: سيرة نجيب محفوظ

وقلت لنجيب: ـ خشيت أن تأتي صورك في «المرايا» كأنها نقل مسطرة من واقع الحياة، لأنك هنا تنقل من واقع الحياة باعترافك»[11]؛ ويفصِّل **يحيى حقي** رأيه عن شجاعة **نجيب** في **مراياه** فيقول: «إن الشجاعة التي أبداها **توفيق الحكيم** في **«سجن العمر»** وهو يتحدث عن والديه، قد تجاوزها **نجيب** بمراحل بعيدة، لأنه تحدث عن نفسه وهو ما لم يفعله توفيق هربا من وجع الدماغ»[12]. ووضع **حقي المرايا** في موضع الموازنة إزاء «سجن العمر» وانتهى إلى أنها عملٌ بالغ الأهمية في معرض إثبات المرايا ضمن أدب الاعتراف.. إذ ترجم **الحكيم** لحياته بصراحة لا تقبل التأويل. وجاوزت صراحته فيه السرد إلى التعليل والتفسير وتناول فيها حياته من مولده حتى قبيْل سفره إلى باريس بغية الحصول على الدكتوراه في القانون» ومعلوم أنه استكمل الترجمة لحياته بعد ذلك في كُتُبه **«زهرة العمر»** و**«يوميات نائب في الأرياف»** و**«عصفور من الشرق»** و**«أنا والقانون والفن»** بطرائق فنية مختلفة.


يحيى حقي

ومرة أخرى يلفت يحيى حقي نظرنا بقوة ويقين إلى أن هذه «**ربما هي المرة الأولى التي يذيع فيها نجيب بعض هذه الأسرار التي يحيط بها حياته، لذلك فإن «المرايا» ستكون أهم أعماله التي سيرجع إليها الباحثون في المستقبل في محاولاتهم تعرف ملامحه**»[13]«ورجائي الآن من ناشئة الجيل إلى أن يشتغلوا لنا في الكشف عن تسرُّب صور «المرايا» إلى أعمال **نجيب**، وكيف تحول الواقع أولاً إلى صورة في **المرايا** ثم إلى شخصية في رواية»[14].

ولعل هذه السطور التي تدور حول **المرايا** بعامة، وتقف أمام بعض صورها استجابة متواضعة لرجاء الأديب الراحل.

بعد كل هذا لا نعرف السبب الذي انتهى **بالدكتور محمد حسن عبد الله** في كتابه **«الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ»** إلى التأرجح في النظر إلى المرايا لا سيما وقد صدر كتابه في حزيران/ يونية ١٩٧٨ م لاحقا للمنشور في المجتمع الكويتية والهلال المصرية ولمقالتي **النجمي وحقي** حال نشرهما مقالات منفردة قبل صدورهما ضمن كتابيْن بعد ذلك، فقد رأى أن المرايا «يمكن أن تثير اعتراضات فنية ومنهجية أساسية، فالشكل الفني في هذا العمل قد يعتبر إطارا روائيا على نسق فريد غير مسبوق في أدبنا القصصي»[15]وجعل يُعدِّد أمارات التفرّد فيه عن الأطر الروائية المألوفة في أدبنا القصصي، التي تمثّلت في خلوّها من كثير من الأسس والدعائم التي يشترط وجودها في العمل الروائي، مثل «انعدام الحادثة... وتتابع الشخصيات الكثيرة دون أن يكون بينها قدر من التلاحم أو المشاركة. والرابطة الواهية التي تجمع بينها أنها عَبَرَتْ ـ بصورة قوية أو واهية ـ بحياة راوي القصة، وليس في المرايا أرض مشتركة. ولا نعني الوحدة الفكرية. فهذا ما لا يطلب في شخصيات الرواية، وإنما نعني «المكان» فصالون ماهر عبد الكريم الذي كان سببا في لقاء الكاتب بعديد من الشخصيات بقي مجرد كلمة غير واضحة القسمات، لم نشهد أماسيه، ولم نتعرف على أركانه في لقائهم الحميم بما ينبغي لرواية ذات دعائم»[16] ورغم خلو **المرايا** من كثير من الأسس التي تقوم عليها الرواية، فقد انتهى الدكتور إلى اعتبارها «**رواية ذات بناء ذكي ورؤية شاملة قادرة على إعطاء المعنى الكلي فضلا عن إمتاع القارئ بجوانب جمالية متنوعة**»[17]. لقد عرض للمرايا من الوجهة الانطباعية باعتبارها رواية فنية، وإن افتقرت إلى الكثير من شروط هذا الفن. وحين احتكم إلى مقتضيات الفن الروائي، قال بجواز اعتبارها شكلا فنيا آخر، فيرى أننا «يمكن إذا تمسكنا بحَرْفية الأصول النقدية للفن القصصي ـ أن يعتبر شيئا غير ذلك، مزيجا من اليوميات والمذكرات والذكريات»[18] وعلى ذلك فقد نحّى جانبا بعض ما أثير حول المرايا باعتبارها سيرة ذاتية، إذ يقول في معرض حديثه عن عبد الوهاب إسماعيل: «ونصل إلى آخر النماذج في مجال التأثر الإيجابي بالدين: عبد الوهاب إسماعيل، وهو الشخص الوحيد الذي لفت بوضوح أنظار الكتاب الإسلاميين من حيث رأى بعضهم أن المقصود به المرحوم **سيد قطب**.. وسواء كان ذلك صحيحا بالنسبة لعبد الوهاب إسماعيل أو غيره فإنه لا يعنينا، وليس من مهمتنا أن نبحث عن «أصول» هذه الصور السريعة، وكل ما يهمنا هو دلالتها على فكر الكاتب ومدى ما فيها من صدق أو زيف من حيث البناء الداخلي والدلالة الاجتماعية»[19].. وبذا أغمض الدكتور عينيه عن نجم هاد، وعفّى آثارا قد تنتهي به إلى الطريق الصحيح، فقد ارتضى **المرايا** رواية فنية وقد عَريتْ من تقاليد فن الرواية، ورفضها سيرة ذاتية رغم وفائها بالشروط المنهجية للسيرة. وحين أراد أن يدلل على كونها رواية دلَّل بما هو أقرب إلى مقتضيات السيرة من «الخبرة الإنسانية الناضجة المباشرة في الوقت نفسه. وإلى عناصر المفاجأة وعثرات الحظ وضربات القدر»[20]«إلى هذا العدد الهائل من الشخصيات ـ خمس وخمسون شخصية ـ الذي عبر بحياة المؤلف (وليس الراوي) في فترات مختلفة من عمره.. بالإضافة إلى المرحلة التي تم فيها اللقاء بين الشخصية والمؤلف (مرة أخرى) وعمر الشخصية أيضا. مما يعني أن هذا العمل الفني قد أخضع لتصورات دقيقة (لاحظ)، وأن الترتيب الأبجدي للشخصيات لا يمثل جانب التصميم النظري الوحيد لهذه الرواية، التي تبدو شخصياتها العديدة مبعثرة متناقضة ظاهريا، ولكنها في الحقيقة مثل الشعيرات الدموية التي تنتشر على أديم الجلد فتظهر لنا في حالة من التباعد أو التقاطع، ولكنها بعد التأمل تخضع لتصميم دقيق كما تصدر عن نبع واحد رئيس»[21].

قسمات المجتمع

وبعد أن يفرغ الدكتور من الإتيان ببراهينه للتدليل على كونها رواية فنية عادية - فيؤكد من حيث لا يقصد كونها سيرة ذاتية -، ينتقل من ناحية الشكل الفني إلى المضمون فيتحفنا ببرهان آخر - من حيث لا يقصد أيضا - على كونها سيرة ذاتية. فيقول: «فلا عجب أن نضع هذه الرواية تحت عنوان «قسمات المجتمع»، وأن نزعم أن الكاتب كان حريصا على رصد هذه القسمات بكثير من الدقة»[22].

وكان الأولى له أن يفيد مما كتب بخصوص كون المرايا سيرة ذاتية، ومن جنوحه أحيانا إلى اعتبارها كذلك وأن يتخلص من ثنائية النظر إليها، وألا يتغاضى عن الأصول الحرفية للنقد دون مبررات قوية، وأن ينتبه إلى أن الفردية في هذا العمل ليست في كونها رواية فنية في قالب جديد، وإنما في كونها سيرة ذاتية في قالب جديد. ولا يغيب عن فطنته أو فطنة القارئ، أن الأمر كان يقتضي منه وقفة أطول وإمعانا أكثر. ولو فعل ربما انتفت الحاجة إلى كتابه أصلا ولولّى به شطر غرض آخر. فدواعي تأليفه لكتابه تولدت من وقوفه عند ما أثير حول مخالفة نجيب محفوظ للإسلامية والروحية في أعماله الأدبية، وأقواله الصريحة، وأراد الدكتور أن يثبت عكس ذلك من خلال الأعمال الأدبية لنجيب محفوظ، وهذا مسلّم به إذا لم يكن لدينا وسيلة للتعرف على المؤلف سوى أعماله الأدبية، أما وإننا نملك إلى جانب ذلك سيرته الذاتية وآراء كثيرة له تزامنت مع مؤلفاته وتمس موضوعاتها نفسها. فلا يمكن للناقد أن ينحّي كل ذلك جانبا في دراسة تُعنى بالمضمون. وإلا انتهى إلى أحد احتمالَيْن:

الأول: أن تتطابق نتائج الدراسة مع مقولات السيرة واتجاهات الآراء المنسوبة إلى المؤلف، وهذا يسلب البحث كثيرا من أهميته وجدته ورونقه.

الثاني: أن تتسع الهوة بين ما ينتهي بنا إليه استنطاق الأعمال الأدبية وبين ما تدلنا عليه السيرة وأقاويل المؤلف، فيجرُّنا ذلك إلى اتهام المؤلف بالفصام واضعين في الاعتبار الظرف التاريخي والحضاري للمؤلف.

فقد يجهر الأديب بآراء لا يؤمن بها، بينما يحاول أن يبثَّ ما يعتقده في طوايا أعماله الأدبية، ليعبّر عن دخائله وينجو من المؤاخذة في مجتمع يخالفه في الدين والقيم والحضارة والرؤى. لكننا لا نقبل أو نصدق أن يخالف المؤلف مجتمعه جهرة، ويوافقه خفية في أعماله الأدبية، لاسيما والموافقة في تلك الأعمال موافقة متأولة، تحتاج في بيانها إلى دراسة كدراسة الدكتور **محمد حسن عبد الله**، التي تقف وحيدة إزاء دراسات كثيرة تذهب إلى عكس ما ذهبت إليه.

فإذا أتيح للناقد أن يطالع المرايا، وإذا انتبه غيره - قبل تأليفه لكتابه - إلى كونها مفتاحا لشخوص رواياته كلها. وإذا ما حار هو نفسه أمامها ولم تُنْجده براهينه في استبعادها كسيرة ذاتية ألم يكن الأمر يقتضي أناة منه وريثًا؟

علو الحقيقة الساطعة

لله درّ حقي. . حين بالغ في الإلحاح على ضرورة مضاهاة شخوص روايات نجيب - وهي مما تحتمل التأويل وتدار حولها التفسيرات - بشخوص المرايا ووقائعها باعتبارها بنات الحقيقة لا بنات الخيال. وكان الأقمن بالدكتور عبد الله أن يكون من أحرص الناس على العمل بذلك اتكاءً على عُلوّ الحقيقة الساطعة فوق التأويل وعلى أن المرايا متأخرة زمنيا عن أغلب الأعمال الروائية لنجيب محفوظ، وبخاصة أن غرض الدراسة موضوعي وليس غرضا جماليا.

ويرى الكاتب رأي الذين قالوا إن المرايا هي السيرة الذاتية لنجيب. غير أنهم - فيما عدا مجلة المجتمع الكويتية - أقاموا قولهم على أساس معرفتهم الشخصية بنجيب. ولم تمتد عنايتهم إلى أبعد من ذلك. وإذا كان **الدكتور محمد حسن عبد الله** قد قال في معرض إثبات المرايا رواية فنية «إن هذا العمل الفني قد أخضع لتصوّرات دقيقة، وإن الترتيب الأبجدي للشخصيات لا يمثّل جانب التصميم النظري الوحيد لهذه الرواية» فإننا نحسب ما قاله مفيدا للتدليل على أن المرايا سيرة ذاتية لننطلق منه ونضيف إليه أن التصميم الزمني والمكاني للمرايا يوافق حياة نجيب تمام الموافقة.

ففي «11 كانون الأول - ديسمبر 1911 م ولد (نجيب) بحي الجمالية بالقاهرة. . 1915 م التحق بكتاب الشيخ بحيري. . وأمضى فترة شبابه في العباسية[23]. هذا ما أوردته مجلة «القاهرة» وهو ما يؤكده راوي المرايا، إذ يقول في حديثه عن يسرية بشير: «يرجعني هذا الاسم إلى مهد الطفولة، ميدان بيت القاضي. . . ومن نافذة جانبية كنت أطل وأنا طفل على حارة قرمز. . . كنت في السابعة أو الثامنة»[24] ويقول عن أنور الحلواني «اسمه قادر على استدعاء عالم متكامل بأسره. ميدان بيت القاضي المتربع بين الجمالية وخان جعفر والنحاسين. . وقسم الجمالية العتيق، وحوض الماء القائم في الوسط تسقى منه البغال والحمير وكشك حنفية المياه العمومية وهو ملعب طفولتي وصباي» (25).

وحين نطالع كتاب «دليل الحيران في معرفة أسماء الحارات والشوارع وجميع البلدان» المؤلف 1903 م نجد «شياخة النحاسين ودرب قرمز» ضمن الشياخات التابعة لقسم الجمالية، ومن بين شوارعها آنذاك «جزء من خان جعفر لغاية السبيل، شارع النحاسين، وكالة التفاح لغاية القسم القديم، شارع بيت القاضي - ميدان بيت القاضي»[26].

ويفهم من كلام الراوي في المرايا أنه مكث عامَيْن بالكتاب، وعامَيْن بالمدرسة الأولية، قبل أن ينتقل مع أسرته إلى العباسية في سنة 1920 م، إذ يقول عن جعفر خليل: يذكر حينا «العباسية» في العشرينات من هذا القرن. . ويوم انتقلنا من الحي القديم إليها. . تجمع في الطريق صغار متقاربو الأسنان يستطلعون. فعندما خرجت مستطلعا كذلك وجدت أمامي جعفر خليل، وسرور عبد الباقي، وسيد شعير، وعيد منصور، رضا حمادة، خليل زكي، شعراوي الفحام. . «فسألني جعفر خليل. متى تدخل المدرسة الابتدائية؟: - عقب الإجازة. - سندخلها جميعا في وقت واحد. وسأل سرور عبد الباقي: - أتممت المدرسة الأولية؟: - مكثت بها عامين، وعامين قبل ذلك في الكُتّاب»[27].

وكذا يقول عن أحمد قدري «هو قريب لي من أسرة ريفية. كان يفد إلينا في بعض المواسم لقضاء أيام في القاهرة. وكانت إقامته تنقضي في اللعب في شوارع العباسية. . كنت في التاسعة أو العاشرة وكان يكبرني بخمس سنوات»[28].

وعن إقامته في العباسية يقول الراوي في ثنايا حديثه عن عشماوي جلال

المرايا: سيرة نجيب محفوظ

«يقع بيته في شارعنا عند طرفه الشرقي المتصل بشارع العباسية»[٢٩] ثم يقول عن قدري رزق، وهو اسم من عنده لأحد ضباط ثورة ٢٣ تموز - يوليو ١٩٥٢ م، إنه ليلة قيام الثورة «عدت معه قبيل منتصف الليل إلى العباسية مشيا على الأقدام من طريق الجبل، ثم ملت أنا إلى العباسية الغربية وواصل هو سيره شمالا إلى مسكنه بشارع أحمد ماهر كما ظننت»[٣٠] وفي كتاب «دليل الحيران» يبدو أن شارع العباسية الذي يتصل به شارع الراوي عند طرفه الشرقي كان يمتد في العباسيتيْن الغربية والقبلية، إذ يورَد ضمن شياخات «قسم الوايلي» «شياخة الظاهر والعباسية القبلية لغاية سبيل الخازندار. . شارع الظاهر. شارع العباسية، شارع العباسية القبلية. شياخة العباسية القبلية. . أرض السكاكيني، شارع العباسية من سبيل الخازندار لغاية القرة قول يمينا وشمالا»[٣١].

ومن المرايا نستشف أن الراوي أو نجيب محفوظ دخل المدرسة الابتدائية من سنة ١٩٢١ م إلى سنة ١٩٢٥ م. والتحق بالمدرسة الثانوية من سنة ١٩٢٥ م إلى سنة ١٩٣٠ م والتحق بالجامعة ١٩٣٠ م إلى أن تخرج فيها عام ١٩٣٤ م. . وبدأ حياته الوظيفية في أواخر عام ١٩٣٤ م.

يقول عن نادر برهان «كان بطلا من الأبطال في حياتنا الصغيرة بالمدرسة الابتدائية ما بين عامي ١٩٢١ م، ١٩٢٥ م» [٣٢] وعن سابا رمزي «زاملنا في المدرسة الثانوية وزاملناه عامين ثم اختفى. زمالته ترجع إلى عام ١٩٢٥ م» [٣٣] وعن ناجي مرقص «لا أنسى هذا الاسم أبدا. رغم أنني لم أزامله إلا ثلاثة أعوام من حياتي، ما بين ١٩٢٥ م، ١٩٢٨ م في المدرسة الثانوية» [٣٤] ويقول عن عيد منصور «ما إن حصل على البكالوريا عام ١٩٣٠ حتى أشركه أبوه في العمل. . . وحتى اليوم وهو في الستين أو جاوزها» [٣٥] وعدلي بركات «له في الذهن صورة قديمة، كالعباسية القديمة. . وأتم دراسته عام ١٩٣٨ م بعد سقوط أربع مرات» [٣٦] ورضا حمادة «يرتبط في الخيال بالعباسية. . . وتخرج رضا في الحقوق عام ١٩٣٤ م» [٣٧].

وليلاحظ القارئ أن عيد منصور وعدلي بركات ورضا حمادة ضمن من قابلهم يوم انتقاله إلى العباسية، وضمن من قصدهم جعفر خليل حين خاطب الراوي بأنهم جميعا سيدخلون الابتدائية في العام القادم. ومن ثم تقول المرايا إن الراوي حصل على البكالوريا ١٩٣٠ م. كما تشير إلى أنه التحق بالجامعة ١٩٣٠ م أيضا. في معرض حديث الراوي عن إبراهيم عقل «ولما التحقت بالجامعة عام ١٩٣٠ م وجدته أستاذا مساعدا بها» [٣٨] كما أن ماهر عبد الكريم «كان أستاذا مساعدا بالكلية عندما التحقت بها عام ١٩٣٠ م» [٣٩] ونرى صورة الراوي في المرايا يوم بدأ حياته العملية بعد التخرج في أواخر ١٩٣٤ م إذ يقول محددا تاريخ معرفته بصقر المنوفي «ربما منذ عهد التحاقي بالخدمة في أواخر عام ١٩٣٤ م» [٤٠] وتحذو (ببليوجرافيا) مجلة «القاهرة» حذو المرايا فتقول إن نجيب محفوظ «تخرج في كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم الفلسفة ١٩٣٤ م، عين موظفا بإدارة جامعة فؤاد الأول ١٩٣٤ م، تزوج ١٩٥٤ م» [٤١] «وكان قد أخفى زواجه لفترة طويلة حتى عن أقرب أصدقائه مثل توفيق الحكيم، ثم أعلن عن أسرته في احتفال الوسط الثقافي بعيد ميلاده الخمسين» [٤٢].

ومن التواريخ الدالة في المرايا على عمر الراوي الذي يطابق عمر نجيب قوله عن أحمد قدري «كان يكبرني بخمس سنوات. . في خريف ١٩٦٧ . . . وجدته راقدا مصابا بأزمة قلبية، لم أعرفه لأول وهلة. جاوز الستين» [٤٣].

ومن التواريخ الدالة على التصميم الزمني الدقيق للمرايا قول الراوي عن طنطاوي إسماعيل «كان وقت دخولي الخدمة. . . في الخمسين من عمره. . وظل يشغلها حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٤٤ م» [٤٤].

ذيوع الفضائل لا يعني موت الأدب

يرى نجيب محفوظ أن «**أيّ رواية هي مجموعة من السلوك، وأيّ سلوك هو حركة أخلاقية، فلا يخلو أدب من أخلاقية معينة**. أحيانا يكون الأديب مؤمنا بمجتمعه فيحكم بالطريقة التي يختارها (المجتمع) على شخوصه تبعا لأخلاقية جاهزة يؤمن بها ويقترب لذلك من الوعظ، وأحيانا يكون غير مؤمن بقيم مجتمعه ولكنه يحلم بطريقة ما، بعالم جديد وقيم جديدة. وقد تبدو لذلك روايته غير أخلاقية أي إنها جمالية بحتة، على حين أنها تبشر بأخلاق جديدة.



عبدالحميد الديب

على هذا الأساس فإني أعتبر مؤلفي «صورة دوريان جراي» و«أزهار الشر» و«عشيق الليدي شاترلي» كُتّابًا أخلاقيين، حتى المرحوم الشاعر **عبد الحميد الديب** فهو شاعر أخلاقي. . بعد هذه المقدمات فإني أعتبر أدبي تسجيليا أخلاقيا» [٤٥]. وهذه شنشنة نعرفها من أخزم، طريقة للخلوص من أخلاقيات المجتمع التي يخرجون عليها. فالقول بثبوت القيم والمعايير الأخلاقية قول مكرور. فالأخلاق لا تتجدد أو تتطور وإنما قد يُنْحَرَفُ عنها أو يخرج عليها الفرد أو المجتمع. لكننا نظل نحكم على المجتمع بها ولا نحكم عليها به.

وذيوع الفضائل لا يعني موت الأدب، وإلا انتهينا إلى أن الأدب نبت شيطاني لا ينبت إلا في الدمن والبرك والماء الآسن. . ولن يعدم الأديب وسيلة للتعبير - بعيدا عن الوعظ - في المجتمع الفاضل. أما إذا حاد المجتمع عن

الفضائل فليست مهمة الأدب أن يبشر بأخلاق جديدة، وإنما مهمته أن يشارك في إعادة المجتمع إلى الأخلاق القويمة الأصيلة، ولا نقول القديمة.

المهم أن الرؤية المحفوظية للأدب وللأخلاق جعلته يرى أن «الالتزام بالحقيقة مطلب خطير ومغامرة جنونية» (٤٦). ولما كان نجيب حين كتب المرايا في أواخر السبعينيات «قد بلغ مكانة يحد في ارتفاعها وقايته» (٤٧)، فقد رجحت لديه كفة الطمأنينة وخفت كفة الخطر. ولكن يبدو أنه آثر المراوغة ليجمع إلى الالتزام بالحقيقة كما يراها النجاء من جريرة التصادم الحاد مع المجتمع. فَوَارَبَ لنفسه باب التنصُّل إن جاءت الريح بما لا تشتهي سفنه.


د. محمد حسن عبد الله

لقد كتب الدكتور **محمد حسن عبد الله** مؤلفه «**الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ**» ليزيل الشبه المثارة حول أدبه في هذا الباب..

فإذا أرسل نجيب إلى المؤلف خطابا يؤكد موافقته ورضاه عن مؤلَّفه ويعرض لتفسير سبب الاضطراب في النظر إلى أدبه، فالمظنون أن يورد أعلى الصيغ النافية لما رُمي به والمؤكدة لما يدَّعي المؤلف أنه خلص إليه. لكن نجيبا **يخيِّب هذا الظن فيقول في رسالته إلى صاحب الإسلامية والروحية «ولعل الاضطراب الناشئ من قراءة أدبي أحيانا مصدره أن قلبي يجمع بين التطلع لله والإيمان بالعلم والإيثار للاشتراكية، ومحاولة الجمع بين الله والاشتراكية مثار للظن بالإلحاد عند قوم، وبالمحافظة عند آخرين. وطالما عجبت من أن تتخذ الفلسفة الشيوعية دينا، إذ إنني بصفتي تلميذا للفلسفة أعلم أنها أبنية تتجدد مع تطور الزمن ولا تصلح للعبادة على الإطلاق. أما ما يثير إعجابي في الشيوعية فهو عدالتها الاجتماعية المطلقة، والتي لم تطبق بعد في روسيا نفسها، ألا وهي «مِن كلٍّ على قدر طاقته، ولكلٍّ على قدر حاجته» فهو أساس كامل في المعاملة الإنسانية يجعل من البشرية أسرة سامية، ولكن.. أي ضرورة تستوجب لكي أومن بذلك أن أومن قبلا بالتفسير المادي أو بإنكار الله»** (٤٨). ولما كان الزمن قد عفّى على الشيوعية وكفى الناس مؤونة مناقشة حجج المعجبين بها، فما يعنينا هنا هو الانتباه إلى من يتطلع إلى الله ويؤمن بالعلم ويؤثر الاشتراكية ويحاول الجمع بين الله والاشتراكية.. إن الخطاب لا يطرح وجهة نظر في الإيمان بقدر ما يشرح وجهة نظر في تحسين الشيوعية.. لكنه في معرض آخر يوضح موقفه بدقة وصراحة وإن لم يخل من مراوغة، فقد سأله سائل: «إنني رغم ما أحس به من ميلك إلى الماركسية فأنا ألمح في كتاباتك ترددا في إعلان إيمانك بهذه العقيدة السياسية فلماذا التردد؟ هل هو إيمان لم يكتمل بعد.. أي إنك ما زلت على حافة الإيمان وعلى حافة الماركسية.. أو إنها الظروف السياسية العربية التي تفرض عليك شيئا من الحذر؟(٤٩).

فأجاب: «لقد شخصتني فأجدت التشخيص. فلو خُيِّرت بين الرأسمالية والماركسية لما ترددت في الاختيار لحظة واحدة. ولكن هل يعني ذلك أنني ماركسي؟ الماركسي هو المؤمن أو المقتنع بالماركسية نظرية وتطبيقا دون أدنى تردد، ولو أدخل في اعتباره التجديدات التي طرأت على النظرية. على هذا الأساس لا استطيع أن اعتبر نفسي ماركسيا رغم التعاطف الشديد. ولعل الإيمان الوحيد الحاضر في قلبي هو إيماني بالعلم والمنهج العلمي.. وبقدر شكّي في النظرية كفلسفة، فإني مؤمن بالتطبيق في ذاته، بصرف النظر عن أخطاء التجريب ومآسيه» (٥٠).

وعلى القارئ أن يلاحظ كيف نفى نجيب عن نفسه الإيمان بالماركسية.. وأفلت بمراوغته من أن يُواجَهُ باعتراف صريح ينسب إليه، وفي الوقت نفسه عاد يُطَمْئِن سائله ومن هم على شاكلته إلى إيمانه بالتطبيق، وأن الايمان الوحيد الحاضر في قلبه هو إيمانه بالعلم والمنهج العلمي وأنه يحبِّذ التطبيق الماركسي بما فيه تحرير الإنسان من «الطبقية وما يتبعها من امتيازات كالميراث وغيره»، وأن المجتمع الماركسي، الذي هدفه «حرية الفرد وسعادته» ربما كان عليه أن يتوجه في النهاية «لمعرفة الحقيقة العليا أو المشاركة في خلقها»، بمعنى أن التوجه لمعرفة الحقيقة العليا هدف محتمل. وليت الأمر وقف عند احتمالية التوجه لمعرفة الحقيقة العليا، ولكنه تجاوزه إلى المشاركة في خلقها، أي إلى خلق حقيقة عليا على المقاس، ومن ثم فالأمر مجرد مغايرة في الترتيب.. الانتهاء بخلق الحقيقة العليا!! بدلا من الابتداء بنفيها!! كما تقول النظرية... وسبحان الله عما يصفون.

إضافة إلى ما ذكره من ترهات كتحقيق الديمقراطية بأشمل معانيها في مجتمع أفراده آلات، لكل فيه على قدر حاجته، وإلغاء الميراث.. إلخ.

وسئل نجيب: «هل ترى أن المشكلات والانحرافات الجنسية التي صورتها في روايتك، ما زالت كما هي رغم مرور السنوات وتطور المجتمع المصري؟» (٥١).

فأجاب: ـ «في رأيي أنه كلما تقدم الزمن، انحلت المشكلة الجنسية بشكل أو بآخر.. والآن العلاقات بين الشباب والشابات تجري في يسر وسهولة أكثر من أيام زمان. أما عن حل المشكلة الجنسية في مجتمعنا، فأنا لا أستطيع أن أقوله.. ولا أنت تكتبه.. ولكني أستطيع أن أقوله إن أوربا تمكنت من حل المشكلة الجنسية بطريقتها الخاصة، تجد أن البنت عمرها ١٥ و١٦ سنة تلتقي في حرية تامة مع أي شاب، لا مشكلة جنسية، ولا مشكلة عفاف وبكارة، وحتى إذا أثمرت العلاقة طفلا.. فالطفل يذهب إلى الدولة كي تربيه إذا كانت أمه لا تريده» (٥٢).

وأتخيل قارئا تدمع عيناه وهو يقرأ قول الأديب الكبير «لا أستطيع أن أقوله ولا أنت تكتبه» شفقة على من يرى أن الالتزام بالحقيقة «مطلب خطير ومغامرة جنونية» ثم أرى هذا القارئ ينقلب فيضحك بملء فيه حين يصل إلى قول نجيب: «ولكني أستطيع أن أقول إن أوربا تمكنت من حل المشكلة الجنسية

المرايا: سيرة نجيب محفوظ

بطريقتها الخاصة» وأسمع قول القارئ بين ضحكة قديمة: لقد قلت وكتب سائلك.

تشويه وتجميل

والغرض من إيراد الأقوال الفائتة المباشرة لنجيب محفوظ هو محاولة منا لنضع في يد القارئ مفتاحا لأسلوب نجيب في عرض ما يحسب أن عرضه على مجتمع متدين ملتزم مغامرة جنونية، وقد اقتضى المقام إيرادها لنخلص إلى أن نجيبا لجأ إلى شكل غير مألوف للسيرة. صرَّح فيه وعمَّى في آن واحد. وهو يضع شخوصه أمام مراياه. ليمكنه أن يشوه وجه من يخالفه فكريا وأخلاقيا «بالقار». فيظهروا مسوخا ومخلوقات غريبة، وليطلي وجوه موافقيه فيبدوا غاية في البهاء والقسامة والملاحة. وليبث رؤاه وأفكاره وينثر اعترافاته خفية بينهم دون أن تظهر صورته مباشرة ومستفزة.

ولعل بعض من لا يوافقون على مضمون المرايا، يرون النصفة في الاعتراف بابتكاره لشكلها الفني من حيث الفكرة والبناء العماري. أما عن الفكرة فإن حقائب الأدب عبر التاريخ مليئة بنظائر لها وأشباه. فهو ليس مبتدعها وليس أول من لاذ بالتعمية ليعبِّر عن حقائق ـ من وجهة نظره ـ يمنعه من كمال التصريح بها الخوف أو الرجاء.

وها هو **الجاحظ** (١٦٠ هـ ـ ٢٥٥ هـ) ينص صراحة في مقدمة كتابه **البخلاء** على أن ثمة «أحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها، إما بالخوف منهم، أو بالإكرام لهم» (٥٣). **وابن حيَّان** مؤرخ الأندلس (ت ٤٦٩ هـ) حين كتب تاريخه عرض في بعض فصوله لهجاء الكثيرين من معاصريه دون مراعاة لخوف أو إكرام.. ولما وقف **ابن بسام** (ت ٥٤٢ هـ) أمام هجائيات ابن حيان، وأراد أن يثبتها في كتابه «**الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**» أغراه الفن.. وأخافته العواقب فاحتال بحذف اسم المهجو والإبقاء على الهجاء، إلا في الفصول التي لا يخشى من ذكر أصحابها مِمَّن بُترت أعقابهم أو هيضت أجنحتهم. يقول **ابن بسام** «وهذه فصول مقتضبة من طويل كلامه (ابن حيَّان) في تاريخه، وكَنَّيْتُ عن أكثر من به صرَّح، وأعجمت باسم من به أعرب وأفصح، رغبة بكتابي عن الشيْن، وبنفسي عن أن أكون أحد الهاجِيَيْن» (٥٤). فإذا علمنا أن كتاب ابن بسام على أهميته البالغة لم يبرأ من الشيْن في أحايين كثيرة، لأدركنا أن وراء ما صنعه ابن بسام خوفا أو رجاء. وهذه أمثال من تاريخ ابن حيان أو مرايا ابن بسَّام:

«ونعى إلينا فلان الدَّغِل، غازله السِّلّ، كالأفعوان الصِّل، وكان أحد أعاجيب الدنيا في الفجور والخبث، والزَّهو والكبر، والعقوق والجرأة. وانكدرَ إثر مهلك الجبَّارين المذكورين. وكان من أكابر الظَّلمة المترقِّين من السَّمسرة صدورَ الفتنة يجوب البلاد ابتغاء المعيشة، ولا يحاشي الترقيح عن ارتكاب كلِّ قبيح. ولم يكن إلاَّ «كَلاَّ» حتى فتحت له أبواب الرزق على عامِّيته وأفنه وأميّته.

وكان إذا كتب مضطرًا يُضحكُ من تأمله، له في ذلك نوادر محفوظة أمسى بها من حجج الله تعالى في الرزق المقسوم: لو كانت الأرزاق مقسومة على الحجا لم يرزق» (٥٥).

«وصدَرَ فلانٌ مع أصحابه الرُّسُل، وقد امتلأت حقائبه مما قَمَّشَهُ من السُّحت بضروب الكُدية والشَّحذ، وبخلَ حتى بالزاد المأدوم في الطريق، وضنَّ به على الرفيق، وأشرج عليه الجوالقات تأميلاً في توصيله للبيوت في حمَّاره القيظ حتى زنخ، فكان أحرص الوفد ـ زعموا ـ على قمش ذلك السحت، وأغوصهم على استخراجه، وأشرههم إلى التعرّض بطلبه، فلانٌ منهم الولي اللوام العاطل من كل حلية جميلة تدل على فضيلة، فإنه حُملت عنه في ذلك أخبار، إلى زيادة مَسَاوٍ فيه غَضَّتْ ممن أرسله وصرفه» (٥٦).



سيد قطب

ومن غريب الاتفاقات أن **سيد قطب** حين أراد نشر مقالاته في الرسالة في كتاب مجموع «كتب وشخصيات» أهدى الكتاب «إلى هذا الملأ من الأدباء والشعراء والقصاصين والباحثين» ـ الذين كان نجيب محفوظ من بينهم ـ وقال: «فإذا غضب منهم من غضب، ورضي منهم من رضي، فعذري إلى أولئك، وعذري إلى هؤلاء، أنني لم أقصد إلى إغضاب أو إلى إرضاء، وإنما هي المرآة أرفعها لهم، ليروا فيها صفحتيْ الوجه» (٥٧).

وبذا كان لسيد قطب السبق في إيقاف نجيب أمام المرآة. ولكن شتان ما بين الوجهيْن في المرآتيْن.

تشابه البناء الفني

أما البناء الفني للمرايا فإنني أزعم أن المرايا احتذت «اختصار القِدْح المُعَلَّى في التاريخ المُحَلَّى» لابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ).

وقد صدرت الطبعة الثانية للقدح سنة ١٩٨٠ م ـ وهي طبعة ذائعة ـ أما الطبعة الأولى فقد صدرت سنة ١٩٥٩ م أي قبل صدور المرايا بأكثر من عشر سنوات. ويشير محقق اختصار القدح في الطبعة الثانية إلى أن الطبعة الأولى قد صدرت في عدد محدود من النسخ «لم يجاوز الألف.. ولم يعلم نبأها إلا قلة قليلة من المتصلين بالحياة الأدبية» (٥٨). وأحسب نجيبا كان من تلك القلة القليلة التي علمت نبأه.

ومما يشترك فيه الكتابان «المرايا» و«اختصار القِدْح المُعَلَّى» أن نجيب محفوظ يترجم لنفسه في تضاعيف ترجمته لمن عبروا بحياته من معاصريه. وكذا يترجم

ابن سعيد لنفسه في ثنايا تراجمه لمن قابلهم أو أخذ عنهم أو سمع بهم من معاصريه أيضا فيقدم لكتابه بالقول «فهذه نبذة . . . ، من أخبار أدباء عصرنا هذا ومن عنه يؤخذ وإليه يسند»[59]. وصالون ماهر عبد الكريم في المرايا ملتقى للكثير ممن تُظْهِر المرايا صورهم . . وكذا فإن بلاط أبي زكريا بن الخليفة المستنصر بالله[60] بتونس يجمع بين ابن سعيد وأكثر من يترجم لهم في كتابه، ومنهم :

أبو بكر محمد بن عبد الله الداني : كان أبوه من دانية، وأما ابنه المذكور فإشبيلي الدار، بيني وبينه المجالسة والمذاكرة والجوار. وهو شاب مشتغل بالأدب، يدخل نفسه في أهل التعبير والحسب، كثير الوقوع في الناس، مؤذ بمحاضرته جميع الجلاَّس. جالسته ببلده غير مرة، ثم تجنبته لأني لم أنفصل قط عنه إلا بمضرة. وكان يُدِلُّ بالخال والمال، إذ كان ابن أخت أبي العباس ابن بنّي، مشرف إشبيلية. وإذا أنشد طلب من كل سامع إظهار الاستحسان، وتحريك اليد والرأس واللسان. وبالجملة فكان رضاه غاية لا يدركها أحد، ومودته لا تستطاع، إذ طبعه الله على الغل والحسد. وحملته نزوات جنونه، ومختلجات ظنونه، على أن نزع من بلده إلى ابن الأحمر حين غلب على قرطبة، والفتنة قد أشعلت نارها، ورفعت منارها، وخاطب جماعة من إخوته بإشبيلية يرفع فيها من مخدومه الجديد، ويذم أهل بلده ما بين القريب والبعيد. ثم جرى على تلونه، وترك تنسكه وتصونه. فنُمي إلى ابن الأحمر أنه عامله بتلك المعاملة، وخرق في خدمته ستر المجاملة، فصلبه على نهر قرطبة والقلم مربوط ببنانه، لكي يعلم الناس أن ضارب عنقه سيف لسانه. وذلك في سنة إحدى وثلاثين وستمائة[61].

أبو بكر محمد بن عمر الأُنْدي : «منسوب إلى أُنْدَه» حصن من أعمال رُنْدَه. هاجر إلى إشبيلية، فاشتغل معي ومع ابن سهل بالتكاثر من فنون الآداب، ومناهبة فرص أيام الشباب، وكان كثير الخروج معنا إلى الفُرَجْ، جامحا في ميدان الشعر جاريا منه على أوضح منتهج، إلاَّ أنه كان قاصرا عن طبقة ابن سهل، فلذلك أضربت عن كثير من ارتجاله معنا، إذ لم يكن لهذا المضمار بأهل، إلا أنه في آخر عمره عذب شربه، ونما عشبه، والمعاشرة تحيك، وأحسن الذهب السبيك.

وتركته يخبط خبط عشواء في شبابه، وما أدرى ما تصرفت به صروف الزمان بعد اغترابه[62].

تضم المرايا خمسا وخمسين مرآة أو صورة أو شخصية ويضم اختصار القدح ثلاثا وسبعين شخصية، ومما يلفت نظر القارئ في اختصار القدح هذا النهج الفريد الذي يتمثل «في انعدام الحادثة . . ، وتتابع الشخصيات الكثيرة دون أن يكون بينها قدر من التلاحم أو المشاركة، والرابطة الواهية التي تجمع بينها أنها عبرت ـ بصورة قوية أو واهنة ـ بحياة راوي القصة (مؤلف الكتاب) وليس فيها أرض مشتركة، ولا نعني الوحدة الفكرية، وإنما نعني المكان. ولسنا نشير إلى الحوار والخبرة الإنسانية الناضجة المباشرة في الوقت نفسه وإلى عناصر المفاجأة وعثرات الحظ وضربات القدر، لا نشير إلى ذلك فحسب، وإنما نشير أساسا إلى هذا العدد الهائل من الشخصيات (ثلاث وسبعين شخصية) الذي عبر بحياة المؤلف في فترات مختلفة من عمره وبلغ درجة من الوضوح من حيث الاهتمام في ذاته تحليلا، والاهتمام به من حيث البناء العام (للكتاب) تكوينا، ثم من حيث مراعاة التكامل بين الشخصيات والتدرُّج في التلوين الأخلاقي والخلقي[63].

فإذا نبهنا القارئ إلى أن بعض الاستدلالات التي أوردها د. محمد حسن عبد الله، واستشهدنا ببعضها هنا(*) هي أهم ما برهن به على كون المرايا رواية فنية، وليست سيرة ذاتية، فسيخلص القارئ إلى أنه إذا جاز أن تنسحب أقواله على اختصار القدح، فإنها تصدق قبل ذلك للاستدلال على كون المرايا سيرة ذاتية وليست رواية فنية.

الهوامش :

١ ـ نجيب محفوظ وأصداء معاصريه. كمال النجمي. كتاب الهلال. العدد ٤٦٩ يناير ١٩٩٠. ص ٥٨ مقالة بعنوان «نجيب محفوظ والإنسان والعمل».
٢ ـ المرجع السابق: ص ٥٨.
٣ ـ نفسه: ص ٦.
٤ ـ الإسلامية والروحية: ص ١١٩.
٥ ـ مجلة الهلال، عدد فبراير ١٩٧٠ م «عدد خاص عن نجيب محفوظ» عشرة نقاد وعشر قضايا في محاكمة نجيب محفوظ/ ضياء الدين بيبرس ص ٤٨.
٦ ـ المرجع السابق: ص ٤٨.
٧ ـ الإسلامية والروحية: ص ١١٧.
٨ ـ لم يتح للكاتب الاطلاع عليها. وإنما اعتمد إشارة د. محمد حسن عبد الله في كتابه الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ ص ١٢٩.
٩ ـ نجيب محفوظ وأصداء معاصريه: ص ٥٨.
١٠ ـ عطر الأحباب: يحيى حقي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م. «أمام المرايا لنجيب محفوظ» ص ١٠٥.
١١ ـ المرجع السابق: ١٠٧.
١٢ ـ نفسه: ص ١٠٥.
١٣ ـ نفسه: ص ١٠٥، ١٠٦.
١٤ ـ نفسه: ص ١٠٨.
١٥ ـ الإسلامية والروحية: ١١٧.
١٦ ـ المرجع السابق: ص ١١٧.
١٧ ـ نفسه: ص ١١٧.
١٨ ـ نفسه: ص ١١٧.
١٩ ـ نفسه: ص ١٢٩.
٢٠ ـ نفسه: ص ١١٧.
٢١ ـ نفسه: ص ١١٧، ١١٨.
٢٢ ـ نفسه: ص ١١٨.
٢٣ ـ مجلة القاهرة. العدد (٩٠) بيليوجرافيا الأديب الكبير نجيب محفوظ. ص ٥٨.
٢٤ ـ المرايا: ص ٤٠٤.
٢٥ ـ المرجع السابق: ص ٤٤.
٢٦ ـ دليل الحيران في معرفة أسماء الحارات والشوارع وجميع البلدان. محمد عبد السلام، مطبعة الإمام. القاهرة ١٣٢١ هـ/ ١٩٠٣ م ص ٤٦.
٢٧ ـ المرايا: ص ٧٦، ٧٧، ٧٨.
٢٨ ـ المرجع السابق: ص ١٩.
٢٩ ـ نفسه: ص ٣٠٠.
٣٠ ـ نفسه: ص ٣٣٦.
٣١ ـ دليل الحيران: ص ٣٨.
٣٢ ـ المرايا: ص ٣٨٤.
٣٣ ـ المرجع السابق: ص ١٣٦.
٣٤ ـ نفسه: ص ٣٧٨.
٣٥ ـ نفسه: ص ٣١١.
٣٦ ـ نفسه: ٢٧٩.
٣٧ ـ نفسه: ١١٢.
٣٨ ـ نفسه: ص ٣.
٣٩ ـ نفسه: ص ٣٥٧.
٤٠ ـ نفسه: ص ٢١٢.
٤١ ـ مجلة القاهرة. العدد (٩٠) بيليوجرافيا نجيب محفوظ. ص ٥٨.
٤٢ ـ جريدة «المساء» القاهرة. عدد الجمعة ١٤ أكتوبر ١٩٨٨. ص ٣.
٤٣ ـ المرايا: ص ٢٥.
٤٤ ـ نفسه: ص ٢١٩.
٤٥ ـ الهلال. عدد فبراير ١٩٧٠ م عشرة نقاد وعشر قضايا في محاكمة نجيب محفوظ. ص ٤٢.
٤٦ ـ المرجع السابق: ص ٤٨.
٤٧ ـ عطر الأحباب: ص ١٠٦.
٤٨ ـ الإسلامية والروحية ص ١٦.
٤٩ ـ مجلة الهلال عدد فبراير ١٩٧٠ م عشرة نقاد وعشر قضايا في محاكمة نجيب محفوظ. ص ٤٠.
٥٠ ـ المرجع السابق: ص ٤١.
٥١ ـ المرجع السابق ـ المرأة والجنس في أدب نجيب محفوظ: أحمد أبو كف ص ١٩٧.
٥٢ ـ المرجع السابق ص ١٩٧.
٥٣ ـ البخلاء ـ الجاحظ. تحقيق: د. طه الحاجري ـ دار المعارف بمصر. الطبعة الخامسة ١٩٩٠ م. ص ٨.
٥٤ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ابن بسام الشنتريني. القسم الأول. المجلد الثاني. تحقيق: الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت ١٩٧٨ م ص ٥٨٦.
٥٥ ـ المرجع السابق: ص ٥٩٣.
٥٦ ـ نفسه: ص ٥٩٤.
٥٧ ـ كتب وشخصيات ـ سيد قطب. دار الشروق ـ القاهرة. بيروت. الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م ص ٣.
٥٨ ـ اختصار القدْح المُعَلّى في التاريخ المُحَلّى. ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى. تحقيق: إبراهيم الإبياري. الناشرون: دار الكتب الإسلامية. دار الكتاب المصري. القاهرة. دار الكتاب اللبناني بيروت: الطبعة الثانية ١٩٨٠ م ص ٣.
٥٩ ـ المرجع السابق. ص ٥٥.
٦٠ ـ هو أبو زكريا الثاني يحيى بن محمد بن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي الهنتاني. وجده أبو زكريا الأول أول من استقل بالملك من ملوك الدولة الحفصية بتونس سنة ٦٢٥ هـ وقد ولي أبو زكريا الثاني بعد وفاة أبيه سنة ٦٦٥ هـ.
٦١ ـ اختصار القدح: ص ١٣٦، ١٣٧.
٦٢ ـ المرجع السابق: ص ١٦٨، ١٦٩.
٦٣ ـ نفسه: ص ١١٧، ١١٨ (بتصرف).
* ـ مع تصرف يسير جدا بين المعقوفتين.

روح النظام وفقه الوقائع



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

قضية «المصلحة العامة» هي الشعار لكل تنظيم بشري بحيث تكون أم البواعث وملتقى الأهداف.

وكل تنظيم في حكومة إسلامية ينشأ عن الخطاب الشرعي ــ نصًا، أو مفهومًا ـ أو عن التفويض الشرعي بالاجتهاد فلابد أن يكون أحد شقي أهدافه تحقيق المصلحة العامة؛ لأن الشرع الإسلامي مبشر بهذا الهدف ضامن له في أوامره ونواهيه. والشق الآخر التماس مرضاة الله وتحاشي عقابه في الأمور التعبدية المحضة.

ومن هذا المنطلق حصر أصوليو علماء الإسلام أمهات المصالح البشرية التي راعاها الشرع كسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في كتابه عن «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، بل بنى أبو إسحاق الشاطبي كتابه «الموافقات» على أمهات المصالح، وهي:

إما ضرورية كحفظ الدين، والنسل ــ أو العرض ــ والنفس، والمال، والعقل. وإما حاجية كالتمتع بالطيبات من الحلال.

وإما تحسينية، ومثَّل لذلك بآداب الأكل والشرب، ويدخل في ذلك تقصد كل مظهر جمالي مباح.

ولم يشذ أي عنصر من عناصر التنظيم البلدي في المملكة عن هذه الأصول.

فالمادة الخامسة من نظام البلديات والقرى الصادر عام ١٣٩٧ هـ حددت وظائف البلدية في عشرين عنصرًا إذا بوّبتها تبويبًا موضوعيًا ـ من ناحية الهدف والباعث ـ وجدتها تطبيقا أمينا للمصلحة العامة التي راعاها الشرع.

فمن تلك العناصر تنظيم البلدة وتنسيقها وفق مخطط تنظيمي.

ففي هذا مراعاة التحسين والجمال، ويترتب عليه مصلحة حاجية، لأنه بالتنظيم تتحدد مواقف الباعة والسيارات مما يسهل حاجات المسلمين وييسرها.

وإنشاء الحدائق والمتنزهات عنصر جمالي يترتب عليه مصلحة ضرورية لحفظ النفس، لما لذلك من مردود صحي على البيئة.

ودرء خطر السيول والحرائق لحفظ النفس.

ومراقبة المواد الغذائية لحفظ النفس والمال.

والرقابة الفنية على الحِرَف حفظ للمال والممتلكات.

وكل عنصر من عناصر وظيفة البلدية هو حسبة شرعية، وفي الحسبة حفظ الدين والعقل.

ويتمثل ذلك في التكافل الاجتماعي بإنشاء الملاجئ للعجزة والأيتام والمعتوهين، والرفق بالحيوان.

ومن ذلك الاحتساب التعبدي البحت في الولاية على المقابر وشؤون الموتى.

ولنا أن ننظر بعد ذلك في مسألتين مهمتين:

أولاهما: كيفية تحقيق تلك المصالح.

وأخراهما: من المسؤول عن تحقيقها.

فالمسألة الأولى تمر بثلاث مراحل:

أولاهن: الإنشاء والإيجاد كإنشاء الملاجئ.

وثانيتهن: الوقاية بالإشراف والرقابة والصيانة، ويتمثل ذلك في تعليمات الرُّخص لإقامة المنشآت، ومراقبة المواد الغذائية، ومنع وإزالة التعديات على أملاك البلدية الخاصة والأملاك العامة الخاضعة لسلطتها ضمانًا لاستمرار فعاليتها بأداء خدماتها.

وثالثتهن: علاجية كالحلول الوقتية الحتمية يظل بقاؤها مرهونا بالظرف الذي تقدر فيه البلدية على التغيير.

أما المسألة الثانية فهناك ما تقع جميع أعبائه على الخدمات البلدية كتأمين أراضٍ للمقابر وصيانتها.

ومنها ما تكون فيه البلدية أقوى العناصر المساعدة كمراقبة المواد الغذائية ومحاربة الغش التجاري.

ومنها ما تكون فيه مجرد عنصر مساعد مكافئ كحماية الأبنية الأثرية.

"تطبيق النظام بشكل صحيح يتوقف على فهم الواقعة فهمًا صحيحًا"

ويهدف النظام من هذا إلى مساهمة المواطن في شيء قليل من العبء لإشعاره بمسؤولية الخدمات التي يستفيد منها.

ويتمثل ذلك بفرض الرسوم والجزاءات والغرامات على المخالفات، ولم تصدر بعد اللوائح المنظمة لذلك.

والمادة الخامسة والثلاثون من النظام المذكور عن موارد البلدية أتاحت الفرصة لمساهمة المواطن.

وبالعودة إلى تأكيد القول بأن التنظيم البلدي في المملكة تحقيق أمين للمصلحة العامة نرى أنها عمقت هذا الجانب ـ من واقع حضارة العصر ـ بما لا يتوفر في معهود الحسبة في تاريخنا.

فمن وظائف التنظيم البلدي رعاية المظهر الحضاري بالمساهمة في إيجاده أو ديمومته، وذلك بالتشجيع الثقافي والرياضي والاجتماعي.

ورعاية الوجود التاريخي للأمة كحماية الأبنية الأثرية.

ولا أرى ما يخرج المسجد عن الأشياء العامة في الأحكام المشتركة لكل شيء ذي نفع عام.

أما الاختلاف في الصفة ككون المسجد شيئا ذا غرض ديني، وكون غيره كالحصون والقلاع ذا غرض حربي، فهذا فرق غير مؤثر في صفة المنفعة العامة وما يترتب عليها من أحكام. لهذا فلا يجوز إخراج المسجد عن أحكام المنفعة العامة إلا بنص.

وعند تأصيل التنظيم بتخصيص المسجد بحكم فلابد من معرفة الفارق المميز.

ومما يناقش في هذه العجالة أن القانون المدني لا يعتبر المسجد ملكا عامًا إلا إذا كانت الحكومة قائمة بإدارته والصرف عليه. فإذا لم يتوافر هذا الشرط فهو ملك خاص تتعلق به حقوق الأفراد.

قال أبو عبد الرحمن: تسليم المسجد للحكومة وعدم تسليمه فرق غير مؤثر في اعتباره ملكا عاما ذا منفعة عامة. وأما تعلق الحقوق الخاصة به فلا تعلق لها به إلا في حالة التلجئة والإضرار بذوي الحقوق أو اتخاذه مسجد ضرار. ولا عبرة بإفلاس أو دين يطرأ بعد إقامة المسجد.

وفقه الوقائع تسبق أهميته أهمية فقه النظام والإلمام بمواده، ذلك أن تطبيق النص النظامي لا يكون ولن يكون صحيحا حتى يكون فهم الواقعة صحيحا.

وكما أن فهم النظام يحتاج إلى فقه فكذلك فهم الوقائع يحتاج إلى فقه.

وهذا أمر لاحظه علماء المسلمين من خلال بحوثهم ومؤلفاتهم عن طرق القضاء والفراسة والفتوى.

وخير من توسع في هذا المجال ابن قيم الجوزية في كتبه لا سيما إعلام الموقعين والطرق الحكمية.

فالأحكام النظامية كثيرة، ووقائع القضايا كثيرة أيضا، ومهمة المسؤول أن يفهم الواقعة ويحددها ليطبق عليها الحكم النظامي الذي يختص بها.

والممارس لأعمال دورات القضايا الإدارية يرى أن القضية تبدأ بورقة عرض، وتنتهي بأضابير مكدسة، وليس ذلك بسبب مواد الأنظمة للالتباس في فهمها، وإنما السبب الالتباس والتردد في فهم الوقائع.

بل إن المسؤول تتشابه عنده بعض مواد النظام فلا يدري أيها يطبق، وليس ذلك بسبب أن المواد غير مفهومة ولا واضحة، بل السبب أن المسؤول التبست عليه الوقائع، ولم تتحدد عنده الواقعة الصحيحة بيقين أو رجحان، ولهذا يحار أي مواد النظام أولى بالتطبيق.

وعندما تضعف النفوس والوازع الديني ويقال: إن النظام مطاط فليس معنى ذلك أن دلالة النظام مائعة، لأن وضع النظام يبذل فيه من الجهد والوقت والمواهب والمشورة من مختلف المختصين بأجهزة الدولة ما يضمن له تحديد الدلالة بدقة.

بل إن المسؤولين يراعون النظام منذ تطبيقه، ويستدركون بالتعديل والتعاميم التي تسمى تعليمات ما يمنع عن دلالته كل احتمال.

وإنما تأتي دعوى «النظام مطاط» من فساد النية في فهم الوقائع، حينما يتعمد مسؤول ما فهم الوقائع على غير وجهها الصحيح فيطبق المادة النظامية الصحيحة غير المطاطة على واقعة مطاطه، لأنها مدعاة وملبس بها وغير صحيحة.

ويأتي تشويه الوقائع من أمور كثيرة:

صداع العقول

روح النظام وفقه الوقائع

منها أن يكون في الوقائع وقائع مؤثرة في الحكم فيخفيها الطرف الآخر صاحب الدعوى، أو تكون موجودة في الأوراق فيغفل المسؤول عن دلالتها، أو يغفل عن وجودها بالمرة. وأكثر ما يكون ذلك عندما يكتفي المسؤول المختص بقراءة ملخص المعاملة، ولا يتتبع جميع الأوراق ويرتبها ترتيبا تاريخيا.

أو عندما يقرأ كامل الأوراق ولا يعمق النظر في مستندات الدعوى من وثائق ومخططات ورسوم.

ومنها الغفلة عن اجتهاد واقتراح لوسيلة تكشف عن صحة الوقائع أكثر مما هو معروض في الأوراق.

وخير وسيلة لكشف الوقائع ـ إذا لم تفِ بها الأوراق ـ التحقيقات واللجان.

وقد درج في عرف العامة أن اللجان تميت القضايا وتُعوِّمها، وهذا صحيح إذا لم يتوافر في اللجنة ذاتها مقوماتها الصحيحة.

وأهم المقومات دقة تحري الأعضاء من ناحية النزاهة والفهم والشجاعة العلمية. ومنها تعدد أطراف اللجنة بتعدد الاختصاص وبتعدد أصحاب العلاقة لتكون اللجنة ممثلة لجميع أصحاب العلاقة وافية بكل علاج تخصصي يخدمها. ومنها رسم عمل اللجنة مسبقًا بدقة واستيعاب بحيث تعالج كل احتمال.

ومن دواعي اللجنة غمغمة المسؤول في كشف الوقائع عندما يرفع إلى مرجعه، أو يجيب عن استفساره فترد المعاملة بجواب مبهم أو بحشر وقائع لا أثر لها في الحكم.

وخير وسيلة لكشف الوقائع وحصر مواضع الإشكال ـ مما يعين على سرعة البت ـ أن يبوب دارس القضية دراسته على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أن يستوفي عرض الوقائع كلها سواء أكانت مؤثرة في الحكم أم غير مؤثرة، خطيرة أم تافهة.

والفصل الثاني: أن يبدي رأيه في الوقائع فيوضح ماله أثر وما ليس له أثر، ويوضح ما كان مجملاً مبهمًا أو غير مفهوم، ويوضح ما كان غير موجود ووجوده ضروري.

والفصل الثالث: أن يبدي الرأي من ناحية الحكم النظامي أو الحل الإداري.

فإن كانت الوقائع صحيحة محددة طَبَّق المادة النظامية باطمئنان، وإن كانت الوقائع متعددة الاحتمال فهو بالخيار بأن يعطي لكل احتمال الحكم الموافق له، أو بأن يرد المعاملة لمصدرها لتحديد الواقع الصحيح.

ويفضل الخيار الأخير عندما يشك الدارس في نوايا الجهة التي نشأت عندها القضية، ويشعر بأنهم يريدون افتراض احتمالات الرأي النظامي ليحوروا واقع القضية ليوافق الرأي الذي يناسبهم.

والنص القانوني صياغة بشرية تعبر عن مراد بشري، ولهذا فليس له صفة الكمال والإطلاق.

ويعتري النص القانوني، والنص النظامي، والتعليم الإداري، عيوب كثيرة تقتضي معالجتها على سبيل الضرورة والحتم لتحقيق قاعدة «إعمال النص أولى من إهماله».

ولهذا فالإحاطة بالأنظمة، وحذق سياستها، ومحاولة العمل في إطارها ضرب من الاجتهاد يوصف صاحبه بالفقيه أو الخبير.

وأهم أدوات الاجتهاد معالجة عيوب النص من خلال أهداف النص ذاته وحكمته ومقاصده. وذلك بعد التيقن من أن موضوع النص ليس مقصودًا لذاته.

وهذا التقعيد فيه غموض بلا ريب، ولكنني أُسَهِّله بالمثال الشارح، فأضرب المثال بـ «التوقيع» الذي تنص عليه الأنظمة والتعليمات كثيرًا في التسليم والاستلام. فالتوقيع في العرف الحاضر يعني الإمضاء بعلامة ترمز للاسم واللقب بتميُّز، فهل يدخل في مفهوم التوقيع الختم والبصمة؟.

أما من ناحية اللغة العرفية فلا. وأما من ناحية المقصد فالمراد بلا ريب إثبات الإقرار والاعتراف بما يدل عليه بتميز، وليس المقصود التوقيع لذاته.

فمن كان مسؤولا فعليه الاجتهاد حتى يأتي نص يدخل الختم والبصمة أو يخرجهما.

ومنحى الاجتهاد أن يدخل البصمة لأنها أدل على الإثبات من التوقيع، وأن يخرج الختم لأن التوقيع أدل منه. والأصل في هذا قياس الأولوية، والله المستعان.

الديناصورات العملاقة

مخلوقات سادت ثم بادت منذ ٦٥ مليون سنة

إعداد : نجلاء حسن حامد

تُعَدُّ فترة الحياة المتوسطة «الميزوزويك» Mesozoic هي عصر الديناصورات العملاقة، التي ظهرت على الأرض منذ ٢٣٠ مليون سنة، وعاشت فترة ١٦٧ مليون سنة، ثم انقرضت منذ ٦٥ مليون سنة.

والديناصورات التي تعني باللغة اليونانية «الزواحف المخيفة»، لا تشبه السحالي ولا الثعابين،ولا حتى التماسيح أو السلاحف التي تعيش في عصرنا، كما أن بعضها كان يطير مثل الخفاش. وكانت الإناث تضع بيضًا، ومع هذا لم تكن ثدييات أو حتى طيورًا.

الحياة الظاهرية

يرى فريق من العلماء أن قشرة الأرض تكونت منذ ٤٦٠٠ مليون سنة، وقد ظلت الأرض خالية مدة ٤٠٠ مليون سنة من الحياة، باستثناء بعض مقومات الحياة الأساسية في المحيطات.

وقد أُطلق على التاريخ الذي واكب بداية الحياة على الأرض اسم «زمان الحياة الظاهرة» Phe-nerozoic era قُدرت مدته بنحو ٦٠٠ مليون سنة.

وينقسم زمان الحياة الظاهرة هذا إلى ثلاث



حقب هي: حقبة الحياة القديمة ومدتها ٣٧٠ مليون سنة، وحقبة الحياة المتوسطة ومدتها ١٦٧ مليون سنة، وحقبة الحياة الحديثة ومدتها ١٣ مليون سنة، وتنقسم كلّ حقبة بدورها إلى عصور شديدة التفاوت الزمني وشديدة الاختلاف عن بعضها بعضا.

تُعَدُّ حقبة الحياة المتوسطة أهم الحقبات الثلاث على الإطلاق؛ بسبب طول مدتها من ناحية، وحدوث تغييرات شاملة في الأرض من ناحية أخرى. وقد حرص علماء الجيولوجيا على تقسيمها بدورها إلى ثلاثة عصور هي:العصر الترياسي ومدته ٤٩ مليون سنة، العصر الجوارسي (الجوري) ومدته ٤٦ مليون سنة، والعصر الكريتاسي (الطباشيري) ومدته ٧٢ مليون سنة.

ولكي يسهُل تفهم تطور طبيعة أشكال الحياة على الأرض، يمكن وضع لائحة تقريبية من التواريخ التي تختلف تقديراتها من عالم إلى آخر:

منذ مليار سنة: ظهور اللافقاريات.

منذ ٤٠٠ مليون سنة: ظهور البرمائيات الأولى.

منذ ٣٠٠ مليون سنة: ظهور الزواحف والحشرات.

منذ ٢٣٠ مليون سنة: ظهور الديناصورات (١).

منذ ٦٠ إلى ٦٥ مليون سنة: نهاية عصر الديناصورات.

الزواحف المخيفة

في العصر الجوارسي، سادت الديناصوراتُ العملاقةُ الأرضَ، منذ ٢٣٠ مليون سنة، واستمرت نحو ١٦٧ مليون سنة أخرى.

وكان العالم الإنجليزي ريتشارد أوين هو أول من أطلق كلمة «ديناصورات» على هذه المخلوقات العملاقة، وقد اشتق الاسم - مثل كثير من أسماء النبات والحيوان - من أصول يونانية، حيث تعني كلمة Dinos مخيف وكلمة Sauros زواحف، وهكذا تعني كلمة ديناصورات كاملة «الزواحف المخيفة».

وللديناصورات - كما يقول العلماء - ٣٥٠ نوعًا، نصف الأنواع المعروفة تم وصفها في العشرين عامًا الماضية، ومع هذا يقرُّ العلماء بأن المعروف منها حتى الآن لا يمثل سوى شريحة بسيطة من الأنواع التي كانت موجودة.

وتمثل الديناصورات تجربة غير عادية في الارتقاء، فقد انحدرت من سلسلة نسب قديمة من الزواحف خلال العصر الترياسي، ،وهي الفترة الأولى من حقبة الحياة المتوسطة، وعندما انقسم العالم إلى قارات في شكل جزر في فترة امتدت ١٦٥ مليون سنة، انتشرت الديناصورات في مناطق عديدة من العالم.

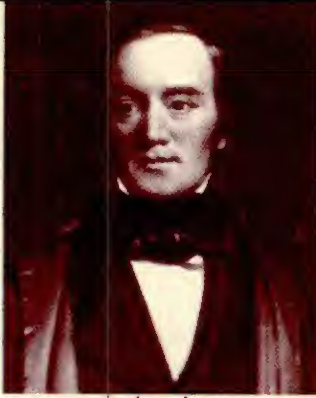
وبالتطور من سَلَف أعلى انقسمت الديناصورات في نهاية العصر الترياسي إلى مجموعتين كبيرتين:

الأولى هي العظاءات Saurischians مثل السحالي والسلاحف، التي لديها تركيب ورك يشبه السحالي، والثانية هي طيريات الورك Ornithischian التي كان تركيب الورك لديها يشبه الطيور.

وكان فرع العظاءات يشتمل على أكثر الديناصورات شهرة، على سبيل المثال الصُروبوديات Sauropods وهي مجموعة كبيرة من الديناصورات الضخمة ذات القوائم الأربع، والعنق الطويل، وهي من آكلات العشب مثل البرونتوصور، كذلك يشتمل فرع العظاءات على الثروبوديات، theropods وهي مجموعة ضخمة من آكلات اللحم، وتؤدي إلى كل من الطيور والتيرانوصورريكس.

أما النوع الثاني وهو طيريات الورك، فكان جميعهُ من آكلات العشب، ومنه انحدرت كثير من الأسلاف المعروفة، وكان معظمها يسير على قائمتين مثل منقار البطة والستيجوصور المدرع.

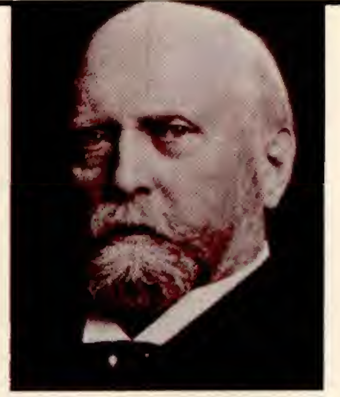
ومن أشهر آكلات اللحم Car-



السير ريتشارد أوين، أول عالم تشريح انجليزي في عصره، ومدير المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي. وهو مخترع كلمة «ديناصور».



أحد علماء الأحافير يتعامل بواسطة إزميله ومطرقته مع أحفورة لديناصور من نوع «التاربوصور»، وهو من آكلات اللحم. اكتشفت الأحفورة في عام ١٩٧١م بواسطة فريق بولندي - منغولي مشترك في شرق آسيا الوسطى



أوثنيل تشارلز مارش، من رواد البحث عن الديناصورات ودراستها. أطلق اسم «الحرباء – الصاعقة» على أحافير الديناصور الذي عثر عليه عام ١٨٧٧م.

nivorous: الألُصور - الميجالصور - السيراتوصور ذو القرن - التيرانوصور - الديلفوصور .

ومن أشهر آكلات العشب Her-bivorous: البرونتوصور، - البراشيوصور - الستيجوصور - الإيجواندون والدبلودوكس .

سيقان فريدة

لسيقان الديناصورات تركيبٌ فريدٌ، يميزها من سائر المخلوقات التي ظهرت قبلها، حتى عن الزواحف الموجودة في وقتنا الحالي، فمثلاً سيقان التماسيح تمتد على جانبي أجسامها، لكن سيقان الديناصورات تمتد مباشرة إلى أسفل مثل الخيول؛ وهذا يؤدي إلى رفع المعدة عن الأرض؛ ويمكنها من السير منتصبة، ويساعدها بالتالي على السير بسرعة أكبر.

ويسود الاعتقاد بأن الديناصورات كانت مخلوقات على درجة كبيرة من الغباء؛ لأن حجم الدماغ يساوي واحداً على مائة ألف من حجم الجسم، في حين أنه عند الكلب مثلاً يساوي واحداً على مائة وسبعين من حجمه، لكن فريقا من العلماء يرى أن المخ الأكبر لايعني بالضرورة ذكاء أعلى. ولكن هل كانت الديناصورا ت من ذوات الدم الحار أم البارد؟

كانت هذه القضية ومازالت موضعًا للخلاف والاتفاق بين العلماء والباحثين، فمنذ جيل مضى، عندما كان يُنظر إلى الديناصورات على أنها نوع من السحالي الكبيرة، كانت غالبية العلماء يعتقدون أنها جميعًا من ذوات الدم البارد مثل الزواحف الحديثة، تعتمد بشكل كبير على البيئة من أجل تنظيم درجة حرارة أجسامها الداخلية، فالاستلقاء في الشمس مثلاً يزود التمساح بالطاقة، بينما الطقس البارد يجعله كسولاً متبلداً، ومثل هذه الحيوانات ليس في استطاعتها أن تكون نشيطة لفترة طويلة «حسب الرغبة». وعلى الجانب الآخر، فإن الحيوانات ذات الدم الحار، تُولِّد طاقاتها الداخلية وهذا يسمح لها بأن تكون نشيطة عندما ترغب.

وكان عالم أحافير شاب يُدعى روبرت بيكر صاحب هذه النظرية، ففي السبعينيات أثبت أن الديناصور لم يكن ليستطيع الوقوف على قائمتيه الخلفيتين ليأكل الخضرة الموجودة في أعلى الشجرة، ما لم يكن من ذوي الدم الحار.

واليوم يتفق معه كثير من العلماء، ويعارضه كثيرون أيضا، فالمعارضون يقولون إن الديناصورات من ذوات الدم البارد، لكن لكونها مجددة، فقد ابتدعت طرقًا عديدة لتنظيم حرارة أجسامها.



أعمال اللحام اثناء إعداد تيرانصور ريكس للعرض، كان هذا اللاحم الضاري قليل العدد في أواخر عصر الديناصورات

التيرانصور

يبدو أنه لايوجد حيوان أكثر إثارة للرعب والفزع في النفوس من ديناصورَيْ التيرانصور والتيرانصور ريكس.

فالتيرانصور كان يبلغ طوله من الرأس إلى الذيل نحو خمسة عشر متراً؛ وهذا يؤدي إلى التهكن بأن وزنه كان يصل إلى تسعة أطنان أي ما يساوي وزن فيلين.

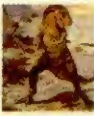
كذلك كان للتيرانصور رأس منتفخ يبلغ ١.٢٠ متراً، وكان فكاه مسلحين بأسنان حادة، يبلغ طول الواحدة ٢٠ سنتيمتراً، مما يؤكد أن فريسته كانت تكف عن الحركة بمجرد عضّها بهذه الأسلحة الحادة، رغم أن قائمتيه الأماميتين كانتا أصغر من الخلفيتين .

أما التيرانصور ريكس أو (T.X) اختصاراً، فكان طوله من الرأس إلى الذيل يبلغ نحو ٢٥ قدمًا، وكانت أسنانه تبدو مثل آلات الجزارة، فقد كانت تحمل شكلا مصممًا «للهبر» عبر العظام واللحم. والواقع أن كل شيء في تركيب جسم تيرانصور ريكس كان مُصممًا لهدف واحد، هو القتل، كذلك كانت له قائمتان أماميتان أصغر من الخلفيتين.

وفي متنزه الديناصور الإقليمي في ألبرتا بكندا عُثر على ٢٠ سنًا متفرقة للتيرانصور، والمعروف أن هذا النوع يفقد أسنانه أثناء الطعام، وسرعان ما تنمو أخرى بدلاً منها. كذلك عُثر في المكان نفسه على ما يبدو أنه كان مأدبة كبيرة للتيرانصور، ففي طبقة من الأحجار عُثر على أكثر من ٨٠ ديناصوراً سنتروصور، ويبدو أن هذه الحيوانات كانت تعبر نهراً أثناء الفيضان، ولما لم تكن ذكية بدرجة كافية، فقد اجتذب هذا الكم الهائل السهل من لحومها عدداً كبيراً من آكلات اللحم، إذ عُثر على كثير من الأسنان المطروحة، وكانت العظام تحمل علامات غائرة لأسنان وحشية، كما كان كثيرٌ منها مكسوراً، مما يدل على تعرضها لهجوم التيرانصور .

الألوصور والميجالوصور

يُعَدُّ الألوصور ذو الشكل المخيف، أكثر أنواع الديناصورات آكلة اللحوم وحشيةً، وكان طوله من الرأس إلى الذيل يبلغ ٣٠قدمًا، كما كان يزن طنين.



(٧,٥متر)، وهو الميجالوصور، وكان هذا الحيوان عندما يطارد فريسته، ويقترب منها بالفعل، يقفز عليها بسرعة وفمه مفتوح، ومخالبُه ممتدة إلى الأمام، ويشرع بالتهامها على الفور.
أما السيراتوصور الأمريكي ذو القرن، فيعد أغرب الحيوانات آكلة اللحوم، ورغم أنه أصغر من الألوصور، إلا أن القرن الموجود في جبهته، إضافة إلى قوائمه الأمامية، التي تنتهي بخمس أصابع ذات مخالب حادة أشبه بالمنجل، تجعل منه عدوًا مخيفًا.

البراشيوصور والستيجوصور

رغم الاكتشافات الحديثة والمتوالية، يبقى البراشيوصور من أكبر الحيوانات التي عاشت على الأرض وزنًا.
وعن طريق أحد الهياكل العظمية للبراشيوصور، التي عُثر عليها في تنزانيا، ونُقلت بعد هذا إلى متحف برلين (١٩٠٩- ١٩١٠م) تبين أن طوله بلغ ثلاثة وعشرين مترًا، في حين أن ارتفاعه قارب الاثنى عشر مترًا، أما وزنه تبعا لهذا الطول، فكان يبلغ ٧٨ طنًا.
كذلك عُثر على هيكل آخر لبراشيوصور، كان وزنه يبلغ ١٠٠ طن، أي ما يعادل وزن قطيع كبير مؤلف من ٢٠ فيلاً ضخمًا.
وبسبب ارتفاع رأس هذا الديناصور؛ كان يمكنه البقاء في الماء فترة أطول مما تستطيعهُ الأنواع الأخرى، كذلك كان لرأسه تركيبٌ فريدٌ، إذ كانت جيوبه الأنفية تُفتح بانتفاخ في عظمة الجمجمة، وكان هذا يتيح له فرصة النزول إلى الماء بكل جسمه مبقيًا خياشيمه الأنفية ملامسة لسطح الماء، لكي تؤمّن له التنفس.
وتبعاً لحجم البراشيوصور الهائل، كان يبتلع أطنانًا من الأوراق والنباتات وحتى الحصى وقطع الحجارة، وكانت عمليات طحن الطعام، تحدث أولاً بين الفكين، وثانيًا بعد وصولها إلى المعدة.
وكما كان البراشيوصور ضخمًا، كان الستيجوصور غريبًا، وكان أيضًا من آكلات العشب، وتميز بوجود صفين

هيكل لأكبر ديناصور من نوع البراشيوصور، وضع للعرض في متحف جامعة هامبولدت - برلين

ولأن الألوصور كان من الحيوانات التي تسير على قائمتين؛ فكان يقف منتصبًا بسهولة، وكان له ذيلٌ جبارٌ مزودٌ بعضلات، ورأسٌ ضخمٌ يحركه بسرعة فائقة، وفكّان هائلان مزوّدان بأسنان طويلةحادة، قادرة على الطحن والتمزيق.
وكانت قائمتا الألوصور الأماميتان أقصر بكثير وتنتهي كل منهما بثلاث أصابع مزودة بمخالب حادة، يستخدمها كيدين لكي يمسك ضحيته، وكان الألوصور يعيش في أمريكا الشمالية وآسيا وأفريقيا الشرقية.
وفي أوروبا كان يعيش ديناصور آخر شبيهٌ بالألوصور، وإن كان طوله أقل

من الصفائح العظمية البارزة على طول ظهره، يبدو أنه كان يستعملها في الدفاع، كذلك كان ذيله يحوي في منطقة الطرف زوائد مزدوجة تشبه الأشواك الحادة.

الدبلودوكس والإيجواندون

يُعدُّ الدبلودوكس أشهر حيوانات ما قبل التاريخ، إذ ضرب - وقت اكتشافه - الرقم القياسي في الطول (٣٢ مترًا)، وقد بلغ وزنه ١١ طنًا.

وهو من آكلات العشب، يشبه رأسهُ رأس الحصان، وإن كان أصغر بكثير، إذ لم يكن يصل إلى ٦٠ سنتيمترًا، وكان له فكان صغيران، وأسنان ضعيفة، تشبه أسنان الطيور، وقد عُثر على أحافيره في غرب الولايات المتحدة.

أما الإيجواندون، فهو أول حيوان مُكتشف من الديناصورات، إذ اكتُشفت أسنانه عام ١٨٢٢م في ولدن بجنوب شرقي إنجلترا.

ويشبه الإيجواندون حيوان الكنجارو الاسترالي، إلا أنه أكبر حجمًا، فطوله يبلغ ١٠ أمتار في بعض الأحيان، يتميز بوجود منقار ذي أسنان طاحنة يشبه منقار الطيور، وقد جعل هذا العلماء يرجحون أنه من آكلات الأعشاب.

وفي مقاطعة برنيسار في بلجيكا عُثر على بقايا ثلاثة وثلاثين هيكلاً لهذا الديناصور، يُعرض بعضها في متحف التاريخ في بروكسل، وقد أظهرت اكتشافات برنيسار أن الأيجواندون كان يسير على قائمتيه الخلفيتين مثل آكلات اللحم، رافعًا ذيله أثناء السير لحفظ توازن الجسم.

الحرباء - الصاعقة

أطلق تشارلز مارش اسم «البرونتوصور» على الديناصور الضخم، الذي عثر على أحافيره في عام ١٨٧٧م، وكان الاسم يعني الحرباء الصاعقة.

فقد استنتج مارش - نتيجة قياس أقدامه - أن مجرد سيره على الأرض يمكن أن يحدث دويًا شبيهًا بدوي الصاعقة، وقد بلغ طوله ٢١ مترًا، وكان وزنُه يقارب ٣٠ طنًا أي ما يعادل وزن خمسة أو ستة من الفيلة الضخمة.

ورغم هذا لم يسجل البرونتوصور، الرقم القياسي لا من حيث الطول ولا من حيث الوزن في متاحف الديناصورات العملاقة.

المُزلزل

بالقرب من البوكيرك في نيومكسيكو عُثر على عنقودين من الأحجار، يتألف كل منهما من مائة حجر، عُرفا باسم الأحجار المعدية.

وكان واحدٌ من أكبر الديناصورات المعروفة قد ابتلع هذه الأحجار منذ ١٥٠ مليون سنة، وقد أُطلق عليه اسم Seimosaurus أو Earth shaker وتعني المُزلزل، لأنه كان يسبب زلزالاً عنيفًا على الأرض عندما كان يسير على قوائمه الأربع الضخمة، وبخاصة مع وجود رقبة يبلغ طولها ٥٠ قدمًا، وذيل يتراوح بين ٧٥، ١٥٠ قدمًا أما طوله فقد بلغ ١٣٠ قدمًا أي ما يماثل ارتفاع بناية من خمسة طوابق، وكان يزن ٨٠ طنًا على الأقل.

وتدل أحجار البوكيرك على أن المُزلزل كان لديه تجويف عضلي لطحن الطعام، يشبه كثيرًا «قوانص» طحن الوجبات الخشنة الموجودة عند الطيور التي تنقصها الأسنان القوية.

ومن المحتمل أن المزلزل كان لديه اثنان من تجاويف الطحن هذه، واحدة عند قاعدة المريء، والأخرى توجد بين المعدة والأمعاء الدقيقة، وقد يكون هذا ما تسبب في مقتله، كما يقول عالم الأحافير ديف جيليت، فلربما التصق حجر صغير من حجم فاكهة «الجريب فروت» بالمريء أو بالقصبة الهوائية، وبخاصة أن الأحجار التي كان يبتلعها، كانت تتراوح في الحجم بين الحصى الصغير وقطع الأحجار الكبيرة التي تماثل في الحجم كرة البيسبول.

وعند استخراج هيكل المزلزل في البوكيرك، استغرقت عملية إخراج عظمة العَجز وحدها، التي كانت تزن ٣٢٠٠ رطل، ستة شهور؛ ذلك أن الصخور التي كانت تحيط بها، كانت أشبه بالأسمنت المسلّح، لذا كانت تُستخرج عدة بوصات مربعة من هذه العظمة يوميًا.

الطائر الأوّلي

في العقد الماضي، أعلن غالبية العلماء أن الطيور تنتمي تشريحيا إلى شجرة الديناصورات.

وعندما عُثر على الطائر الأوّلي(٢) ذي الريش Archaepteryx عام ١٨٦١م، اعتقد العلماء أنه يمثل الحلقة المفقودة بين الطيور والزواحف، ويُعَدُّ الطائر الأوّلي أقدم طائر معروف، وتوجد أحافير له، اكتُشفت في ألمانيا.



«الستيجوصور» صاحب الصفائح العظمية البارزة على ظهره، يوجد هيكله العظمي في معهد سميث سونيان بواشنطن





هيكل لأحد الديناصورات من العصر الترياسي، عثر عليه في جنوب ألمانيا، وتم تركيبه فيما بعد في المتحف الطبيعي في نيويورك

ويُعَدُّ الكائن الذي سقط في إحدى البحيرات الراكدة - في أحد أيام العصر الجوارسي - واحداً من أكثر أحافير الديناصورات التي عُثر عليها أهمية ، فقد كانت له أسنان مثل الديناصور، ولكن لم يكن له منقار. ولم يكن الذيل العظمي الجارف الطويل في الديناصور الكلاسيكي جذاماني كما كان في غالبية الطيور، وإنما كان ينتشر على شكل مروحة من الأجنحة، كما كان مكسواً بالريش.

وكان هذا الريش مصدر حرج للعلماء، فقد أدركوا أخيراً أن واحداً من عائلة الديناصورات تعلّم أن يطير.

وفي برلين الشرقية - سابقًا - عثر على ستة هياكل لهذا المخلوق على درجة كبيرة من الكمال، حتى إن أحدها مازال ريشه محفوظًا في تفاصيل دقيقة، ولولا وجود هذه الريشات، لاعتقد كثير من الناس أن الأحفور الماثل أمامهم يخص ديناصوراً صغيراً.

الحلقة المفقودة

في بداية القرن العشرين، توالت اكتشافات أحافير الديناصورات في أماكن بعيدة من العالم لم تكن لتخطر على بال، في منغوليا، وآلاسكا، والأرجنتين، والصين.

فـفي الأرجنتين، عُثر على أقدم ديناصور من آكلات اللحم أطلق عليه اسم هيريراصور، وكان هذا الديناصور الضاري يسير على قائمتين بسرعة كبيرة، وعندما يمسك بضحيته كان فكاه يقبضان على الضحية بقوة، بينما تعمل مخالب القائمتين الأماميتين على منعها من الحركة أو محاولة الهرب، وقد بلغ طوله ١٥ قدمًا .

وفي الصين اكتشف علماء الأحافير كثيراً من الحلقات المفقودة، فقد اكتشفوا تطور عائلات عديدة من الديناصورات، عندما عثروا على هياكل لا حصر لها في إقليم يونان ، كان الفلاحون يستخدمونها في البناء.

كذلك اكتُشف أكبر وأحدث ديناصور صيني، من نوع الديلفوصور اللاحم، وكان له ما يشبه عرفي الديك فوق رأسه، كما كان له منقار مقوس رفيع، كان يستخدمه في تمزيق جلد وأحشاء الحيوانات الأكبر التي تهاجمه، وقد بلغ طوله ٢٥ قدمًا.

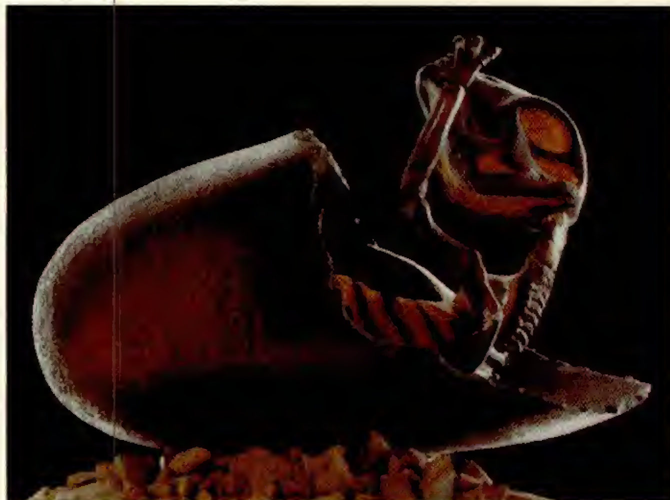
وفي مقبرة كبيرة تضم حيوانات كثيرة، عدد كبير منها غير معروف (حُولت الآن إلى متحف ديناصور زيجونج) أمكن تمييز ديناصور ضخم أُطلق عليه اسم أوميصور Omeissaurus، كان طول رقبته وحدها يبلغ ٣٠ قدمًا (رقبة الزرافة يمكن أن تبلغ ستة أقدام فقط كأقصى طول لها) وكان من آكلات العشب.

ويبدو أن عدداً قليلاً من الديناصورات آكلة العشب، كان يمكنها الاحتفاظ برقبتها مرفوعة باستمرار بسبب الحاجة إلى ضخ الدم إلى المخ عبر مسافات طويلة ، كما أن تركيب الرقبة كان يحول دون هذا ، وعلى أي حال كانت هذه الرقاب الطويلة تساعد الحيوانات على الوصول إلى أوراق قمم الأشجار دون الحاجة إلى تحريك أجسامها الضخمة.

كذلك كشفت أحافير الصين، أن ذيول آكلات العشب، كانت تحوي ما يشبه الهراوة الثقيلة في الأطراف ، مما يمكن اعتباره علامة على أن آكلات العشب كانت من سكان الأرض، وكانت الذيول تُستخدم في القتال، والدفاع عن النفس على الأرض، إذ إن هذه الهراوات لم تكن لتجدى نفعًا في الماء.

انتصار الديناصورات

قرب نهاية العصر الترياسي منذ ٢١٠ مليون سنة مضت، وقع شيء غير عادي على كوكب الأرض، أدى إلى حدوث انقراض جماعي ضخم، فكثير



جنين متحجر لديناصور صغير من بيضة لم تفقس بالكامل

من أنواع الحيـوانات أُبيـدت بشكل قاس.
وفي البداية اعتقد العلماء أن سبب الكارثة هو اصطدام نيـزك بالأرض، تسبب في حدوث حفرة اتساعها ٦٠ ميلاً، عُرفت باسم مانيكواجان Manicouagan في كندا.
لكن الواقع أن تأثير الاصطدام تمثل في انبعاث ضباب ترابي أسود بارد، تسبب في حجب ضوء الشمس، وقتل النباتات، وبالتالي حدثت مجاعة بين الحيوانات. (يعتقد بعض العلماء أن حادثًا مشابهًا وقع بعد هذا بنحو ١٥٠ مليـون سنة، وتسبب في انقـراض الديناصورات).

وعند استعمال الراديو متر - جهاز قياس كثافة الطاقة الإشعاعية - أشار إلى أن حفرة كندا السابقة تكونت منذ ملايين عديدة من السنين قبل أن يحدث الموت الجماعي للحيوانات.
ويعـزو بعض العلماء حدوث هذا الانقراض إلى التغيير التدريجي في المناخ، ذلك أن «الكتلة الأرضية» التي ظلت لفترة طويلة متجمعة في قارة واحدة عملاقة عرفت باسم بانجيا Pangaea ، بدأت في الانكسار لقطع، وقد صحب هذا ثورات بركانية ضخمة وتكوينات للجبال، وظهور بحار عديدة. كل هذه العوامل يمكن أن تكون قد أثرت في المناخ بصورة سيئة.
وبعد الانقراض، شهدت الديناصورات بالذات انفجارًا سكانيًا على الأرض، ويبدو أن تحول مناخ الأرض إلى الدفء شجع الديناصورات من الناحية الفسيولوجية على التكاثر.
وعمومًا يردد العلماء بأن محاولة فهم سبب بقاء الديناصورات يبدو محاولة عقيمة، إذ لايوجد سوى عدد قليل من الصخور المحتوية على أحافير تعود إلى هذه الفترة السحيقة.

سر الحجم الهائل

يعتقد بعض العلماء أن السر في حجم الديناصورات الهائل يرجع إلى البيئة ففي أمريكا الشمالية، وفي أواخر العصر الجوارسي، كان المناخ يتحول إلى القاري، وكان الجفاف يسود الفصول، ولأن معظم آكلات العشب كانت مضطرة إلى نمط حياة تسوده المجاعة أو الصوم، اضطرت إلى الهجرة مسافات طويلة، وكلما كانت هذه الحيوانات أكبر، كانت المسافات التي تستطيع قطعها دون طعام أطول، وزادت كميات الطعام التي تستطيع التهامها عندما تتوافر، خاصة أن الذيول الكبيرة والرقاب والأفخاذ، كانت أماكن مناسبة لتخزين الدهون.
كذلك كان من بين العوامل المهمة في زيادة الوزن، أن آكلات العشب هذه، كانت أكثر دمًا باردًا من الديناصورات التي جاءت فيما بعد، وإذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أن وزنها قد يبلغ عشرات الأطنان. لكنها تحتاج إلى طعام يماثل ما يحتاجه فيلان وزنهما ستة أطنان فقط، بالإضافة إلى أن هذه الحيوانات كانت تستعمل طاقة أقل في الهجرة، كما أن كبر حجم آكلات العشب عن الضواري كان يمثل لها قوة دفاع أمام آكلات اللحم.
والغريب أن عددًا قليلاً من ضواري أواخر العصر الجوارسي، كان يتجاوز وزنهُ الثلاثة أطنان. تُرى لماذا بقيت الضواري في هذا الحجم، بينما ازدادت أوزان آكلات العشب؟
عند العثور على ديناصور من نوع الألوصور في ولاية وايمنج، تبين السبب، فمن المعروف أن هذا الحيوان وُصف بأنه أكبر ضواري أواخر العصر الجوارسي وحشية، وكان طوله يبلغ من الرأس إلى الذيل ٣٠ قدمًا، وله قائمتان هما خليط بين قائمتي التمساح وقوائم أسد الجبال، وجمجمة ضخمة، وسلوك يشبه سلوك القرش.
ولعل الفكين يشرحان سبب نمو الألوصور بهذا الحجم فقط، فهو لم يكن في حاجة إلى زيادة الوزن، فعند التهيئة للقنص، كان يفتح فمه على سعته، وكان فكه العلوي بأكمله يعمل مثل سن واحدة حادة، كذلك كان يملك أسرع عضلات عاملة في الرقبة،



جمجمة لجنين ديناصور من نوع أورابتور Eoraptor أكثر الديناصورات بدائية عُثر عليه حتى الآن، وكان من آكلات اللحم، وعاش على الأرض منذ ٢٢٨ مليون سنة (الأرجنتين)



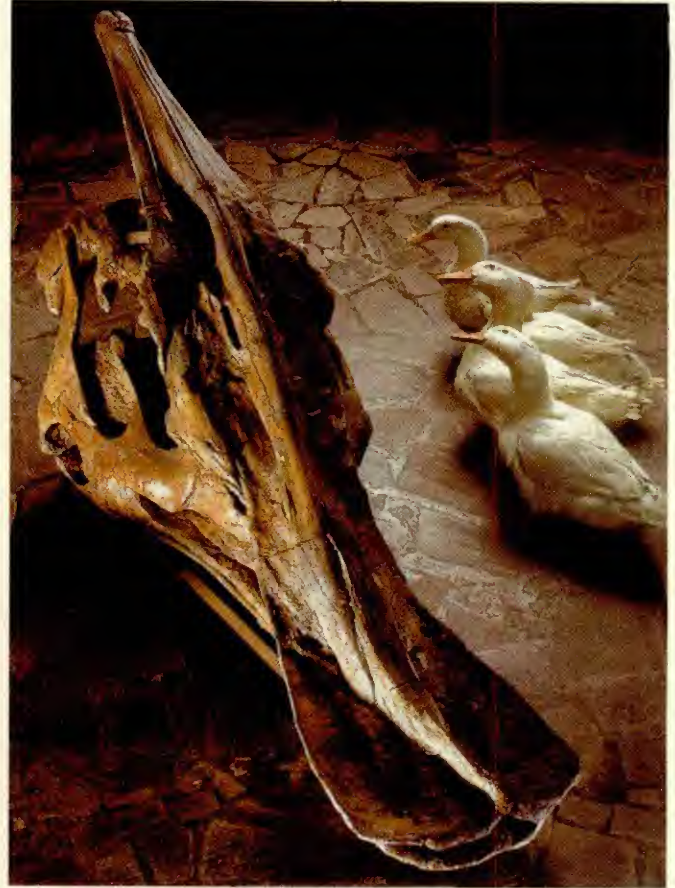
وكان هذا الديناصور يهاجم أكلات العشب الضخمة بالطريقة نفسها التي يهاجم بها النمر الماموث، وهي بالقفز وإحداث قطوع وشروط في الجلد مرات متعددة، قد تبلغ من ٢٠ إلى ٤٠ مرة.

ثم انتهى عصر آكلات العشب في أواخر العصر الكريتاسي، وكذلك الألوصور في أمريكا الشمالية، وظهرت أنواع أصغر في قارات أخرى، في أمريكا الجنوبية، وأستراليا، وتشير بعض الأحافير إلى أنها عاشت ٢٠ مليون سنة أخرى.

الرعاية الأبوية

في ثلاثينيات القرن العشرين، عُثر على بيض وأعشاش للديناصورات في منغوليا، ولكن حتى عام ١٩٧٨م لم يكن هناك دليل مؤكد على أن هذه الديناصورات كانت آباءً طبيعيين لصغارهم، إلى أن عُثر على عشٍ عملاق يشبه زبدية سلاطة كبيرة، يضم ١٥ ديناصوراً صغيراً، يبلغ طول الواحد من الرأس إلى الذيل نحو ثلاثة أقدام، وبجانبهم عُثر على كثير من قشور البيض المحطمة، وكانت هذه القشور تشير إلى أن الصغار، ظلت فترة من الوقت في المكان نفسه الذي عُثر فيه على الأعشاش.

ولكن كيف ماتت هذه الصغار؟



ثلاث بطات في متحف أحافير موسكو يقفن بجانب رأس ديناصور «منقار البطة».

الاحتمال الأكبر يشير إلى أنها ماتت بسبب الجوع، وكانت أسنانها تحوي بقايا طعام، مما يعني أنها كانت تُطعم لفترة من الوقت، وقد حال دون ذهاب هذه الصغار الجائعة بعيداً، بحثاً عن الطعام، اعتمادها على رعاية أبويها لها، خاصة أن الديناصور الصغير المنحدر من آكلات العشب، لم يكن ضارياً بدرجة كافية، لكي يمكنه العيش بنفسه، لذا كان يعتمد على الرعاية الأبوية.

بالإضافة إلى الرعاية الأبوية من الديناصورات لصغارها، قامت الديناصورات في أواخر العصر الكريتاسي بتطوير غرائز القطعان، ففي عام ١٩٨٤م، عُثر في طبقة أحجار في أمريكا الشمالية على ١٠,٠٠٠ حيوان.

أما الدليل الأقدم والمؤكد على وجود قطعان ضخمة للديناصورات، فقد جاء من متنزه الديناصور الإقليمي في ألبرتا بكندا، ففي الوقت الذي انتشرت فيه الديناصورات، كانت أرض المتنزه تشغلها بقعة رطبة ساحلية دافئة ذات أعشاب وكانت الديناصورات في أوج ازدهارها في هذه المنطقة، فقد عثر على أكثر من ٣٥ نوعاً مختلفاً لها.

وكانت المنطقة بأكملها تشبه وادي سيرجنتي في أفريقيا الشرقية، باستثناء أنه لم تكن توجد حشائش بعد، ولكن كانت توجد نباتات مزدهرة أخرى.

وعلى أي حال، فإن النمو السريع والتكاثر بالبذور أوجد مصدراً متجدداً وسريعاً للطعام، كذلك كان زنبق الماء وشجر الجُمَيْز يساعدان على دعم حديقة حيوانات مختلفة من الديناصورات آكلة الأعشاب مثل الستروصور، إضافة إلى وجود آكلات اللحوم، التي تتغذى على النوع الأول، مثل البرونتوصور والبرونتوصور ريكس.

نهاية الديناصورات

تحتوي ولايتا داكوتا ومونتانا الشرقية في الولايات المتحدة على واحدة من تكوينات الصخور القليلة على الأرض، التي تؤرخ في تفاصيل واضحة، لما حدث في المليوني سنة الأخيرتين بالنسبة «للوحوش العملاقة» أو الديناصورات.

وتشتمل تكوينات الصخر في هاتين المنطقتين على طوق دقيق من عنصر الإيريديوم(٣) الغريب النادر وجوده على الأرض، والشائع في الوقت نفسه وجوده في النيازك، وقد عُثر على أطواق إيريديوم مماثلة في رواسب عمرها ٦٥ مليون سنة في أماكن متفرقة من العالم.

ويرى العلماء في الوقت الراهن أن هذه الأطواق تمثل دليلاً مقنعاً على اصطدام الأرض بنيزك هائل في نهاية العصر الكريتاسي، وقد عُثر مؤخراً على حفرة بلغ اتساع قطرها ١١٠ أميال في جزيرة يوكتان بالمكسيك، وقد تبين أنها تكونت منذ ٦٥ مليون سنة.

ويؤكد فريق من العلماء أن انقراض الديناصورات حدث بالفعل بسبب النيزك، ويستدلون على هذا بأحافير النباتات الأرضية والعوالق البحرية المعتمدة على الضوء، ذلك أن أحافير النباتات التي عُثر عليها تبين بوضوح، ما الذي يمكن أن يخلفه الضباب الأسود المحمل بالسناج بعد حدوث التصادم.

وإذا كان تصادم النيزك بالأرض قد قتل بالفعل كل النباتات، تكون الديناصورات آكلة الأعشاب هي التي اختفت أولاً، ثم تلتها آكلات اللحم التي تتغذى عليها.

كذلك قد يكون من بين الأسباب التي أدت إلى الانقراض، جفاف البحر الواقع بين القارات، وتحول مناخ الأرض إلى الفصلية، وسقوط الثلج شتاءً، وكلها أسباب جعلت بيئة الديناصورات عبارة عن رقع زراعية شحيحة متناثرة.

وبعد، تبقى هذه كلها مجرد احتمالات وتكهنات يضعها العلماء والباحثون، ويبقى السر الحقيقي في أمر اختفاء الديناصورات العملاقة، سراً لا يعلمه إلا الخالق عزّ وجلّ، وصدق الله العظيم «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً».

الهوامش

١- تقديرات السنين التي تصل إلى ملايين الأعوام، تختلف بين العلماء، فالبعض يرى أن الديناصورات ظهرت منذ ٢٥٠ مليون سنة، ويرى آخرون أنها ظهرت منذ ٢٣٠ مليون سنة.

٢- الطائر الأوّلي، طائر بدائي منقرض شبيه بالزّحَافات.

- الإيريديوم :عنصر فلزي نفيس شبيه بالبلاتين.

المراجع

(1) Principles of Palenotology M. stainly, CBS Publishers, Delhi India 1977.

(2) National Geographic magazine, January 1993.

(٣) تاريخ العرب والعالم - العدد الثامن - يونية ١٩٧٩

(٤) المجلة العربية العدد رقم ١٣٩ - مارس ١٩٨٩

(٥) القافلة، فبراير - مارس ١٩٩٣م

مخطوطات جديدة بالدراسة والنشر "٨"

الاكتساب في تلخيص الأنساب



حلقات يكتبها: حمد الجاسر

المخطوطة الكاملة

وأعني التي تحوي الأقسام الثلاثة من الكتاب، من حرف الألِف إلى حرف الياء، وقد يتخلل بعضَ أجزائها نقص يسير، كما ستأتي الإشارةُ إلى شيء من هذا. وهذه المخطوطة من كتب (المدرسة المحمودية)(١) في المدينة، التي ضُمَّتْ أخيرًا إلى (مكتبة الملك عبد العزيز العامة) في المدينة المنورة، كما ضُمَّ إلى هذه المكتبة مكتبات أخرى متفرقة فجُمِعَتْ، بحيث يسهل للباحثين الاستفادة منها.

وتقع المخطوطة في ثلاثة أجزاء: الأول: كُتِبَ في طُرَّته: «الأول من «الاكتساب في تلخيص كتب الأنساب» للفاضل المحدِّث محمد بن محمد بن عبد الله بن خَيْضِر بن سليمان الخَيْضِري، ولد سنة ٨٢١ هـ، ومات سنة ٨٩٤ هـ بالقاهرة». وفي موضع آخر: «الثلث الأول من «الأنساب» للمشهدي. هكذا مرقوم في الأصل للمشهدي، ولم يكن له، على أول النسخة المنسوخ عنها ثم... بخط سيدي علم الإسلام القاسم بن الحسين بن إسحاق بن المهدي - رحمه الله - ما لفظه: هذا مختصر كتاب «الأنساب» للشيخ العلامة الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن الشيخ الحافظ (السمعاني) - رحمه الله - اختصره الشيخ العلامة الكبير أبي محمد الخيضري - رحمه الله - وزاد على أصله كثيرًا، وهذه النسخة... كما تراه في (البلقاوي والخيضري) انتهى بلفظه: اللهم صَلِّ على سيدنا محمد وآله». ثم كتابات أخرى اتضح لي منها: «ثم من كتب أحقر العبيد إلى الله سبحانه، المعترف بالذنب والتقصير، محمد عابد السندي عفا الله عنه»، وتحت هذه الكتابة: «وقفت لله تعالى هذا المجلد وما بعده، وجعلت النظر فيه لنفسي مدة حياتي ثم للأرشد من ذريتي ذكر (كذا) كان أو أنثى إن كان لي عقب، وإلا فللأرشد من ذرية جدِّي شيخ الإسلام محمد... الأنصاري، ذكر (كذا) كان أو أنثى...، وكتبه واقفه محمد عابد بن الشيخ أحمد علي الأنصاري في ذي القعدة سنة ١٢٤٩». وفي الصفحة التي تليها بعد البسملة: «الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنُّور»، إلى آخر خطبة المؤلف، وبعدها بعد البسملة: «ربنا آتِنا من لدنك رحمةً وهيِّئْ لنا من أمرنا رشدا، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وسلم، حرف الهمزة الممدودة وما يليها: الآبِجي». وآخر هذا القسم: «الخيلامي: - بفتح أولِهِ وسكون ثانِيهِ، ولام ألف بعدها ميم نسبة إلى خيلام: بلدة من فرغانة، منها الشريف الإمام حمزة بن علي بن الحسن بن محمد بن جعفر بن موسى بن عيسى بن طلحة ابن محمد بن طلحة بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق الخيلامي، كان فقيهًا فاضلًا، يروي عن القاضي أبي نصر أحمد بن عبد الرحمن بن إسحاق الرِّيْغَذْمُونِي، روى عنه عمر بن محمد بن أحمد النَّسَفِي، ومات بسمرقند سنة ٥٢٣ هـ، آخر المجلد الأول من «الاكتساب في معرفة الأنساب» والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم آمين. أعان الله على إكمال رقمه، الفقير إلى رحمته، أحمد بن يوسف بن الحسين ابن الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، في نهار الأربعاء آخر يوم من شهر شوال أحد شهور سنة ١١٧٧ هـ من هجرته عليه الصلاة والسلام، والحمد لله وله المنة والطَّوْل، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، نقلت من خط سيدي علم الإسلام القاسم بن الحسين بن إسحاق ما لفظه: وجدت في آخر الجزء الأخير من نسخة صحيحة شاميَّةٍ من كتاب «أنساب» السمعاني بخط مؤلف هذا المختصر ما لفظه: فَرَّغَهُ اختصارًا مع

الزيادة عليه من كتاب ابن الأثير، ومن كتاب الرُّشاطي وغير ذلك، العبد محمد ابن محمد الخيضِري الشافعي، بتاريخ ثالث صفر الخير سنة ست وأربعين وثمان مئة بالقاهرة المحروسة بالمدرسة الكود مدرية (؟) والحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. انتهى المنقول من خط سيدي القاسم بن يحيى ـ رحمه الله ــ وجدت بخطه ـ رحمه الله ــ ما لفظه: وللرُّشـاطي الأندلسي الحافظ كتـاب في «الأنسـاب» حافـلٌ، سماه: «اقتباس الأنـوار، والتماس الأزهـار، في أنساب الصحـابة ورُواة الآثـار» ذكره الـذهبي في ترجمتـه من «التذكـرة» ووصفه بالحُفولِ، وكان معاصرًا للإمام ابن السمعاني، ومات قبله بعشرين سنة، قال: فيها توفي الـرُّشاطي سنة اثنين (كذا) وأربعين وخمس مئة، وأبـو سعد السمعاني سنة اثنين (كـذا) ستين وخمس مئة، ومؤلف هذا المختصر أكمل تأليفـه في سنة ست وأربعين وثمان مئة، وبينهما قريب ثلاث مئة، وبهذا تعلم جلالته وأَنْفَسِيَّتِهِ على كتابيهما؛ لأنها قد تجددت في هذه المدة نسب لخلـق كثير، وقد ذكر أنه زاد

○ مخطوطة كتاب "الاكتساب" زيدت عليها إضافات بعد وفاة الخيضري، لكن الكتاب في أصله صحيح النسبة إليه.

على ما في كتـابيهما، وما في كتاب ابن الأثير والله أعلـم. انتهى من خط سيدي علم الإسـلام القاسم بن الحسين بن إسحـاق بن أمير المؤمنين المهدي لـدين الله أحمد بن الحسن، ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي رضوان الله عليهم أجمعين. كتبــه الفقير إلى رحمة الله أحمد بن يـوسـف بن الحسين بن الحسن سامحه الله». ثم يلي هذا صفحتان منقولتـان من «السُّلافَة» لابن معصوم في ترجمة بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي بخط الناسخ.

وكاتب هذا الجزء من علماء اليمن، ترجمه الشـوكاني في «البدر الطالع» (٢) ووصفـه بالمحقق العـلامة المحـدِّث، البارع في علم السنـة، المشهور بحفظهـا وحفظ رجالها، حتى لُقِّبَ (الحديث) لغلبته عليه، وأطـال في وصفه، وذكر أنه وُلِدَ سنـة ١١٢٠ هـ ونشأ بصنعاء، وأخذ عـن علمائها، وأنه تُوفي سنـة إحدى وتسعين ومائة وألف.

وهو كثير العنايـة بإتقان الكتابة، فإذا لم تَتَّضح كلمـةٌ في الأصل وضَعها في الهامش، وأعاد كتابتهـا، وكتب فوقها (بيان)، وقـد يضع في الهامش إضافات تتصل ببعض التراجم، وصرَّح في مـواضع منهـا بـأنـه نقلهـا من خط المؤلف، ففوق كلمـة (الجدري) كتب في الهامش: إلى الجديـرة وهو المكـان الذي حـوله جدار، كما قـالوا في ثقيف ثقفي، أجروه كما أجري فيـه فَعِيل إلى فَعِيلة. انتهى من هـامش الأصل بخط كـاتبـه الخيضري، ولعلـه صحح عليـه، ولم يشر إلى محله، والله أعلم». وفوق رسم (الجفـري) في الهامش: انتهى من هامش الأصل بخط مؤلفه وكاتبه». وقد يضيف الكاتب في الهامش إضافات على التراجم، أو في زيادتها ينقلها من كتـب معروفة يسميها؛ ككتاب «التقـريب» للحافظ ابن حجر، أو «تعجيل المنفعـة» له، أو «القـاموس»، أو غيرهـا من الكتب، وهذه


بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من الجزء الأول من (النسخة المحمودية) المخطوط سنة ١١٧٧ هـ

النسخة جليلة القدر لعناية كاتبها بمقابلتها على الأصل، كما أشار إلى ذالك في كثير من الصفحـات. ويبدو أَنَّ الكـاتب استعـان بغيره، فبينما تتضح كتابتـه بـدرجـة من الحسن، تبـدو صفحـات أخـرى بخط أقلَّ منهـا، مع مـراعـاة التصحيح فيها.

ومما يعيب هذه النسخة وجود نقص فيها في آخر حرف (الحاء) بين الورقتين

(١٨٥) و(١٨٦) فالأولى تنتهي بترجمة (الحنيني) أبو جعفر محمد بن الحسين الكوفي، قال عنه: «مات في جمادى الآخرة سنة ٢٧٧ هـ، وأبو يعقوب إسحاق ابن إبراهيم» ثم تنتهي الصفحة والتعقيبة في آخرها كلمة (الحنيني)، ولكن الصفحة التي تليها أولها لا ينطبق مع هذه التعقيبة ونصه: «سمع محمد بن يحيى الذهلي وغيره، سمع منه الحاكم وأثنى عليه ومات في جمادى الأولى سنة ٣٤٠ هـ. الحيواني ـ بفتح أوله وثانيه وواو بعدها ألف ونون نسبة إلى بيع الحيوان».

الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من (النسخة المحمودية) وفيها يبدو تاريخ النسخ واسم الكاتب

من هنا يتضح، كما في «اللباب» وغيره، سقوط تراجم من آخر حرف الحاء مع النون، وحرف الحاء مع الواو، وحرف الحاء واللام ألف، وتراجم من حرف الحاء مع الياء إلى (الحيكاني) وهو: محمد بن أحمد الحيكاني، روى عنه محمد بن يحيى الذهلي وغيره، وروى عنه الحاكم، وأثنى عليه، توفي في غرة جمادى الأولى سنة ٣٤٠ هـ.

وهنا ملاحظات تتعلق بالأصل:

أولاها: ما ورد في طُرَّة المخطوطة من نسبة الكتاب للمشهدي، وهي ما لاحظه الناسخ وأشار إليه في كلامه على الخيضري في آخر النسخة، إذ كتب في الهامش: «أنه ذكر في أوله ما لفظه: الثلث الأول من «الأنساب» للمشهدي، وليس للمشهدي، وإنما هو للخيضريِّ ـ رحمه الله».

الملاحظة الثانية: أنه ورد في رسم (الأُبِّدي) قال: «بضم أوله وتشديد الموحدة، ثم ذال ذكرها بالإعجام أبو حامد بن الصابر في تذييله على «إكمال ابن نقطة» وتبعه الحافظان ابن حجر والخيضري، وبالإهمال ابنُ الأثير والقاضي إسماعيل في «المقتبس» انتهى. فكيف يذكر الخيضري بهذه الصيغة وهو المؤلف، وقد علق كاتب النسخة على هذا في الورقة الـ (٥ ب) بما نصه: «قوله والحافظان ابن حجر والخيضري يدل على أن هذا المؤلَّف ليس للخيضري، وأنه للمشهدي الذي رقم في أوله والله أعلم» انتهى.

لكن الخيضري عندما يذكر ابن حجر ينعته بشيخ الإسلام أو بشيخه، ولا يذكره مجردًا من الوصف، كما وقع فيما تقدم.

الملاحظة الثالثة: أن المؤلف ينقل عن جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ)، أي بعد وفاة الخيضري بنحو تسع سنوات كما في رسم (البامي) و(البَيْنَعِي). وهو كثير النقل عن السخاوي الذي توفي سنة (٩٠٢ هـ)، وقد عَبَّر عنه في أحد المواضع بكلمة (شيخنا) وسبقت الإشارة إلى هذا، ومقارنة هذه النقول مع كون الخيضري ألف كتابه سنة ٨٤٤ هـ بحاجة إلى التثبت من كونها من أصل الكتاب، وقد يقال: قد تكون مما أضافه المؤلف بعد ذالك التاريخ، أو أنها مما أدخلها أحد من اطلع على نسخته من هذا الجزء، فنقلها الناسخ ولم يميز بينها وبين الأصل، ومثل هذا يحدث في المخطوطات القديمة.

ومع ما تقدم فلا شك من كون هذا الجزء صحيح النسبة إلى الخيضري، وبمقارنته بالمخطوطة التي في المكتبة العباسية في البصرة قد يتضح ما بدا استشكاله هنا.

ويظهر أن هذه النسخة من هذا الجزء انتقلت إلى المدينة من اليمن، نقلها أحد علمائها، وهو الشيخ محمد عابد السندي الذي استنسخ القسمين الباقيين من الكتاب فأضافهما إليها كما سيأتي في وصفهما.

وتقع هذه المخطوطة في (٢١٨) ورقة، في الورقة صفحتان، وفي الصفحة (٣٥) سطرًا في الغالب، بخط يقرب من الخط الفارسي، والكتابة واضحة إلاَّ أن بعض الكلمات اختلطت حروفها، فصعبت قراءتها، وفي بعض التراجم بياض يبدو أنه في الأصل، ويمكن إكماله من المصادر التي نقل عنها.

الحواشي:

١ ـ هي مكتبة مدرسة السلطان محمود أحد سلاطين الأتراك المعروفين، أنشأها بجوار الحرم النبوي ونوافذها مطلة عليه بقرب باب السلام، وكانت كتبها ـ حين زار المدينة اللواء إبراهيم رفعت باشا صاحب كتاب «مرآة الحرمين» سنة ١٣١٨ هـ ـ مجموعها (٤٥٩٦) كتابًا. وقد زرتها سنة ١٣٥٦ هـ وفيها بقايا من نوادر المخطوطات.

٢ ـ ج ١، ص ١٢٨.

وداعُ العميد.. عبد العزيز الرفاعي

شعر: محمد وليد الجنباز



مـا بـالُ رسمِك لا يـريـدُ تكلّما ... قلتُ: السـلامُ فما سمعتُ مُسلِّما
أينَ التحاورُ والنّقاشُ بدارةٍ ... يُبدي بها الأعلام رأيًا مُبْرِما
يتجاذبُ الأدباءُ أطْرفَ قصةٍ ... فيقولُ فيها العارفون تكرُّما
وعلى بساطِ البحثِ تُدْرجُ نُكْتَةٌ ... أدبيةٌ تَهَبُ العقولَ تَنَعُّما
ويدورُ طيفُ الشعرِ بين مسامعٍ ... من كل فَحْلٍ جادَ فيه تَرَنُّما
فيُشَنّفُ الآذانَ يأسر أنفسًا ... ويطيرُ فيها كي تطولَ الأَنْجما
كُنّا نريدُ من اللّيالي سرعةً ... لِتَحُل يا ليلَ الخميسِ وَتَسْلَما
طَوّفْتُ أنظُرُ فالأرائكُ قد خَوَتْ ... والدارُ واجمةٌ فما فَتَحتْ فما
أَيْنَ «البراءُ» بشدوه ونسيبه؟ ... بل أين «يحيى» قالَ شِعرًا مُفْعَما؟
أَيْنَ البلاغَةُ في دِلاءِ «طبانةٍ» ... «وأبو يمانٍ» قد أَجَابَ مُتَرْجِما؟
بل أينَ «موسى» لِلنّكاتِ بظُرفه ... وإذا تَصَدّر للحديثِ مُعَلّما (*)
وعميدُ هذا الركنِ يرعى جَلْسةً ... وتراهُ إِنْ جَدَّ النقاشُ تَبَسَّما
يَزنُ الكلامَ بِدِقّةٍ وَرَوِيَّةٍ ... مُتَسَمّعًا وإذا تَكَلَّم أَفْحَما
وإذا رأى نُضْجَ الحِوارِ لمُنْتَهى ... أَنْهى الحوارَ ونارَ شعرٍ أَضْرَما
فيُشير للشُّعراءِ أَنْ يَتَقَدّموا ... يُعطي الكبيرَ الحق أَنْ يَتَقَدَّما
يُصغي إِلى الشّعراءِ في إِنْشَادِهِمْ ... وَيُجيز بالتّصفيقِ شِعْرًا مُلْهَما
وإذا القَصائِدُ حَرّكَتْ آهاتِهِ ... يختارُ منْ بينِ القصائد أَقْوَما
فَيَقومُ يَطْلُبها بنفسٍ سمحةٍ ... والشكر والإِطْراءُ راحَ مُقَدّما

***

يا دارةَ الأَدَبِ الأصيلِ بروضةٍ ... ما زالَ رَسْمُكِ لا يُجيبُ مُصَمّما
خَبّرْ فديتُكَ فالسكُوتُ به أذى ... لمسامعي أرجوكَ أَنْ تَتَكَلّما
يا سائلي والدّمْعُ في حَلْقي شجًا ... فاعذرْ إذا أَضْحى لسانيَ أبكما
أضحى العميدُ جوار ربٍّ منعم ... يوم الخَميسِ وكانَ فيه مُكَرَّما
فبهِ بَنَى للشعرِ صالةَ عُرسِهِ ... وبه إلى الرحمن زُفَّ مُنَعَّما
يا لوعةً للقلبِ رِيعَ بفقدِهِ ... أَدَبُ الأَصالَةِ في الرياضِ وَيُتِّما
فالمجمعُ العلميُ يذرفُ حَسْرَةً ... دَمْعَ الأسى والشعرُ باتَ مُكَمَّما
وتركتَ أيتامَ الثقافةِ ضَيْعَةً ... باتوا طَوىً مِمّا أَلَمَّ وَخَيَّما
تبكيكَ أقلامٌ بزفرةِ آهةٍ ... وَنَدَى القريضِ يَفيضُ فيكَ تَرَحُّما
حَنَّ الترابُ كما ذكرتَ لأرْضِهِ ... لِثَرى الحجازِ بَكَى عليكَ وَسَلّما
وَفَّيْتَ حَقًّا للبلادِ وأهلِها ... تَسْعَى مُجِدًّا لا تَكِلُّ مُتَيّما
لولا دماءُ مَحَبّةٍ لثقافةٍ ... لتركتَ بنيانَ العلومِ مُهَدَّما
فَسَدَدْتَ ثغرًا حارسًا أركانَهُ ... غُرْمًا حملتَ وما جنيتَ المَغْنَما
أَسّسْتَ دارًا للثقافةِ فازْدَهَتْ ... وَنَثَرْتَ فيها ما أَفادَ وَعَلّما
يا صاحِبَ القلبِ السليم وَمَا بِهِ ... غِلٌّ ولا عَرَفَ الفؤادُ تَبَرُّما
أَبْشِرْ فَكَمْ واسيتَ نَفْسًا فارْتَقَتْ ... وَلَكَمْ جَعَلْتَ مِنَ المَحَبّةِ بَلْسَما
طُوبَى لِمَنْ جَعَلَ المَحَبَّةَ دَأْبَهُ ... وَبَنَى السّعادَةَ في القلوبِ وَتَمّما
مهما ذكرتُ من الصّفاتِ مُقَصّرٌ ... فوقَ الكلام فما أَرَقَّ وَأَحْلَما
أَبْكَيْتَ أَعْيُنَ صحبةٍ فارقْتَهُم ... وَخَلا المَكَانُ مِنَ الحبيبِ فَأَظْلَما
عبدَ العزيزِ عليكَ رحمةُ رَبّنا ... ندعو لِتَرْقَى لِلجِنانِ مُنَعّما

(*) كان هؤلاء الأساتذة الأفاضل من أركان خميسية الرفاعي ـ يرحمه الله ـ وحضورهم دائم: البراء ابن عمر الأميري ـ يحيى المعلمي ـ د. بدوي طبانة ـ د. عبد القدوس أبو صالح ـ أحمد الخاني ـ موسى أبو السعود.

لقاء الأجيال:

«الجد - الأب - الحفيد»

عبد التواب يوسف



أدرت العبارة «لقاء الأجيال» في رأسي، متسائلا:

- هل هو «لقاء» و«اتفاق» الأجيال، أم هو «خلاف» الأجيال، و«صراع» بينها، و«فراق» لا محالة؟!

وتذكرت ما نقله إليَّ صديق زار الصين، قال لي:

- هم يديرون مؤسساتهم بطريقة فريدة. . لو أن مجلس الإدارة عشرة أفراد، سيكون بينهم أربعة من الشباب، وأربعة من كبار السن، واثنان من متوسطي العمر، كي يكونوا جسرا بين هؤلاء وأولئك.

والعالم كله عبر تاريخه، قد تنبه إلى أن هناك فجوة بين الأجيال، إن اتسعت تمكن الصراع فيما بينها، وإذا حاولوا تضييقها أصبح من الممكن التعاون والتآزر، وأن يسلم كل جيل الراية مرفوعة للجيل التالي، بعد أن يسلحه بالخبرة والتجربة، دونما غضب أو ضيق. على أن ذلك قد يكون نظريا من الميسور، أما الواقع فهو ما نراه وما نلمسه، وما نريد له التغيير من الطريق وقد بذل علم النفس جهدًا طيبًا في هذا المجال بهدف فهم الأجيال بعضها لبعض، ولتخفيف حدة التوتر والصراع، وصولا إلى معاهدة سلام ووئام وعلاقة ود وحب.

هذه القضية أبعادها ومراميها

في البداية، لا بد من تحديد للهدف من دراسة هذه القضية والتعرف على أبعادها من الواضح أننا نريد لهذه الأجيال أن تعيش معا في وئام وسلام، وأن تسود العلاقة بينها المودة والمحبة، وأن تتعاون لما فيه خيرها جيلا بعد جيل، مواكبين العصر، لا تتخلف عنه، ولا نعود للوراء. .

وهنا نتساءل عما هي هذه «الاجيال». .

«الجيل» كلمة تعني مرحلة ضرورية، من مراحل بقاء الحياة، أي أن كل واحد من المخلوقات يمضي ومن بعده آخر، فالجد يمثل جيلا، ومن بعده الأب جيل آخر، ويأتي الطفل جيلا ثالثا، وهم يقدِّرون الجيل بعدد من السنين تتراوح ما بين ٢٥ و٣٠ سنة وفي المعجم الوجيز: «الجيل، ثلث القرن يتعايش فيه الناس وجمعه أجيال». . وتتردد عبارة «صراع الأجيال» على ألسنة الكثيرين، وهم يعنون بها أن كل جيل يتصارع مع من سبقه، أو من يلحق به، إذ يتشبث الكبار بمواقفهم وآرائهم وأفكارهم ولا يتنازلون عنها، ويصرون عليها، ويرون في الجيل الثاني أنه غير أهل لتحمل المسؤولية، بينما ترى الأجيال الصاعدة فيمن سبقوهم أنهم يعيشون في زمن مضى، وأنهم جامدون، غير متطورين، بل غير قادرين على مسايرة الزمن، من هنا يأتي التصادم والصراع بين الأجيال. . وقد يتصاعد ذلك الصراع، ليشكِّل في بعض الأجيال ثورة، وقد حدث ذلك في أماكن متفرقة من عالمنا في أوقات متفرقة، لعل أشهرها ثورة الشباب في فرنسا في أواخر الستينيات، وما بعدها وكانت ثورة عارمة، فقد أحسوا أن المسنين والشيوخ وكبار السن، يسدون عليهم الطريق، في كل مجال من مجالات الحياة، إنهم يتشبثون بقوة بمواقعهم، ولا يغادرونها، وقد ارتفع متوسط الأعمار في السنوات الأخيرة، وتجاوز الكثيرون سن السبعين بل الثمانين وما زالوا بصحة جيدة، وقادرين على أداء أعمالهم، وما من سبيل أمام الشباب إلا الانتظار، الذي يدوم طويلا، وفي خلال سنين طاقاتهم الكبيرة لا يجدون ما يفعلون، إلا تلقي أوامر هؤلاء والكثير منها، إن لم يكن أغلبها قديم، عتيق، متخلف وبالٍ ولا يساير الزمن، ولا يواكب العصر، وكلما أبدوا رأيهم وأعلوا من صوتهم واجههم المسنون بأن ما يقولون به إنما هو ثمرة خبرة السنين، وإن أجيالهم جاهلة عابثة غير قادرة على تسيير دفة الأمور، أو تحمل المسئولية. . وحبس الشباب ضيقهم في صدورهم، ورددوه فيما بينهم إلى أن حانت لحظة الانفجار، فانطلقوا يصرخون بما كانوا يكتمون، وبما كانوا يتبادلونه فيما بينهم، وكانت

لقاء الأجيال
الجد - الأب - الحفيد

الثورة عارمة، وكانت لها أصداؤها في كل العالم. . ولم يستطع الشيوخ مواجهتها، وكان لا بد للشباب من أن يأخذ فرصته، ويحقق بعضا من آماله وأحلامه وطموحاته، ولم يكن الشيوخ بقادرين على أن يقاوموا طويلا، فقد وهن العظم منهم، والفكر أيضا. . ويجدر بنا أن نلفت النظر إلى أن شيئا من هذا القبيل يتبلور الآن لدى شبابنا، إذ إن كبار السن يتحكمون في مصائرهم، ويحتلون مقاعد الرئاسة في مجالات شتى، وحان الوقت لكي يتركوا مواقعهم.

تجربة خاصة وفريدة
في مجال التعامل بين الشباب والمسنين

في اليوم الأول لتسلمي عملي - في مطلع الشباب - أحيل إلى المعاش واحد من المسؤولين في المؤسسة، وكان من بين الذين اختبروني قبل شهور، من أجل هذه الوظيفة. . ودعيت ظهر ذلك اليوم للاحتفال به، وكان قد أبدى خلال الاختبار تقديرًا خالصًا لي. . وفور توقيعي على استلام العمل راحت الأفكار تلهث في رأسي، ومن بينها: كيف رضيت لنفسي سجن الوظيفة؟!. . ورأيت أن أثبت أنني قادر على التحرك، وإني ما زلت حرا، غادرت المؤسسة إلى الشارع، أتسكع، وقادتني قدماي إلى مكتبة، وقفت أتطلع إلى الكتب المعروضة، وإذا ببصري يقع على كتاب عنوانه: «كيف تحال إلى المعاش وتبدأ الحياة؟»، ورأيتني أندفع إلى داخل المكتبة لأشتريه. . وحدق فيَّ صاحبها في دهشة، متسائلا: لماذا أشتري كتابا من هذا اللون في سني الغض؟!. . قلت له: إني تسلمت عملي الوظيفي منذ دقائق، وإني أريد أن أهديه لرجل أحيل إلى المعاش في ذات يومي، فامتدح الفكرة، وتحملت ثمن الكتاب وكان أكثر مما تحتمله ميزانيتي، جاملني بخصم بسيط، ووضعه في لفافه أنيقة. . وفي الحفل، قدمت اللفافة للرجل، فاندهش الجميع، وعندما فتحها، فتح عينيه في ذهول، وأمطرني بعبارات الشكر والثناء. . لكن المفاجأة أنه أضاف:

- هل تعرف أنك بحاجة أكثر مني - الآن - إلى قراءة هذا الكتاب؟ يجب أن تستعد منذ الساعة ليوم ترك الوظيفة. . وسوف أعيرك هذا الكتاب بعد أيام لتقرأه وتعيده إلي. . وقد حدث. .

وكان لهذا الحدث أثر كبير في نفسي، فقد نبهني في سن مبكرة إلى ضرورة أن أهتم بالمستقبل، وبالذات ما بعد سن المعاش. . وقد رأيت عددا كبيرا من الناس في بلادنا تعتريهم الكآبة، عقب تركهم لعملهم، وودعت نسبة منهم الحياة فيما بين الستين والحادية والستين. . هم يحالون للمعاش وهم في أوج نشاطهم الوظيفي، وعلى قمة السلم، ويلقون ممن حولهم التبجيل والاحترام، ويمارسون سلطاتهم على نطاق واسع، وفجأة بين عشية وضحاها ينتهي كل ذلك، ويتوارى الواحد منهم، لا يجد ما يفعله، لأنه لم يعد لهذا اليوم عدته ولم يرتب له هواية يمارسها، أو حرفة ينهض بها. .

من أجل ذلك أراني أنبه الأطفال والشباب إلى ضرورة أن يكون لكل منهم مجموعة من الهوايات تستغرقهم، وإذا هم لم يحتاجوها في سنهم المبكرة، انتظرتهم إلى السن التي يجدون لديهم فيها فراغا عريضا، يمكن أن يبتلعهم إذا هم لم يبادروا من اليوم بالاستعداد له. . إنها مسؤولية كل فرد، قبل أن تكون مسؤولية الآخرين، نعم، التكافل قد يعين، ويساعد، لكن صاحب الشأن لا بد أن تكون هذه هي مسؤوليته، ويحسب لها كل حساب منذ وقت طويل، لأنه قد لا يجد من يفكر له، وما من سبيل لكي يوسعوا له مكانا، بل يجدر به أن يفسحه لنفسه، ويفرضه فرضا، بما اكتسب من خبرات خلال رحلة الحياة، التي امتدت به إلى هذا العمر.

علاقات بالغة الخصوصية
بين الأجداد والأحفاد

كنت أزور إحدى دور النشر الأمريكية الكبرى في نيويورك، وصحبتني مضيفتي إلى مائدة عليها أحدث ما أصدرته الدار من كتب للأطفال، ألقيت عليها نظرة طائر، ثم امتدت يدي إلى واحد منها، قلبته بسرعة. . كانت كلماته قليلة، التقطت بعضها، وأدركت من السياق أهمية الكتاب، وسألت مضيفتي:

- كم نسخة وزعتم من هذا الكتاب؟

ردت بلهفة: لماذا تسأل؟

قلت: أتصور أنه باع الملايين.

فتحت عينيها في دهشة كبيرة، وقالت:

- كيف حكمت بهذه السرعة؟!. . لقد وُزع فعلا بالملايين. . وحين اخترته للنشر لم أتوقع له هذا، وما زلت لا أدري السر في هذا الإقبال المنقطع النظير عليه. .

قلت: هذا كتاب أعتقد أن المسنين يقبلون على شرائه. .

سألت: ماذا؟! إنه كتاب للأطفال. .

قلت: أعرف. . هم يهدونه إلى أحفادهم!

ابتسمت، وعقبت: يبدو أن هذا هو السر. . إنه لم يخطر ببالي!

وسألتني: كيف حال الجد مع الحفيد في بلدكم؟

ضحكت وأنا أقول: متوسط الأعمار في بلدنا قليل، شخصيا لم أر جدي وجدتي لأبي، وجدتي لأمي، ولا أكاد أذكر أباها. . أعمارنا قصيرة، وقليلون منا هم الذين يلحقون بهذه المتعة. .

عقبت: خسارة كبيرة. .

وتحدَّثَتْ طويلا عن هذه الصلة الحميمة بين الجد والحفيد في أمريكا، وكيف أن العلاقة بينهما قوية، لأن كلا منهما في طرف من العمر، وهما يلتقيان على حب غامر. .

تذكرت ذلك، وأنا أقرأ عملا بالغ الروعة، من تأليف ورسم الفنان الكبير «تومي دي باولا» يحكي عن جد كان يساعد حفيده على تعلم المشي، وعلى النطق. . وكبر الاثنان، ومضى الطفل إلى المدرسة، لكنه عاد منها ليندفع إلى حديقة جده كالمعتاد، وإذا بهم يقولون للصغير إن جده نقل للمستشفى، سألهم زيارته، لكنهم لم يمكنوه من ذلك، فالرجل مصاب بشلل، لن يتأتى له

إزاءه أن يعرف حفيده . . وبعد شهور طالت - ربما ثمانية - نقلوا إليه أن الجد سيعود للبيت، ونبهوه إلى أنه قد لا يتعرف عليه، ورجع الجد ليرقد في الفراش مشلولا . . والصغير يؤكد أن جده يعرفه تمام المعرفة . . عيناه تنطقان بذلك . . وراح الطفل يتردد على جده، في غرفته، ويحاول معه أن يعلمه كيف ينطق، وكيف يتكلم، إلى أن نجح في إطلاق عقدة لسانه، بل بدأ الجد ينزل من فراشه، والصغير يعلمه كيف يخطو ويسير، والصورة الأخيرة في الكتاب لهما، وهما يتمشيان معا في طرقات الحديقة . .

إنها قصة مؤثرة تكشف عن علاقة الجد بالحفيد، وكيف أنهما فعلا «طرفان يلتقيان»، ويتجاذبان، ولا يتنافران، وما من صراع بينهما، بل هما متحابان، متعاونان . .

أما الكتاب الواسع الانتشار الذي أشرت إليه، فيحكي عن مراحل عمر الإنسان منذ مولده، إلى المرحلة الأخيرة من العمر، وعنوانه: الشجرة المعطاءة للكاتب الكبير «شيل سلفكرين» . . وهو ينبه الصغير إلى أن الشيخوخة آتية، وعليه أن يستعد لها من الطفولة!

لماذا ينشب الصراع بين الآباء والأبناء؟

ينشب الصراع بين الأطفال وآبائهم من منطلق واضح، هو أن كلا منهما له عالمه الخاص به، ويخطئ الكثيرون حين يظنون أن الطفل «رجل صغير» وأن الطفلة «امرأة صغيرة» . . الأمر الذي يدعوني كثيرا للتساؤل وأنا أتجول في مرابع طفولتي . .

- ترى، هل أنا ذلك الطفل الذي كان هنا؟ ماذا بقي منه بداخلي؟ إذا لم أكن هو فمن أكون الآن؟ هل أنا شخص آخر؟!

عالم الأطفال، وعالم الكبار منفصلان تماما . .

الطفولة تعيش عالما يحتشد بالأحلام والآمال، ويمتلئ باللعب والعبث، له دوافعه وميوله، ورغباته واحتياجاته، وقد رصدها علم النفس، وصنفها، ووضع قوائم لها، ليس أيسر من الرجوع إليها . .

والكبار لهم عالم آخر، يسيطر عليه «الواقع»، وإن اجترُّوا دائما الماضي، وعايشوه بقدر أوضح من معايشة الحاضر والمستقبل، وقد كانوا هم أيضا موضع اهتمام علماء النفس، بهدف البحث عن شيخوخة هادئة، خالية من القلق الشديد بالنسبة لهذه المرحلة من العمر.

ويشب الأطفال ليصبحوا شبابا، ويتزوجون وينجبون، ويكبر اباؤهم ويصبحون أجدادا ومسنين، ونجد أنفسنا أمام أجيال ثلاثة، بل يحدث أحيانا أن يلحق البعض بجيل رابع . . ومن الواضح أن الصراع لا يتم في أغلب الأحيان إلا فيما بين جيلين متواليين، ويخمد ويهدأ ما بين الجيل الأول والثالث، بل يتحول إلى علاقة جميلة، ولعل قصة «دي باولا»، خير تعبير عن هذه الصلة الحميمة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل الصراع بين الجيلين المتواليين حتمي وضروري ولا بد منه، لأنه إنساني وطبيعي؟ أم من الممكن تفاديه بقليل من التنازل عن الأفكار الثابتة مِنْ كل مِنَ الجانبين؟ ثم مَنْ هو الجانب الذي عليه أن يتنازل أكثر: أهم الشباب، ولهم في المستقبل فرص أكبر، أم هم الشيوخ الذين هم أخصب تجربة وخبرة؟! . .

من الواضح أنه ليس من السهل لأحد الطرفين أن يتنازل بالكامل فيقبل الشباب «كل» ما يراه الآباء، أو يرضى المسنون بجميع ما يريده الأبناء . . ذلك ليس سهلا ولا ميسورا، والمطلوب تحكيم العقل فيما ينشب من خلاف، وأن يحاول كل طرف تفهم ظروف الطرف الآخر، وأن يتقاربا، من أجل الصالح العام، إذ إن الصدام - وبخاصة إذا تجمد كل جانب عند رأيه وموقفه - لن يفيد أحدا . . وسوف تكون آثاره بعيدة المدى، تعود بالضرر عليهما معا . .

وتبقى سبل تضييق الهوة، وسد الثغرة، وهي سبل عدة، ويجب التدرب عليها منذ سن مبكرة؛ لكي تكون هناك مرونة في التفكير، وتقبل للرأي الآخر واحترامه، وليعرف كل جيل دوره ومسؤوليته، بلا تجاوز، لتكون هناك مساحة أكبر من الاتفاق، وذلك أفضل من أن تكبر وتتسع الخلافات . . وعلى المسن أن يتذكر أنه كان شابا ذات يوم، وأن يتنبه الشاب إلى أنه سوف يكون مسنا بعد فترة تطول أو تقصر . . وكما كانت تقول جداتنا في القرية المصرية (كله سلف ودين) . . وإذا كنا نمسك بزمام الأطفال كآباء سوف يمسكون هم بزمامنا عندما يكبرون ونشيخ، وكما نحسن يحسنون والعكس صحيح .

○ صراع الأجيال وتصادمها في صالح تقدّم المجتمعات؛ لأن كل طرف يشحذ له أفكاره وإمكاناته .. ولكن بشرط !!

المسنون ومحاولات الشباب لإزاحتهم عن الطريق بالعنف

كثيرة هي الدراسات والكتب الصادرة عن المسنين، ولهم. وليس أيسر من الرجوع إليها، وجانب كبير منها يتحدث عن رعايتهم والاهتمام بهم . . بل إننا نعثر على قصص للأطفال تثير هذه القضية، أحيانا يجريها مؤلفوها في دنيا الحيوان، ومن أشهرها الحكاية التي قرر فيها القرود التخلص من المسنين، وإبعادهم، وإلقائهم فيما وراء الجبل . . وقد فعلوا ذلك بقسوة وعنف، فيما عدا واحد منهم، أخفى جده، وراح يرعاه . . وفجأة جاء الغزاة، ولم تعرف القرود الشابة كيف تتصدى لهم، فما كان من القرد الذي أخفى جده إلا أن لجأ إليه، ولم يضن هذا عليه بالرأي والمشورة، وكان ذلك هو سبيل خروج القرود من الأزمة، لكنهم تنبهوا إلى أن زميلهم هذا ما كان باستطاعته أن يأتي بهذه الأفكار، ولما حاصروه بأسئلتهم اضطر للاعتراف بأمر جده الذي أخفاه، فكرموه ومضوا إلى ما وراء الجبل ليعودوا بكبار السن، ويرعوهم . .

وليست هذه هي القصة الوحيدة، وفي تراثنا قصة كتبها تولستوي عنًّا،

لقاء الأجيال
الجد - الأب - الحفيد

وسرقها ناقل القصص الشهير، ووضع اسمه عليها مؤلفا كعادته . . القصة عن جد كان يرتعش وهو يمسك الأكواب، وهو يتناول طعامه من الأطباق، وكان يكسر هذه وتلك، فما كان من ابنه الشاب إلا أن نحاه بعيدا عن المائدة، وأتى له بأدوات من الخشب أو الصفيح . . وسأل الحفيد أباه . .

- هل هذه الأدوات لن تنكسر يا أبي؟

قال الأب: نعم، لماذا تسأل؟

وجاءه الرد قويا عنيفا: لأنني عندما أكبر سأجعلك تأكل فيها وتشرب منها!

وهناك قصة هندية باكستانية من نفس اللون، إذ ضاق الابن الشاب بأبيه العجوز، الذي يأكل دون أن يعمل، ولم يشفع له الماضي الطويل لدى ابنه، وقد طلب منه أن يغادر البيت ذات ليلة ممطرة، وإذا بالحفيد يسأل أباه أن يحضر للجد ما يتقي به المطر، ووافق الأب، لكن الصغير تأخر في إحضار الملاءة، واستعجله والده، وإذا بالطفل يعلن أنه يقطعها لنصفين: نصف للجد، اليوم، والآخر يستبقيه لحين خروج والده في ليلة مثل هذه، في المستقبل! . .

إنها الفكرة عينها . . والثلاثية نفسها: الجد، والأب، والحفيد . .

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي يحتاجه المسنون من رعاية؟

بداية، لا بد من الحنان والعطف، ولا بد أن يمنحها الشاب ليحظى بهما مستقبلا . . كما أن الرعاية الصحية مطلوبة، وبخاصة أن أمراض الشيخوخة كثيرة، ومتكررة، وطويلة المدى في العلاج، الذي يحتاج إلى المال . . ثم الرعاية المادية، حيث يقل الدخل، فلا إنتاج، لكن هناك معاش قليل، قد لا يكفي . . ويتبقى عامل الوقت، الذي يشعر خلاله المسنون بالسأم والملل، وهناك القليل مما يمكن ممارسته شغلا لهذا الوقت، واستثمارا له إذا كان ذلك في المقدور ومن الممكن . . ويحتاج المسنون في هذه المرحلة إلى من يسمعهم، ولا يضيق بهم، ويحتمل حديث ذكرياتهم وأمجادهم، وهو حديث يطول، ويتكرر إلى حد الملل . .

هذه هي احتياجات المسنين، فيما نرى، ونقدر . .

المسنون ومحاولاتهم المستميتة للإبقاء على وضعهم المستبد بالشباب

عدد كبير من المسنين، إذا كانوا في صحة جيدة، وقادرين على العمل، تستبد بهم الرغبة في الإبقاء على أوضاعهم، وإدارة أعمالهم وأموالهم، وحرمان الشباب من التصرف بحجة عدم النضج وقلة الخبرة، ولسنا ندري كيف يحصلون عليها إذا هم لم يمارسوا العمل والنشاط؟ إن المسنين، قد لا يتقبلون الجديد في سهولة ويسر، ويصعب عليهم مواكبة العصر - إلا فيما ندر - ويحدث الصراع بل الصدام مع الشباب بسبب اندفاع هؤلاء وحماستهم. وفي تقديرنا أن هذا الصراع - كما تقول الكاتبة الامريكية العمياء الخرساء هيلين كيلر - انتصار في حد ذاته، لأن كل طرف يشحذ له أفكاره وإمكاناته، ومن خلال هذا الصراع يحدث التقدم، ويرى البعض ضرورته والقضاء عليه يُوَلّد لونا من «الركود» في الحياة، إذ يعني أن طرفا قد انصاع للآخر، فيتنازل الشباب عن حقه في تحمل المسئولية، ويصر المسنون على استبقاء الأمور في أيديهم . . أو العكس . . ونحن بذلك نخسر جانبا، ولن تتولد من الصراع تلك الشرارة المقدسة التي نرى على ضوئها حقيقة الأمور . .

ونحن نضيق بتشبث بعض المسنين بآرائهم وجمودهم إلى حد أنه يحدث أحيانا أن تتمنى الأجيال الجديدة أن يمضوا من الحياة، ليخلوا لهم الجو، بل ربما سعى قليلون منهم إلى تحقيق ذلك، وهو مما يزعجنا بشدة .

البعض يدين المسنين المستبدين، وآخرون دون الشباب مسؤولون!

وفي تقديرنا أنه لا بد من خطوات من كل جانب تجاه الآخر، لكي يتم «اللقاء» وسبيلنا إلى ذلك «الحوار» الذي يجب أن يكون هادئًا، وإن كان ساخنًا في بعض الأحيان، إلا أنه يجب ألا يخرج عن حدود مرسومة له سلفا، هي الاحترام المتبادل بين الطرفين.

ونحن بحاجة ماسة، منذ نعومة أظفار الأطفال، إلى التنبيه إلى هذه القضية، ليشبوا وهم مدركون لأبعادها، ويأتي ذلك خطوة خطوة، انطلاقا من احترام الصغير للكبير وتوقيره . . مع تنبيه الكبار إلى أنه احترام متبادل، وأن التسلط على الطفل ضار، والأطفال ليسوا - كما أردد دائما - أكوابا صغيرة والكبار إبريق شاي ينسكب ما فيه إليهم، بل هم كائنات حية لها خصوصيتها وعالمها . . لا بد أن تشارك التربية في إيصال مفهوم تتابع الأجيال وتواصلها، وللإعلام دوره الكبير في هذا الشأن، إذ إن برامج الشباب وإذاعاتهم لا بد لها أن تلفت النظر إلى أبعاده . . ثم تأتي البرامج الموجهة لكبار السن، وكان وما زال لدينا برامج مثل ربيع العمر، ولقاء الأجيال، وما شابه ذلك، ويجب دعمها، كما أننا نحتاج لبرامج تستهدف المسنين، وتدريبًا لجليس المسن، وراعيه، إذ هو دائما في حاجة إلى من يهتم به، ويسمعه، ويدير حوارا معه . . ولا بد من المزيد من الكتب والدراسات الخاصة برعاية هؤلاء . . ونحتاج لكتب مشتركة لجيلين أو أكثر، لتعميق الإحساس بالقضية، والكشف عن كافة أبعادها .

وبعد . . .

إن تواصل الأجيال أمر بالغ الأهمية في عصرنا، بعدما ارتفع متوسط الأعمار، ولن يتأتى ذلك إلا بتوقير الصغير للكبير، واحترام الكبير للصغير . . وهي ليست كلمات تقال فحسب، بل من المحتم أن تكون هناك ممارسات عملية لها، وألا نكتفي بمجرد ترديدها، ولا نرغب في تسليم مطلق أو رضوخ كامل من أحد الجانبين، بل لا بد من (لقاء) و(خلاف) لا يفسد للود قضية، تتوهج من خلاله الأفكار، وتتوثق العلاقة، ولا توهن خيوطها وتضعف . . . ويتلقف كل جيل الراية ممن سلفه، لتبقى عالية مرفوعة، خفاقة على مرّ الأزمان .



د. توفيق الفيل

البلاغة العربيّة بين جهود القدماء والدراسات المعاصرة

أجراه : حسن علي دبا

الحرب على البلاغة العربية ما تزال قائمة ؛ والسبب يكمن في كونها علمًا قرآنيًا . . ويتواكب ذلك مع حركة الشعر الحديث ، والأمر يدعو لقيام منهج جديد للبلاغة ، تُدرس فيه من خلال الأدب وتعود إليه ، بعد أن وضع عبد القاهر الجرجاني الأصول العامة لهذا العلم .

وهذا ما يحاوله الدكتور توفيق الفيل أستاذ البلاغة بكلية الإنسانيات بجامعة قطر في دراساته الجادة التي عُرف بها ، وبحوثه الأصيلة التي ينشرها ، ورؤاه المبدعة في علم البلاغة . في هذا الحوار يكشف لنا جوهر الموقف البلاغي ، كما يظهر لنا خفايا الجهل بعلم البلاغة عند أولئك الذين لم يرتادوه ، وشق عليهم ، ولم يجدوا أمامهم سوى الحرب عليه .

اللغة بين الحقيقة والمجاز

○ أنكر بعض العلماء المجاز في اللغة ، ربما كان ذلك خوفا من أن ينسحب على القرآن الكريم . وبعضهم أثبته في اللغة وأنكره في القرآن . والعلاقة بين الحقيقة والمجاز علاقة شائكة لم تحسم بعد . . هل يمكن لنا أن نعرف رأيكم في هذه القضية؟

■ الخلاف حول هذه القضية في نظري هو خلاف لفظي ، أو خلاف حول قضية غير واضحة المعالم ؛ لأن المجاز هو حقيقة ، فعندما نُعبِّر بالمجاز عن فكرة من الأفكار يكون هذا التعبير حقيقيا في هذه الفكرة . على سبيل المثال : عندما نأتي إلى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ [يوسف : ٨٢] . يقول بعضهم : إن هذا مجاز في «اسأل القرية» فالقرية هي مبانيها وحيوانها ونباتها وجمادها وأناسيها ، فكل هؤلاء يعدون في القرية ، والسؤال لا يقع على القرية ، ولا يقع على مبانيها ، وإنما عندما نأتي للتعقل نقول : اسأل أهل القرية ، اسأل العقلاء منهم مثلا ، وهذا تقدير بعض النحاة .

ولو قدرت هذا التقدير لفسد المعنى الذي جاءت الآية تعبر عنه ، ولا بد أن يكون التعبير الحقيقي حقيقيًا فعلا ، ويقع السؤال على القرية نفسها ؛ بإنسها وحيوانها ونباتها وجمادها ؛ لأن الآية جاءت للدفاع عن النفس من تهمة محيطة بالرقاب ، تهمة تحيط بأبناء يعقوب ـ عليه السلام ـ من جميع الجوانب ، وصحيفة السوابق ـ كما نقول ـ تؤكد أنهم مذنبون ، وجميع الأدلة والبراهين والقرائن ضدهم ، وهم في الحقيقة أبرياء من هذه التهمة بالذات ، لكن لهم تهمة سابقة معروفة هي ما فعلوه بيوسف والادعاء بأن الذئب أكله ، والمرة الثانية عندما شك يعقوب عليه السلام فيهم ، وبعد ذلك رجعوا ليقولوا له إن ابنك سَرَق ، وهو لا يتصور أن يكون ابنه قد أعده ورباه ثم يقولوا له سرق ، ولهذا يقول كبيرهم ارجعوا إلى أبيكم فقولوا له إن ابنه سرق ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا ، وما كنا للغيب حافظين . واسأل القرية التي كنا فيها . . ﴾ وهنا يقع السؤال كما نقول : (اسأل طوب الأرض) اسأل كل ما هو على الأرض فسوف ينبئك أننا أبرياء ، هنا التعبير المجازي هو الوحيد الذي يعبر عن الموقف . وإذا أخذنا وقدرنا تقدير بعض النحاة «واسأل أهل القرية» يفسد البلاغة .

أدب التشخيص قديم بالمجاز!

وإذا لم أقل أن هناك مجازا ، فكيف نتصور قول الله تعالى : ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت . . ﴾ [يونس : ٢٤] فكيف تأخذ الأرض زخرفها وتتزين؟ وكيف سنفسر قول الله سبحانه وتعالى : ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهي تفور ، تكاد تميز من الغيظ﴾ [الملك : ٧] ، كيف يكون لها شهيق؟ هنا يتحدث عن شخص كامل متكامل وهو ما نسميه في الأدب «التشخيص» الذي يزعمون أنه جديد ، وأنه وليد أدب المهجر . فجهنم هنا كأنها شخص مغيظ محنق ، وبطبيعة الحال عذاب المغيظ المحنق غير عذاب العادي ، فعندما يعاقب الأب ابنه وهو في حالة ضيق منه يكون العقاب شديدًا ، ولكنه عندما يكون عقابًا على مسألة عادية دون ضيق فيكون عقابًا خفيفًا ، فكيف ورد إلى أذهان هؤلاء القول بإنكار المجاز؟ .

البلاغيون والمجاز

○ ما ملامح هذه الرؤية : بذلك المعنى وتلك الصياغة في تاريخ البلاغة العربية . . وهل قال أحد من البلاغيين بذلك؟

■ كثيرون ، صحيح أنهم لم يشيروا إلى هذا صراحة ، لكن بعضهم من أمثال عبد القاهر الجرجاني قال : «إن إنكار المجاز في القرآن يُذهبُ ببلاغة القرآن ، ويوقع الذين ينكرون المجاز في عيوب كبيرة منها التشبيه والتجسيم» . إن ابن حزم ـ وهو معروف بأنه من الظاهرية ـ أنكر المجاز وقال : « إن كل ما في اللغة حقيقة ، وعندما نأتي ونقول رأيت أسدًا ، ونحن نقصد الرجل ، يكون الأسد حقيقة في الرجل» . وهذا كله كلام في رأيي مضطرب ، ولا يستقيم .

حوارمع: د. توفيق الفيل

المجاز لون من ألوان الحقيقة

○ إذن ما العلاقة بين الحقيقة والمجاز في ضوء هذاالفهم؟

■ المجاز لون من ألوان الحقيقة، ونلجأ إليه في موقف معين، إذ لا يعبر عنه إلا هو، ولذلك يقول البلاغيون: المجاز أبلغ من الحقيقة، لماذا؟؛ لأنه في هذا الموقف الذي يعبر به عنه لا تعبر الحقيقة عنه، وإليك بعض الأمثلة: فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ [نوح: ٧] كيف يجعلون أصابعهم في آذانهم؟ العقل يقول إنهم جعلوا قطعة من أصابعهم وهي الأنامل، ولكن التعبير بالأصابع هنا لتبين شدة إصرارهم على عدم السماع، يريدون أن يغلقوا آذانهم ويحكموا الإغلاق حتى لا يسمعوا. وآية أخرى تقول: ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت﴾ [البقرة: ١٩] هذا التعبير بالمجاز يعبر تعبيرًا غير مباشر عن شدة الخوف، فهم خائفون جدا وخائفون من الصواعق، ومن الرعد، ولهذا يصوِّرهم كأنهم يغلقون آذانهم حتى لا يستمعوا، فإذا جئت إلى الحقيقة وقلت يجعلون أناملهم في آذانهم أو يضعون جزءا من أصابعهم في آذانهم لا تؤدي المعنى كما ينبغي.

المجاز والحقيقة والكذب

○ ما العلاقة بين الكذب والمجاز على ضوء قربها أو بعدهما من الحقيقة؟

■ المجاز لون من ألوان التعبير عن الحقيقة، عن المعنى، كما قلت، ويعني أنه عندما يعبر عن المعنى يصبح حقيقة في هذا المعنى، وهو طريق من طرق التعبير، لا دخل له بالكذب ولا بالصدق. الصدق والكذب الأخلاقي لا دخل للحقيقة البلاغية الاصطلاحية ولا للمجاز الاصطلاحي فيه.

مشكلة المستمع

○ لكن السامع قد لا يدرك هذا البعد الاصطلاحي، وقد يستمع إلى مجاز يعبر عن الحقيقة فيرجع إلى الدلالة الحرفية بذهنه، وقد لا يدرك مجازية التعبير هنا رغم أنه صار حقيقة؟!

■ عندما نتحدث عن الاصطلاح فإن ذلك يعني أننا نتحدث مع من يفهم المصطلح، ومن يعيه، أما من لا يعرف المصطلح فنحن لا نحدثه عنه، ففي المثال الذي ذكرته من قبل [اسأل القرية] فإن الفعل الذي وقع في قوله تعالى، وقع في القرية حتى كأنه يريد أن يقول له اسأل كل شيء في القرية، بخلاف أن يقول له اسأل من في العير، أو اسأل أصحاب العير، أو اسأل أهل القرية؛ لأن قولة اسأل أهل القرية تختلف كثيرا في التعبير العادي عن التعبير القرآني.

ولا بد أن نسلم أن لغة العرب لم تستخدم كلها على النطاق الموضوع لها، بمعنى أن يعبر اللفظ عما وضع له. ولكنهم خرجوا بالألفاظ عن المعاني التي وضعت لها، واستخدموها في معان أخرى جديدة، كما استخدموا أيضا ما نسميه التجاوز في التراكيب، بإسناد لفظ لما ليس له في الحقيقة. كإسناد الفعل لغير ما هو له.. فعندما نقول في رمضان [نهار صائم] هل النهار يصوم؟ لا، وإنما النهار يصام فيه، أو [ليل قائم]، الليل لا يقوم، وإنما يقوم الناس في الليل، فهنا نقول: إنه أسند الصيام إلى النهار والقيام إلى الليل.

القرآن الكريم ولغة العرب

○ هل يمكن اعتبار ذلك ردًا على من يقول بأن القرآن الكريم ليس فيه مجاز؟

■ القرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب، يستخدم لغة العرب، وكل الأبعاد التي كانت تستخدم فيها. لكن الذي يفك الاشتباك هو أن المجاز ليس كذبا، والحقيقة ليست صدقا، وإنما الحقيقة لون من ألوان التعبير عن المعنى، والمجاز لون آخر من ألوان التعبير عن المعنى.

ملامح المنهج الجديد لدراسة البلاغة

○ لقد أشرتم من قبل إلى منهج جديد للبلاغة العربية. ترى ما أهم ملامح هذا المنهج الذي يُمَكِّن الدارس المعاصر من استيعاب علم البلاغة، ونقض الصورة التي ارتسمت في الأذهان عن البلاغة العربية؟

■ هذا المنهج الجديد لا بد أن يعود بنا إلى فترة تطور البلاغة العربية.. فلقد نشأت في أحضان القرآن الكريم، وهي من غير شك ـ وهذا أمر معروف ومسلم به ـ علم قرآني. فعندما أراد الناس أن يبحثوا في البلاغة كان هدفهم الوقوف على إعجاز القرآن الكريم: إعجاز القرآن للباقلاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّماني، والخَطَّابي، والجرجاني، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

بدايات علم البلاغة

○ إذا عدنا لنشأة علم البلاغة ـ بعد أن أشرت إلى نشأته القرآنية ـ فهل يمكننا تحديد بداياته؟

■ نشأ أول كلام مكتوب في البلاغة سنة (٢١٠ هـ). بدأ الناس يتحدثون فيما يسمى بالبلاغة في أشياء قليلة: الرماني يتكلم في البلاغة عن التشبيه وجمال التشبيه، والتفاوت بين الكلام والتفاوت بين كلام وكلام، وسبب الكلام في مثل هذه الموضوعات هو أنهم يريدون أن يبينوا أن القرآن الكريم كلام الله لا تصل إليه قدرة بشرية.. فجدَّ المسلمون في البحث في علم البلاغة. وظهرت بداية البحوث في البلاغة في القرن الثالث الهجري، واستمرت فترات التوهج والازدهار في الثقافة الإسلامية إلى القرن الخامس الهجري، ثم بدأ التوقف في الإبداع. ولذلك لم تبلغ البلاغة المدى الذي كان يجب أن تصل إليه، أو وصلت إليه العلوم الأخرى.

ويعتبر كتاب البديع لابن المعتز أول كلام في البلاغة في القرن الثالث.. قال: «إن هذا الذي يقول عنه الناس إنه البديع، وأن مسلم بن الوليد هو الذي وضعه، وأن أبا تمام جاء وبناه، وكثَّر في

شعره، غير صحيح، وأن هذه الأشياء كانت موجودة في الشعر الجاهلي، والقرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر الإسلامي». ويأتي بالقضايا التي زُعِمَ أنها من البديع مثل الاستعارة وحسن التشبيه وبقية الأشياء التي تكلم عنها ويستشهد على كل واحد منها من الشعر الجاهلي، ثم من القرآن الكريم، ثم من الحديث النبوي، والشعر الإسلامي ويقول في مقدمة كتابه البديع: «لأبين أن مسلم بن الوليد ومن تخيله لم يضع هذا الفن، وأنه كان موجودًا قبلهم، ولكنه كثر في كلامهم ففسد شعرهم». وهذا هو أول كلام عن أشياء منظمة في البلاغة، عن الاستعارة والتشبيه البليغ والمذهب الكلامي ورد أعجاز الكلام على صدورها، وبعض المحسنات الأخرى التي ذكرها ابن المعتز.

ماذا أضاف الجرجاني؟

○ ترى ماذا أضاف القاضي الجرجاني في القرن الرابع بعد ابن المعتز في نظركم؟

■ كان حديثَ القاضي الجرجاني حديثًا سريعًا عن التشبيه، وعن بعض الأشياء مثل مقومات الحُسْن في الاستعارة أو القبول في الاستعارة، وكذلك فعل الآمدي والرماني والمبرد فقد تحدثوا عن التشبيه. ولكن هذه ليست البلاغة؛ لأن كل هذا يدخل في نطاق علم البيان، وحتى علم البيان عندهم لم يكتمل. حتى ظهر عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس.. وللأسف واكب ظهوره مرحلة انحدار الثقافة الإسلامية فتوقفت البحوث.. وكل من جاء بعده بدأ يدور حول هذه القضية، ويُقَعِّد لعملية البلاغة، ويضع لها القواعد مثلما حدث من السكاكي في كتابه المفتاح.

السكاكي مظلوم!

○ اشتهر السكاكي في «مفتاح العلوم» بتأثره بالمنطق اليوناني، وأطلق عليه بعضهم «معقد البلاغة» ويبدو أنها تحولت على يديه إلى درس مدرسي، أو قواعد تعليمية. ترى أين ترون موقع هذا البلاغي في تاريخ البلاغة العربية، وما مدى اقترابه من المنهج الجديد لدراسة البلاغة العربية الذي تبشرون به؟

> ”اتهام السكّاكي بتعقيد البلاغة غير قائم على أساس علمي.“

■ لقد قيل عن السكّاكي كلام كثير، وبخاصة ما يتعلق بتأثره بالمنطق اليوناني، لكن كل ما فعله أنه ضبط قواعد البلاغة، وحددها، ومال في عمله إلى التحديد والتقسيم. ويبدو أن طه حسين أو غيره هو الذي سك العبارة الآتية: [ثم جاء السكاكي فعقد البلاغة]، وبدلا من قراءة كتاب السكاكي، استسهل الجميع هذه العبارة.

قدم السكاكي دراسة في علم الأصوات، ومخارج الحروف في اللغة، ثم قدم علمي الاشتقاق الكبير والصغير ثم علم الصرف، فعلم النحو، وعلم المعاني وعلم البيان.. ثم يقول بعد ذلك: «ولما كان الأدب واحدًا من أمرين: إما أن يكون شعرًا أو نثرا، فإن كان شعرًا فأنت محتاج إلى علمي العروض والقافية؛ فيقدم العلمين ويشرحهما ثم يقول: فأما إذا كان نثرًا فأنت محتاج إلى أن تعرف شيئا عن علمي الحد والاستدلال».

رد على سلامة موسى

○ وضع علوم العربية بهذه الدقة قد يرد على دعوى سلامة موسى بأن بلاغة العرب قائمة على الانفعال؟

■ إن هذا خير رد على سلامة موسى حين نفى عن بلاغة العرب أنها بلاغة منطق وقال إنها بلاغة انفعال، فالسكاكي هنا يفرق بين الشعر كفن يثير العواطف بما فيه من جرس وغيره، وبين فن أدبي نثري يمكن أن يخاطب العقل، ولا بد له أن يأخذ شيئا من المنطق، ولذلك يقول: [وجدت أنه لا بد من التسمح] ويعني بذلك أن يتسامح فيقدم شيئا عن علمي الحد والاستدلال في كتاب المفتاح، وهذا هو سر تسميته لكتابه مفتاح العلوم؛ لأنه يشتمل على مجموعة العلوم.

بين السكاكي والجرجاني

○ هل يمكننا أن نقارن بين جهود كل من السكاكي وعبد القاهر الجرجاني في البلاغة العربية؟

■ ما قام به السكاكي هو ضبط للقواعد، وتحديدها، فصارت قواعد منضبطة بطريقة مدرسية، وهذا ليس عيبا فيه، فهو يريد للمتعلم أن يجد أمامه قاعدة منضبطة.. لقد كان السكاكي عالمًا، ولم يكن أديبًا، أما عبد القاهر الجرجاني فقد كان أديبا، يعالج قضايا البلاغة علاج الأديب، لا يتوقف عند التعريف أو التقسيم كثيرا، ولكنه يعالج القضية برمتها.

ما موقع السكاكي في العلم؟

○ ما موقع السكاكي ـ بعد بيان هذه الصورة ـ في الدرس البلاغي العربي وهل يمكن أن يؤخذ عليه موقف في تاريخ البلاغة؟

■ يبدو أن كتاب السكاكي كان ذا قيمة في عصره فعكف عليه العلماء بالشرح والتفسير والتلخيص، وهذا ليس عيبًا فيه، ولكنه عيب الأمة التي كان فكرها الإبداعي قد توقف.

إن الأمر الذي يؤخذ على السكاكي هو أنه سحب البلاغة من نطاق الأدب، وجعلها قواعد، ولم يهتم بالنص الأدبي اهتمام عبد القاهر الجرجاني مثلا؛ فقد كان عبد القاهر يأتي بالشاهد ويحلله ويبين مواطن الجمال فيه، يتحدث في قضايا تتعلق بعلم الجمال.. في كتاب أسرار البلاغة وفي دلائل الإعجاز، في أحد المواضع يقول: «إنه جمع اتفاقا في اختلاف، وعلم الجمال اليوم يقول: إن الجمال هو اتفاق المختلف، أو الوحدة ولا وحدة، أو التناسق ولا تناسق». لكن عبد القاهر بذوقه كان يعايش النص، والشواهد، يتحدث عن قضية الحذف، أو يتحدث عن السرقات، فلا يدرسها كما يدرسها النقاد العرب الآخرون، لكنه يدرس الإضافات التي يضيفها هذا الشاعر أو ذاك على المعنى، يعطي

د. توفيق الفيل

الإضافة التي جاء بها، حتى إنه في بعض الأحيان يقول إنه فاق الأول وزاد عليه.

العودة إلى النص

○ هناك بوادر دراسة البلاغة العربية بمنهج جديد بعد هذه الجولة في الدرس البلاغي وبداياته المتأخرة كما ذكرتم، ما حقيقة هذا المنهج؟

■ إن المحاولة التي قمت بها هي الرجوع إلى الفترة التي كانت من قبل، وهي التي حاولها الشيخ محمد عبده حينما درس الإعجاز - دلائل الإعجاز - في الأزهر. لكنها محاولة لم تستمر.

وحقيقة المنهج هي محاولة التخلص من الأقسام والحدود الفاصلة في البلاغة، والرجوع بها إلى النص الأدبي.

إن أي محاولة للتجديد في البلاغة ينبغي أن تبدأ بتحديد الهدف: ماذا نريد من البلاغة؟ ثم بعد ذلك نفرق بين أمرين نخلط بينهما الآن وهما: تاريخ العلم، وحقائق العلم.. ففي تاريخ العلم نتساءل: هل مسيرة علم البلاغة بدأت وأنجزت شيئا، ومتى توقفت؟ وعن حقائق العلم نتساءل: هل مسيرة علم البلاغة قد أسفرت عن حقائق يمكن أن نستفيد منها؟

إن هناك جهودًا مثل جهود عبد القاهر الجرجاني تفيد البحث الأدبي.. وما دامت هناك حقائق قدمها علم البلاغة فلابد من الإفادة منها.

ظاهرة الحرب على البلاغة

○ هناك ظاهرة يمكن أن يلمحها المراقب وهي محاربة البلاغة العربية التي أصبحت قاسمًا مشتركًا عند أصحاب الاتجاهات الفكرية المعادية للإسلام.. هل يمكن البحث عن أسباب الظاهرة وتحديد مسارها؟

■ الذين يحاربون البلاغة العربية هم بين صنفين: إما أنهم جهلوا البلاغة وهي تتطلب جهدًا كبيرا، وجهدهم قاصر، وإما أن ما تحتاج إليه البلاغة من دراسات تسبقها ليست متوافرة لديهم.. لقد اهتم النقاد في السنوات الأخيرة بجانب الموضوع فقط، وانصرفوا إلى المعنى.. فلم يهتم الناقد الآن بالجانب اللغوي في نقده.. وهذا اتجاه وقف ضده الجاحظ قبل عام ٢٥٥ هـ. وأبو عمرو الشيباني تكلم عن المعنى والحكم في الأدب أيضا. ويعتبر نقد المعنى - الذي يهتم به النقاد الآن - تقويما للأدب وليس نقدا له؛ لأن المعاني ملقاة في الطريق، لكن كيفية صياغتها هي محك المفاضلة الحقيقي.

وسوف نضرب مثالا لمن يهاجم البلاغة العربية: فكل إنسان يعبر عن الحرية، ولكل فن أدبي أصول وقواعد هي التي يقاس الفن الأدبي على أساسها، وأساس الالتزام بها، وعندما نحصر الأدب في أنه عبر عن البروليتاريا، فهل هؤلاء هم الناس فقط، والبشر الآخرون ليسوا من الإنسانية.. إن هذا الاتجاه سقط بسقوط الصنم الذي كانوا يعبدونه، فالأدب والفن انتقاء وارتقاء.. والأدب لا ينزل إلى الناس، بل يرفع الناس إليه وهو تعبير عن الإنسان، وكل ما يعبر عن الإنسان مجال اهتمام الأدب.

لقد تخلص مهاجمو البلاغة العربية من الفصحى في السينما والمسرح. وقالوا: يجب النزول إلى الشارع واستخدام العامية، إنه امتداد لسلامة موسى الذي بدأ الحرب على البلاغة وقال: «لم تتخلف الأمة إلا بدراسة بلاغة العرب».

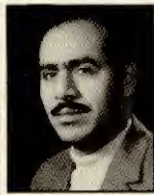
ويكفي البلاغة شرفا أنها علم قرآني، ولعل هذا سبب آخر لاضطهادها، وإعلان الحرب عليها مثل الحرب على العروض والقافية.

حركة الشعر ومراحل الحرب!

○ هل حركة الشعر الحديث وابتعادها - بدرجات متفاوتة - عن العروض والقافية يمكن أن تكون امتدادًا للحرب على البلاغة العربية؟

■ أي كلام لا يلتزم قانون اللغة في صرفها ونحوها ومجازها لا يعد كلامًا. فليس من الشعر قول واحد لا يلتزم نظاما في الوزن ولا يتقيد تماما بالتفعيلة ويخرج عليها، فقد تزيد التفعيلة في بعض الأبيات، وتقل في الآخر، ويمكن أن يكون هذا تجديدا، يستخدم اللغة في أصولها ويستعين بما تعطيه اللغة من إيحاءات، وموسيقى للتغلب على ضعف النغمة الموسيقية.. مثلاً.

وغرض الشعر الحر هو أن يقال إن القرآن شعر ومحمدًا شاعر، حتى لو تحقق ذلك بعد عشرين أو ثلاثين أو مائة سنة. أما المرحلة الأخيرة في هذه الحرب فهي الانقطاع عن الثقافة العربية.. فليس المقصود هو شعر المتنبي أو غيره فقط، لكن مقصدهم هو قطع الأمة عن ثقافتها، والقرآن بالتحديد. والتوجه إلى «أدونيس» و«بوتيكات» الثقافة في بيروت وغيرها وقد قال د. إحسان عباس: «إن هؤلاء هم إما من النصارى أو اليسار الساقط، أو الأقليات ذات الأصول العرقية».



○ الدكتور توفيق الفيل
- ولد بمصر عام ١٩٣٥ م.
- ليسانس دار العلوم ١٩٦٢ م.
- ماجستير دار العلوم ١٩٧٢ م.
- دكتوراه في الآداب - كلية الآداب - جامعة عين شمس ١٩٧٦ م.
- أستاذ مساعد البلاغة العربية - جامعة الكويت.
- أستاذ البلاغة بكلية الإنسانيات بجامعة قطر، حاليا.
- من مؤلفاته: القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي - فنون التصوير البياني. تحقيق بالاشتراك: التبيان في البيان - من قضايا النقد والبلاغة.. عدا البحوث المنشورة مثل: بلاغة التشبيه في القرآن الكريم، إعجاز التكرار في القصص القرآني، طه حسين وقضية التأثير الهلليني، عمود الشعر: دراسة في المصطلح النقدي - مسوغات القبول في صور المجاز - قراءة ثانية في شعر عمر بن أبي ربيعة. إضافة لمجموعة من الدراسات الأسلوبية في النصوص الشعرية.
- له تحت الطبع: بلاغة التراكيب - من أدب الفكاهة والمنادمة.

ويحه! ماهذه الرّائحة؟!

د. صلاح يحياوي

كان منذ سبعة وعشرين عاماً موفداً من قبل جامعته إلى ندوة دولية لمدرسي الكيمياء في الجامعات، أقيمت في جامعة إيموري EMORY في مدينة أتلانتا ATLANTA في ولاية جورجيا في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي إحدى الأمسيات كان في زيارة زميل ارتاح إلى رفقته عندما دخل عليهما شاب رافقته هبة من رائحة كريهة تشبه رائحة السمك النتن، وكانت الرائحة تزداد شدة شيئًا فشيئًا، لم يمكث هذا الأخير سوى عشر دقائق تحادث فيها مع صاحبه، وما إن غادر الغرفة حتى هُرِعَ هو ليفتح النوافذ كي يجدد هواء الغرفة ويسأل زميله:

ـ ويحه! ما هذه الرائحة؟! لعله يعمل في شركة لتخزين السمك؟

فأجابه زميله:

ـ لا. إنه أحد زملائنا في الندوة، وقد جئنا معاً إلى هنا.

قال:

ـ لعله لا يغتسل قط!

فأجابه زميله:

ـ لا. إنه لا ينفك عن الاغتسال واستعمال مزيلات الروائح، ولم يعرف حتى الأطباء سبب هذه الرائحة التي تفوح منه.

أخذ هو يبتعد عن مجالسته، وعن الدنو منه طيلة أيام الندوة، ثم عاد إلى وطنه، ومرت الأيام والسنون تترى، ونَسِي الأمر إلى أن قرأ حديثًا أن أحد الباحثين البريطانيين في: ST. MARY'S HOSPITAL MEDICAL SCHOOL قد وجد أن اضطراباً كيماوياً حيوياً قد يكون السبب في رائحة الجسم التي تشبه كثيراً رائحة السمك المتفسخ، علماً بأن نصف المصابين به لا يحسون بتلك الرائحة.

أطلق الباحث على هذا المرض اسم «متلازمة رائحة السمك» "FISH ODOR SYNDROME"، وقال:

ـ إن سبب المرض هو عدم مقدرة الجسم على استهلاك ثلاثي مثيل الأمين الذي له رائحة السمك، حتى لو كان ممدداً إلى جزء واحد بالمليون، ذلك أن لدى أغلب الناس الأنظيم (الأنزيم) الهاضم الذي يحول البروتين إلى منتج ثانوي عديم الرائحة، إلا أن الناس ذوي هذا الاضطراب تعوزهم مُوَرّثة ـ جين GENE ـ هذا الأنظيم.

وقد تقود هذه المتلازمة صاحبها إلى الكآبة والهبوط؛ لأن الأطباء الذين يعرفون تشخيص هذا المرض هم من القلة بمكان.

لقد بدأت آخر دراسة لهذا المرض بعد أن نشر الباحث مقالاً حول دراسات مسبقة له في صحيفة بريطانية، وكان من نتيجة ذلك أن أرسل ١٨٧ من القراء رسائل إلى الباحث الدكتور رياض عايش يصرحون فيها بأن لديهم أو لدى أولادهم مشكلة رائحة جسم مماثلة.

اختبر الدكتور عايش ١٥٦ من هؤلاء فلم يجد سوى أحد عشر مصاباً بهذا الاضطراب الكيماوي الحيوي، وعزا الرائحة لدى الآخرين إلى مشكلة كيماوية حيوية أخرى.

يقول الدكتور عايش: إن أغلب هؤلاء المرضى يذهبون إلى أطباء ممارسين أو مختصين، ليسمعوا الاتهامات توجه إليهم بأن عنايتهم بصحتهم عناية رديئة، أو بأنهم ذوو مشكلات نفسية.

ويضيف الدكتور عايش: إن تجنب أكل السمك والبازلا والبيض وفول الصويا وبعض منتجات الحليب لا يحول دون وقوع المشكلة، غير أن تناول مضادات حيوية على نحو مؤقت قد ينقص الرائحة.

ويقول الدكتور دانييل بودولسكي PODOLSKY رئيس قسم الأمراض الهضمية في MASSACHUSETTS GENERAL HOSPITAL في الولايات المتحدة: هناك حالة أخرى قد تكون السبب في رائحة النفس والبول والعرق، رائحة تشبه رائحة الجوارب المتسخة أو المبللة بالعرق، هي حالة وباء حمض إيزو الفاليريك ISO VALERIC ACIDEMIA، وهو مركب كيماوي عضوي كريه الرائحة جدا.



قراءة في سجل الاستعمار الثقافي لبلدان العالم الثالث

نور الدين بليبل

ابتليت بلدان أفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينية خلال القرون الأخيرة بالمستعمرين الغربيين الذين استعبدوا شعوبها، واستباحوا ثرواتها وخيراتها، وأبادوا جزءًا غير يسير من ثقافاتها وعاداتها، ونقلوا إلى هذه البلدان أنماط حياتهم وعاداتهم وفنونهم ودينهم، وعملوا تارة بالعنف والقوة، وتارة أخرى بالإغراء، على جعل هذه المظاهر الثقافية ذات النزعة التسلطية النموذج والمثال لكل تحضُّر أو تقدم. أو ابتعاث أو ازدهار حقيقي... !؟

نرجسية مفرطة

إن الاستعمار الغربي الذي اجتاح بلدان جنوب الكرة الأرضية (العالم الثالث)، قد كانت تغذيه فلسفة تمجد تفوق الرجل الأوربي وتتباهى بمدنيته، وقد ورد هذا في عبارات صريحة الدلالات في قاموس تريفو اليسوعي: «الأوربيون هم شعوب الأرض الأكثر تهذيبًا والأكثر تمدّنًا، وبشكل رئيس في تلك البلدان التي تسمى ليبرالية حرة في التجارة، في الملاحة، في الحرب في الفضائل العسكرية والمدنية. إنهم أكثر بسالة، أكثر فطنة، أكثر كرمًا، أكثر نعومة، أكثر اجتماعية، أكثر إنسانية».

بيد أن الغزوات الأوربية على مر القرون الأخيرة نتج عنها - كما يوضح **الأستاذ دحماني محمد** - استئصالٌ للحضارة غير الغربية في سياق يكاد يكون منظمًا، وانتشار ثقافات أوربا الغربية مما قلب العادات رأسا على عقب، أو هزها على الأقل، وكذلك التقاليد والتراث الاجتماعي في مجموعه بما في ذلك دين الشعوب التي خضعت للنظام الاستعماري ومعتقداتها.

وقامت أوربا التوسعية بنقل نماذجها الثقافية أثناء الفترة الاستعمارية بكاملها (المدرسة، التعليم، برامج التكوين) إلى مستعمراتها، لكن دون أن تتجاوز أبدًا مستوى معينًا؛ حتى لا يتكون ويتطور وعي وطني يضع نشاطها الفكري (أيديولوجيتها) ومخططاتها في خطر.

النفوذ الثقافي يتسلل في إثر النفوذ السياسي

يسهم نقل المعلومات الجديدة في تغيير الهياكل الاجتماعية والسياسية، حيث إنها (أي المعلومات)، إما أن تعمل على دعم مختلف الأفكار الموجودة من قبل، أو أن تؤدي إلى تغيير البنيات المميزة الكائنة، وهي تسهم أيضا في تغيير المميزات الثقافية، وبخاصة القيم الكبرى التي ترتكز عليها، وهذه التغييرات تؤثر بدورها بشكل قوي في أنواع السلوك والتصرفات الاقتصادية والاجتماعية.

ويشير **الأستاذ لويس دوللو** إلى ذلك بقوله: «إن النفوذ الثقافي يتسلل دائمًا في إثر النفوذ السياسي والقوى الاستعمارية الكبرى - قوى أسبانيا والبرتغال في أمريكا اللاتينية، وقوى بريطانيا في آسيا وأفريقيا، وقوى فرنسا في الهند الصينية وأفريقيا الشمالية وأفريقيا السوداء - لا تزال إلى اليوم تستفيد من ذلك».

ويستطرد قائلا: «ثم إن النفوذ الثقافي لا ينفصل عن السلطة السياسية، ومن الصعوبة أن نجد في تاريخ بلد أنه ظل حيا ثقافيا بعد أن اندثر سياسيا، فيوم زالت بلاد الإغريق القديمة عن المسرح السياسي تلاشى إشعاعها الثقافي.

وهكذا فقد سخّر الفرنسيون كل الوسائل لتهديم وطمس معالم الشخصية الوطنية الجزائرية من خلال حظر تدريس اللغة العربية وتشويه الثقافة الوطنية، وذلك في سياق مسعاهم لمحو كل طابع ذاتي للجزائر، وتحقيق دمجها النهائي بفرنسا.

وقد أصدر الاستعمار الفرنسي خلال عام ١٩٠٤م، قانونًا يمنع أي معلم عربي من أن يتعاطى مهنته إلاّ برخصة تحدد نشاطه وفق شروط أهمها ما يلي:

١ - اقتصار التعليم على تحفيظ القرآن لا غير.

٢ - عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد.

٣ - استبعاد دراسة التاريخ العربي الإسلامي، والتاريخ المحلي، وجغرافية القطر الجزائري، والأقطار العربية الأخرى.

٤ - استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه.

علاوة على ذلك قامت الإدارة الاستعمارية بإغلاق كل الأبواب في وجه الجزائريين حتى لا يتمكنوا من تَعَلُّم لغتهم، وعلى نقيض ذلك قامت بفرنسة الإدارة والاقتصاد والتعليم، ومحاربة العقيدة الإسلامية من خلال تحويل المساجد والمدارس إلى

كنـــائس وثكنـــات، أو حتـى إلى إصطبــلات للحيوانات وبيوت للدعارة.

وفي السياق ذاتـه يؤكـد الداعيـة الشيخ **محمد الغزالي** أن الاستعمار الغـربي الـذي هــاجم العـالم الإسلامي من بضعة قرون كان مزدوج الهدف، فهو طامع في خيرات الشرق الكثيرة، التي يراها ميراثًا لا صاحب لـه، وهو في الوقت نفسـه مثقل بضغائن قديمة، يكره الإسلام كراهية شديدة، ويضيق بكل من ينتمي إليه ويشتد ضيقه بـالعرب خاصة؛ فهم قـوم محمد وحملـة رسالتـه ولا تزال لغتهم مستـودع كتابه.

التبشير والاستعمار وجهان لعملة واحدة

إن الاحتـلال الغربي لبلـدان العـالم الثالث قـد قضى على جـزء مهم من ثقافـاتها الأصيلة، وشـوه طبيعتها، وقتل روح الإبداع والابتكار لدى فنانيها.

فلقد أحـاط الفرنسيون الطبيعة الجزائريـة منذ الأيام الأولى لاحتلالهم للبـلاد بإطار استعماري ذي غايات معقـدة، وإطار اقتصادي من أجل تثبيت الاحتلال، وتنمية السوق الجديـدة، وإطار قانوني وتشريعي من أجل تـأمين المستـوطنين، وإعطـاء الإدارات أدوات الهيمنـة، إنه إطـار تبرز فيه قـرى ذات قرميد أحمر، مجمعـة وراء ستائر من الأشجار، حول الكنيسة، والبلدية والمدرسـة، إنه إطار رمزي للامتلاك الذي من شأنه أن يتحدى الزمن.

وفي أمريكا الـلاتينية، كما يبين الأستاذ **جورج أنزيك أدوم** فإنه: «قبل أن تصبح أمريكا (لاتينية) كان الفنـان مندمجًا حقيقـة.. في المجتمع، حيث كان يؤدي وظيفة لا تعـوض، لقد برهن عن تصور مذهل وخلاق، يبرز في الآثـار الحجرية الكبرى، البنـاء، النحت، الخزف، النسيج، والصيـاغـة. وبدأ مع الاحتلال الأسبـاني الاستعمار الثقافي الذي جرَّ القـارة لاستغلال مهارة حرفيّي المنطقـة لإنتاج الـورشـات والمدارس والمصـانع والصـور الموجهـة بالجملـة لملء الكنائس التي أنجزهـا بعض الأهالي وفق مخططـات مستوردة من أسبـانيا أو البرتغـال، وذلك تحت إشراف مهندسين معماريين أجانب».

ويقـول الأستـاذ **فيلـوتيـو سـام إرينغـو**: «إن المخطط العمــراني للمحتـل، وكـذلـك فنـونـه التشكيلية كـافة تـرمي إلى محو كل آثـار الحضارات السابقة؛ لأن هدفه الأسـاسي هو استئصال جذور التفكير الديني الذي يعترض عملية التبشير.

وعلى صعيد العالم الإسلامي، فقد تصدى كل من **جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبدالرحمن الكواكبي، وعبد الحميـد بن باديس**، وغيرهم من المفكـرين الوطنيين لمحـاولات المبشرين، وكشفـوا الصلة الوطيدة بين التبشير والاستعمار.

ولقد كانت بداية التبشير طلائع للاستعمار. إذ اتخذ الاستعمار من التبشير أداة طيعــة في يـــده،



عبد الرحمن الكواكبي — عبد الحميد بن باديس

وجعل همه الأول تحطيم اللغـة العـربيـة والعنـايـة باللغات العامية واللهجات الإقليمية».

وفي إطـار حملات التصـدي، فقـد نظم علماء الجزائر (علماء الـدين وبعـض المفكـرين) عـام ١٩٣٠م، بقيادة **عبد الحميد بن باديس** حملة ضد نـزع الثقافـة الـوطنية تحت شعـار «**الإسلام ديني، والعربية لغتي، والجزائر وطني**».

ومن الجدير بالتـذكير أن المبشر الديني والمعلم كانا نموذجين للغزو الثقافي الفرنسي، ومن خلالهما انتشرت اللغـة الفـرنسيـة عبر العـالم، بينما انتشرت الإنجليـزيـة أولا بـواسطـة أفكـار. وحتـى عـام ١٩٠٠م، كما يؤكـد السير «**هارولد نيكولسون**» في تقريـر نشر عام ١٩٥٥م، كانت المملكـة المتحدة تعتبر أنـه ليس على العـالم إلاّ أن يعجب بها وينقل عنها.

تغريب... ومسخ

إن مأساة العالم الثالث تكمن في كونه تخلى عن وسطه الأصيل، واندمـج بإرادته أو دون إرادته، في العالم الغـربي دون تهيئة تاريخيـة مسبقة، فالنماذج المفـروضة عليـه (أو) التي يحاول أن يعيـد إنتاجهـا بعنـاد في مجالـه ليس لها من الـروابط إلا القليل مع الوسط الطبيعي والإنساني.

ويوضح الباحث ريني دوبتر (من هايتي): «بأن الــوضع الاستعماري عــلاوة على أنــه يُصَيِّرُ الإنسان غـريبًا عن شخصيتـه، فهو يجعلُه حـاقدًا على نفسـه بل خجـولا منهــا، ثم يضيف قـائلا: «بعـدمـا نـزع الاستعمار مني اسمـي وسلب مني مـاضيّ وذاكـرتي، صــار يسرق مني أيضـا كيـاني النفسي وأســـــــــاطيري، وكـل أسرار جمالي كإنسان...».

ويـواصل: «... وبعد أن ألقيْنَـا العبوديـة، أدت طـريقة جعل الإنسـان مجرد شيء إلى طريقـة أخرى وهـي: الإدماج الثقـافي للمستعمَر ـــ أسود كان أم عربيًّا، أو صينيا ـ أو من أمريكا اللاتينية، هنديا كان أم ماليزيًّا، وبالنسبة للإنسان الذي زج بـه في هذه الحلقـة التثقيفيـة الـرهيبة، فإن العبـارة الشهيرة «مـا أنا إلاّ شخص آخـر» التي قـالها «**آرثر رنبو**» تصبح «ما أنا إلا إنتاج ثانوي أنجلوساكسوني» ـ «ما أنا إلاّ ذلك الإنتاج الثانوي اللاتيني» ـ «ما أنا إلا ظل مجمـــد تحت شمس الغــــرب المسيحي الغازية».

إعادة صياغة تفكير شعوب العالم الثالث

وفي خضم هذا الاجتياح الثقافي الغربي، كانت

قراءة في سجل الاستعمار الثقافي

البلدان الاستعمارية تبدو متمسكة بمسعاها في إعادة صياغة تفكير شعوب العالم الثالث، أو إعادة بنائه بحيث يصبح على صورة ومثال تفكير الشعوب الغربية دون أي إدراك خاص للطريقة التي تطور بها العلم، وقد أدى هذا في بعض بلدان آسيا وأفريقيا إلى ظهور جيل من العلماء الاجتماعيين ذوي النظرة الضيقة، الذين يجدون صعوبة في تكييف أنفسهم مع حقائق الحياة الاجتماعية والسياسية في بلدانهم لدى عودتهم إليها من الخارج، وأدى كذلك إلى افتقار الفهم لدى بعض المهندسين والتقنيين (التكنولوجيين) عندما تواجههم مشكلات تكييف القدرات المحلية، واستغلال هذه القدرات في خدمة الحاجات المحلية وفقًا لوسائط تتضمنها ثروات بلدانهم.

وهكذا فإن المثقف الإفريقي أو الآسيوي أو الأمريكي اللاتيني المتكوّن في باريس، أو لندن أو واشنطن، ينتمي بعض الأحيان كما يقول **مالك بن نبي** إلى وسطه الثقافي بروابط خفية أكثر من انتمائه إلى مسقط رأسه.

إن الاستعمار عمل على خلق نخبة من المثقفين آمنت بالاندماج بعد أن تشربت الثقافة الاستعمارية، وأصبحت بالتالي تؤيد الاستعمار، الذي كثيرًا ما اتخذ منها سندًا وعضوًا، وهكذا حدثت هُوّة خطيرة عميقة بين النخبة في العالم الثالث والجماهير الشعبية في بلدانها.

إن أصالة ثقافات شعوب العالم الثالث ونبل مقاصدها، كانت دائمًا محل هجومات المستعمر البغيضة والحاقدة، وهو الذي كان يشجع نشر الأعمال الأدبية والفنية الرخيصة، ويوفر لها سبل رواجها وذيوعها وسط الجماهير العريضة. وهذا كاتب فيتنامي يصور لنا ممارسات الرأسمالية (الإمبريالية) الثقافية، بقوله: «إن النفس تكاد تنفجر، عندما تتصفح المنشورات الأمريكية «الفنية والأدبية»، وترى أن الإشادة بالحياة على النمط الأمريكي تكاد تكون بأسلوب فردوسي وأن عظمة الإمبريالية الأمريكية الشرسة مقدسة تقديسًا، كما أن أشهر الأبطال مثلا، هو ذلك الشاب الذي يصير مرتزقًا أمريكيًا، أو تلك الفتاة التي تتاجر بجمالها مع الجنود الأمريكيين الذين يُنظر إليهم أحيانًا كمنقذين محررين».

لقد كان لِلّقاء بين الثقافتين العربية والفرنسية مدة قرن من الزمان آثار بعيدة المدى، فقد أدى هذا اللقاء إلى ظهور نخبة صغيرة متفرنسة جدًا ومعزولة عن العربية لغةً وثقافة، ومتحمسة لتطبيق النموذج الغربي وغرسه بأرض شعبها تحت ستار العصرنة أو التقدم، وهي تعرض نفسها بيدها إلى مسخ شخصية شعبها وإرثه الحضاري الهائل وتشويهه.

وذلك في الوقت الذي يجمع فيه المختصون بأنه لا يمكن لأية ثقافة حقيقية وأصيلة أن تنفصل عن حياة الشعب، لأن الثقافة تفسر القواعد الأساسية والصور التعبيرية لفكرة المجتمع وإرادته المصيرية.

ففي أمريكا اللاتينية، كان رسم الجداريات كما يبين **الأستاذ «أنتونيو»** في إنشاءاته البارزة دوما انعكاسًا للفن الأوربي، وفي الوقت نفسه للإرث السلفي الذي انبثق عنه، وهكذا فإن طليعة العشرينيّات شهدت تأثير فرنسا، ورسامي الجداريات الأسبان، وتأثّر رسامو الأرجنتين بالإيطاليين. ومهما كان مصدر وطبيعة التأثيرات، فإن فن أمريكا اللاتينية تنقصه الأصالة حسب الباحث، لكنه رغم هذا يجب الاعتراف كما يضيف: بأن الرسم الأصيل لثلاثة وجوه من المكسيك وهم: **دياغو ريفيرا** (١٨٨٦ - ١٩٥٧ م)، **جوزي كليمانت أوروزوكو** (١٨٣٣ - ١٩٤٩ م) **ودافيد إسيقيروس** (١٨٩٨ - ١٩٧٤ م)، قد أثر في الأوربيين، فإن **ريفيرا** قد أثر في **هاستنقس ووايت بارنس**، وكذلك في عدد من الفنانين الألمان، وبفضل رسام الجداريات المكسيكي، فإن فن أمريكا اللاتينية قد حظي بإعجاب الأوساط الثقافية الأوربية.

ولقد كان هناك دائما تعارض بأمريكا اللاتينية بين تيار دعاة الوطنية، ودعاة الثقافة الأجنبية، لكنه رويدًا رويدًا ودون فقدان الإلهام الأصيل، تبنى الفريق الأول قيم الفنون التشكيلية والشكلية للثاني، وهذا الأخير امتزج بالأسباب الوطنية.

في حين يجب الاعتراف، بأنه في الربع الأول من هذا القرن كان التعارض صارخًا بين دعاة تيار الأفكار الخارجية، ودعاة التيار الوطني، ويجب تخطي هذه الفترة لمشاهدة ظهور وعي أمريكي لاتيني بحماسة بارزة للأرض التي ظهر بها.

لقد أصبح الفنان في العالم الثالث في غالب الأحيان، متأثرًا دون وعي بالإنتاج التجاري أو النوعي الغربي، وبالإنتاج الكمي دون الكيفي، وفي هذا الشأن يرى باحث من أمريكا اللاتينية أن الفن قد ترك نهائيا البحث عن الأصالة ليتوجه إلى البحث البسيط.

ويؤكد كاتب آخر من القارة نفسها بأن التيارات الفنية الكبرى لأمريكا اللاتينية التي ظهرت بين ١٩٢٠ م و١٩٣٠ م في المكسيك والبرازيل والأرجنتين وشيلي وكوبا، تتضمن نقطة انطلاق، توحد وتفرق ــ في آن واحد ــ عهدين من تاريخ فن أمريكا اللاتينية المعاصر، فمن جهة هناك عهد عَرَف فيه الفن التأثير الأجنبي، وذلك من القرن التاسع عشر إلى العشرينيات الأولى من القرن الجاري، ومن جهة أخرى، فإنه منذ القرن العشرين شرعت أمريكا اللاتينية في السير في إطار نهجها الخاص.

ويشير بأنه في نهاية الأربعينيات بدأ الإحساس بالاحتياج إلى فن قادر على التعبير عن الهويات

الوطنية بلغة عالمية، وأن محاولة الرد النهائي على هذا التساؤل «من نحن؟» قد فشلت، فالوطنية تمنع العالمية، وأن عددًا من الفنانين ذائعي الصيت على الصعيد العالمي واعون بأنهم يواجهون معضلة، إما أن يوجهوا اهتماماتهم إلى تلبية ذوق اليوم، أو يرون أنفسهم قد أبعدوا إلى الصفوف الخلفية في جمهورية الفنون.

تأكيد الهوية الثقافية

يقول الأستاذ جاك بيرك: «لا أحد يشك بأن العالم في مجموعه لا يتجابه فقط في ميدان التجارة الخارجية والاقتصاد والتكنولوجيا، بل حتى في ميدان العلم والتربية (البيداغوجيا) والمفاهيم، ولا أحد يشك كذلك بأن وضعية مثل هذه، إذا لم تكن تعاني السيطرة والإمبريالية أو الاستعمار الجديد، فإنها تعاني ضغوطا خطيرة وتسوية لشخصية دول العالم الثالث».

ويؤكد البيان الثقافي الإفريقي المتمخض عن ملتقى المهرجان الثقافي الإفريقي بالجزائر (١٩٦٩م)، أن الأخطار التي تهدد ثقافتنا هي أخطار حقيقية من حيث تعميق واستمرار المعايير والنماذج الأجنبية في المجالات الأخلاقية والروحية والجمالية والفلسفية، ومن حيث أسلوب التفكير في الميادين الإدارية والسياسية، لهذا فمن الطبيعي أن تخلف جبهة الثقافة جبهة المقاومة التقليدية، لأن الثقافة هي القوة الأساسية للأمم، وهي الحامية لوجودها والرصيد الذي لا غنى عنه في كفاحها.

إن الشيء الأكيد هو أن الشعب الذي كان خاضعًا للاستعمار لا يستعيد بصفة آلية شخصيته الثقافية وكيانه الاجتماعي وإنسانيته وجماله، التي سلبها الاستعمار، لأن الانتصار العسكري على الاستعمار، ولو كان حاسمًا، لا يعني بعد (استعادة الشخصية). إن الاستقلال السياسي لا يؤدي تلقائيا إلى تصفية الاستعمار من الهياكل الأخلاقية والنفسية والثقافية الموروثة من عهد الاحتلال، وهذا التراث البغيض يمكن أن يجمِّد ولو لفترة طويلة قوى الخلق والمعرفة في مجتمع ما. ومن ضمن المحاولات العديدة الأصيلة التي اعتمدها أصحابها لمجابهة الاستعمار ـ سواء أكان عسكريًا أم اقتصاديا أم ثقافيًا ـ يستشهد **الدكتور أبو القاسم سعد الله** من الجزائر في كتابه «**شعوب وقوميات**» بالزعيم **غاندي**، حيث يرى أن نجاح هذا الزعيم سياسيا، كان يعود إلى مهارته في استغلال التقاليد الهندية القديمة ـ لا سيما الدين ـ لأغراضه، فقبل أن يظهر **غاندي** على المسرح السياسي كان الزعيمُ في الهند هو الرجل الذي يحمل شهادة من إنجلترا والذي يملك أملاكًا طائلة . . . إلخ، غير أن **غاندي** قد غير هذا المفهوم للزعيم تمامًا، لقد أصبح الزعيم على عهده هو الرجل الذي يقود الجماهير ولا يخشى البريطانيين، وهو الرجل الذي يُحترم ويعرف كيف يستعمل التقاليد الهندية.



د. أبو القاسم سعد الله — غاندي

دعوات للعودة إلى الذات

يدعو العديد من الباحثين البلدان السائرة في طريق النمو أن تضع الحلول لمشكلاتها الثقافية بنفسها، على أن تكون النماذج المستقاة من بلدان أخرى معينا يُستَرشد به في الدرجة الأولى لتوضيح أفكارها وتقويمها وانتقائها من ضمن مجالات الاختيار المتوافرة لديها.

وينبهون شعوب العالم الثالث إلى ضرورة اعتبار ثقافتهم وطاقاتهم ذات قيمة ضمن حقوقهم، وأن يستندوا في قراراتهم إلى المقاييس المحلية، وأن يحققوا شعورًا ثابتًا بهويتهم الوطنية.

ويرى هؤلاء الباحثون أيضا أن ما تحتاج إليه القارات المختلفة هو أن تدرك أن عليها أن تواجه المستقبل وفقًا لمستوى تقديراتها لا وفقًا لتقديرات تستند إلى تاريخ البلدان الغربية ونموذجها.

وفي السياق نفسه يؤكد **الأستاذ نورات أقوسي** ضرورة اعتماد الشعوب الإفريقية في سعيها لتطوير الهوية الخاصة والقيم الخاصة ـ سواء على صعيد الأشخاص أو المجتمعات ـ على الخصائص الذاتية؛ وذلك بهدف فهم أن لنا إمكانات خاصة، وأن لثقافتنا معنى.

ومن الأكيد أن لوسائل الإعلام والاتصال دورا بالغ الأهمية في بعث الثقافات الوطنية وتطويرها، وهكذا فقد وصفت خلاصات المناقشات لأشغال ندوة الخبراء حول تأكيد الهوية الثقافية وتكوين الوعي الوطني بأفريقيا المعاصرة في ١٩٧٨ م، دور وسائل الإعلام ووظيفتها بالشيء المهم جدًّا، بالنسبة للمسائل الثقافية، وأكدت أهمية إسهامها في بلوغ الأهداف المسطرة في هذا المجال.

وقد طالبت، ليس بزيادة برامجها الخاصة بالثقافة الإفريقية التقليدية فقط، ولكن بضرورة تحسين نوعية إنتاجها أيضا بغرض تفادي التقديم الفني الوطني (الفلكلوري) البسيط للقيم الثقافية الغنية والمتنوعة.

مراجع المقال:

١ ـ الأستاذ دحماني محمد ـ تغريب العالم الثالث ـ الخرافات والحقائق ـ ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ١٩٨٥ م.

٢ ـ الإنسان ومستقبل الحضارة العربية ـ أبحاث مؤتمرات العلائق الدولية لكبار علماء العالم ومفكريه.

٣ ـ الثقافة الإفريقية ـ ملتقى الجزائر ٢١ تموز/ يوليو ـ ١ آب/ أغسطس ١٩٦٩ م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٤ ـ **L'affirmation de l'identité culturelle et la formation de la conscience nationale dans l'afrique contemporain - UNESCO -.**

٥ ـ **L'amerique latine dans son art - UNESCO 1980 -.**

٦ ـ **Domination ou partage? "le developpement interne et le transfert des connaissances" UNESCO.**

دورُ المرأة العربيّة في تراثنا الشعري

د. ميّ يوسف خليف

أكثر من سؤال يظل مطروحا على ساحتنا الأدبية حول الموقف النسائي إزاء ظاهرة الإبداع والنقد، وتظل الإجابة عنه إضاءة لمنطقة ظلت قائمة غائمة في دراساتنا الأدبية بوجه عام.

وبعيدا عن الإطالة في المقدمات، وقصدًا إلى لبِّ الموضوع، تتراءى لنا المساحات الفنية والزمانية وقد استوعبت من الدور النسائي ما يمكن الاعتداد به في رصد مكانة المرأة العربية كمعلم بارز من معالم هذا التراث، فإذا المرأة الشاعرة تكشف عن فهمها الواعي ووعيها النقدي بحركة القصيدة، بل تصر على اقتحام عالم الشعراء ابتداء من استماعها إلى الشعر، إلى استنشادها إياه، بما يكفي للإبانة عن قيمه الجمالية، إلى ما وراء ذلك من صور الأداء الاجتماعي أو الحكمي التي يرصدها الشعر كإبداع فني متميز.

وتبدأ هذه المشاركة التراثية العميقة من واقع قراءتنا لما نظمته **البسوس خالة جَسّاس بن مُرّة** حين أشعلت بقولها نار حرب قبلية دامت أربعين سنة منذ أنشدت تقول:

لعمرك لو أصبحت في دار منقذ ... لما ضِيم سعد وهو جار لأبياتي

ولكني أصبحت في دار غربة ... متى يعدُ فيها الذئب يَعْدُ على شاتي

وكأنها راحت تفتح بذلك سجلاً للمشاركات النسائية في حركة الشعر، وكذا في الحروب وسياسة العصر، مما يتردد له نظائر لدى **ريحانة بنت معد يكرب وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية**، إلى ما يمكن تلمسه من امتداد دور الشاعرة العربية في مجالس الأدب وما كان من تذوقها للشعر، وإصدارها الأحكام عليه، أو حتى من مشاركاتها في الإبداع ارتجالاً وبديهة أو إعدادًا وروية.

وتتعدد النماذج وترتقي معها الأدوار النسائية منذ العصر الأدبي الأول على غرار ما تحكيه الأخبار عن شهادة العصر للخنساء، وما كان من تنافس بينها وبين **هند بنت عتبة**، وكيف راحت كل منهما تنافس الأخرى في النظم حول حجم الكارثة التي أصابتها؛ **الخنساء** في أخويها صخر ومعاوية، و**هند** في أبيها عتبة وعمها شيبة وأخيها الوليد، حيث نظمت **الخنساء** قولها:

أبكي أبي عمرًا بعين غزيرة ... قليلٍ إذا نام الخليّ هُجودُها

وصنوي لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها

لتقول هند مجيبة إياها:

أبكي عميد الأبطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغٍ يريدها

أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها

مما يكشف طبيعة التباري في قول الشعر والاستعداد لمثل هذه المساجلات في أشهر أسواق الأدب، حتى تضعنا الخنساء بإزاء حركة نقدية مبكرة سجلها لها تفضيل النابغة الذبياني لشعرها منذ أنشدته في رثاء أخيها صخر:

قذى بعينك أم بالعين عوار ... أم ذرّفت إذ خلتْ من أهلها الدار



وهكذا بدت التجربة النسائية مجالاً خصبًا لهذا التباري، مما طرح بين أيدينا مادة طيبة من المشاركات الفنية التي تظل شاهد إثباتٍ على دور المرأة في رصد التجربة من خلال القصيدة والمقطوعة، لتحتل بذلك مكانة جلية ضمن تراثنا الشعري القديم.

ومن الطرافة أن نتلمس إسهام المرأة في إطار انتماءات بارزة إلى أُسَرٍ شعرية بعينها، وكأنها تسير بذلك في خط مواز لمدرسة الصنعة الجاهلية التي بدأت بأوس بن حجر في الجاهلية، وشهدت امتدادها لدى شعراء عصر بني أمية، فإذا المدارسُ النسائية تسير في إطار وراثة النظم والرواية والنقد، على نحو ما تردد عن **الفارعة بنت أبي الصلت** أخت أمية، وكذا **بنت الأعشى**، و**بنت حسان ابن ثابت**، و**بنت لبيد بن ربيعة**، و**بنت ذي الإصبع العدواني** وغيرهن أخريات ممن أتيحت لهن فرصة المشاركة في الإبداع والحوار الشعري، فكان لهن من صور التذوق ما يمكن إدراجه ضمن باب النقد الانطباعي، الذي يؤكد تلك المشاركة، ويسهم في إزاحة الستار عن جوهر الإسهام الفعلي للمرأة في التراث الأدبي، مما يحتاج بدوره إلى ضروب من التصانيف التي تكشف اللثام عن أبعاده، على غرار ما يكشفه التصنيف الكمي أو الطبقي أو الفني لمادة الإبداع النسائي عبر عصور الحركة الأدبية المتعددة.

وحين يتطرق دارس الشعر النسائي إلى مجالات المشاركة الإبداعية يتكشف له من الأمر ما يدهشه، وبخاصة حين يجد زادًا طيبًا من إبداع المرأة في إطار شعر السياسة، ابتداء من معرفة العربي للحكومة المركزية مع عصر البعثة المحمدية، ومنذ مبايعة النساء لرسول الله ﷺ، إذ بدت البيعة أشبه ما تكون

والنقدي

بمظاهرة سياسية وموقف متميز للنساء في مهد الدولة الوليدة، بل كان الموقف استمرارًا لظهور الشخصية النسائية التي أدت دورًا بارزًا في شتى مجالات الحياة سلبًا وإيجابًا، فإذا بنا نرى نظيرًا لمعركة الهجاء المحتدمة بين شعراء مكة والمدينة التي اشتهر من أقطابها الكبار في المدينة المنورة حسان بن ثابت وابن رواحة وكعب بن مالك، وفي مكة ابن الزِّبَعْرَىٰ وكعب بن الأشرف وأبو سفيان بن الحارث ليظهر امتداد لهذا التيار لدى شاعرات المنافقين على غرار ما كان من **عصماء بنت مروان، وهند بنت عتبة** وغيرهما من شاعرات العصر.

ثم تمتد الظاهرة لتشهد رواجًا لها عبر عصر بني أمية، فإذا بالمرأة تؤدي دورًا خطيرًا في رثائياتها السياسية لقتلى الأحزاب المختلفة، لعل أبرزها كمًّا؛ ما ورد في **رثاء الخارجيات**، على نحو ما ينسب إلى **أم الجراح الخارجية، وعقيلة بنت عقيل ابن أبي طالب العلوية**. وكأن المرأة قد ظهرت آنئذ عضوا في ميدان القتال الحربي. وكذلك كان الموقف في زحام المعارك اللسانية عبر ميادين الهجاء والرثاء، على نحو ما رصده شعر **«بكارة الهلالية»** في هجاء معاوية، وما ورد بعد ذلك من رثائيات سياسية نظمتها **«لبانة»** زوجة الخليفة المهدي وما عرف عنها كشاعرة فاضلة تركت من رصيدها الشعري ما ينم عن تلك المشاركات.

وإذا بالظاهرة تمتد على مستوى المساحة المكانية امتدادها عبر مساحة الزمن لتشيع بين شرق وغرب، ولنجد لها مكانًا هناك في الأندلس حين تنظم **«الشلبية»** الأندلسية من شعرها ما يصور الظلم الواقع على بلدها من الوالي، فتقول في رسالة ألقت بها على مصلّى السلطان يعقوب المنصور يوم جمعة:

قد آن أن تبكي العيون الأبية — ولقد أرى أن الحجارة باكيه
يا قاضي المصر الذي يرجى به — إن قدر الرحمن رفع كراهيه
نادِ الأمير إذا وقفت ببابه — يا راعيًا إن الرعية فانيه
أرسلتها هملا ولا مرعى لها — وتركتها نهب السباع العاديه

من هنا يصبح ممكنًا أن نتأمل عناصر الإبداع ومقومات التجربة النسائية من واقع قراءة تراثنا الشعري؛ ابتداء من مراجعة الطبيعة النوعية للنموذج الشعري السائد في شعر المرأة، سواء في ذلك التجربة الهجائية أو النموذج الرثائي أو حتى الموقف المدحي أو مواقف الحنين أو النقد السياسي، بما يؤكد ثبات هذا الدور ويرجح حتمية الاعتداد به عبر أطره المختلفة، من تجارب فردية أو أسرية أو إنسانية أكثر اتساعًا ورحابة وعمقا.

وبذا تصبح القصيدة مجال إبداع المرأة في حاجة إلى التحليل الأدبي على مستوى الشكل التقليدي الموروث، أو ما يمكن أن تتجاوزه به فنيا من مجيئها بلا مقدمات أو ندرة الرحيل فيها، أو رصد لوحات الشكر والاعتراف، أو قلة الخواتيم بما يظل بمثابة ظواهر فنية لا تكتمل رؤيتنا لتراثنا الأدبي دون توقف ضروري عندها.

أخطار التناقض بين الشكل والمضمون!

أعلمني صديقي أنه يعتزم تقديم رسالة دكتوراه بعنوان (الشكل والمضمون)، وسألني عن رأيي في هذا العنوان، فأجبته بعد تفكير بأن هذا الموضوع بالرغم من بساطته الظاهرية قد يكون من أطرف الموضوعات التي يمكن طرقها، وأكثرها حساسية، ونصحته بالمضي قُدُما في خياره الناجح. ورأيي هذا ناجم عن قناعتي بأن الشكل عندما يختلف عن المضمون بدرجة من الدرجات قد تكبر أو تصغر تنشأ ملابسات وأخطار تتناسب مع درجة هذا الاختلاف، وأقل هذه الأخطار: الخلل وعدم التوازن.

ولكن أكبر التناقضات والمفارقات تحدث عندما يصل الاختلاف إلى حد يصبح فيه الشكل معاكسًا بصورة جذرية وكاملة للمضمون، وتحت ستار هذا الوضع تتم ممارسة الكثير من الخداع والتمويه واستغباء الآخرين.

ويحدث هذا في الحياة العامة، كما يحدث في الحياة الثقافية والسياسية.هناك مثلا أناس يقولون أشياء جميلة جدا تثير الكثير من الإعجاب، وينطقون كلمات تأسر القلوب وتأخذ بالألباب، وعندما ترى أفعال هؤلاء على الأرض تشعر بالدهشة والأسى والمرارة؛ لأن هذه الأفعال تتناقض تناقضًا تامًا مع أقوالهم المعسولة المطلية بالخداع.

وهناك أشخاص يرتدون أحسن اللباس ويظهرون بأجمل الحلل ويتقنون فن التكيف أوالسلوك (الإتيكيت) الاجتماعي والمجاملة الكلامية خير إتقان، وعندما تحتك بهم وتتعامل معهم تجد عقولهم خاوية وأخلاقهم فظة، فتشعر بالإحباط وخيبة الأمل. وفي المجال الثقافي هناك مطبوعات منشورة بأفخر الورق وأفخم الطباعة وأجمل الألوان وأهم العناوين وأشد الأغلفة إبهارًا. وعندما تقرأ مضمونها تطالعك مقالات غثة هزيلة، ومقالات أخرى ذات هدف دعائي وترويجي، وتجد جموعًا من الكلمات وصفوفًا من الجمل التي لا فحوى لها ولا مغزى. وعندما تفتش فيها عن الثقافة الصحيحة والعلم الرصين لا تجد لهما أثرًا.

وقد ترى بناءً فخما جميل التكوين، مطليا بأزهى الزخارف والألوان، فتعجب به وتتمنى لو كان لك فيه ولو حجرة واحدة، ولكن ما أن تقع هزة أرضية بسيطة حتى يتهاوى البناء الهش، وكأنه كتلة من الكرتون؛ وذلك لافتقاره إلى الأساس المتين ومواد البناء السليمة.

وفي حياتنا السياسية العربية توجد مؤسسات وأنظمة قد استكملت الكثير من مظاهر الشرعية والدستورية من حيث الشكل الخارجي، وعندما تغوص في الأعماق وتلامس الجوهر والأساس، فإنك لن تعثر على أي أثر للشرعية والدستورية فيها.

مجرد أمثلة صغيرة سقناها وهي بسيطة في الظاهر، لكن مغزاها كبير، ومن خلالها نستطيع أن نستنتج أن علينا أن نفتح أعيننا جيدا عندما ندقق في ظواهر الحياة المختلفة، وألا ننخدع بالشكل الخارجي البراق، فالمضمون الحقيقي والعملي هو الذي يجب أن يكون مقياس الحكم والتقويم.

ياسر الفهد

الشعر الحر

شعر :

د . يوسف محيي الدين أبوهلالة

وافـدٌ هجين تغيم كلماتـه بضبـاب الميوعة وغير المفهـوم، متطـاول على شرف النّحـو خـارج على حـدود القافية، ليس هـو بِدُرٍّ منثور إنّما هو صَدَفٌ مشعور، لن تُكتب له الحياة؛ لأنـه وُلد هجينـا، وَوُضِع سقيطـا، والنـاس لا يتبنون الأموات .

مـا لـذاك المطـرب الصّـداح فـوق الـدّوح أغفىٰ ؟
وعـن اللحـن الـذي تهفـو لـه الأسماع كفّـا ؟
ليصير البُـوم شـادي الحيّ أنغـامًـا وعـزفـا
يمـلأ الآذان مـا يـورثهـا وقـرًا وضعفـا
غثيـانًـا يخرج القـيء مـن البطـن ورجفـا

***

أي شعـرٍ جـاء للخيبـة والإسفـاف ردفـا ؟
تحت أطمار دعـاة الهدم كـاللّص تخفّـىٰ
بـاطنـيّ النّهـج . . منـه الـوحـل والأقـذار أصفـىٰ
مـا زكـا روحًـا ولا طـاب لـدى النّخـوة كفّـا
خلـلٌ شـوّهـه . . رأسًـا وأعضـاءً وردفـا
مُقَطَّع أُتخم حتـى ضـاق بـالألفـاظ رصفـا
بينها الآخـر أضنـاه الطّـوىٰ فـارتـدّ حـرفـا
قصفـت كفّ الـرّدىٰ منـه عمـود الظهـر قصفـا
فـارتمىٰ يـزحف في مستنقعـات الفكـر زحفـا
لم يكـن يـومًـا كعقـد الماس مـوزونـا مقفّـىٰ
فُصِمـتْ عـروتـه الـوثقـىٰ وبـالـوزن استخفّـا
فغـدا كـالبعـر المنثـور بـل عـاد أخفّـا

***

جـاحـدٌ فكْـرتُـه في كلّ زيـغ تتكفّـا
مغـرضٌ يُـوسع معنـى اللفـظ تنكيرًا ولفّـا
فـإذا مـا واجـه النّـور عـن الـرّدة شفـا
تخذت منـه ذئاب الغـدر للغـارة كهفـا
لتـذيق اللغـة الـزّهـراء كأس الموت صرفـا
فمتـى صـدر البهـاليل بما يخزيـه يشفـىٰ ؟
ومتـى ينسفـه مـوج الهدىٰ في اليـمّ نسفـا ؟

الفِكْرُ يُوَلِّدُ الفِكْرَ



د. محمد بن سعد الشـويعـر

كلما اشتدت المصائب على الأفراد، وكثرت الكوارث في المجتمعات، يبدأ عقلاء المجتمع في تحريك فكرهم للروحانية العقدية، ذلك أن أصل الانتماء العقدي غريزة في الإنسان؛ فقد يشقى الإنسان بعقله ويضل، وقد يوفّقه الله إلى المنهج السليم؛ طريق دين الإسلام، فيجد فيه ما يريح نفسه، ويطمئن قلبه حيث يتأصل الفكر، وتستقر جذوره.

وتعاليم دين الإسلام التي تخاطب العقل، هي التي يجب أن ينطلق من فهمها شباب المسلمين، وبخاصّة أولئك الذين يتعلمون أو يعيشون في بلاد الغرب أو الشرق، أو يتعاملون معهم، ممن ارتقى علمهم المادي، واتسعت معه مداركهم الدنيوية؛ إلا أن الخواء الفكري لا يزال مسيطرًا، وما ذلك إلا لفقدانهم في دياناتهم ومعتقداتهم القاعدة التي تريح النفوس. وقد كان لي حديث مع أستاذ جامعي في بلاد العم سام، يريد أن يجذبني لديانة النصرانية، ولما ناقشته فيما يدعو إليه وَعِلَّته، عجز عن الجواب، وقال: هكذا قال لنا الأب! وقد رغب في تعلم الإسلام عندما أعطيته حكمة الإسلام في تشريع بعض الأمور، وعائدها العاجل على النفس أو المجتمع.

لذا فإن شباب المسلمين في اختلاطهم بتلك الأمم، يجب تسليحهم بما يعينهم على بثّ فكر الإسلام؛ لأن الناس قلقون ويريدون الخلاص مما هم فيه، وبخاصة في هذا العصر المادي، الذي تخلّى فيه كثير من أصحاب المعتقدات عن دياناتهم، وأصبح أغلب الناس هناك مادّيين فكرًا، تائهين عقيدة.. أما من هيأ الله له من مفكري الإسلام من يُبَصِّره، فإنه يعتنق الإسلام، ويجد فيه ضالّته.

وأجد في هذا الموقف من المفيد فيما نحن بصدده، إيراد فكر مسلم إنجليزي، دخل الإسلام مجددًا كما قال الكواكبي - أوتخيل - في كتابه «أم القرى»، الذي ألفه في عام ١٣١٦ هـ؛ إذ فيه أفكار وحوادث جيدة تهمّ شباب اليوم، كأن المتحدث عنها، يعايش الواقع المعاصر، ومن ذلك ما أعرضه في حديثي.

يقول هذا المسلم الإنجليزي: «إننا - مسلمي ليفربول - حديثو عهد بالإسلام، ولنا إشكالات مهمة تتعلق ببحث طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة. لأن أكثرنا قد اهتدينا والحمد لله إلى الإسلام منتقلين إليه من «البروتستانتيّة»، أي الطائفة الإنجيلية، لا من الكاثوليك، أي الطائفة التقليدية. فنميل طبعًا لاتباع الكتاب والسنة فقط، ولا نثق بقول غير معصوم فيما ندين. وقد تركنا دين آبائنا وقومنا لنتبع دين محمد نبيّ الإسلام، عليه الصلاة والسلام لا لنتبع غيره، ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في أمريكا وجنوب أفريقيا. ونحن راغبون أن نسعى حثيثًا في الدعوة للدين الإسلامي السامي المبين، والأقوام الذين ندعوهم غالبهم متمدنون، أي أن أفكارهم متنورة بالعلوم والمعارف، وأكبر أملنا معقود بهداية فئتين اثنتين، الأولى: البروتستانت، والثانية الزنادقة.. أما أملنا في البروتستانت فلأنهم منقلبون حديثًا من الكاثوليك، انقلابًا ناشئًا عن ترجيحهم الاقتصار على الإنجيل ومجموعة الكتب المقدسة متونًا فقط، أي بإهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات، التي لا يوجد لها أصل صريح في الإنجيل. والبروتستانت في أوربا وأميركا يزيدون على مائة مليون من النفوس، كلهم مفطورون على التدبّر، قليلو العناد في الاعتقاد، مستعدون لقبول البحث، والانقياد للحق بشرط ظهوره ظهورًا عقليًا، لا سيما إذا كان الحق ملائمًا لأسباب هجرهم الكاثوليكية من نحو: إنكارهم الرياسة الدينية، والرهبانية والتوسل بالقديسين، وطلب الشفاعة منهم، واحترام الصور والتماثيل والدعاء لأجل الأموات، وبيع الغفران، والقول بأن للبطارقة قوة قدسية وقوة تشريعية، وأن للبابا صفة العصمة من الخطأ في الدين، إلى غير ذلك مما ينتج في النصرانية سلطة دينية، وتشديدات تعبدية لا يوجد لها أصل في الإنجيل. أما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كليًا لعدم ملاءمتها للعقل. وهؤلاء في أوروبا وأميركا، كذلك، يزيدون على مائة مليون نفس، غالبهم مستعدون لقبول ديانة تكون معقولة حرة سمحاء، تُريحهم من نصب الكفر في الحياة الحاضرة، فضلاً عن العذاب في الآخرة.

ومن غريب نتائج التدقيق: أن أفراد هذه الفئة كلما بعدوا عن النصرانية، نفورًا من شركها وخرافاتها وتشديداتها لأنها تخالف فكرهم، فإنهم يقتربون طبعًا من التوحيد والإسلام، وحكمته وسماحته.

فبناء على هذه الآمال نرى نحن - مسلمي ليفربول - أهمية عظيمة لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة، وتصوير حكمة الإسلام وسماحة الدين للعالم المتمدن؛ لأن فيه ما يخاطب عقولهم ويلبي رغباتها».

هذه بعض أفكار المسلمين الجدد، يجب على أبناء المسلمين فهمها ومحاولة النفاذ إلى قلوب الآخرين فيها بما يعرفهم الإسلام ودوره الكبير في إصلاح النفس وإسعاد المجتمع.



الطريق إلى الله

أبو الفضل الوليد (إلياس طعمة)

عشقه للعروبة قاده إلى الإسلام

«كان في فجر شبابه وظهره وعصره، مالئ الدنيا وشاغل الناس، آمن بالعروبة إيمانًا مطلقًا، كان محبًا للمغامرة، وكان له حضوره في المنتديات والمحافل. أعلن إسلامه، صرَّح بنظريات اجتماعية وسياسية كانت في زمنه في أقصى درجات الخطر. انطفأ فجأة واختفى. وهنا ترتسم علامة الاستفهام الكبرى: لماذا؟ كيف؟ متى؟ ما الدليل»(١).

إن طرح هذه التساؤلات في بداية حديثنا عن الشاعر اللبناني المهجري **أبي الفضل الوليد** ليس من قبيل المبالغة أو التضخيم، فالواقع أن هذا الشاعر الذي فُتِنَ بحب العروبة فآمن بالإسلام عن قناعة واقتناع قد ظُلم حيًا وميتًا، ولاقى نتاجه من التعتيم ما لم يلقه نتاج شاعر آخر، وكل جريرته أنه اعتنق الإسلام قولاً وعملاً، عقيدة وأسلوب حياة.

مولـــده

قبل أن نتناول **أبا الفضل الوليد** وشعره وقصة إسلامه، علينا أن نعود إلى الوراء، إلى قرابة قرن مضى. ففي قرية **«القرنة الحمراء»** من قضاء المتن في لبنان عام ١٨٨٩ م، كان مولد شاعرنا في بيت عريق الحسب والنسب، سماه والده **«إلياس»** تيمنا بجده، وألحقه في سن السادسة بمدرسة القرية، ثم أرسله عام ١٨٩٩ م إلى معهد **عينطورة** الذي كان يعد المعهد الفرنسي الأول في الشرق، وانتقل عام ١٩٠٣ هـ إلى **مدرسة الحكمة** في بيروت، ولم يكمل دراسته إذ عاد إلى قريته بعدها بعامين وهو مكتمل الشخصية بالرغم من أن عمره ـ آنذاك ـ لم يتجاوز السابعة عشرة.

اغترابـــه

لم يكن هذا الشاب الأرستقراطي بحاجة إلى أن يغترب بحثًا عن مال أو جاه، فهو يملكهما، لكن حب المغامرة قاده عام ١٩٠٨ م إلى أن يفعل ذلك بالرغم من معارضة والديه، فأبحر من بيروت في رحلة طويلة شملت **مصر وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال**، ومنها انطلق إلى **الأرجنتين** ليمضي عامين متجولاً فيها، **فالأورجواي**، حتى استقر في العاصمة البرازيلية ـ آنذاك ـ **ريو دي جانيرو** التي أمضى بها اثنتي عشرة سنة قضاها في جولات واسعة، شهدت إشهاره إسلامه.

عصره ونزعته العربية

عاش **إلياس عبد الله طعمة في عصر بزغت فيه فكرة القومية العربية، التي تبناها المفكرون النصارى في مواجهة ميل المفكرين المسلمين إلى فكرة الجامعة الإسلامية**. وفتن ـ منذ نعومة أظافره ـ بالتاريخ العربي، وعاش بطولاته التي استوحى منها العديد من قصائده، وقاده إيمانه بالعروبة إلى عشق اللغة العربية وكل ما يرتبط بها، إذ رأى في تلك اللغة رسالة فكرية وحدت بين المسلمين والنصارى في العالم العربي، من هنا كان رفضه للمحاولات التي استهدفت النيل منها، وإعلانه ـ في أكثر من قصيدة ـ اعتزازه بهذه اللغة.

وفي مهجره الاختياري بالبرازيل شارك بالكتابة في صحافتها العربية، وكذلك في المحاضرات والندوات التي كانت تقيمها الجالية العربية هناك، وعُرف بحرصه الشديد على التأكيد على أصله العربي، واعتزازه بلغته.

تأسيس صحيفة «الحمراء»

أسس **إلياس طعمة** في ١٥ إبريل ١٩١٣ م في البرازيل **صحيفة «الحمراء»** التي أسماها بهذا الاسم تيمنا بحمراء الأندلس وقريته «القرنة الحمراء»، وظلت هذه الصحيفة حتى إغلاقها عام ١٩١٧ م منبرًا للعربية يجمع المغتربين العرب على اختلاف انتماءاتهم وبلدانهم.

لقد كانت **فكرة العروبة هاجسه الأكبر، وقاده عشقه لها إلى الارتباط بالإسلام**، إذ اعتبرهما متلازمين، ومن هذا الفهم تكونت أفكاره السياسية في الوحدة العربية والخلافة ونهضة العرب.

إشهار إسلامه

قد يبدو غريبًا أن يتجه شخص مثل إلياس تربى في مدارس كهنوتية إلى الإسلام، إلا أن علامات التعجب تتلاشى حين نطالع ما سطره قلمه في مقدمة ديوانه «نفحات الصور»، حيث يقول: «نشأتُ مارونيًا لبنانيًا، وتخرجت في مدارس كهنوتية، فكان أساتذتي قسيسين ورهبانا، ثم تغربت في بلاد إفرنجية وأمريكية أهلها لاتين، فمن يصدق أن مَنْ هذه تربيته يشعر ويفكر بما يدور في خلد عربي مسلم في مكة. لقد كان الله وليّي فيما كتبت لخير العرب والمسلمين، ولقد تدرج حسي حتى حبّبت العروبة إليّ الإسلام، الذي هو روحها وجوهرها».

اختار إلياس طعمة أن يكون إشهاره لإسلامه خلال حفل أقامه النصارى على قمة جبل **«كوركو فادر»** أكبر جبال ريو دي جانيرو، حيث يقوم ما

يزعمون أنه تمثال السيد المسيح عليه السلام، وما بين إنشاد الشمامسة **انطلق صوت إلياس طعمة ليعلن على الملأ أن «لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»**، ويختار لنفسه اسمًا جديدًا هو «**أبو الفضل الوليد**». ووسط ذهول الحاضرين وحقد الحاقدين مضى في طريقه الجديد مكملاً الإجراءات الرسمية بتغيير الاسم في سجلات الدولة(٢).

تعتيم الحاقدين

كان لهذه الخطوة الجريئة صدى كبير لدى الحاقدين على الإسلام الذين حاولوا ما أمكن إثناءه عن اتباع دين الحق وردّه إلى ظلمات الجاهلية، لكنه أبى، فهاجموه، وحاولوا أن يظهروا أنه أسلم لغرض ما، أو لاعتلال قواه العقلية، وكالوا له من ألوان السباب ما فاضت به نفوسهم المريضة، فلم يزده ذلك إلا إيمانًا بأنه على الطريق الصحيحة، ورد على مَنْ هاجمه ردًا مفحمًا في قصيدته المسماة «**الصبابية**»، وفيها يقول:

أنا العربي بين الروم أمشي
غريبًا أو أعد من الأسارى
رأيت عروبتي شرفًا وفخرًا
فبتُّ أود إسلام النصارى

وحين لمس الحاقدون أن لا جدوى من رد الشاعر عن دينٍ مَلَكَ فؤاده، وجرى في عروقه جريان الدم، تركوه وشأنه، إلا أنهم عبر سيطرتهم على وسائل الإعلام انتقموا منه بأن تجاهلوا أدبه تمامًا، وأغفلوه أديبًا شاملاً مارس الكتابة الشعرية والنثرية والمسرحية والنقدية والفلسفية، فضلاً عن الترجمة والصحافة.

أثر الإسلام في أدبه

يمكن تقسيم حياة **أبي الفضل الوليد** الفكرية إلى مرحلتين: الأولى فترة شبابه المبكر في لبنان حيث بداية تكوينه الفكري من خلال الانكباب على الدرس والتحصيل والمطالعة، والثانية حياته في المهجر وفيها يتبدى أثر الإسلام عميقًا واضحًا.

لقد عُرف أبو الفضل بشموليته، وتعدد مؤلفاته ومترجماته، وأثرى المكتبة العربية بمؤلفات ومسرحيات مقتبسة من تاريخ العرب أو تعالج واقعهم، منها: «**أسرار بغداد**»، و«**أحمد وولادة**» و«**نكبة البرامكة**» و«**كتاب القضيتين**»، و«**أحاديث المجد والوجد**» و«**السباعيات**» وغيرها.

لعل جانب الشاعر فيه كان الأكثر تأثرًا بقيم الإسلام ومضامينه، ويتضح هذا جليًا من خلال اختياره لقصائده عناوين شديدة الإيحاء باتجاهه الإسلامي مثل: «**المكية**»، «**المقدسية**»، «**الأموية**»، «**البغدادية**»، «**الرؤية النبوية**»، «**الأندلسية**»، «**الجهادية**»، و«**الحجازية**» وسواها.

تتجلى العاطفة الدينية بوضوح في تلك القصائد وغيرها، فنراه يدعو إلى الخلافة الإسلامية لجمع شمل المسلمين:

بالله أيتها الخلافة جمّعي
شمل البنين التائهين النُّفَّر

ويناجي **مكة المكرمة** حيث بيت الله العتيق قائلا:

يا بقعة بُنيت على القرآن مَنْ
يحصي محاسنك التي لم تحصرِ؟
ما في البيان ولا القريض كفاية
ولو استعرت منها صحاح الجوهري

ويستفزه المخطط الغربي الرامي إلى تهويد **فلسطين** وتمكين اليهود من القدس الشريف، وهو المخطط الذي تحقق كاملاً بعد وفاة الشاعر بعقدين من الزمن، فنراه يقول عنه:

يا قدس مكة قد آستك باكية
لما أتاها بنعي الدين صفاك
هل تستقر جماهير اليهود إذا
دعوت يومًا أبا حفص فلبّاك(٣)

وفاته

كان **أبو الفضل الوليد** ـ بلا شك ـ أحد أبرز أدباء عصره، وكان يمكن أن يعد ويصنّف في المراكز الأولى بين معاصريه، لولا حقد الحاقدين الذين ساءهم أن يهديه الله إلى دين الحق، فلما لم يستطيعوا رده عن دينه عمدوا إلى تجاهل أدبه، وتجاهله هو أيضا.

عاد شاعرنا إلى بلاده لبنان عام ١٩٢٢ م بعد توقف صحيفة «الحمراء» بنحو خمسة أعوام، والتقى الشريف حسين في الحجاز عام ١٩٢٥ م الذي عرض عليه أن يوليه منصبًا كبيرًا لكنه اعتذر، فمنحه لقب «شيخ»، كما التقى **الملك فيصل بن الحسين** ملك العراق، وكرر له العرض الذي قدمه أبوه، لكنه اعتذر أيضا، وكذلك اعتذر عن تولي أكثر من منصب عُرض عليه لإيمانه بأن رسالته هي الأدب والفكر، ولا شئ غيرهما.

ورغم رفضه للمناصب الرسمية، إلا أنه ظل نشيطًا متواصلاً مع الساحة الثقافية والفكرية والسياسية، مهتمًا بقضايا العروبة والوحدة العربية حتى عام ١٩٣٤ م، «حيث ركن إلى العزلة وقلَّ نشاطه بعد أن بلغ القمة في السنوات الخمس السابقة، وظل في عزلته قليل النشاط، سقيم النفس، لا يكتب إلا النزر اليسير حتى توفي في أخريات الحرب العالمية الثانية، ولم يهتم بالكتابة عنه أحد ـ آنذاك ـ إلا في **جريدة (الصفاء)** التي كان يصدرها رفيقه **أمين ناصر الدين**، وقليل من الصحف، وكما نسيه الناس في حياته وفي مماته، نسيت مؤلفاته ودواوينه»(٤).

توفي أبو الفضل الوليد في التاسع والعشرين من شهر أبريل ١٩٤١ م، ودفن في قريته «القرنة الحمراء» بالمخالفة لوصيته التي سجلها في مقدمة ديوانه «الأنفاس الملهبة» في قوله: «وأود أن تضم جثماني تربة دمشق الطيبة، هناك تهيم روحي في البادية وتنشق نفحاتها الطاهرة، وتطرب لهدير بردى، تلك رقدة أشتهيها وأعلل نفسي بها، وأراها خير مكافأة لي إذا كنت مستحقًا».

الهوامش:

١ ـ صالحة نصر. أبو الفضل الوليد الشاعر العربي اللبناني. مجلة الموقف الأدبي، العدد ٢٠٠، ديسمبر ١٩٨٧ م. نقلاً عن كتاب «أبو الفضل الوليد: الشاعر المضيع» تأليف وليد مشوح.

٢ ـ راجع كتاب «ذكرى الهجرة» لتوفيق ضعون، الصادر في ساو باولو بالبرازيل.

٣ ـ في هذا البيت إشارة إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دخل القدس وآمن أهلها من النصارى، وعاهدهم على ألا يدخلها اليهود.

٤ ـ عبد الرحيم محمود زلط. العروبة في شعر المهاجر الأمريكي الجنوبي. ط ١. دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٢ م.

طريق الهدى

فتاوى فضيلة الشيخ

د. صالح بن سعد اللحيدان

العقل والقياس

○ **هل يكـون العقل مقيـاسًا عنـد الحكم على شئ ما؟**

محمود م. م. جامعة الملك سعود ـ الرياض.

■ إن هذا السؤال عام، ومثلـه يحتاج إلى طرح علمي مستقل، وسؤالك مع أنه جدير بالنظر؛ لأنه صادر من سائل واعٍ إلا أن الحال كما ذكرتُ، لكن دعني يا أخ محمود أسألك أيضًا:

هــذا العقل هل هــو محدود النظــر، أم أنــه مطلقه؟

هل يعرف العقل نفسه؟

وهل للعقل أول وآخر؟

وهذا العقل هل يفنىٰ وينتهي؟

وهل هو محيط بكل غيب؟

ولا ريب أنك معي في أن العقل بحــاجـة إلى محافظة عليـه، وإلى توظيفه، وحمايته، فهـو قريب الشبـه بـالإرادة، فهـي لا بـد أن تعمل خيرًا فخيرًا وشرًّا فشرًّا. فإذا لم تُوظف وتُهذب، ويحافظ عليها، وتُحمى كذلك، زلَّت لتكون إرادة خراب بصورة من الصور.

تناقص الدورة الشهرية

○ **إذا بـدأت عادة المرأة تنقص فهل هـذا شيء طبيعي؟**

م. ل. ل. ل. ل ـ حمص ـ سورية.

■ لم تفيدينـي عن عمر هذه المرأة التـي بدأت عـادتها بـالنقـص. لكن إذا كـانت دون الخمسين فأرى لها استشـارة طبيب مسلم مختص في أمـراض النساء إذا لم يوجد طبيبة، أما إذا كانت في الخمسين فهذا شيء طبيعي؛ لأن العادة تبـدأ بالنقص حتى تتوقف. والله تعالى أعلم.

ستة أشهــر
أقل مدة للحمل

○ **هل يمكن أن تضع الحاملُ لأربعـة أشهـر؟**

علي بن فهد بن نصار ودناني ـ الكويت.

لم يسبق لي أن سمعـت بهذا من قبـل، بمعنى أن تحمل وتضع خـلال هــذه المدة فقط ثم يعيش الطفل بعد الولادة، لأنه شبه متعذر طبيًا. أما من جهة الشرع فغالب الحمل يكـون ستة أشهر، وهذا هـو أقل مـدة للحمل فتضعـه المرأة سليمًا، وأكثـر مدتـه قد يمتد لسنـة أو أكثر من ذلك بكثير، لكن المشكلة دائمًا قـد تحصل في الحساب وذلك لتـأخر التحليل، أو عــدم وضــوح الحمل مع حصــول التحليل لأسباب قـد تعود للجهاز نفسـه أو لمهارة المختص، أو حصول شيء ما في البول.

الشك يزول باليقين

○ **الشك هل يزول باليقين؟**

صالح بن محمد بن صالح ـ جيزان.

■ هذا هو الأصل، ويمكنك إعادة هذا القول والقــاعـدة على هــذا الترتيب: (اليقين لا يــزول بالشك). خذ مثـلاً الشك في الوضوء هل غسلت وجهك أم لا؟ بصرف النظر عن وجود آثار الماء بعد حين من الوضوء، فهنا يكون الأصل هو اليقين بأن الـوجه قـد تم غسلـه، ويطرح الشك بل لا يُنظـر إليه. وكذا فيما هو أجلّ كـالشك في الزوجة مثلاً، فالأصل البراءة والطهارة والعفــة، وقس على هذا يا رعاك الله.

عالمان متعاصران

○ **هل علي بـن المديني معــــاصر ليحيـي بن معين؟**

م. م. الحمد ـ المدينة المنورة.

■ لــو سألت عـن أيهما أحفظ، أو أيهما أتقن كــان السـؤال في مكــانـه؛ لأن الــرجلين كـانــا متعاصرين، والتقيا، وكلاهما إمام فحل في الرجال جـرحًا وتعـديلاً، وقـد كانـا قطبا الـرحى بالنسبـة لــلأئمــة: البخــاري ومسلم وأحمد بـن حنبل وإسحـاق بن راهويـه، وسـواهم خـاصة في بـلاد العراق. وعد إلى كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم.

ردود قصيرة

○ **الأخ ضيف الله أ. ع. العتيبي ـ عفيف:**

يصلك جواب خـاص، وبخصوص مـوضوع الأرض فهذا بينك وبين البلدية طرفكم.

○ **الأخ مصطفى علوان بكري أبو حمزة ـ الفيوم ـ مصر:**

نشكــرك على حسن خلقـك، وحــديث «نية المؤمنين خير من عمله» ضعيف.

○ **الأخ المهندس سالم ب. أ. ـ عدن:**

نحمد الله على رجوعك إلى الزوجة، ومن ناحية حقها المادي فسيصلك جواب خاص تسير عليه.

○ **الأخ يسري. ط ـ عمان ـ الأردن:**

يصلك جواب خاص حول زراعة الأعضاء.

○ **الأخ بدر بن صنهات اليامي ـ نجران:**

لا زكاة على العمارة المعدة للإيجار بل يكون على الريع، وكذا لا زكاة على ثلاثين من الغنم حتى تتم أربعين رأسًا.

○ **الأخ محمد س س ـ الرياض:**

بإمكـانك الكتـابة إلينـا على ص. ب ٥٩٨١ الـريـاض ١١٤٣٢، أو ص. ب ٣ الـريــاض ١١٤١١.

○ **الأخت أسماء ل. ل. ل. ـ العزيزية ـ مكة:**

عـودي إلى البيت فأنـت مُخطئة، ويصلك جواب خاص.

○ **الأخ بكر ب. ن. أ. ـ جدة:**

راجع إمارة منطقـة مكة المكرمة، فهـذا أمر تحت خصوصيتها.

○ **الأخ نهار بن سعيد ـ الوادين ـ أبها:**

لم أستطع قـراءة السـؤال بسبب نقصـان ورقـة لعلها سقطت منك سهوًا.

○ **الأخ م. ل. ك ـ المدينة:**

هذا أمر من اختصاص المحكمة فقط.

○ **الأخ المهندس م. م. أ ـ القاهرة:**

مثل هذا العقد جائز إن شاء الله تعالى.


عبد الله بن حمد القرعاوي

ذكرياتي مع الصحافة

بقلم:
عبد الله بن حمد القرعاوي

لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لاخترت مهنة الصحافة، احترافا وممارسة، وليس هواية كما أنا الآن. والهواية نبتت ونمت على مرِّ الأيام لظروف شخصية مررت بها، كان من أهمها أنني شغفت بالقراءة، منذ صغري.. وأتذكر الأيام الأولى التي جعلتني قارئًا ممتازًا، وهي أيامي الأولى في مكة المكرمة.. بعد أن وصلتها مع والدتي، وأخوي الاثنين أحدهما أكبر مني، والآخر أصغر مني سنًّا، وكنت «الأوسط» بينهما.

في تلك الأيام الجميلة، من أيام رمضان المبارك للعام الهجري ١٣٦٠ هـ، أي منذ أربعة وخمسين عاما.. وكنت آنذاك في السنة الثالثة الابتدائية، ولا أستطيع أن أبالغ، وأقول إنني كنت أستطيع قراءة الصحف والمجلات منذ ذلك الوقت.. لا.. وإنما بعدها بسنوات، وحين أوشكت على الانتهاء من دراستي الابتدائية وانتقلت إلى المدرسة الثانوية، بدأت هواية القراءة. والسبب أن لي قريبا[1] كان يعيش في كنف أعمامه في مكة المكرمة، وكان أعمامه يمارسون التجارة بالمشالح في سوق (الجودرية)، وكنت أذهب لأتسلى مع ابنهم - ابن أخيهم - وأشاهد الناس في ذلك السوق، ونذهب للصلاة والدرس في الحرم.

كان هؤلاء الأقارب، يحتفظون ببعض الكتب في غرفة في أعلى المنزل.. ولفت نظري أن صديقي هذا يقضي بعض الوقت في القراءة فسرتُ إلى نفسي تلك العادة المحببة، وصرتُ أشاركه الجلوس ساعات حينما يفرغ من عمله في دكان أعمامه.. بعد العودة من المدرسة.

وقد لفت نظري كتابان ضخمان، أتذكر اسم أحدهما وهو (البروق النجدية) وهو من تأليف كاتب سعودي كان يقيم في مصر للدراسة في الأزهر.. اسمه عبد الله القصيمي، ولا أدري ما الذي لفت نظري إلى هذا الكتاب بالذات؟ هل هو موضوعه الديني، أو أسلوبه القوي، أو لأنه يحمل اسم مؤلف من المملكة، أو لأنه يحمل في عنوانه اسم (نجد).؟ وما الذي جمع كل هذه في كتاب واحد.؟ على أية حال، كان أهم سبب عندي أنه نمّى عندي عادة جميلة ومحببة، ومفيدة، استطعت عن طريقها أن أكتشف عوالم جديدة، وأن أشعر بنمو عقلي يجعلني أفكر في أشياء خارجة عن نطاق الأسرة أو الأصحاب الذين في الشارع.

مكتبة الثقافة

ولأجْل تلك الهواية بدَأْتُ مع صديقي زيارات متواصلة إلى مكتبة جديدة تسمى (مكتبة الثقافة) تقع في باب السلام، أحد أشهر أبواب الحرم المكي الشريف.. وفي ساحة هذا الباب أو مدخله، كانت تنتشر أشهر المكتبات «دكاكين لبيع الكتب[2]»، وكانت تهتم ببيع الكتب القديمة، المتخصصة في علوم الدين، واللغة العربية، يجاورها دكان يبيع صاحبه الأدوات المدرسية، من دفاتر وأقلام ومراسم ومحايات وبرايات، وكل ما يحتاجه التلميذ في مدرسته.

إلا أن هذه المكتبة الجديدة (مكتبة الثقافة) كانت جديدة - فعلا - لا تضاهيها مكتبة أخرى في مكة كلها.. فقد اهتم أصحابها[3] باستيراد الكتب الحديثة لمؤلفين كبار من مصر ولبنان وسورية والعراق.. إلى جانب ما تخرجه المطابع لمؤلفين سعوديين (على قلتها في ذلك الوقت)، إضافة إلى المجلات الأدبية والمصورة التي هي من نتاج مصر في أغلب الأحوال.



كان من أهم هـذه المجلات الأدبية الأسبوعية مجلة (الرسالة) التي يصدرها ويرأس تحريرها الأديب المصري الكبير أحمد حسن الزيات، و(الثقافة) التي تصدرها لجنة الترجمة والنشر بمصر، ويرأس تحريرها الأديب المصري الكبير أحمد أمين.. إلى جانب هاتين المجلتين الأسبوعيتين مجلات شهرية شهيرة.. مثل: (الكتاب) التي تصدرها (دار المعارف بمصر) ويرأس تحريرها الأديب الشاعر عادل الغضبان، ومجلة (الكاتب المصري) ويرأس تحريرها الدكتور طه حسين.. وأقدم منها مجلة (الهلال) التي تصدرها دار الهلال ومجلة (المقتطف)، ومجلة (المختار) الشهرية التي هي الطبعة العربية من المجلة العالمية الشهيرة **Reader's Digest**، ومجلة (الفصول) ومجلات أخرى غابت عن الذاكرة الآن، وكان هناك مجلتان لبنانيتان تصلان بانتظام هما مجلة (الأديب) لصاحبها ألبير أديب وكانت تُعنى بنشر (الشعر الحديث) ومجلة (الآداب) لصاحبها ورئيس تحريرها الأديب المعروف سهيل إدريس.

وهناك الدوريات التي كانت بعض دور النشر المصرية تصدرها مثل الكتاب الشهري الصغير الحجم العظيم الفائدة والجميل الشكل المسمى بسلسلة (اقرأ).. وكان كل شهر يكتبه مؤلف من مصر أو غيرها من البلدان العربية الأخرى، وأذكر من أهم المؤلفين الذين شاركوا في كتاب (اقرأ) العقاد، وطه حسين، وعزام، والحكيم، وسيد قطب، وبنت الشاطئ، وإسحق موسى الحسيني (من فلسطين)، وله كتاب طريف اسمه (مذكرات دجاجة) عسى أن أجده بين كتبي القديمة، لأستعرضه مع قراء «الفيصل»، ونستمتع معا بما فيه من فلسفة جميلة ساقها مؤلفه على لسان (دجاجة).

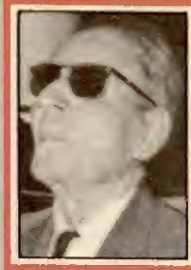
من الكتب الجميلة التي ما زالت عالقة في ذهني من هذه السلسلة.. كتاب (أرض المعجزات) وهو من تأليف الدكتورة بنت الشاطئ.



أحمد حسن الزيات



أحمد أمين



طه حسين



سهيل إدريس

وقد تَحَدَّثتْ فيه حديثًا أدبيًّا شائقًا عن الجزيرة العربية وآدابها وعادات العرب الأولين فيها.. وعرجت على ما لاحظته في زيارتها لمنطقة الظهران من أنها تضم جنسيات كثيرة إلا المصريين، واستدلت من هذا أن المصريين لا يغامرون مثل غيرهم لارتباطهم بأرضهم وعائلاتهم.. وضربت مثلا أنها قابلت كثيرا من السيدات جئن مع أزواجهن للعمل في شركة أرامكو قادمات من كاليفورنيا وأوربا، بينما لم تجد من المصريين أحدًا.

بالطبع، فإن هذا الحديث من الدكتورة بنت الشاطئ عن مواطنيها قد مضى عليه أكثر من أربعين عاما، أما الآن فإن الإخوة المصريين يُعدّون من أكثر مواطني الدول العربية سفرًا إلى الدول العربية وغيرها.

محطات صحافية

الحديث عن الصحافة شائق وطويل، إلا أن هناك محطات رئيسة يجب الوقوف عندها.. وأعتقد أنها - بالنسبة لي - تمثل البذور الأولى التي عمقت في نفسي حب الصحافة وممارستها كلما سنحت الفرصة.

ففي الفترة نفسها التي كنت أعيش فيها في مكة المكرمة، وبعد أن تقدمت في دراستي وانتقلت من المدرسة الابتدائية إلى المدرسة الثانوية (وهي تضم المرحلة الإعدادية، ٣ سنوات، والمدرسة الثانوية معا).. وبعد أن زاد عدد الصحاب بدأنا نفكر في ممارسة الصحافة في محيطنا الصغير، وعلى قدر إمكاناتنا، فاجتمعنا سويا، وكنا خمسة من الأصدقاء[٤] وقررنا إصدار صحيفة هي عبارة عن (مجلة) أسميناها (الشباب) وبدأنا نكتبها بأيدينا على ورق دفتر من دفاترنا، وكل منا يكتب ما يحلو من مقالات أو شعر أو قصة، أو نقد، أو نقد اجتماعي، ولا أتذكر كم عددًا صدر منها، ولكن عقد الأصدقاء انفرط، بعد أن أكمل بعض الزملاء دراستهم الثانوية، وسافروا إلى مصر للدراسة الجامعية.

في مصر (في القاهرة) التقى الزملاء الأربعة،[٥] وانضموا إلى عدد آخر من الزملاء في (بيت البعثة)[٦] وكانوا يصدرون (أعني الزملاء الذين سبقونا) (صحيفة حائط) أطلقوا عليها اسم

(المرآة). [٧] كانت حافلة بالنقد والأدب من قصة وشعر ومقالة. . وأذكر أن المشرف عليها كان الصديق الراحل (حمزة بوقري) وهو أديب معروف تخرج في كلية الآداب وعمل في وزارة الإعلام، حتى وصل إلى مرتبة (وكيل وزارة)، وله بعض الكتب، من أشهرها رواية أسماها (سقيفة الصفا)، وهي رواية يمكن اعتبارها من أدب السيرة الذاتية.

وبعد أن ترك العمل الحكومي في وزارة الإعلام اشتغل في الأعمال الخاصة، ونجح، وأصبح من رجال الأعمال المشهورين.

تنافس بين مناع ومطر

قضيت سنة في جامعة القاهرة، ولعدم رغبتي الاستمرار في الدراسة في (كلية الحقوق) حولت أوراقي إلى كلية الآداب في جامعة الإسكندرية، وانتقلت إلى هناك. . وبعد سنة من إقامتي هناك، جاء مجموعة من الطلاب السعوديين، كان من أبرزهم أحد طلاب كلية طب الأسنان، هو الدكتور عبدالله مناع[٨]، وكان أديبًا متمكنًا، له تجربة أدبية في بعض الصحف السعودية في جدة قبل وصوله إلى الإسكندرية، ولحبه للصحافة، فكر في إصدار (صحيفة حائط) في مقر البعثة السعودية في الإسكندرية، ونفذ هذه الفكرة، وأصدر صحيفة سماها (الحقيقة)، وشاركتُ وبعض الزملاء في الكتابة فيها.

كذلك أصدر زميلنا الأستاذ/ خليل مطر [٩] - أحد الطلاب في كلية التجارة آنذاك - صحيفة أخرى وبدأت الصحيفتان تتنافسان بروح أدبية ممتازة، وأعتقد أن الدكتور/ محمد سعيد فارسي[١٠]، هو الذي صمم صحيفة (الحقيقة) وكانت له فيها مشاركات ورسوم وكان آنذاك طالبًا في كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية ما بين عامي ١٩٥٥/ ١٩٦٠م.

بعد تخرجي في جامعة الإسكندرية (كلية الآداب) عدت إلى المملكة لأبدأ حياتي العملية والوظيفية، وكانت هناك صحف قليلة في المملكة من بينها (اليمامة) التي كانت قد أصبحت صحيفة أسبوعية، وأصبحت تحمل بين طياتها أفكار الشباب[١١] الذين يحفون بأستاذهم الكبير الشيخ حمد الجاسر.

ووصلت إلى مدينة «الرياض» عائدا من مصر بعد رحلة طويلة وشاقة أمضيتها في جامعتي القاهرة والإسكندرية في مصر (ولكنها ممتعة جدا).


د. عبدالله مناع


حمزة بوقري


د. محمد سعيد فارسي


مصطفى النحاس

كنت في مصر أختزن كل شيء لقيته هناك، لا سيما في مجال الأدب والصحافة، ومعروف أن مصر هي (أم الدنيا) ليس في جمالها الطبيعي ونيلها الساحر - النهر الخالد - كما أسماه الشاعر محمود حسن إسماعيل، وتغنى به محمد عبد الوهاب! ليس هذا فحسب، ولكنها كانت عاصمة العرب الكبرى سياسيًا، وعلميًا، واقتصاديًا، وأدبيًا، وكل هذا يتيح لمن يقيم في مصر، أن ينهل من هذه الينابيع دون أن يحس بالري.

الصحافة المصرية زمان

ذكرياتي الصحفية، في مصر، كانت ذكريات قارئ نهم - يقرأ كل ما تقع عليه عيناه من صحف ومجلات وكتب، وإن كانت دروس الجامعة تأخذ من وقتي النصيب الأوفى في بعض الأحيان!! . . وفي أحيان أخرى تطغى الهواية على الدراسة!.

لقد وصلت إلى القاهرة، مع حشد من الزملاء في ذي الحجة ١٣٧٠ هـ، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥١ م بعد تخرجي في مدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة، وحين دخلنا مصر بعد ثلاثة أيام قضيناها في محجر الطور، كانت القاهرة تعج بالمظاهرات، والخطباء يملأون الميادين والساحات والشوارع، والمقالات (النارية) تملأ الصحف، وكان ذلك اليوم هو اليوم «الثامن» من شهر أكتوبر (تشرين الأول) يوم إلغاء معاهدة ١٩٣٦ م، وخطاب (صاحب المقام الرفيع) الرئيس مصطفى النحاس باشا يملأ أسماع الدنيا كلها، ويهز عواطف المصريين ويعيدهم إلى الوراء مشيرًا، إلى سنوات العز السياسي والكفاح الوطني أيام سعد زغلول ومصطفى كامل، وها هو زعيم الوفد النحاس باشا يخاطب الجماهير بتلك الجملة الساحرة (من أجل مصر وقعنا المعاهدة سنة ٣٦، ومن أجل مصر نلغيها اليوم!).

هكذا أصبح يوم الثامن من شهر أكتوبر لعام ١٩٥١ م، يوما (خالدًا) في تاريخ مصر. . ولنترك هذا الجانب السياسي حتى لا يجرفنا تيار السياسة العميق!. ونضطر إلى الاستشهاد بكلمة الشيخ محمد عبده (لعن الله السياسة، وساس ويسوس وسائس ومسوس!!).

كانت صحف القاهرة قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ م



تُعدُّ على أصابع اليد وأهمها ـ محليًا وعربيًا ودوليًا ـ صحيفة «الأهرام» التي تجاوزت المئة عام وأصبح عمرها قرنًا وثمانية عشر عاما . . وثانية هذه الصحف صحيفة «المصري» الناطقة بلسان حزب الوفد، والتي كان يملكها الأخوان محمود وأحمد أبو الفتح . . وكانت منافسة لجريدة «الأهرام» باهتمامها برسائل المراسلين في الخارج، والركض وراء السبق الصحفي، وعنايتها أيضا بالنواحي الثقافية والفكرية، فقد كانت ملتقى لأقلام كبار الكتاب المصريين، لا سيما من كانت لديهم ميول (وفدية) أو كانوا أعضاء رسميين في حزب الوفد.

ثم ظهرت «أخبار اليوم» وهي صحيفة أسبوعية، إلا أنها أصبحت منافسة للصحيفتين السابقتين بعنايتها بالجوانب السياسية والفكرية، وقد أسسها التوأم (مصطفى أمين وعلي أمين) اللذين عشقا الصحافة منذ صغرهما، وكانا يلهوان بصحف الحائط، ثم احترفا الصحافة وأصبحا صحفيين بارزين في كثير من الصحف والمجلات المصرية مثل مجلة (روز اليوسف) ومجلات وصحف (دار الهلال) كمجلة (الهلال) الشهرية ومجلتي (المصور) و(الإثنين والدنيا) الأسبوعيتين. وقد عملا في هذه الصحف والمجلات، حتى أصبح مصطفى أمين في فترة من الفترات رئيس تحرير مجلة (الإثنين والدنيا) الأسبوعية، قبل أن يؤسسا دار أخبار اليوم ويصدرا صحيفة (أخبار اليوم) ومجلة «آخر ساعة» التي كان يملكها الصحفي القدير (محمد التابعي) الذي كان أستاذا للتوأم مصطفى وعلي أمين، ثم في العام ١٩٥٢ م أصدرا صحيفة «الأخبار» اليومية.

أثبت هذان الصحفيان «الناشئان» أن الصحافة (فن) . . وأن هواية الفن تنتج صحافة ناجحة، إذ لم يتخصص أحد منهما في علم الصحافة، لأن (علي أمين) كان مهندسًا، بينما أكمل (مصطفى أمين) دراسته الجامعية في مجال العلوم السياسية . . وبالرغم من عدم تخصصهما في مهنة الصحافة، فقد أصبحا صحفيين ناجحين يشار إليهما بأنهما (مدرسة صحفية) جديدة نافست «بحق» المدرسة القديمة التي كانت قائمة على كل من صحيفتي (الأهرام) و(المصري).



مصطفى أمين — إحسان عبد القدوس

ولن أنسى، ونحن نتحدث عن فترة ذهبية من عهد الصحافة المصرية، أن أشير إلى مجلة كان لها أثر بالغ، في الأوساط الصحفية والسياسية، وهي مجلة (روز اليوسف) الأسبوعية التي حملت اسم صاحبتها التي أنشأتها، وهي السيدة (فاطمة اليوسف) التي كانت تحمل اسم (روز اليوسف) كممثلة مسرحية كبيرة . . وحين اعتزلت التمثيل أنشأت هذه المجلة ثم ورث المجلة والعمل الصحفي بعدها ابنها: إحسان عبد القدوس وله تاريخ طويل في الصحافة المصرية قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ م، وما بعدها . . حتى توفي منذ سنوات قليلة، وشهرته عبر هذه المجلة ليس بصفته كاتب قصة، وإنما بصفته كاتبا سياسيا بارعا استطاع أن يثير ضجة كبرى قبل الثورة فيما سمي في الصحافة المصرية بقضية الأسلحة الفاسدة.

وللحديث عن صحافة ما بعد الثورة المصرية عودة أخرى إن شاء الله.

الهوامش:

١ ـ هو سعادة الشيخ محمد العبد الرحمن الفريح ـ تخرج في كلية الآداب، وعمل في وزارة المعارف فترة ثم أصبح ملحقًا ثقافيًا (تعليميًا) في لبنان لعدة سنوات، ثم عاد مديرًا عامًا لوزارة المعارف، ثم ترك العمل الحكومي ليعمل في القطاع الخاص . . وتولى عدة أعمال منها: مدير عام شركة كهرباء الرياض، مدير عام الغرفة التجارية الصناعية، وهو الآن متفرغ لأعماله الخاصة.

٢ ـ كان من أشهر أصحاب الدكاكين الشيخ عبد الله فدا ـ رحمه الله ـ وإخوانه وأبناؤه، وهو أديب وشاعر معروف . . والأستاذ عبد الله عرابي، وكان دكانه ملتقى مجموعة من الأدباء والشعراء الشباب حينذاك.

٣ ـ كان صاحبيها الأستاذ صالح محمد جمال ـ رحمه الله ـ والأستاذ عبد الرزاق بليلة ـ أطال الله عمره ـ وكلاهما كان له نشاط أدبي وفكري في أوائل النهضة . . وكان لهما فضل على الشباب الذين يقصدون مكتبة الثقافة وجيوبهم خالية في بعض الأحيان!!.

٤ ـ هم الأساتذة: محمد العبد الرحمن الفريح، حمد الصالح القاضي عبد الله العبد العزيز النعيم، وكاتب الذكريات عبد الله حمد القرعاوي، وعلي صالح المتروك.

٥ ـ محمد الفريح وعبد الله النعيم وحمد عبد الله الخويطر وعبد الله القرعاوي.

٦ ـ هو مقر طلاب البعثات السعودية بالقاهرة، ويقع في ذلك الحين في شارع محمد عبد المنعم بالدقي.

٧ ـ كان المسئولان الرئيسان عن تحرير الصحيفة: عبد الرحمن التونسي، وعبد الله سلامة الجهني ـ رحمهما الله ـ وقد جمعا كتابا من جزءين عن نشاط الطلاب من خلال هذه الصحيفة وأسمياه (الطلاب السعوديون في المرآة).

٨ ـ الدكتور عبد الله مناع تخرج طبيب أسنان في كلية الطب بجامعة الإسكندرية، وعاد إلى المملكة وجمع بين الطب والأدب والصحافة . . وأصبح رئيس تحرير ناجحًا لمجلة «اقرأ» الأسبوعية، وهو كاتب سياسي وأديب لامع تفرغ للعمل كإداري في ميدان الصحافة بعد أن تعب من مهنة المتاعب!!

٩ ـ تخرج في كلية التجارة جامعة الإسكندرية وعمل فترة في القطاع الخاص، وهو الآن من رجال الأعمال المرموقين.

١٠ ـ تخرج في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية . . وعمل فترة في وزارة الشئون البلدية والقروية منذ إنشائها، ثم كلف بأمانة مدينة جدة وقد عمل على تطويرها وبذل فيها جهودًا جبارة حتى أصبحت عروس البحر الأحمر!!.

١١ ـ هؤلاء الشباب هم صفوة من الأدباء والمفكرين منهم الأساتذة: سعد البواردي، وعبد المحسن التويجري، وعبد الله نور، والدكتور حمود البدر . . . وغيرهم.






د. عبدالعزيز الخويطر

● العنوان: أي بني! الجزء الخامس.
● المؤلف: د. عبد العزيز بن عبد الله الخويطر.
● الناشر: مؤسسة الجريسي للتوزيع. الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م. (٣٢٨ ص).

أنهى الدكتور عبد العزيز الخويطر كتابه «أي بني!» في جزئه الخامس. وقد سار مسار الأجزاء الأربعة السابقة في السرد والاستطراد، وتوظيف القصة الشعبية أو التاريخية في تأكيد أفكاره وآرائه وحكمه؛ لتتخذ حديث المجالس الذي ينشد الخفة والطرافة والتشويق والوضوح، ولا سيما أن طبيعة السامع تتوق إلى القصة والطرفة، والترويح عن النفس. وهذا ما سعى إليه المؤلف ووضعه في حسبانه.

وقد انصب حديث الخطاب والنداء إلى ابنه، القارىء، السامع، من خلال العرض لصور ومظاهر عديدة، أبرزها تلك الصور القديمة المختفية التي لم تعد لها مشاهد معاصرة وسنعرج على بعضها حسبما يتسع لنا المجال والمقام.

يخيل إلينا بادئ ذي بدء، أن الصور المختفية التي ركز عليها المؤلف في صفحته الأولى، ومن ثم تلك الوقفات والمشاهد التي أبرزها لمجتمعه القديم، وكانت مألوفة آنذاك بما فيها من معتقدات وخرافات، يخيل إلينا أنها تنم عن عقلية عابرة متخلفة، ليس من الحكمة تداولها، بل نسيانها وطمسها في عصر متطور. وإذ بالمؤلف يختزنها في ذهنه وذاكرته منذ خمسين عامًا كي يسلمها بدوره إلى ابنه القارئ المعاصر «والله أعلم إلى من سيبقى؟ وكم من الناس سوف يسمعه بعد الآن؟». ولو كان هناك إحصاء للقراء لعرفنا منه مقدار دورته وسريانه وعدد قرائه». وتستدرجه لفظة (الإحصاء) ليستطرد بقصة تراثية، ثم سرعان ما تتجلى لنا الأمور

والقصص الهادفة ذات المغزى، من خلال رؤاه وتعليقاته ونقده: وإذا بنا نقف معه عند (العين) و(العائنين)، أو ذاك (العائن) الذي يصيب الآخرين بسهام عينه ملحقًا بهم الضرر. وتكررت أمامنا صور عديدة وقصص غريبة بطلها عائن من العائنين، وهي تحدث في كل المجتمعات. ومما ذكره لنا الدكتور الخويطر عن العين وما يصدّ سهامها، ويبعد أذاها هو أن «يطلب من العائن أن يذكر الله، فتخمد جذوة العين، ويخبو أوارها، وتنطفئ نارها». أو يمكن أن تبطل ملكة إصابته بالعين «إذا صُلِّيَ عليه صلاة الميت وهو غافل، كأن يكون نائمًا». وإن أصابت عينه شخصًا عزيزًا عليه «فإنه يأخذ من أثره شيئًا فيسقيه من أصابته العين، أو يلبسه إياه، أو يدهنه منه». وإن تعليقنا على تلك المعتقدات لا تتعدى تعليق أديبنا الخويطر بقوله: «والله أعلم بالحقيقة». ويبدو أن (العائن)، - كما ورد في قصص عديدة من هذا الكتاب - يثق بفاعلية عينه ونفاذ سهامها بمن يود إلحاق التضرر بهم، أو بمن يود إعزازهم وإكرامهم، وإن الدكتور الخويطر ليؤكد ويقرّ تلك الفاعلية أو الرقية التي تقي العين أو تشفي من آثارها التي هي أشبه بالمعجزات. إن ادعاء المقدرة على إصابة المبغوضين والمحبوبين بالعين فيه نظر.

على أن الدكتور الخويطر، وهو يدعو إلى الاهتمام بتلك القصص الاجتماعية والتراثية وجمعها لما لها من فوائد، يأمل أن «نُعَدِّل من عاداتنا ما يحتاج إلى تعديل، ونُوجهها وجهة أفضل مما هي عليه». كما أنه يستنتج من بعض قصص العائنين أن الحسد هو الذي يتحرك من خلاله العائن، وهو المعيار بذلك، حيث «النعمة في جانب والحرمان في جانب آخر». ولذلك فقد وقف عند مسميات العين وسهامها في بعض مناطق المملكة العربية السعودية، مثل (النحاته) في بعض مناطق نجد، أو (النضل) في مناطق أخرى من نجد، أو (الحسد) في الحجاز. ولكم تمنينا لو أطلق (المِعْيَان) أو (العَيُون) بدل (العائن)؛ لأن صيغة المبالغة (مفعال وفعول) أشد فاعلية - إصابة - من اسم الفاعل.

وقد وقف بنا المؤلف عند أسباب اختفاء ظاهرة العين منها «زحف الحضارة والمدنية الحديثة، وتوافر الإمكانات بما يتناسب مع التطور الذي طرأ على بلادنا، بل على العالم أجمع؛ نتيجة تغير الأحوال الاقتصادية، وتقدم العلم، وما جاء به من اختراعات حديثة، وتقنية مذهلة».

ومع ذلك الاختفاء، ينقلنا المؤلف إلى اختفاء ظاهرة أخرى هي اختفاء الكناسين من مكة المكرمة. فاسترجع معنا شيئًا من أوصافهم، ولباسهم، وشيئًا عن الكناسة أو القمامة، ومسمياتها واشتقاقها اللغوي، وقصصًا عنها، وبخاصة التراثية التي تلطّف قليلاً من أجواء القمامة وإيحاءاتها. وإن أديبنا الخويطر يمتلك مقدرة أدبية وفنية يستطيع من خلالها أن يمنح القارئ رؤية ناطقة، وهو يعلق على إحدى القصص - بطلها عمر بن الخطاب - تعليقًا فنيًا يجعلها عملاً مسرحيًا، والقارئ مشاهد لما يجري أمامه على خشبة المسرح، ولا ينسى أن يذكر ما يمكن أن يكون صحيحًا في أحداث تلك المسرحية أو القصة، وما يمكن أن يكون منتحلاً. وتقوده القمامة أو الكناسة إلى الشوارع التي لا تعرف الأسفلت، وإنما تعرف الغبار والرش بالماء وأدواته، وهي ظاهرة قد اختفت أيضًا «فالمنظر كله تغير، ولو عاد لأصبح ملفتًا للنظر بل مُنتقدًا». وكذلك اختفى من مكة المكرمة، وبقية المدن والقرى، مشهد ذلك الرجل الذي يشعل المصابيح في الشوارع، وتستدرجه تلك الظاهرة إلى قصص (الجن)، بخاصة المرعبة كقصة (الدُّجيرة)، وبعض أمور الجن، وله أمامها وقفات فنية في التحليل والتصوير. وهكذا يمضي بنا الأديب الخويطر مع سائر الظواهر والصور والقصص التي اختفت، وما أكثرها! ويضيق بنا المجال للوقوف عندها، وبخاصة تلك التي تدور في فلك القضاء والقضاة. وتتطلب منه أن يدلي بدلوه عندما يرى أن ثمة خلافًا في الحكم أو الفتوى



الـدينية، وعليـه أن يبرر ذلك الخلاف. بينما الأمـر مختلف في قصص القهوة والشاي.

ولكن الأديب الخويطر في هـذا الجزء كان أكثر اهتمامًا، في قصصه واتجاهــه، بالجانــب الإنساني ـ مثـل الصور الاجتماعيـــة المختفيــة ـ من الأجزاء الأخرى.

وأخيرًا يا حبـذا لو اختفت من الكتـاب بعض الأخطاء الإملائية المطبعية كهمزتي الوصل والقطع، وتنوين الاسم المفرد أو منعه من التنوين.



● العنوان: لمحات من تاريخ نجد في عهد الـدولة الأمـويـة: (ابن عـربي) موطـد الحكم الأموي في نجد.

● المؤلف: حمد الجاسر.

● الناشـــر: دار اليمامـة للبحــــث والترجمـة والنشـــر ـ الرياض. ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، (٢٩٨ ص).

رغم قلـة المصـادر التي بين يـدي الشيخ حمد الجاسر، عن اليمامة أو نجد في العهـد الأموي، فإنه استطـاع أن يمنح قـارئه بحثـاً مستفيضـاً، اعتبره «لمحات من تـاريخ نجد في عهد الدولـة الأموية»، وإبرازاً لشخصية «ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد». وكان قـد نشر جـزءاً منه في مجلـة (الحرس الوطني)، على مدار عشرة أعداد بدءاً بشهر شعبان ١٤١٣هـ.

ومن الـركـائز الأسـاسيـة للبحث: الأوضـاع الإدارية لنجـد في صدر الإسـلام، واستقرار الحكم الأمـوي، وبوادر الحركـات (الثورات)، كثـورة أبي طـالـوت البكـري في (الخرج)، ونجـدة بن عـامـر الحنفي، وأبي فـديـك، وابن أبي زينب العبقسي. وولاة اليمامـة بعـد استتبـاب الأمــر لعبـدالملك بن مروان، كالحجاج، ويـزيد بن أبي هبيرة المحاربي، وإبراهيم بن عربي وغيرهم من الولاة الآخرين.

وممـا وقف عنده الجاسر، عـن اليمامة في صـدر الإسلام، هو استخلاف خالـد بن الوليد لسمرة بن عمرو العنبري التميمـي على اليمامة، بعـد القضاء على المرتدين. وكان الرسول ﷺ قد بعث غاضرة بن سمرة إليها لجباية الزكاة. وإذا عرفنا أن الجاسر عالم في الأنســاب، فإن النسب التميمـي ذو قيمــة من الوجهة الإداريـة والسياسية؛ لأن «آل تميم من أهل اليمامـة» ولهذا فقـد استدرجَنـا شيخنـا الجاسر، في بحثه، إلى تلك المنطقة المهجورة المهملة في كثير من عصورها التاريخية، حيث عانت من الإذلال والقهر الشيء الكثير، وذلك منـذ سحق أبو بكر الصـديق المرتدين فيها، حين «استصفى من أمـوالهم خيارها كالذهب والفضة وغيرها، وسُلبوا جميع وسائل عدة الحرب، وعوملوا بمنتهى الإذلال والقهر».

وكأن ذلك نتيجة لما فعلوه، «حيث قتلوا مئات القتلى من أصحـــاب رســول الله ﷺ وغيرهـم من المسلمين»، أو كأن فعلتهم السوداء هذه تبريـر لما عانوه» إذ نرى الجاسر يقول أيضاً: «ومـاذا يرام من بـلاد أثخنتها الحرب بقتـل رجالها، وأذلّها الاستيـاء بـاستصفـاء خيـار أمــوالها ومـا تملك من وسـائل القوة؟!» ص٨.

وقد أورد تصحيحاً لولاة اليمامة في عهد الخلفاء الـراشـدين، حيث كــانت الحالـة الإداريـــة غير واضحـــة، والخضـوع القبلي لم يكن مستمــراً، بل متغيراً حسب الظـروف أو تغير الأحوال. وفي عهـد معاوية لقيت اليمامـة (نجد) بعض الاعتناء؛ لأنها أصبحت مـرتبطـة بـالمدينـة المنورة، وكـان بعض الخلفـاء الآخرين يُفـرد ولاتها عنهـا. أما في العهـد العبـاسي فقد أصبحت (عُمان والبحـرين واليمامـة) كياناً واحداً.

ولأن مصادر شيخنـا الجاسر ضئيلة، بـل تكاد تكون نـادرة لا تشفي غليله عن اليمامة؛ فقـد كان يلجأ في أحيـــان كثيرة إلى المصـــادر الشعــريـــة، فيستقـرئ الشعر، ويستنبط بعـض المعلومـات من خلال مضامين ذلك الشعر، ومنـاسباته، والأمكنة التي ترد فيـه. كان يرى فيه «أوفى مصـدر وأصدقه وأوضحه لرسم معالم ذلك الحكم». ص٢٢.

لكنه لا يفتأ، كما ذكـرنا، في كل مناسبة يـذكر شيئاً من ظـروف تلك البلاد التي تجعلهـا لا ترضى بالتغيير والإصلاح لما فيهما من تقييد للحرية وقضاء على العـزة والسيادة. كما أن الـدين لم يغير شيئـاً في النفوس؛ وربما كـان مرد ذلك «إلى الطبيعـة القبلية المستحكمة في النفوس»، التي تتوق دوماً إلى «عدم الانضبـــاط»، والاعتيـــاد على «حيـــاة الفــوضى والاضطراب»، منذ آلاف السنين.

وظلت فكـــرة القبليـة هـي الســائدة في فكــر الجاسر، وبخاصـة في الهجرة أو في انضــواء البعض تحت لـواء الجيـوش الإسلاميـة الفـاتحة عبر البقـاع العـربية، حيث الأنسـاب والمواقع أو الأمكنـة هي هـاجس الجاسر الأول في بحـوثه ومـواقفـه وأرائه. ولهذا وجـدنــاه مستشهـداً بأراء بعـض الـدارسين المعاصـــرين - أمثـــال إحســان النص وإحســان عباس - ممن وقف وقفته، فكان مناقشاً ومعارضاً أو سـائراً مسـارهم. كما ظل في حسبـانـه أن الـدولـة الأمـويـة كـان جُـلّ اهتمامهـا ينصب على البلـدان الجديدة، لا البقاع المتناثرة في قلب الجزيرة العربية التي ظلت مهملة باستثناء المدينتين المقدستين. كما وقف أيضاً عند اختيار الولاة، لتلك البقاع، القائم على صلـة القـربى أو المصالح والـروابط الأخـرى. لذلك يعمم القول عنهم بأنه لا يوجد منهم ذو قيمة وعلو قدر وشأن، أو نال شهرة تاريخية «إلا في مجال التندر بما يـوصم به من غبـاء وبلاهـة. . بل انجر الأمـر إلى وصف السكان كلهـم بما لا يختصون بـه دون غيرهم». ص٢٠.

على أن الجاسر وقف عنـد الحياة البائســة التي تعرضت لها تلك المنطقة، وبخاصة من جور وظلم الـولاة «وشـدة تعسفهم في معاملـة بعض القبـائل الضعيفـة: إما استيفـاء زكوات أنعـامهم على غير الوجه الشرعي، أو بمعاقبتهم عامة لخطأ ارتكبه فرد منهم، أو نسب إليه، وقـد يكون بـريئاً» ص٢٢.

ولكنه أورد بعض قصص القبائل القوية كطي التي تأبـى الضيم والـــذل، وتثـــور على ولاة أو عمال

الأمـويين، وتُلحق بهم الأذى والفتك، مثل مُجالِـد الذي طرحوه في بئر تـدعى الحصيلية، وقد أنشدوا هذاالرجز:

سَلِ الحُصَيْلِيَّةَ عَنْ مُجَالِدْ   نَحْنُ طَرَحْنَاهُ بِلاَ وَسَائِدْ
بِجَمَّةِ البِئْرِ بِرَغْمِ القَائِدْ

ولا يـدع الجاسر ذلـك الموقف دون التعليق، والإحساس بالمقـدمات والأسباب التي تجر إلى مثل تلك النتـائج. لـذلك فقـد لام الخلفـاء ونـوابهم، الذين «أسـدلوا دون الـرعية حجبـاً كثيفة لا يمكن تجاوزها، أسوأها وأشدها حجاب الكراهية»، وكان لهذا الأثـر في «أن أكثـر أهل نجـد كـان ممن انقـاد لدعوة ابن الزبير لما خرج على الدولة الأموية في عهد يـزيد بن معـاوية، ومنهم من انضم إلى نجـدة بن عامر الحنفي حين استـولى على اليمامة، وضم إليها مناطق أخرى من نجد، وجُلّ سكان هذه الجهات من قيس عيلان». ص٢٥. كما وقف عند حركات أو ثورات أخـرى في المنطقة ضـد الأمويين، كثـورة البكري في الخرج. ولكنه وقف طويلاً عند نجدة بن عامر الحنفي، الذي أجمعت المصادر على النيل منه وإبـرازه بصـورة من التحقير، ربما؛ لأنـــه كـــان خـارجيـاً، ومن طـائفـة نـافع بن الأزرق. على أن الجاسر أثبت لـه بعض الحسنـات والمثل ومكـارم الأخـلاق. كما أنـه ليس كل من انضم إلى الأزرقي خارجياً، فربما كان ذلك بدافع النسب، وقرابة الجد السابع. وقد دافع عن نفسه قبل أن يوجه إليه اللوم في مثل تلك المواقف والآراء. كما أشار إلى أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد اتهم بمثل ما اتهم به نجدة الحنفي. وإذا كـان الجاسر قـد رفع من شأن من لم ينصفهم التاريخ، فإنه في الوقت نفسه قد حطّ من قدر من لا يستأهلـون الرفعة والتقديـر مثل إبراهيم ابن عـربي الـذي حكم المنطقـة والـياً، في عهـد عبدالملك وابنه الوليد، ما يقارب ربع القرن. ولهذا كان الجاسر يريد أن يعيد قـراءة أو كتابة التاريخ، ولا سيما عن تلك المنطقـة التي لم تذكر بعين الـواقع والحقيقة، ومـازالت إلى الآن لم يقل أحدٌ فيهـا شيئاً من الإنصاف والعدل والصـدق. فمما قاله عن ابن عربي أنه غريب عن المنطقة، مغمور النسب، أسود اللون، في لسـانـه عجمة، وزج الكثيرين في سجن (دوار). ولـذلك هجاه بعض الشعـراء ممن مدحـه أحياناً.





د. جريدي سليم المنصوري

● العنوان: شاعرية المكان
● المؤلف: الدكتور جريدي سليم المنصوري.
● الناشر: دار العلم للطباعة والنشر. جدة ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (١٧٢ ص)

هـذا كتـاب من الكتب التي تقـرأ، وتترك بصماتٍ جليـة في ذهن ووجدان القـارئ؛ لأن مؤلفه وفّق في أن يعالج موضوعاً تراثياً شعرياً معالجة معاصرة؛ إذ استطاع أن يستقرئ ويستنطق الجماد ـ المكان ـ بمختلف أسمائه ومعانيـه، ويحلل دلالاته وفـاعليتـه في النفس الإنسـانيـة بعـامـة، والنفس الشاعرة بخاصة.

ولهذا فـالقـارئ المتـذوق للشعـر، والمتـابع للّمسـات الفنيـة الجديـدة، سيجـد مـادة زاخـرة بالـرؤية، والانطبـاع، والتحليل، والاستنطاق؛ في كتاب «شـاعرية المكـان» للدكتور جـريدي سليم المنصوري، وسيظل مشدوداً حتى نهايته؛ لاسيما أن النص التراثي، النثري والشعري، محفـوف بعنايـة المؤلف عنـاية مركـزة، تجمع القديم والجديـد، بل تمزج التراث بـالمعـاصر، حتى وهـو يستنطق النص الشعري القـديم فيقرنه بنص شعـري معاصر. وإن كنا نتمنى لو أفاض بنصوصه المعاصرة التي جاءت ضئيلـة، ويتـوق القـارئ إلى الأكثـر لما فيهـا من دلالات ورموز أخصب.

وإذا كان الكتاب، أو البحث، يشمل فصولاً أربعة هـي: (الشعر والبحث عن المكـان، والمكان من التاريخيـة إلى الشاعريـة، والمكان وحركـة اللغة الشعريـة، والمكان وتقـاليد الفن الشعـري)، فإننا سنطوف عبرها دون تأكيد على تلك العناوين؛ لأن ثمة وحدة تجمع البحث هي: (شاعرية المكان).

نراه بداية يحاول أن يركز على ارتباط العرب بين بيتهم الشعري وبيتهم السكنـي. فهـذا ابن رشيق يقـول: «والبيت من الشعر كـالبيت من الأبنيـة»، ووقف المؤلف عند ما ذهب إليه ابن رشيق، وهو أن هـذا البيت الشعـري يحتاج لقـرار وسمك ودعـائم وبـاب وسكن، كما ربط أيضـاً بين أبيات الشّعـر والأخبية، وكذلك حازم القرطاجني الذي ربط بين بيت الشِّعـر وبيت الشَّعـر، وذهب أيضـاً إلى أن العرب في أبيـات الشعر قصدوا «أن يحاكـوا البيوت التي كـانت أكنـان العـرب ومساكنهـا وهي بيـوت الشَّعر، لكونهم يحنون إلى ادكار ملابسة أحبابهم لها واستصحابهم لها واشتمالها عليهم».

واستطـاع القرطـاجني أن يفسر بـواعـث ذلك الارتبـاط أو التلاحم بينهـا، ذلك هـو أن «السبب الأول الداعي إلى قـول الشعر هو الوجـد والاشتياق والحنين إلى المنـازل المألوفـة عنـد فـراقها، وتـذكـر عهودها...».

لهذا يـرى المؤلف أن تـاريـخ المكـان في الشعـر العربي هـو تاريخ عريق ومتصل، تتناقلـه الأجيال وتتمثلـه، وتعيـد صياغتـه على نحـو من استلهـام التراث المتجدد في روح المجتمع، تجدّ سطوره غريزة الانتماء للأمـاكن، وللقوم الـذين سكنوهـا. هذا الانتماء الـذي يشترك فيـه المخلصـون اشتراكهم في الماء والهواء، إلى الحد الـــذي يصبح معـــه أحـــد مقومات حياتهم. لهذا فلا بـد للمكان أن يكون له دلالته أو رمزه في نفس العربي.

من هنـا نجد المؤلف يقـول: «ومن منـا يسمع الريان أو العقيق أو وجرة أو البان أو نجداً أو دارين أو نعمان. فـلا تجيش نفسـه بشيء من العـواطف



التي تثيرها هذه الأماكن، بما تحتضنه من المعاني الوجدانية التي اكتسبتها عبر تاريخها الطويل».

ومن هنا سنجده يقف عند هذه الأماكن وغيرها كثيراً من خلال ربطها بالشعر الذي قيل فيها، والرموز التي توحيها أو تدل عليها، والمعاني التاريخية والحضارية التي يمكن أن تثيرها. ويظل التركيز منصباً على أن العرب حين ينقلون أسماء ديارهم القديمة إلى الأماكن الجديدة، فإنما يقصدون الحفاظ على شيء من تاريخهم وحضارتهم، به يقوم وجودهم، وكأن الألفاظ تحمل طرفاً من حقائق تاريخ مسمياتها؛ ذلك أن المكان يلامس قوى الإحساس في النفس البشرية، فتتلبسها ملامح شتى تنبئ عن علاقتها بالمكان، وهي علاقات باقية في اللغة.

كما أن رؤية المؤلف تتجه أيضاً إلى أن الشاعر حين يتعامل مع أسماء الأماكن - الكلمات - فإنما يتعامل معها وهي مشبعة بالمعاني الوجدانية التي تتجاوز المعاني الانفعالية الأولية، إلى ما يضاف إلى ذلك بنتيجة الخبرة، أو الرؤية الفردية في ظل المكتسبات التي احتضنتها الكلمة عبر تاريخ حياتها في الفكر الجماعي.

لهذا درس المؤلف ايحاءات اللفظة أو الكلمة التي يمثلها اسم المكان، دراسة فنية تصويرية حيناً وبديعية شكلية متجانسة حيناً آخر، وإن كان أحياناً تتنازع قيمتان للمكان الواحد، القيمة التاريخية، والقيمة الجغرافية، لكن الشعر يظل عنده هو الأوضح والأكبر، أي أن الشعر يبقى محافظاً على استقلاليته. يقول: «وهكذا فإن التاريخ الجغرافي يفيد من الشعر، ولكن يبقى الشعر مع ذلك محتفظاً باستقلاليته، ويأبى أن يكون مجرد وثيقة تنقل واقع الأحداث وتحدد أماكنها».

ولقد وقف المؤلف الدكتور جريدي المنصوري وقفة تحليلية لفاعلية المكان على الشعراء، وبخاصة المكان الذي يثير شحنة وجدانية مقرونة بحب التاريخ والأمجاد الماضية، كما في أمجاد العرب في الأندلس، فاستشهد بنماذج ثلاثة من الشعراء العرب المعاصرين: (إلياس طعمة - الشاعر المهجري الذي أسلم وأصبح اسمه: الوليد أبو الفضل - وعمر أبو ريشة، ونزار قباني) واستخلص شيئاً من إنتاج المكان في الصورة الشعرية، وقراءة الإنسان العربي في ملامح الإنسان الأوربي، ومن ثم استنطاق هذه الملامح في ظل الرؤية الشعرية التي تستلهم التاريخ.

وإن في وقوفه على الأمكنة أو المواضع التي وردت في الشعر رؤية معاصرة، يحسن فيها ربط المكان بدلالاتها الشعورية والجمالية (ص٣٣) كما أن عرض نصوصه الشعرية - لقدامى ومتأخرين - يعقبها أحيانا رؤية فنية ونقدية تميز بين الجيلين من الشعراء (ص ٣٨). كذلك تتبدى رؤيته الفنية في المجانسة بين الألفاظ وأسماء المواضع وإيحاءاتها. (ص٨٦).

وحين يستعير المؤلف رؤية غيره في سياق كلامه وتحليل إحساسه بالمكان كما ورد في المقدمات الطللية، فإنه يبدي إعجابه برؤاهم (ص ٩٧).

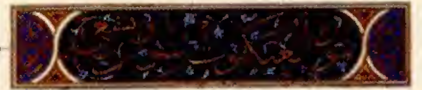
كما أن في كلامه عن المرأة في الشعر العربي، من خلال مقدمات القصائد، فيه فهم وحق. (ص١٠٨).

ولقد استنبط معاني عديدة ذات قيم ومثل من المكان وبنوع خاص (البيت، الجبل)، حين استقرأ بعض الشعر الغزلي والمدحي والفخري. لكن ثمة استطراداً قاده إلى معان تبدو أنها ليست ذات علاقة بالمكان، مثل استطراده (وهو بصدد القيم التي استمدها من الجبال مثلاً، كالقوة والشجاعة) في أدوات القتال: السيوف والرماح والدروع لكن أثر المكان على تلك الأدوات وضُحَ حين نسبها إلى الأمكنة وأوضح لها دلالاتها وميزاتها التي تميزها من غيرها من عدة الحرب، وكذلك وهو بصدد الكرم، نراه يبلور معاني متعددة مستنبطة من بعض نصوصه الشعرية التي تبرز أثر المكان في قيمة الكرم.

إذا كانت مصادر بحث المؤلف عن الأمكنة تراثية قديمة، فإننا لم نعثر له على شاهد واحد من المؤلفات السعودية المعاصرة التي تناولت الأماكن في أرجاء الجزيرة العربية، وهم كثر، وعلى رأسهم ابن بليهد والجاسر، وابن خميس، والعبودي، والرجوع إلى هؤلاء يغني بحثه؛ لأنهم يكتبون عن الأماكن والمواضع وتحديدها من خلال الشعر، والرؤية الواقعية للموضع الذي يحددونه بملاصقة وحميمية ومعرفة ميدانية؛ أكثر صدقاً وواقعاً ممن كتب أو وقف عند تلك المواضع؛ لأنهم أهل المنطقة، وينطلقون من مقولة [أهل مكة أدرى بشعابها].

وحين قسم المؤلف الأمكنة أو المواضع إلى ثلاثة أقسام: (الأليف، والمعادي، والمحايد) أدرج مع المكان المعادي: السجن، والمواضع التي تحول دون لقاء الأحبة مما تجسد المسافة المكانية للبعد والفراق في شعر الغزل أو مقدمات القصائد.

وإننا لا نوافق الشاعر على إقران مواضع الأطلال الغزلية بالسجن المكان المعادي بحق؛ لأننا لو قبلنا بتلك الرؤية لرفضنا ما جاء في كتاب المؤلف من روائع وجدانية ودلالات روحية وعاطفية وشعورية وذهنية واجتماعية للمواضع التي تثير الغزل عند الشعراء وبخاصة شعر الحنين والفراق وتباريح الهوى وعذابه، وهو أجمل ما في شعر الغزل العربي. وإن حاول المؤلف أن يصف في (ص ١١٤ وما بعدها) بعض المشاعر المخيفة التي تنتاب شعراء الغزل؛ مع أنه كان في (ص ٢٣) يرى أن تلك الحالات البائسة هي التي تمنحنا (إيقاع السعادة).



الخط العربي
أرقى الفنون الإسلامية

د. أبو صالح أحمد الألفي

صحب الخط العربي الحضارة العربية الإسلامية، ومضى مع تطورها، وقام بدور مهم فيها، لا كوسيلة للتفاهم ونقل الأفكار فحسب، وإنما أيضا كعمل فني له كل خصائص الفنون وقيمها الجمالية الرفيعة.

ولا أظن أن هناك - على مدى التاريخ - عنصرًا فنيًا تشكيليًا أو معماريًا تطور بهذا الفارق الكبير بين بدايته أيام النبط، وما وصل إليه من قمة الازدهار في أواخر عهد السلاطين العثمانيين، والفضل - كل الفضل - للقرآن الكريم، لأن الله أنزله بلسان عربي مبين، وكُتب «بخط عربي»، وكان هذا هو المجد الذي لا مجد بعده للحرف العربي.



نموذج من الكتابة المتناظرة (المتعاكسة) بخط محمد شفيق، نصها: (لا إله إلا هو ربي ورب العالمين)، وهذه اللوحة من أرقى النماذج الخطية في العالم الإسلامي.

وما من فنان أضفى على حروف الكتابة - في أية لغة من لغات العالم - قيمًا جمالية كالفنان المسلم، سواء في المخطوطات أو في واجهات المباني أو في الحشوات الخشبية في العصر العباسي والطولوني والفاطمي والمملوكي أو في الزخارف الجصية في الطراز الإسباني المغربي. وكانت المصاحف الشريفة، في مقدمة المخطوطات العربية مجالاً للتفنن، في تطوير الخط وتجويده، وتنميق الزخارف وتلوينها وتذهيبها، سواء في أول الصفحات أو في رؤوس السور وعلامات الأجزاء والأحزاب.

ولا نكاد نجد عملاً فنيًا إسلاميًا لا يكون للخط فيه مكانته البارزة، ولعل مرد ذلك إلى جوهر العقيدة الإسلامية، الذي يتمثل في القرآن الكريم، كلام الله المنزل على عبده ورسوله، محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾، ﴿اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم﴾.. وقد استهدف كل خطاط وفنان أن يصل بما يكتب من آيات الله إلى غاية الجمال وقمة الجلال، وأصبح التيمن بكتابة بعض آيات من القرآن الكريم، أو التقرب إلى الله بالدعاء والاستغفار والرجاء أمرًا لا يكاد يخلو منه أي عمل فني.

وكان على الفنان المسلم أن يرتقي بمستوى الأداء في الخط العربي إلى الذروة، مستخدمًا كل مواهبه وقدراته وخبراته في ذلك، وكان الأمر يؤدى بدقة وعناية متناهيتين، وليس أدل على هذه الدقة من أن وحدة قياس نقطة القلم التي وضعها الخطاطون الرواد لضبط مدأت الحروف واستداراتها وانحناءاتها، كانت «شعرة البرزون» (١).

أصل الخط العربي وتطوره

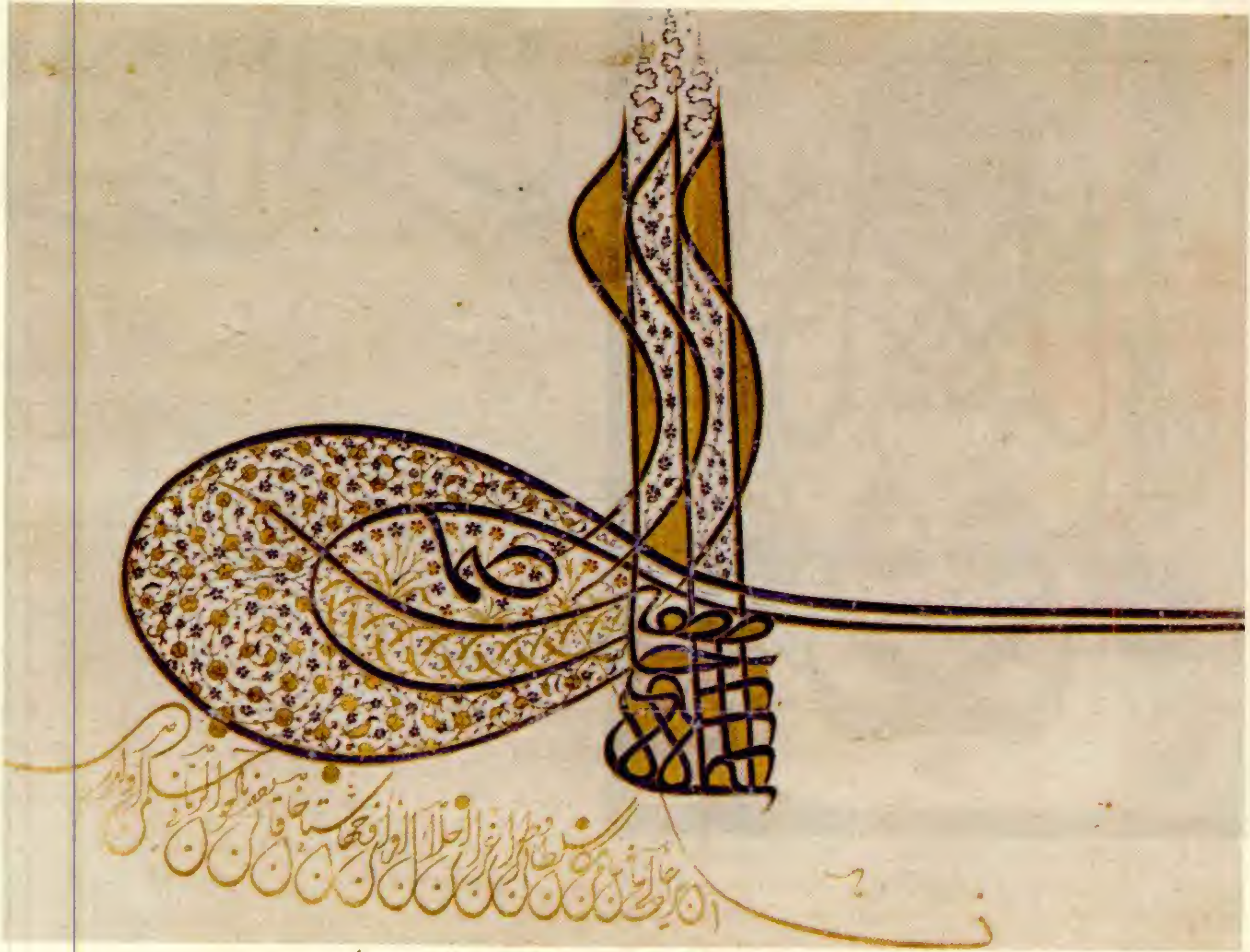
على الرغم من اختلاف الآراء في شأن الأصل الذي اشتقت منه الكتابة العربية الشمالية، فثمة حقيقة لا تقبل الجدل هي أنه وُجِدَ خط يقال له الخط النبطي، نسبة إلى الأنباط، ذلك الشعب العربي الذي أسس - في قرون سبقت ميلاد المسيح وامتدت بعده - مملكة تتسع من شمال الحجاز إلى نواحي دمشق، وتشمل مَدْيَن وخليج العقبة والحجر وفلسطين وحوران. وقد اشتق الخط النبطي من الخط الآرامي. ثم زالت مملكة النبط من الوجود في أوائل القرن الثاني الميلادي، إلا أن طريقتهم في الكتابة ظلت باقية يكتب بها الأعراب النازلون في أقصى شمال شبه الجزيرة زهاء ثلاثة قرون.

إن الصورة الأوليَّة للخط العربي لا تبعد كثيرًا عن صورة الخط النبطي، ولم يتحرر الخط العربي من هيئته النبطية، بحيث أصبح خطًا قائمًا بذاته إلا بعد أن استعاره العرب الحجازيون لأنفسهم بقرنين من الزمان، وقد سُمِّيَ هذا الخط الذي انتهى إلى العرب بالخط الحيري أو الأنباري. وكان هذا الخط على شكلين: الخط «المُقَوَّر»، وهو الخط الليِّن المتداول في المراسلات والكتابات المعتادة، والخط «المبسوط» وهو الخط اليابس المستعمل في النقش على المحاريب وأبواب المساجد وجدران المباني وفي كتابة المصاحف.

ولما بنيت الكوفة سنة ١٨هـ نزح إليها من بقي من أهل الحيرة والأنبار لحلولها محل مدينتهم، وانتشر الخط بين سكانها وجودوه وبرعوا فيه، فنُسبَ إليها، فقيل الخط الكوفي بدلا من الحيري أو الأنباريّ، وكان الخط في مكة يسمى بالخط المكي، وفي المدينة يسمى بالخط المدني على حسب المدن التي كان يكتب فيها.

كان أشْهَرَ كُتَّاب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، وأبو سفيان وابنه معاوية وسعيد بن العاص وولداه، وزيد بني ثابت، والزبير بن العوام، وسعد ابن أبي وقاص، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، والعلاء بن الحضرمي، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص (٢).

وكان العرب يكتبون بقلم من الغاب وبمداد مصنوع من



طغراء السلطان سليمان القانوني، كتبت بمداد أحمر مع ترقيط ذهبي، وطليت باللون الأزرق.

السناج، على جريد النخل بعد تهذيبه، وعظام الجمال وقطع الخزف والفخّار، والرّق، والبردي المصري الذي كان استخدامه أول عهد العرب باستعمال الورق. وكان ذلك حوالي السنة العشرين من الهجرة.

في نهاية القرن الأول الهجري، تعلم العرب صناعة الورق على يد صنّاع من الصين أسرهم العرب حين فتحوا سمرقند. والكثير من المخطوطات التي لا تزال محفوظة إلى اليوم ترجع إلى القرن الثالث الهجري وكان استخدام الورق قد عمّ جميع الأقطار الإسلامية.

أول تطور في الخط العربي

كانت الكتابة العربية بصورتها المعروفة للعرب تلبي احتياجاتهم وتوضح أغراضهم في سهولة ويسر، لسلامة فطرتهم، لكن الاختلاط بين العرب الفاتحين وغيرهم من الأمم، أدى إلى تسرب اللحن إلى ألسنة الكثيرين منهم.

من أجل ذلك، وخشية وجود اللحن عند قراءة القرآن الكريم، طلب أمير العراق زياد بن أبيه، في عام ٦٧هـ، من أبي الأسود الدؤلي معالجة هذه الظاهرة، فبدأ بوضع علامات الإعراب بأن جعل نقطة حمراء فوق الحرف علامة الفتحة، ونقطة قبلها في أسفل علامة الكسرة، ونقطة أخرى على يسار الحرف علامة الضمة، كما وضع نقطتين معًا علامة التنوين، وترك السكون بلا علامة، وكان هذا أول تطور في الخط العربي.

على أن هذا الإصلاح لم يف بالغرض، إذ وقع اللبس في الحروف المتشابهة كالدال، والذال، والصاد والضاد، والباء والتاء، فسارع الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان، إلى تكليف اثنين من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي هما: نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر لعلاج هذا الأمر، فانتهيا إلى تنقيط الباء بنقطة في أسفلها والتاء بنقطتين فوقها والثاء بثلاث نقط فوقها، وهكذا فعلا ببقية الحروف المتشابهة، واختلفا في تنقيط حرفي الفاء والقاف، فقد قرر نصر، وهو من المشرق، وضع نقطة واحدة فوق الفاء ونقطتين فوق القاف . وفي الوقت نفسه قرر يحيى، وهو من المغرب، نقطة للفاء تحتها ونقطة للقاف فوقها، وأخذ المشرقيون برأي عالمهم، وأخذ المغربيون برأي عالمهم.

ثم جاء الخليل بن أحمد (٩٤- ١٦٢هـ) (٧١٢-٧٧٨م) وهو الذي سجل بحور الشعر، فابتكر طريقة لسد جميع الثغرات، بوضع ثمان علامات: هي الفتحة والكسرة والضمة والتنوين والتشديد وهمزتا الوصل والقطع والسكون، وبذلك استكمل الخط العربي مقوماته التي تلزم للقراءة الصحيحة.

بعدها ظل الخط العربي يرتقي ويزداد كل يوم حسنًا وتنوعًا حتى صارت أنواعه أبان الدولة العباسية أكثر من عشرين نوعًا، مما جعل الوزير محمد بن مقلة (المتوفى ٣٢٨هـ) يحصر هذه الأنواع في أواخر القرن الثالث الهجري، حيث استخلص منها ستة هي: الثلث ،والنسخ، والتعليق، والريحان، والمحقق، والرقاع (٣).

انتشار الخط العربي في الأمصار

من دلائل رعاية الله وفضله، وحفظه للقرآن الكريم، دخول الكتابة العربية أرض الحجاز قبيل ظهور الإسلام، حيث تم للحُفّاظ تسجيل ما يحفظون من القرآن الكريم. وقد ضرب النبي عليه الصلاة والسلام المثل للمسلمين، في اهتمامه بنشر القراءة والكتابة بينهم، حين كان يطلق سراح الأسير إذا علّم عشرةً من صبيان المسلمين الكتابة ، إدراكًا منه صلى الله عليه وسلم بأهميتها في تحقيق أهداف الدين

الجديد، ونشر القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

وقد حرص الخلفاء على اختيار كُتّابهم ممّن يوثق بهم ويجيدون التدوين. وكانت الغزوات العربية في صدر الإسلام خارج الجزيرة العربية من أهم الأسباب في انتشار اللغة العربية.

أدت قوة الكتابة العربية وعظم سلطانها إلى اتخاذها لرسم لغات الكثير من الأمم التي فتحها العرب، كما حدث في بلاد فارس حيث حلت الحروف العربية محل الحروف الفهلوية في كتابة اللغة الفارسية، مع زيادة الحروف الخاصة، كما حلت الحروف العربية كذلك محل الحروف الأوردية الهندوستانية ولغة أهل كشمير، وامتدت الحروف العربية إلى المسلمين من أهل الملايو لكتابة لغتهم، كما استعملها كذلك أهل جاوة والفلبين للغرض نفسه. وامتد انتشار الكتابة العربية حتى الصين فكتبت بها النصوص الدينية الإسلامية لصالح مسلمي الصين.

كذلك، تداولت الكتابة العربية الأمم التركية والتترية التي تسكن حول بحر قزوين وشمالي البحر الأسود وجنوب جبال الأورال. على أن لغات هذه البلاد لم تدون بالحرف العربي إلا منذ القرن السابع الهجري، وهو عصر التدوين في محيط الأمم التترية والتركمانية، بخلاف الفرس والهنود الذين سبقوا إلى اعتناق الإسلام واتخاذ الكتابة العربية (٤).

بل وصل الخط العربي إلى مسلمي سيبيريا بتأثير من مسلمي تركستان الروسية، واقتضى ذلك زيادة حروف معينة لتحقيق صلاحية الحروف لأداء المخارج التي ليست أصلا في اللغة العربية. وكان الأتراك وسيلة لنقل الكتابة العربية إلى بعض دول البلقان التي انتشر فيها الإسلام كألبانيا وبلغاريا.

من الملحوظات الجديرة بالاهتمام أن تدوين القرآن الكريم وكتب الدين بين الأمم الإسلامية التي احتفظت بلغاتها الأصلية كان بالخط النسخي، لسهولة قراءته وعدم اللبس فيه. على أن الفرس استطاعوا بما لديهم من نفوذ خاص، في الهند والصين، أن ينشروا خط التعليق (الخط الفارسي) في هذه البلاد لكتابة الشروح والتفسيرات، أما الآيات القرآنية فكانت تكتب بالخط النسخي.

ومنذ فتح مصر على يد القائد عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب (١٨ - ٢٠هـ)ثم فتح شمال أفريقيا بعد ذلك ثم إسبانيا، امتد الخط العربي في هذه البقاع، وأصبح له في شمال أفريقيا والأندلس خصائص مميزة.

وعندما نشر المغاربة الإسلام في غرب أفريقيا نشروا معه الخط العربي، وكان ذلك حوالي القرن السابع الهجري، حيث كانت النيجر مركزًا للنشاط الإسلامي، وبديهي أن يكون الخط الذي استعمل في غرب أفريقيا متفرعًا من الخط المغربي، وقد سُمّي «الخط السوداني»، والخط المغربي السوداني كان وسطًا بين الخط اللين والخط الجاف.

وعرف شرق أفريقيا الكتابة العربية في أرتريا والصومال ومدغشقر التي ساد فيها الإسلام مبكرًا بسبب كثرة وفود العرب إلى هذه الجزيرة بقصد التجارة، وهم يستخدمون الحرف العربي لكتابة اللغات المحلية. على أن الصومال ترك استعمال الحرف العربي في كتابة اللغة الصومالية قبل بضع عشرة سنة، والمأمول أن يعود إلى استعمال الكتابة العربية بعد أن انضم إلى جامعة الدول العربية.

وقد بلغت العلوم والمعارف العربية شأوًا كبيرًا، وانتقلت هذه العلوم والمعارف المدونة في مخطوطات، إلى أوربا عبر إسبانيا الإسلامية، وظل الكثير من كتب العرب يُدرّس في جامعات أوربا إلى عهود ليست بعيدة.

المعايير الجمالية للخط العربي وروادها

بدأت العناية بالكتابة العربية في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم في أيام الخلفاء الراشدين، لشدة لزومها لتدوين القرآن الكريم وكتابة الرسائل إلى الأمصار.

فلما انتقل مقر الخلافة أيام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - إلى الكوفة، - وإليها ينسب الخط الكوفي - ظل هذا الخط متداولاً ومفضلاً في كتابة القرآن الكريم حتى نهاية القرن الرابع الهجري، وإلى جانبه خط آخر لين، استعمل في كتابة الرسائل ومدونات الدواوين.

ثم انتقل مركز العناية بالكتابة العربية إلى الشام (٤١هـ) مع استقرار الخلافة الأموية فيها، فظهر الخطاط قطبة المحرر، الذي بدأ في تحويل الخط العربي من قيود الخط الكوفي إلى قاعدة جديدة أكثر ليونة، فاخترع خط الطومار وخط الجليل.

ولما جاءت الدولة العباسية، ظهر الضحاك بن عجلان، وإسحق بن حماد - كان الضحاك في خلافة السفاح، وكان إسحق في خلافة المنصور والمهدي - ، وكان يخطان الجليل والطومار(٥). وقد ذكر ابن النديم في الفهرست (ص١١) أن إسحق فاق الضحاك في آثاره وأعجز الآخرين عن الإتيان بمثلها. ثم جاء إبراهيم الشجري - تلميذ إسحق بن حمّاد - واخترع قلما أخف من الجليل سمّاه «خط الثلثين»، وآخر نصف الثلثين وسماه «الثلث»، وهكذا يكون « خط الثلثين» بعرض١٦شعرة و«الثلث» بعرض ٨ شعرات.(حيث إن عرض قَطّة قلم الجليل٢٤ شعرة، والقَطّة مقطع رأس القلم عرضًا في بَرْيه) وهكذا أمكن توليد أقلام جديدة من الأقلام الموجودة بحيث أصبح عدد الأقلام العربية نحو عشرين نوعًا.

لوحة بخطي الثلث والنسخ، كتبها الخطاط المبدع الحاج حسن رضا سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م).



لوحة بخطي الثلث والنسخ، كتبها الحافظ عثمان، المعروف بحافظ القرآن. تعد المصاحف التي كتبها بخط النسخ من أروع ما كتب في تاريخ الخط.

قانون ابن مقلة

جاء الوزير العباسي ابن مقلة «٢٧٢هـ - ٣٢٨هـ» في زمن خلافة المقتدر بالله العباسي، فوضع المقاييس والمعايير الهندسية والجمالية للخط العربي، بحيث إذا زاد عنها قبح، وإن قصر دونها سمج، وقد سمي الخط الذي تنطبق عليه هذه المعايير الفاضلة «محققًا» والخط الذي لا تنطبق عليه هذه المعايير سمى «دارجًا».. وكان الخط المحقق تكتب به المصاحف ومراسلات الملوك وغيرها من الأمور الجسيمة والمهمة، أما الخط الدارج فتؤدى به الأغراض اليومية.

يقوم قانون ابن مقلة على خلق علاقة ثابتة بين الحروف التي تؤدى بها الكتابة، بحيث يتحقق بها الاتساق وجمال العلاقات، وَعُدَّ حرف «الألف» هو المعيار الثابت، ونُسبت إليه الحروف جميعها. ومثال ذلك: «الباء»مثلا تتكون من قائم ومنبسط، طولهما معا يساوي طول الألف، «والجيم» تتكون من خط مائل ونصف دائرة قطرها بطول الألف، «والدال» تتكون من خطين الأول مائل والثاني منسطح وطولهما معا يساوى طول الألف، «والراء» قوس ربع دائرة الألف قطرها، وهكذا...

لا شك أن ابن مقلة كان يتمتع بموهبة جمالية فائقة، ذلك لأنه أدرك بفطرته السليمة القانون الذي نسميه «قانون العلاقات»، وهو من أهم القوانين الجمالية التشكيلية، وهو أن تكون هناك علاقة ما بين الأشياء تربطها وتُكوِّن منها وحدة جمالية تقوم على أسس رياضية.

ونحن نعجب، أيضا، إذا علمنا أن ابن مقلة جعل طول حرف «الألف» مساويًا لعرضه ثمان مرات وهذه النسبة هي النسبة بين طول الانسان وطول رأسه !!.

بعد قرن من الزمان جاء «ابن البواب» المتوفى عام ٤١٣هـ ليكمل قواعد الخط... ثم جاء «ياقوت المستعصمي» الملقب «بقبلة الكتاب» المتوفى عام ٦٩٧هـ، فأوصل هذه الحركة الجمالية للخط العربي إلى غايتها.

ومنذ أواخر القرن الخامس الهجري، وبعد التطور الكبير الذي أصاب الخطوط اللينة، بدأ استخدامها في الأغراض التذكارية في المباني والمصاحف، ولم ينقض القرن السادس الهجري حتى قلَّ استعمال الخطوط الكوفية سواء في كتابة المصاحف أو في النقش على الأحجار أو المعادن.

شاركت جميع البلاد العربية والإسلامية بصورة أو بأخرى، في تطوير أقلام الخط العربي حيث كان محل عناية الخطاطين الأفذاذ المنقطعين للتجويد ووضع الأصول وإحكام المعايير.

وكان للمدرسة السلجوقيةالأتابكية، فيما بين القرنين العاشر والثالث عشر، فضل تجويد الخطوط المستقيمة من خط الطومار الكبير (خط الثلث وخط الثلثين) وخط النسخ، وتعتبر خطوط المصاحف السلجوقية الأتابكية المكتوبة بخط النسخ أروع ما كتب بهذا الخط.

وأقدم المخطوطات المذهبة التي يمكن نسبتها إلى إيران ترجع إلى عصر السلاجقة، وتمتاز بكتابة معظمها على ورق بالخط النسخي، وأنها مستطيلة، واستعمل في الزخرفة النجوم المسدسة والمثمنة، والمراوح النخيلية والفروع النباتية المتصلة (الأرابسك) كما تحاط سطور الكتابة بخطوط دقيقة، وتملأ الصفحة خارج هذه الخطوط بمختلف الرسوم النباتية (٦).

التوريق

أخذت المدرسة التركية عن السلاجقة خط النسخ، وعن المصرية خط الثلث وخط الثلثين، ثم أضافت من عندها خطين جديدين هما خط «الرقعة» والخط «الديواني». ثم بعد ذلك أضاف الأتراك خطين جديدين آخرين هما «الإجازة» وهو مزيج من النسخ والثلث، و «الهمايوني» وهو مشتق من الديواني، ويعرف باسم «جلي الديواني».

سبق أن ذكرنا أن الحروف العربية حلت محل الحروف الفهلوية في كتابة اللغة الفارسية، وقد تنافس أمراء الفرس وعلماء الدين في شراء المخطوطات المكتوبة بالقلم الجيد، وسار أمراء الأتراك على هذا المنوال.

وقد اشتهر الفرس بتذهيب المخطوطات، ونقل الأتراك هذا الفن عنهم، وكان أكثر الخطاطين مذهبين في الوقت نفسه، ذلك لأن التذهيب لازم لتزيين الكتب الدينية، ويُعَدُّ بديلاً عن الصور ويغني عنها. وامتد التذهيب عند الفرس فشمل الكتب الأدبية ودواوين الشعر والمخطوطات بصفة عامة.

وعندما ألغى كمال أتاتورك الكتابة العربية في تركيا، أنشأت مصر مدرسة تحسين الخطوط العربية في عام ١٩٢٢م (في عهد السلطان أحمد فؤاد)، فحملت لواء التذهيب وتجويد الخط والمحافظة عليه. وتخرج فيها الكثيرون من رواد الخط في العالم العربي.

أنواع الخطوط واستعمالاتها

يعرف الخطاطون أن كل نوع من أنواع الخطوط يمكن توظيفه على الوجه الآتي:

- خط النسخ : تكتب به المصاحف والأحاديث النبوية وغيرها.
- خط الثلث : تكتب به رؤوس الموضوعات التي تسطر بخط النسخ، وكذا عناوين الكتب والمقالات والبطاقات وغيرها .
- خط الرقعة : لكتابة الرقاع والمراسلات اليومية.
- خط الديواني: لكل ما يصدر من الديوان (القصر) من كتابات.
- خط الهمايوني: ويسمى أيضا «جلي الديواني» لكتابة العناوين والرأس لما يكتب بالديواني.
- خط الجلي من الثلث : لكتابة أسماء الشوارع والمتاجر وأسماء الوزارات والمصالح والشركات.
- خط الفارسي(التعليق): لكتابة القصائد والبطاقات.
- الخط الكوفي : كان يستعمل في صدر الإسلام في كتابة المصاحف والحكَم، وتطور مع الزمن وحُلِّي بالتوريق، كما كانت تكتب بهَ النصوص على المباني حفراً في الحجر أو الرخام أو الجص أو الخشب.
- خط الطغراء: توقيع سلطاني لصاحب الحق في منح الرتب والنياشين، وأول من استعمل توقيع الطغراء السلطان سليمان بن بايزيد (القانوني) في أوائل القرن الخامس عشر الميلادي.

الخط العربي كعنصر تشكيلي

يُعَدُّ الخط العربي من أهم العناصر التشكيلية، نظرا لصفته الكامنة التي تتيح له التعبير عن الحركة والكتلة، وليس المقصود هنا بالتعبير عن الحركة بمعناها المرتبط بأشياء متحركة، وإنما المقصود معناها الجمالي والتشكيلي الذي يعني الحركة الذاتية التي تجعل الخط يتراقص في رونق مستقل عن أي غرض آخر.

ونجد في منتجات الفن الإسلامي نمطين من أنماط الخط.

الأول الخط المنحني الطباش، ونتمثله في الزخارف النباتية كما نتمثله في الخط النسخي، حيث يدور هنا وهناك متجولاً في حرية وانطلاق، فيه صفة السعي الدائب والانطلاق. وكثيرا ما نجد أن الخط النسخي كتب على أرضية من الزخارف النباتية ذات الخطوط الدقيقة ليتحقق من خلال ذلك، غرضان تشكيليان مهمان: الأول خلق نوع من الإيقاع نتيجة تبادل الظل والنور بين الأجزاء البارزة والأجزاء الغائرة، والثاني إعطاء درجات متفاوتة من إحساس لمسي من حيث الدقة والاتساع، وما يحققه ذلك من إحساس بصري بالنعومة والخشونة، والتكامل الفني الذي يحدث نتيجة التنوع في الإيقاعات، مع تحقيق الوحدة في جملة العمل الفني.

وهناك نوع آخر من الخطوط هو الخط الهندسي ونتمثله في الزخارف الهندسية، كما نتمثله في الخط الكوفي. والمعروف أن الخط الهندسي يعطي إحساسًا بالاستقرار والثبات مما يردّنا - حتما - إلى السكون والاستقرار، ومع ذلك فإن بعض هذه الخطوط فيه ديناميكية ذات اتجاه، تعطينا إحساسًا بالحركة الصارمة ذات العزم الأكيد، لأنها تقود النظر داخل المساحة حيث «الأرابسك» الدوار.

ويتميز الخط المنحني «النسخي» دائما بالرشاقة، وإثارة لذة جمالية خاصة، أما الخط الهندسي (الكوفي) فله جمال من نوع آخر، جمال رياضي يستشعره العقل، وكثيرا ما نجد في العمل الفني الواحد مزاوجة بين الخطين، مما يعطينا محصلة جمالية رائعة.

إيمانا من الفنان المسلم بأن الحرف العربي هو عنصر طيِّع، يتيح له فرصة تحقيق التكوين الزخرفي الذي يهواه، فقد لجأ - أحيانًا - لتحقيق التماثل، إلى كتابة بعض الجمل في وضعها المقروء، ثم تكرارها في وضع مقلوب، ومع أن المعنى الذي يحتويه مضمون الكتابة له أهميته البالغة، لكن الفنان يعتقد أن الوظيفة التشكيلية للخط هي أيضا ذات أهمية بالغة، وأن المعنى الذي تحمله هذه الكتابة، هو معنى كامن فيها، تتحقق به البركة التي ينشدها، بصرف النظر عن عدم إمكان قراءتها للوهلة الأولى.

كثيرا ما يؤدي الخط دوره الرئيس في أعلى حوائط العمارات ليعطيها الإحساس بالصلابة والقوة من جهة، ومن جهة أخرى كوشي يزين أعلاها، ولتخفيف الملل من السطوح المستوية العارية، كما أن الفنان المسلم كثيرا ما استعمل الخط داخل حشوات، أو في أفاريز، لمزيد من تأكيد المساحة وإبراز ملامحها الجمالية، ومن المعروف أن زخارف الفن الإسلامي تكاد تكون خالية من البروز، بصفة عامة، وبخاصة إذا قارناها بزخارف الفنون الغربية كالفن الاغريقي مثلا، وفي سبيل تأكيد هذه الخاصية كان الفنان المسلم يحرص على إذابة الكتل الصلبة، أو تقليل صلابتها وكثافتها، وإعطائها مزيداً من الرشاقة والخفة، بأن يغطي الأجسام، سواء أكانت أجسام أشياء أم طيور أم حيوانات، بالزخارف النباتية والهندسية والخطية.

التوظيف الجمالي للخط العربي في التحف الإسلامية:

إذا استعرضنا ما أنتجته الحضارة الإسلامية في العمارة والفنون التطبيقية، نجد أن النصوص الخطية لعبت دوراً تشكيليًا أساسيًا سواء أكان ذلك في الجص أو الرخام أو الحجر أو المعادن أو الزجاج، أو الخزف أو النسيج أو المخطوطات، حيث نراها متكاملة من الناحية التشكيلية مع الشكل العام ومع أنواع الزخارف الأخرى سواء أكانت في زخارف هندسية أم نباتية، وسواء أكانت مسطحات كبيرة مقسمة، أم حشوات مختلفة الشكل، ونستطيع أن نتعرف من خلال الكتابات التي استعملت في هذه التحف على جميع القيم التشكيلية من خط وظل ونور وملامس سطوح، بحيث يمكن أن نقول إن الكثير من الكتابات على التحف الإسلامية المختلفة تقف - من الناحية التشكيلية - على قدم المساواة مع أحسن الصور الحائطية، واللوحات التي انتجتها فنون الغرب.

ولعل من أبرز الدلائل المميزة للفن الإسلامي استعمال الزخارف والنصوص الكتابية، فهي دليل من الدلائل التي تيسر على الإنسان التعرف على المنتجات الفنية الإسلامية، وقد تنوع استعمال الخط، كعنصر تشكيلي، بحيث أعطى لكل إقليم من الأقاليم الإسلامية شخصية خاصة به، في إطار الشخصية الإسلامية العامة، فاستعمال الكتابة في الطراز المغربي الأندلسي يختلف عن استعمالها في الطراز الشامي أو المصري أو الإيراني أو المغولي أو التركي.

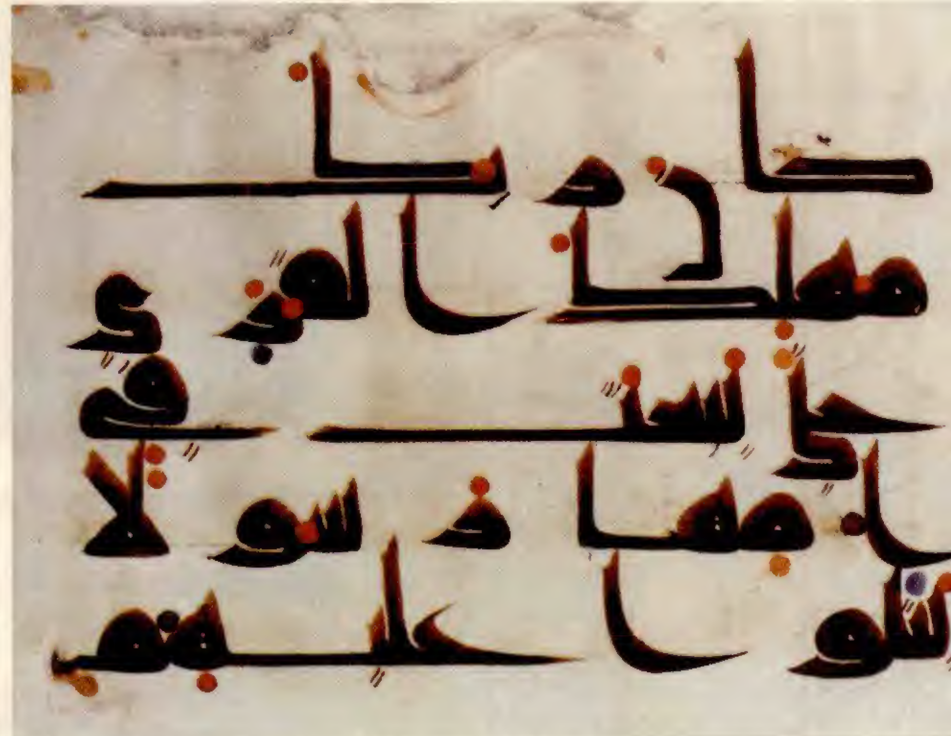
من هنا نستطيع أن ندرك أن الفنان المسلم في كل إقليم من الأقاليم الإسلامية استطاع أن يحمل الخط العربي شخصيته وشخصية إقليمه، في إطار الشخصية الإسلامية العامة.

استلهام الكتابة العربية في الفن التشكيلي المعاصر

يتميز القرن الثامن عشر الميلادي بتزايد اهتمام العالم الغربي بالشرق ثقافيًا وسياسيًا وعسكريًا. وحوالي منتصف القرن الماضي كان الفنانون التشكيليون الغربيون يبحثون عن مصادر إلهام جديدة، بعد أن وصلت مهارة الأداء الفني إلى درجة متمثلة في إنجازات عصر النهضة، وما تبع هذا العصر من مدارس وحركات فنية مختلفة. وبدأت أنظار الفنانين في أوربا تتجه إلى الشرق الأقصى حيث النماذج الرائعة من الخشب المحفور في اليابان، وإلى فنون الشرق الأوسط حيث تتلألأ منجزات الفن الإسلامي في فنون الخط والمشربيات والفنون التطبيقية، وإلى أفريقيا حيث الأقنعة والطواطم، وقد شعر الفنانون في باريس بالدهشة لهذه المنجزات الرائعة، وكانت سببًا في إثارة قدراتهم الإبداعية لابتكار صيغ تشكيلية جديدة.

تز ايدت زيارات الفنانين الغربيين للشرق وبخاصة شمال أفريقيا ، من أمثال ديلا كروا وماتيس وبول كلي، حيث تأثروا بحركة الحياة اليومية في الأسواق والمحلات والمساجد، كما استلهم بعضهم الكتابة العربية والجمال الساحر الكامن في الزخرف العربي.

وقد تأخر ظهور الحركة الفنية الحديثة في الشرق العربي حتى النصف الأول من القرن العشرين، لأسباب كثيرة، ليس هنا محل ذكرها، حيث أنشئت أول مدرسة للفنون الجميلة في



صفحة من القرآن الكريم (سورة القصص - جزء من الآية ٥٩)، كتبت بالخط الكوفي بمداد بني داكن، مع علامات تشكيل بالألوان الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر والبني (القرن الثالث الهجري)

مصر عام ١٩٠٨م، وتتابع إنشاء مدارس الفنون في البلاد العربية، وبديهي أن يكون أغلب الأساتذة في هذه المدارس من الأجانب، ومن أجل ذلك كان مسار الحركة الفنية الحديثة في البلاد العربية هو مسار الحركة الفنية في أوربا ذاتها.

وكان على الفنانين العرب أن يسهموا في تغذية تيار الفن التشكيلي العالمي بروافد عربية أصيلة، وكانت قضيتهم الأولى هي البحث عن الهوية العربية والعمل على تأصيل الفن العربي الإسلامي، ليعبر عن قيم جمالية عربية إسلامية لها طابعها ومذاقها الخاص. لذا تبنى الفنانون العرب شعار «التراث والمعاصرة»، ومن هنا ظهر تيار استلهام الخط العربي.

لماذا استلهام الكتابة العربية؟

للخط العربي منزلة كبيرة في الحضارة الإسلامية، فقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي، وكتب بالخط العربي، والقرآن كلام الله سبحانه وتعالى، فيه تعاليمه وأحكامه، وكانت كتابة آيات من القرآن الكريم بالخط الجميل، شرفًا وتقربًا إلى الله سبحانه وتعالى، لهذا اكتسب الخطاطون أهمية خاصة زادتهم شرفًا ورفعةً في المجتمع، وقد اشتغل بتجويد الخط الكثير من الملوك والسلاطين والوزراء، كل هذا أسهم في تطوير الخط وتنويع أساليبه،والوصول به إلى درجة رفيعة من الكمال.

ولم تكن الكتابة العربية مجرد أداة لنقل الأفكار والمعاني، بل كانت مجالاً خصبًا للتفنن، تنوع فيها الإبداع، واجتمعت لها أسرار العبقرية العربية بحيث أصبحت ـ كلغة تشكيلية متكاملة ـ وجها أصيلاً للحضارة العربية والإسلامية.

من رواد الخط:

- علي بن أبي طالب، والحسن البصري، رضي الله عنهما.
- الخليل بن أحمد: ٩٤ ـ ١٦٢هـ (٧١٢ ـ ٧٧٨م).
- إسحاق بن حماد: عاش في زمن خلافة المنصور، وكتب ـ على طريقة قطبة المحرر ـ الخط الجلي أو الجليل (٢٤ شعرة)، وهذّب من طريقته.
إبراهيم الشجري: أخذ عن إسحق بن حماد واخترع قلم الثلثين (١٦ شعرة).وقلم الثلث (٨شعرات).
يوسف الشجري: أخذ القلم الجلي واخترع قلما أدق هو قلم التوقيع.
الوزير أحمد بن خالد الأحول ثالث وزراء المأمون: صغّر الجلي إلى النصف وسمّاه قلم النصف، ثم عمل قلما أخف من الثلث وسمّاه خفيف الثلث.
- الوزير ابن مقلة (٢٧٢ ـ ٣٢٨هـ): أول من كتب النسخ والثلث.
- ابن البواب (٤١٣هـ): عُرِفَ شكل النسخ والثلث الحديث من أيام ابن البواب.
- ياقوت المستعصمي الملقب «قبلة الكتاب» (٦٩٨هـ): ختم الخط وأكمله على قواعد ابن مقلة.
- ومن رواد الخط أيضا: حمد الله الأماسي المعروف بابن الشيخ، الذي اكتملت على يديه قواعد خط الثلث المعروفة إلى يومنا هذا. ومنهم أيضًا: ميرعلي سلطان التبريزي (واضع قواعد خط التعليق)، والمستشار ممتاز بك (واضع قواعد خط الرقعة)؛ وإبراهيم منيف (واضع قواعد الخط الديواني)، والحافظ عثمان، ومصطفى راقم، وسامي أفندي، ومصطفى غزلان، والملا محمد علي الفضلي، والميرعماد الحسني، ومحمد مؤنس زادة، وعبد الله بك الزهدي (كاتب الحرمين الشريفين)، ومحمد شفيق، وغيرهم..











بعض الأدوات التي يستعملها الخطاطون مثل: المقط (المقطع)، والمدية، والمقص، والمحبرة.

الهوامش:

١ـ شعره من ذيل الحصان التركستاني.
٢ـ إبراهيم جمعه، الكتابة العربية ص٤٢.
٣ـ سيد إبراهيم، الخط العربي، أصله وتطوره.
٤ـ إبراهيم جمعه، الكتابة الدينية، ص٣٧.
٥ـ فوزي سالم عفيفي، نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية (باختصار).
٦ـ زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية، ص٧٠.

من كتاب العدد

ـ د. أبو صالح أحمد الألفي

- من مواليد الشرقية ـ مصر عام ١٩١٥م.
- أستاذ تاريخ الفن للدراسات العليا بكلية الفنون الجميلة.
- رئيس مجلس إدارة المعاهد القومية للتربية والتعليم (حاليا)، والوكيل الأسبق لوزارة التربية والتعليم.
- الأمين العام لاتحاد المعلمين العرب (سابقا).
- الأمين العام المساعد لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب (سابقا).
- عضو في أكثر من لجنة ثقافية وفنية مصرية وعربية ودولية.
- له ٧ كتب أبرزها:«تاريخ الفن العام»، و «الفن الإسلامي: أصوله وفلسفته ومدارسه»، كما كان واحدًا من الذين أسهموا في تحرير مادة الفن في «الموسوعة العربية الميسرة».
- شارك في العديد من المؤتمرات والمعارض في بلدان العالم المختلفة.
- حاصل على جائزة الدولة التقديرية في الفنون عام ١٩٩١م، ووسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٧٥م، ونوط الامتياز من الدرجة الأولى عام ١٩٨٦م.

الحليّ والتحف الخشبية

إبداع وبساطة وجمال

إعداد : عدنان عضيمة

دأب الناس على الانتقاص من قيمة الخشب في أمثالهم وحكاياتهم، كما في قولهم (رأسه يابس كالخشب) و (يتحدثون بلغة الخشب) و (أعطاني صكا من خشب). وسوف نستكشف في رحلتنا القصيرة من خلال هذا المقال الخصائص الفريدة المتنوعة التي يتميز بها الخشب من غيره من المواد الكثيرة التي يستعملها الإنسان.



لوحة رائعة مصنوعة من أدوات بسيطة

وعلينا أن نتذكر قبل كل شيء أن الخشب مادة تخلق لدى الإنسان شعورا خفيًا بالأمان والراحة، وهو إلى جانب ذلك كلّه كثير التنوّع، متعدد الخصائص، سهل الاستجابة للعديد من أنواع المعالجة الميكانيكية كالقطع والصقل والتنعيم والثقب والحفر والتلوين. كما أنه خفيف الوزن، يقاوم التآكل والعوامل الطبيعية، عازل للحرارة والكهرباء. فهو بذلك مادة يجد فيها المبدع والفنّان - وحتى الإنسان الهاوي - مرتعا خصبا لتفجير مواهبه الفنية في التشكيل وتحرير قدرته الكامنة على التخيّل والإبداع بطريقة سهلة ورخيصة ومربحة ومفيدة.

ولعل قراءتكم لهذا المقال بعناية، والتمعّن في الصور المرفقة معه، ستجعلكم تغيرون نظرتكم تماما، وتعيدون تقويمكم لعود الثقاب وبذرة الزيتون ونكّاشة الأسنان وللكثير من القطع الخشبية الصغيرة التي لم تفز باهتمامكم قط. فباستخدام أشياء قليلة، كبذور الزيتون وخيوط



بهذه الأدوات والأشياء البسيطة يمكنكم صناعة العديد من التحف الرائعة

(النيلون) وأسلاك النحاس والمشابك والقفلات المعدنية والكرات والحلقات الخشبية الصغيرة، بالإضافة للكثير من الخيال وتحرير الذهن، سوف تتمكنون من صناعة الحلي الرائعة واللوحات والتحف المنزلية النادرة التي ستفاخرون بها أمام أقرانكم وأصدقائكم وضيوفكم.

وسنتعرض الآن بالوصف المبسّط الواضح لطرق صناعة هذه التحف الخشبية، وبالكيفية التي يسهل على الكثيرين تنفيذها وتحقيق الفائدة منها. فهل أنتم جاهزون الآن لتعلّم هذه التقنية المثيرة؟

صناعة مساند الأطباق

يفضل الكثيرون - ممن يحرصون على سلامة أثاثهم وأغطية طاولاتهم، والإيحاء لضيوفهم بسلامة ذوقهم ورقّة إحساسهم - تقديم أطباق المآكل الساخنة فوق مساند عازلة جميلة، يفضل أن تكون من الخشب الجميل. ويتم صنع المسند وفق الطريقة التالية: يحضر مربع من الورق المقوّى (الكرتون) طول ضلعه ستة عشر سنتيمترا، ويتم تصفيف كرات من الخشب وفق محاور متوازية مائلة على أضلاع المربع بضمها إلى بعضها بعضا بواسطة سلك نحاسي رفيع ومتين، وبعد أن يتم اختيار ألوانها حسب الذوق، تستخدم مادة لاصقة للصق الكرات بمربع الورق المقوّى، ثم يتم ضم المربّع ضمن إطار خشبي يغطي النتوءات الجانبية غير المنتظمة للكرات. ومن أجل ذلك تلصق أربعة مستطيلات خشبية بعد أن تقطع من أطرافها أجزاء تجعلها تبدو كإطار اللوحات والصور.

صناعة اللوحات التشكيلية

لإنجاز هذا النوع من اللوحات، تحضر قطعة من الخشب المضغوط (المعاكس) مستطيلة الشكل بعد أن يتم اختيار أبعادها حسب الذوق، ويستعمل في تنفيذ اللوحة: أعواد ثقاب غير مقطوعة الرأس (غير مستعملة) ونكّاشات أسنان وكرات وحلقات خشبية مختلفة الألوان



حامل الأصص



عقد بقلادة مركبة
وطوق من بذور الزيتون

والأشكال وبعض الكرات النحاسية المجوّفة ومادة لاصقة وملقط صغير منبسط الرأس لتسهيل العمل. وهنا ستحتاجون أكثر من أي وقت آخر لتحرير غريزتكم وخيالكم من كل عائق، حتى يخرج العمل وهو ينطوي على الروعة والإبداع المطلوبين. وينصح في هذه الحالة بانتهاج منهج الصدفة في التنفيذ دون تحديد (اسكتش) مسبّق للعمل بالرسم على اللوحة، فمن شأن ذلك أن يقيّد إلهامكم، ويحدّ من إبداعكم.

وتنفّذ اللوحة بلصق العناصر المذكورة وفق تنسيق وترتيب فني ينبع من الذات، ويعبر عن سلامة الذوق ورقة الشعور. وليس هناك ثمّة شك في أنكم ستفاخرون بعد ذلك بأنفسكم، بعد أن تكونوا قد أنجزتم بأنفسكم لوحة رائعة، تجسّد قدرتكم الكامنة على الإبداع.

صناعة علب الحفظ والتزيين

دأب الكثيرون من مرهفي الحسّ ومحبي الجمال والإبداع، ومنهم النساء بخاصة، على اختيار علب جميلة لحفظ حليهن ومجوهراتهن ونفائسهن، حتى إنهن يفاخرن بعرضها على ضيوفهن وخلاّنهن.

ومن أجل تصميم علبة خشبية مبتكرة يمكنكم اختيار كرات خشبية طبيعية مطلية بمادة التلميع (الورنيش) أو كرات خشبية ملونة حسب الذوق. وتتم صناعة العلبة ابتداء من علبة الأساس المصنوعة من الخشب المضغوط التي يحدّد حجمها حسب الطلب والهدف من استخدامها. وبعد ذلك تصفّ حولها أطواق من الكرات الخشبية المضمومة إلى بعضها بعضا بخيوط النحاس المتينة كما رأينا في صناعة مساند الأطباق.

صناعة العقود الملوّنة

تصوروا أن صناعة عقد فائق الجمال، متعدد الألوان، لن يتطلب أكثر من مجموعة من الكريّات والحلقات الخشبية الملوّنة المثقوبة وأسلاك من النحاس أو النيلون ومشبك بسيط. وتستخدم في صناعة العقد ذي الأطواق الثلاثة ست وستون كريّة خشبية، قطر كل منها ثمانية ميليمترات لكل طوق، تضم بالسلك، ثم تجدل الأطواق الثلاثة وتجمع أطراف خيوطها لتربط بطرفي مشبك نحاسي.

وهناك أشكال أخرى كثيرة من العقود الخشبية الملوّنة التي تصنع بالطريقة السابقة نفسها، حسب ذوق كل فرد.

صناعة أقراط الأذنين

خلال ساعات قليلة، وباستعمال سلكين نحاسيين وكرات خشبية ملونة يمكنكم صناعة أقراط رائعة الجمال. ويتم ذلك بضم نحو اثنتي عشرة كريّة خشبية ذات ألوان متعددة تنسجم مع ملابس الفتاة أو المرأة بواسطة خيط نحاسي ينتهي بمشبك بسيط.

صناعة الأحزمة الملونة

يمكن انتهاج طريقة صناعة العقود والأقراط الملوّنة نفسها في صناعة أحزمة فائقة الجمال والروعة، مع الانتباه إلى إمكانية إضافة عدة جدائل أو عُقَد من تجمعات



عقد مركب بقلادة خشبية



حزام مركب بشرابة صوفية



أقراط ملونة

الكرات الملوّنة وإضافات الكرات النحاسية البرّاقة والمجوّفة.

ويكون من المهم الانتباه إلى أن اختيار الألوان يجب أن يتفق مع ألوان الألبسة والأحذية التي تظهر بها المرأة.

وتستعمل في ضمّ الكرات الخشبية خيوط النيلون (رقم ثلاثون) كتلك التي يستخدمها صيادو الأسماك، بحيث يكون طول الحزام حوالى متر واحد. وتربط بنهايتي الخيوط شرابة من الخيوط الصوفية ينسجم لونها مع ألوان الكرات الخشبية.

صناعة الأساور

تستعمل في صنع سوار المعصم الملوّن ذي الأطواق الثلاثة كرات خشبية ملونة مضمومة بخيط من النيلون، بحيث يتألف كل طوق من ست عشرة كريّة خشبية، قطر كل منها ثمانية مليمترات. وتتصل نهايات الخيوط الثلاثة بمشبك جميل من النحاس.

صناعة حاملات الأصص

تحفة أخرى يمكنكم إضافتها إلى غرف وردهات الاستقبال والمكاتب التجارية، تتمثّل في أصص المزروعات التي تعلق في السقوف بواسطة أطواق من الكرات الخشبية، تركب بطريقة صناعة الأحزمة نفسها بضم أطواق الكرات الخشبية الملوّنة بواسطة أسلاك نحاسية متينة، تلتقي أطرافها عند قاعدة أصيص من الخشب أو الخيزران، وتربط بهذه العقدة شرابة من الخيوط الصوفية، ثم يوضع أصيص الفخار المحتوي على النبات المزروع ضمن أصيص القصب، ثم تجمع الأطراف الأخرى للأطواق في نقطة واحدة تعلق بسقف الغرفة أو المكتب بواسطة خيط.

وبعد.. فلعلك عزيزي القارئ الكريم، بعد قراءتك لهذا العرض السريع وتمعنك بالصور المرفقة معه، تكون قد غيّرت تقويمك للخشب، وأصبحت تعي تماما الإمكانات الفائقة والاستعمالات المحببة لهذه المادة التي تستحق منا اهتماما وإنصافا أكثر وأعمق، بل لعلك تكون بذلك قد اكتشفت في نفسك القدرة الكامنة على الإبداع والابتكار عن طريق سعيك لتنفيذ التعليمات الواردة في هذا المقال.

المصدر:

مترجم وملخص من كتاب بعنوان:

(Perle en bois) par; Rose Rahola, edition; Dessain et Tolra. Paris,1986.



سِيزان وفنّ المتاحف

صلاح الدين كامل مشرف

«منزل الانتحار»، ١٨٧٢ - ١٨٧٣م (متحف اللوفر - باريس)

كانت حياة «سيزان» صراعًا مع نفسه ومع محيطه وعصره، عاشها متسلحًا بإرادة صلبة تمردت على ما صادفها من معوقات، لكنه أدرك في الأيام الأخيرة من حياته تقدير عصره له، ولم يلبث الفن الحديث أن اعترف به رائدًا له.. هذا الفنان المتواضع الذي يسعى من بلدته «إكس» إلى «باريس» ليجعل من النزعة التأثرية فنًا راسخًا كفن المتاحف.

لويس أوجست سيزان

لم يكن في تقدير المصرفي «لويس أوجست سيزان» أن يعد ابنه بول للفن، بل كانت كل موازين حسابه توجهه إلى أن يهيئه للعمل معه في مصرفه، وليخلفه في إدارة أمواله. فما إن بلغ الصبي الثالثة عشرة من عمره حتى ألحقه سنة ١٨٥٢م بأفضل مدارس إكس « كوليج بوربون»، وهناك لقي «إميل زولا» وارتبط معه بصداقة وثيقة، وعاشا معًا أحلام مراهقة رهيفة، فيها غناء الشعر وعزف الموسيقى والتطلع إلى مدينة النور ... كانا معًا يترنمان بشعر «هيجو وموسيه»، ويعزفان الموسيقى، لكن «زولا» كان أسبق من «سيزان» في تحقيق حلم باريس فهاجر



بول سيزان (صورة شخصية)، ١٨٧٩ - ١٨٨٢م
(لندن)



«صورة لتشوكيه»، ١٨٧٥م
(مجموعة اللورد فيكتور روث تشيلد - إنجلترا)



«شجرة الصنوبر العظيمة»، ١٨٩٢ - ١٨٩٦م (متحف ساوباولو - البرازيل)

إليها مع أمه، وبقي «سيزان» يمارس هواية التصوير في أكاديمية إكس مساء، ويتابع دراسته نهاراً. لكن رحيل «زولا» حجب عن حياته روح المرح، وحطم أحلام الشباب المحلّقة، وزادت تعاسته بما فرضه عليه أبوه من دراسة القانون بجامعة إكس بعد أن أتم دراسته الثانوية.

غير أن «سيزان» كان يهجر دراسته إلى متحف إكس، ينقل مجموعته الصغيرة. وظلت رسائل زولا تغريه بالسعي إلى باريس واختيار طريق واحد، فإما أن يكون قانونيًا ضليعًا أو فنانا أصيلا. ولقي «بول سيزان» معارضة من أبيه الذي يرى أن العبقرية فقر، والمال حياة، والفن لا يورث إلا العدم . أما دراسة القانون فتفتح آفاق الثراء.

وتقف أم سيزان وشقيقته إلى جانبه تعينانه على انتصار إرادته على رغبة أبيه فيرضخ الأب. ويسافر «بول سيزان» من إكس إلى باريس سعيا إلى منابع الفن.

كانت باريس تعيش في تلك الفترة عهد الإمبراطورية الثانية، مجالات الفن فيها مُقيّدة، والمجتمع يسيطر على مدرسة الفنون وعلى أقدار الفنانين.

صالون الفنون

كان قصر الصناعة ملتقى المعارض، ومحكموه يرفضون بلا هوادة كل خروج على القواعد المرسومة في التعبير الفني، ولم يكن واقع باريس كأحلام سيزان، لكنه بدأ يشق طريقه إلى المرسم السويسري أحد مراكز التعليم للفنون، مرسمٌ بلا توجيه ولا أساتذة، لكنه يتيح لمريديه فرصة طليقة في رسم النماذج الحية التي يقدمها لهم وفي ممارسة الفن كما يشتهون.

والتقى سيزان بثورة الفن الأولى خلال معرض المرفوضين الذي أمر نابليون الثالث بإقامته سنة ١٨٦٣م لأعمال الفنانين الذين رفضهم الصالون السنوي، وشهد سيزان المعركة حول لوحة «الغذاء فوق العشب» لمانيه، كما بدأ لقاؤه ببيسارو شيخ التأثريين.

وأخذ سيزان يلقى نصيب رفاق الثورة الفنية في الرفض والإنكار، وتصدى إميل زولا للهجوم على جمود الفنانين والمحكمين الرسميين وأهدى مقالاته الهجومية لصديقه بول سيزان.

لكن حظ سيزان كان أسوأ من رفاقه، فبينما بدأت أعمال «بيسارو وسيزلي ورينوار ومانيه» تدخل صالون الفنون ظل الرفض من نصيبه.

وفي مقهى جيربوا ملتقى التأثريين بحي مونمارتر كان سيزان يشهد لمامًا لقاءات ديجا وكلود مونيه ورينوار وبيسارو ومانيه وبازيل وبصحبتهم الكتاب والشعراء، لكن طبيعته الانعزالية جعلت اقترابه من لقاءاتهم بقدر، وإن لم يتردد في أن ينضم إلى معارضهم الخاصة. كانت لوحاته تلقى السخرية والتحقير، كما كانت تلقاهما لوحات «محطة سان لازار » لمونيه، و«مرقص طاحونة لاجالبت» لرينوار، و«المرأة الخارجة من الحمام» لديجا، و«الحصاد» لبيسارو. تلك اللوحات التي يزهو بها الآن متحف اللوفر.

وفرقت الحرب السبعينية شمل هذه الصحبة فهجر كل منهم إلى ريفه بينما انضم مانيه إلى صفوف المقاتلين وسقط بازيل في مطلع شبابه بالمعركة.

وأتيح لسيزان مزيد من التقرب من بيسارو، هذا المعلم المخلص تلميذ كورو المولع بأصالة التعبير وصدقه.الذي أحاط سيزان بحبه وأخرجه من أجواء الموضوعات الأسطورية والأدبية إلى الطبيعة مؤمنا بمواهبه الأكيدة. وفي أيام الشدة التي كانت تصيب سيزان من مهاجميه كان بيسارو أحد القلائل الذين وقفوا إلى جانبه مرددًا: «إنهم يتعجلون الحكم عليه ولكنه يوما ما سيبهرهم»

وكان سيزان قد تزوج نموذجه هورتينز، وأنجب منها طفلاً. وبدأت حياة باريس تضيق به فآثر بتشجيع من بيسارو الهجرة إلى أوفير.



«نظرة لقرية أوفيرس»، ١٨٧٤م (معهد الفن ـ شيكاغو)

وفي قرية أوفير عرف سيزان الطبيب جاشيه.. أحد الشخصيات التي لاتنسى في قصة الفن الحديث. كان جاشيه طبيبا شابًا يطرق ندوات الفنانين الأحرار في مقاهي باريس، ثم اضطر إلى العودة إلى قريته لمزاولة مهنة الطب.

وفي أوفير تلك القرية ذات السحر الخاص بدأ الفنانون الذين تعرف عليهم في مقاهي باريس يفدون إليه، وأخذ سحر أوفير ينفذ إلى أعمالهم وتتأثر بروحها أساليبهم، فأرسلت الوضاءة إلى لوحات سيزان، وبعثت الإشراق في أعمال بيسارو، وأمدت رينوار ببعض نماذجه، وأعطت لوحات فان جوخ وهجها المشتعل الأخير قبل أن يطلق على نفسه الرصاص ويواريه جاشيه تحت تراب أوفير، ويزرع على قبره زهور عباد الشمس التي أحبها وأبدع في التعبير عنها.

كان سيزان وجاشيه يجتمعان على إعجاب مشترك «بديلاكُروا» ويختلفان حول تقدير فان جوخ الذي أحبه جاشيه وتنبأ بعبقريته، وحفظ لوحاته في بيته إلى أن أهداها ابنه في الخمسينيات إلى متحف اللوفر. وأتاحت أوفير لسيزان جوًا من الطمأنينة والأمل عاش فيه قرابة عام، لكنه حمل أوفير في قلبه وعاد إلى باريس. وعرف سيزان أيضا عن طريق «رينوار» محبًا آخر للفنون هو «فيكتور شوكيه» موظف الجمرك المولع بجمع أعمال الفنانين المشغوف بأجوائهم، فأتاح له هذا وذاك ظلاً من الطمأنينة المالية والعزاء النفسي عن حملات التجريح والنكران.

وفي سنة ١٨٧٤م، بعد عودة معارض الفن، ظل الصالون الرسمي على إنكاره للفنانين الأحرار، فتلاقوا في معرض خاص أقاموه عند المصور الفوتوغرافي «نادار» وكان هذا المعرض ميلاداً سجل لحركتهم اسمها «التأثرية»، اسمًا أوجدته المصادفة من عبارة ناقد فني سخر من لوحة «كلود مونيه»: «تأثير شروق الشمس»، لكنه لم يلبث أن أصبح عملة رسمية في مجال التداول.

كان سيزان بين هؤلاء التأثريين محتفظًا بنزعته، ليس شاغله كشاغلهم تعقُب أثر النور على الأشياء، وإنما شاغله الأساس بناء اللون، ومعلموه هم «فيرنيز وديلاكروا وشاردان» وغيرهم من أساتذة المتاحف، وهو يصبو لأن يحقق بنفسه شيئًا جديدًا لائقًا بالمتاحف.

لكنه على عمله المثابر دائم الشك في نتائجه، وهو يرى نفسه في بطل بلزاك



«المزهرية الزرقاء»، ١٨٨٣ - ١٨٨٧م (متحف اللوفر - باريس)

«فيـرنهوفـر»، ذلك الذي ظل يتعـمق بحـوثـه حـتى شك في كـل شيء، وتسـاءل أعـبـقـري هو أم مـجنون!! ومـازال الرفـض يلاحـقـه فـي صـالون الفنون إلى أن أتيح له في سنة ١٨٨٢م أن يعرض إحدى لوحـاته بسعي خاص من صديقه المصور «جيميه» عضو لجنة التحكيم، لكن اسـمـه مـازال يحيطه الصـمـت والنكران برغـم مـسـاعي صديقـه «زولا» وبرغم إيمان مـحـبيـه القليلين بفنه.

حتى صداقـة زولا العـزيزة على نفسـه أذنت بزوال. فـقد نـشر «زولا» روايتـه «العمل» وجعل بطلها «كلود لانتييه» فنانا مصوراً يملك الوهم أكثر مما يملك الموهبة والإرادة، وينتهي به الأمر إلى أن يشنق نـفـسـه. ورأى سـيـزان في «كلود لانتييـه» ملامح من شـخصـه، وعزّ عليـه أن يرى زولا في قمة مـجده يتنكـر له وهو مـازال في الحـضـيض. وعلى الرغم من اختلاف الرأي حـول شخـصـيـة « كلود لانتيـه» فـإنه حطم صـداقة دامت ثلاثة وثـلاثين عامًا بين «إميل زولا»و «بول سيزان».

وفي سنة ١٨٨٦م - عـام القطيـعـة مع «زولا» - عرف سيـزان الأب «تانجي»، شخصية أخـرى عجيبة في تاريخ الفن المعـاصر، ملامـحه وحـياته أقـرب إلى الأسـاطيـر. كـان مـوظفًا بـالسكك الحديدية، لكنه كـان من الهائمين بالفن ومن تجار الألوان واللوحـات، وكان هو نفـسـه مـصـوراً هاويًا يجـوب غـابات «فـونتـبـلو وأرجنتي»، ويـصـور على سجيتـه. وصداقـات «تانجي» لبيـسارو وسيزان ورينوار وفان جوخ ومونيه كان لهـا أثرهـا في تخـفـيف عـبء الحـيـاة عليهم.

وفاة سيزان

كان مونيه أيضا قد بلغ مكانته، فأحاط سيـزان بجو خفف عليـه صدمة قطيـعة «زولا»، إذ أخـــذ يدعـــوه إلـى ضـاحيتـه«جيـفـرتي» بصحـبـة «رودان وكليمنصـو وأوكتاف ميربـو» وقد بهر سيزان بصحبة هؤلاء العمالقة وبخاصة رودان.

وبفـضل «جوسـتاف شـوكيـه» عرض سيــزان إحـدى لوحـاته فـي المعـرض الدولي سنة ١٨٨٩م فكان صـــداها عدم الاكتراث بديلاً عن الهجوم الذي لقيته لوحـاته من قبل. لكن عـبارة ثناء صغيرة تتردد في كـتابات «هويسمان» بينمـا يختصـه «أميل برنار» في مـايو ١٨٩١م بكتيب من مجموعة «رجال اليـوم»، ويكـتب«جـورج ليكـوميت» كلمـات تقـدير لفنه في كـتـابه « الفن التـأثري». ويوجـه «ديجـــا ورينوار وبيسارو» أنظار تاجر اللوحـات الشهير «فولار» صـوب سيـزان فتبـدأ ضائقتـه المالية في الانفراج .

وفي سنة ١٩٠٠م يبــدأ تكـريس سيزان الحقيقي، إذ تعرض أعماله في مكان جدير بها في الصالون، ويرسم المصـــور «مـوريس دينـيس» لوحـة يعرضـهـا في صـالـون الفنون تحـيـة لسيـزان من وحي أعمـاله فيـشتـريها الكاتب «أندريه جيد».

واسـتـأجـر سـيـزان مـرسـمًـا في «مـونمارتر»وإن كـانـت باريس ظلت بعيدة عن مصادر الوحي في أعماله، فـهو دائمـا أكـثر مـيـلاً إلى الطبيـعـة الريفـيـة في «لسـتـاك» أو عند ربوة «القديس فيكتور».

لكن صـفـو حـيـاته يكـدره مـوت صديقـه «زولا» مختنقـا، فعلى الرغم من قطيـعـتهـمـا إلا أن ثلاثة وثلاثين عاما من صداقة حميمة عاد توهجها من جـديد باختناق «زولا» الذي هز مشاعره.

وتحمل سنة ١٩٠٤م إليه ريحـاً طيبة من الـتـقـــدير لمدينتــه إكس الـتي أصـبــحت مـزاراً للعـارفـين بقـدره، ويعود المصور «إميل برنار» مع زوجته من زيارة مـصـر، فـيـتجـه فـوراً إلى إكس ليقـدم إعجـابه بالفنان العظيم، ويقيم فـترة إلـى جانبـه يسـتـمـع إلى توجـيـهاته ويشاهد أعـمـاله، بينمـا





«أشجار الكستناء في جاس دي بوفان»، ١٨٨٥ - ١٨٨٧م (معهد مينابوليس للفنون)

يخصص صالون الخريف في العام نفسه قاعة كبرى لأعمال سيزان.

وينعزل سيزان في إكس قريبًا من الطبيعة التي أحبها، لكن زيارات الفنانين والكتاب إليه لا تنقطع، كما أن مثابرته على العمل رغم ضعفه وشيخوخته مازالت موضع الإعجاب.

ويظل سيزان يرسم إلى أن يصيبه التهاب رئوي إثر برد انتابه حين كان يصور إحدى لوحاته في جو مطير، وعندما خيمت عليه غيبوبة الموت كان يردد في غضب اسما واحداً هو اسم مدير متحف إكس الذي أوصد أبواب متحفه في وجه لوحات سيزان، وأقسم ألا تدخل واحدة منها هذا المتحف.

بعد رحيل سيزان

هل كان هذا الموظف الرسمي الذي لم يعرف قدر «سيزان» يتوقع للوحاته بعد موته سنة ١٩٠٦م مكانها العالي في متاحف العالم، أو كان يمر بخاطره أن تلك اللوحات التي كانت لا تساوي في حياته سوى فرنكات قليلة ستصبح من أغلى لوحات الفنانين في العالم، وأن ثلاثًا من هذه اللوحات أدرجت في سنة ١٩٦٧م ضمن أغلى عشر لوحات في العالم، فقد بيعت لوحته «المستحمات الكبيرات» إلى الناشيونال جاليري بسبعمائة وخمسين مليونًا من الفرنكات، وبيعت لوحته «بيت في لستاك» بأربعمائة مليون فرنك، كما بيعت لوحته «الصبي ذو الصدرية الحمراء» بمبلغ مائتين وأربعة وستين مليونًا من الفرنكات ولم تتخط أسعار لوحات سيزان سوى لوحة لدافنشي ولوحتين لرمبرانت.

كان سر سيزان يكمن في إدراكه الصادق لمقومات العمل الفني، وفي سعيه نحو حقيقة تشكيلية جديدة تختلف عن الحقيقة المرئية الظاهرة، حقيقة أقامها على مطالب جديدة للوحة تتمثل في البناء التشكيلي الذي يختزل هياكل الطبيعة إلى أسطوانة ومخروط ودائرة وعلى هذه التصميمات الأساسية أقام بناءه.

لقد ظل سيزان يبحث عن الحقيقة التي ينشدها، فوجدها في حضرة الطبيعة الحية التي حركت حواسه الخلاقة، وأمام تكوينات الطبيعة الصامتة في هندستها الراسخة، كما رآها في بعض صوره للأشخاص حين استطاع أن يقيم توازنًا بين البناء والتعبير.

لقد ترك سيزان أكثر من ألفي عمل، ومر في حياته الفنية بحقب كانت تحمل معالم وتأثرات، إذ أطال الوقوف أمام «ديلاكروا» وتأثر «بروبنز» وبالفينيسيين كما تأثر ببيسارو وشارودان وكوربيه.

لكنه في سن النضج عكف على تأملاته الفردية وعلى صلاته العميقة بالطبيعة، وسعى إلى الوئام بين المعمار التشكيلي والغناء اللوني، وكان يرى أن طلاقة اللون التعبيرية في حاجة إلى بناء يدعمها. أليس هو القائل أنه «عندما يكون اللون في ذروة غنائيته يكون الشكل في قمة اكتماله»

لقد عرف سيزان كيف يعبر ببلاغة من خلال طبقات اللون الكثيف. كما أوتي في أخريات حياته هبة صفاء الرؤية ، إذ نرى في مراحله الوسطى تنوعاته اللونية الباهرة التي جمعت درجات اللون الأصفر والأخضر والأزرق والأحمر، تلك الألوان التي كان خير من تغنى بها، واستحوذ بغنائه على رؤانا، لكنه في حقبته الأخيرة يبحث للون عن نوره الخاص، نور داخلي فيه هذا الصفاء العجيب والاقتصاد البارع في التعبير اللوني، وهو بين صفاء اللون واستخداماته الكثيفة عازف مبدع يستطيع أن يستخلص من اللون في الحالين أقصى قيمه التعبيرية بينما يسانده بناء تركيبي جعل فنه أكثر صلابة ورسوخًا من فن التأثريين.

لقد قنن سيزان بأعماله أصول الفن الحديث، فخرجت التكعيبية من بنائيته وارتدت الحوشية إلى منطق النظام والتوازن بفضله، وتلمست التجريدية خطاها في لوحاته الأخيرة التي كانت تجريداً صافيًا للطبيعة.

إنه رائد خلف ميراثًا متنوعًا عجيبًا أخذ منه «بيكاسو» معماره البنائي في حقبة من حياته، وتأثر «براك» برهافة حسه التصويري. كما أن عديدًا من أساتذة الفن الحديث أمثال «ديران وماتيس وديلوناي وليجيه» مروا بمرحلة «سيزانية» قبل أن يتوصلوا إلى نهجهم الخاص.

هو معلم الأساتذة وأب الفن الحديث استطاع أن يصوغ قوانينه، وأن يطلق رؤاه، وأن يجعله كفن الأقدمين فنًا جديراً بالمتاحف.

دراسة على ملكات نحل العسل

"بنوك الملكات"

د. رمضان مصري هلال



الشغالات حول الملكة

ملكة نحل العسل هي أهم فرد في طائفة نحل العسل، حيث إنها المسؤولة عن وضع البيض، وإفراز المادة الملكية التي تعمل على ربط أفراد الطائفة بعضها ببعض، وتنظيم سير العمل داخل الخلية بين الأفراد بما يضمن الحصول على محصول عسل وفير.

وطائفة النحل تفقد ملكتها في العديد من الحالات مثل قتلها عرضًا عند الفحص، أو إصابتها بالأمراض أو الطفيليات، أو فقدها أثناء طيران الزفاف (التهام طائر الوروار لها).

وفي حالة فقد الملكة - أي حين تصبح الطائفة يتيمة - تقوم الشغالات ببناء عدة بيوت ملكية يحتوي كل منها على يرقة شغالة حديثة الفقس، أو على بيضة وتقوم برعايتها وعنايتها وإمدادها بالغذاء الملكي الكثيف طيلة فترتها اليرقية، بعدها تتحول إلى عذراء (طور الحضنة المقفولة). وتستغرق دورة حياة الملكة نحو أسبوعين، بالإضافة إلى أسبوع آخر لكي تتلقح. معنى ذلك أن إنتاج البيض يتوقف في مثل هذه الطائفة نحو ثلاثة أسابيع مما يترتب عليه انخفاض محصول العسل، فضلاً عن أن الملكة المرباة تكون رديئة الصفات، وبذلك تتدهور الطائفة ويتأثر الإنتاج. علاوة على أن الأوقات على مدار العام غير ملائمة كلها لحدوث التلقيح الطبيعي.

وللتغلب على هذه الصعوبات يُنصَح بوجود ملكات احتياطية لدى النحالين مخزنة في طائفة خاصة يطلق عليها «بنك الملكات» لاستعمالها مباشرة عند الحاجة إليها.

بنوك الملكات وأهميتها

وبنك الملكات عبارة عن طائفة قوية تُخزَن فيها الملكات في أقفاص معينة، يضاف إليها غذاء خاص يوضع في إطار حامل الأقفاص، وتحفظ في الطائفة لحين الحاجة إليها.

ولبنوك الملكات أهمية كبرى في حالة التخصص في إنتاج الملكات وبيعها في داخل القطر أو خارجه، أو إنتاج الملكات وتخزينها لحين الحاجة إليها في البحث العلمي، أو في حالة استخدام التلقيح الصناعي للملكات، أو للاستفادة من الملكات المرباة في الطائفة طبيعيًا في حالات التطريد أو الإحلال أو الطوارئ. وفي هذا المقال نلقي الضوء على بعض طرق تربية الملكات ثم نستعرض أهم العوامل المؤثرة في تخزين الملكات، العذارى والملقحة، وأخيرًا تأثير تخزين الملكات العذارى لفترات مختلفة في نسبة التلقيح الناجح.

بعض طرق تربية الملكات

عند الرغبة في تربية عدد محدود من الملكات للانتفاع بها في المنحل محليًّا تتبع بعض الطرق الطبيعية المحسنة، ويجب أن يتم انتخاب أفضل طوائف النحل لتربية الملكات من خلفتها، وكذلك نتخلص من حضنة الذكور في الطوائف الرديئة.

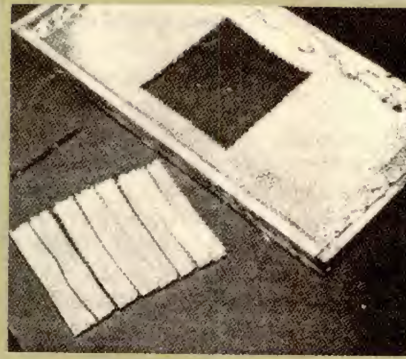
ومن أهم الصفات الواجب مراعاتها في الطائفة المنتخبة لأخذ البيض أو اليرقات الحديثة الفقس، تربية الحضنة بكميات كبيرة مبكرة في بداية موسم التزهير، وأن تكون اقتصادية في استهلاك العسل في فترات الجفاف، وأن تتميز الشغالات بالنشاط في زيارة الأزهار وجمع الرحيق وحبوب اللقاح، وهدوئها وثباتها على الأقراص عند الفحص، وعدم ميلها للسع أو لتكوين الأمهات الكاذبة أو للتطريد أو للسرقة، والمناعة أو المقاومة للأمراض والقدرة على التجمع ومقاومة البرد في الشتاء.

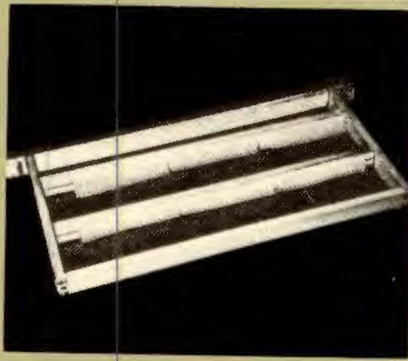
وأهم صفات الطائفة التي ستبني بيوت الملكات: أن تكون عديمة الملكة (يتيمة)، قوية مزدحمة وبخاصة بالشغالات الحاضنة، ويتوافر لديها العسل وحبوب اللقاح أو تراعى بالتغذية.

وعند الحاجة لتربية عدد محدود من الملكات يتبع الآتي:

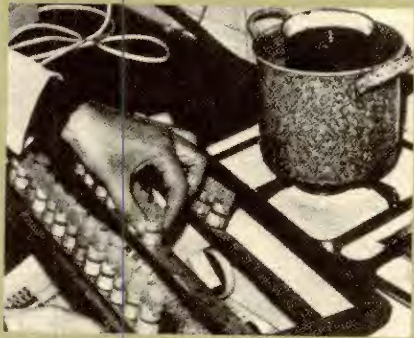
يتم الحصول على بيض أو يرقات حديثة العمر من طائفة ذات صفات جيدة وذلك بوضع قرص قالب شمعي جديد في الطائفة المختارة، فتقوم الملكة بوضع البيض فيه ويستخدم للتربية. ويمكن إعدام صفين من البيض أو اليرقات ويترك صف، ويُعدم صفان آخران ويترك صف وهكذا (طريقة كيس) The CASE Method. أو يمكن هدم ثلاثة صفوف من البيض أو اليرقات وترك الرابع، ثم يهدم ثلاثة صفوف ويترك الرابع وهكذا، وأيضًا يتم إعدام بيضتين أو يرقتين في كل صف وترك الثالثة وهكذا (طريقة هوبكنز The HOPKINS Method). بعد ذلك يوضع هذا القرص في الطائفة البانية لبيوت الملكات، بحيث يكون القرص في وضع أفقي على قمم الأقراص وأن يكون سطحه المعامل بالطريقة المذكورة هو السطح السفلي ويتم رفعه على قمم الأقراص بواسطة إطار فارغ أو سدابتين خشبيتين.

ويمكن أيضًا أن يقطع القالب الشمعي الذي يحوي البيض أو اليرقات من الطائفة المختارة إلى شرائط يحوي كل شريط صفًا واحدًا من العيون السداسية المحتوية على بيض أو يرقات حديثة، وتُعدَم بيضتان أو يرقتان وتترك واحدة وهكذا على طول صف العيون السداسية (**شكل ١**)، ثم تثبت هذه الشرائط على سدابات خشبية بواسطة الشمع المنصهر ثم توضع في إطار لحمل هذه السدابات (**شكل ٢**) ثم توضع في الطائفة البانية للبيوت الملكية. كذلك يمكن تقطيع الشرائط (**التي في الشكل ١**) إلى قطع صغيرة تثبت كل منها على قاعدة خشبية صغيرة وتترك بيضة أو يرقة واحدة ويُهدَم الباقي بواسطة عود ثقاب (**شكل ٣**) ثم تثبت القواعد الخشبية على سدابات وتوضع في إطار خاص لحمل هذه الشرائح (**شكل ٤**) ثم توضع في الطائفة البانية للبيوت الملكية.


شكل (١)


شكل (٢)


شكل (٣)


شكل (٤)

تربية الملكات بأعداد كبيرة للتجارة

طريقة دوليتل أو طريقة التطعيم The DOOLITTLE or Grafting Method تتلخص هذه الطريقة في:

١ ـ تجهيز الكؤوس الشمعية:

تستعمل أقلام من الخشب الجامد (الصُّلب) تكون قمتها مستديرة قطرها عند الطرف (٦ ـ ٧ مم) ويزداد سمكها تدريجيًّا حتى يصل إلى ٩ مم على بعد ٩ مم من الطرف (**شكل ٥**). ويستعمل الشمع الأبيض النظيف الذي يصهر في حمام مائي، ويحفظ في درجة حرارة فوق نقطة الانصهار مباشرة. يبلل قلم عمل الكؤوس في الماء البارد، ثم ينثر عنه الماء الزائد ويغمر طرفه في الشمع المنصهر إلى عمق ٩ مم ثم يُرفع، ويعاد غمسه على ارتفاع ٨,٥ مم، وتتكرر هذه العملية من (٣ ـ ٤ مرات)، ثم يبرد في الماء كي يتجمد. ويمكن نزعه عن القلم بواسطة حركة التفاف بسيطة. ويغمس القلم في الماء البارد، ثم ينثر عنه الماء الزائد وتتكرر هذه العملية.


شكل (٥)

عنـد الحاجـة إلى أعـداد كبيرة من الكـؤوس الشمعية لا يكفي غمس قلـم واحد، بل تُستَعمل مجموعة من الأقلام (١٥ ـ ١٦ قلمًا) متساوية الطول مثبتة في شريحة خشبية، والمسـافة بين القلم والآخر ١٨ مم من المركز إلى المركز.

وهنـاك أيضًـا كؤوس من البـلاستيك (عـديم الـرائحة) التي تُستَعمل أكثـر من مـرة، وهي ذات أشكال وألوان مختلفة.

٢ ـ تثبيت الكؤوس في العوارض:

يمكن وضع الكؤوس على قواعد مصنوعة من الخشب أو البلاستيك ثم تلصق على سدابة خشبية (**شكل ٦**)، ويمكن للسدابة أو العارضة أن تحمل عددًا من الكؤوس يتراوح بين (١٥ و١٦ كأسًا).

٣ ـ نقل اليرقات الحديثـة إلى الكؤوس (عملية التطعيم):

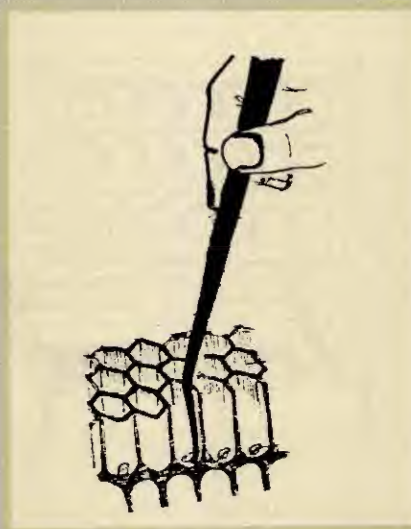
يمكن نقل اليرقات الصغيرة العمر إلى الكؤوس بعـد وضع نقطـة صغيرة جـدًّا من الغـذاء الملكي المخفف أو وهي جافة، ويتـم نقل اليرقة باستعمال إبرة التطعيم (**شكل ٧**)، وهناك أشكال مختلفة من هذه الإبر، فمنها العادية أو الأوتـوماتيكية ومنها ما هو مـزود بلمبة كهربـائية لوضـوح الرؤية وسهـولة عملية النقل، ويجب الحذر التام مـن حدوث هذه العملية في حجرة خاصـة لا تقل درجة الحرارة فيها عن ٢٥° م والرطوبة النسبية عن ٥٠٪. ويراعى أن تكون اليرقات صغيرة جدًا (عمر ١٢ ساعة) حيث وجد أن هنـاك علاقة عكسية بين عمر اليرقـة عند التطعيم وعدد فروع المبيض SHAWER (1978)، حيث إن هناك علاقة موجبة بين عدد فروع المبيض وكمية الحضنة التي تنتجها الملكة AVETISYAN (1961)، كما أن لميعاد تـربية الملكات أثـرًا واضحًا على صفـــات الملكة الخارجيـــة والداخليـــة، وإن أنســـب هـذه الأوقـــات هي أوقـات الفيـض (SHAWER (1978, 1980.

٤ ــ تثبيت العـوارض الخشبيـة في الإطـارات الخاصة بها:

بعد نقـل اليرقات إلى الكؤوس الشمعيـة تثبت العوارض الخشبيـة التي تحملها في إطاراتها بحيث تكون فتحات الكؤوس متجهة إلى أسفل، ويمكن أن يحمل الإطار (١ ـ ٤ عارضة خشبية)، ويفضل أن ينقل كل إطار إلى الطائفة البانية للبيوت الملكية



شكل (٦)



شكل (٧)



شكل (٨)

بمجرد تطعيم الكؤوس الموجودة فيه (**شكل ٨**).

٥ ـ الطائفة البانية للبيوت الملكية:

لبدء بناء بيـوت الملكات توجد عـدة طرائق، تتفق جميعها في كونها طـائفة قوية، يتيمـة (عديمة الملكـة) تحوي كمية من العسـل وحبوب اللقـاح، وتحوي كمية كبيرة من الشغالات الحاضنة، ويمكن إعداد هـذه الطائفـة برفـع ملكة إحـدى الطوائف القـويـة ومعهـا (٢ ــ ٣) أقـراص بما عليهـا من شغالات وتوضع في صنـدوق سفر وتنقل إلى مكان بعيد عن مكـانها الأصلي، ثم ترفع جميع الأقراص المحتويـة على بيض أو يرقـات (بعد نفـض نحلها بـداخـل الخلية) ولا يترك للطـائفـة إلا الحضنة المقفولـة، ويجب أن تجهز هـذه الطائفـة قبل وضع إطـارات الكؤوس الشمعيـة بها بـ ١٢ ساعـة على الأقل، وتستعمل هـذه الطـائفـة لبـدء (٢ ــ ٣) دفعـات فقط، تحتـوي الدفعـة (٨٠ ــ ١٠٠ بيت ملكي) وبعد ذلك تضم إليها ملكتها أو يدخل لها ملكة أخرى.

ويمكن لإتمام بناء البيـوت الملكية أن تنتخب طائفة قويـة يشغل نحلها صندوقين أو أكثر، تترك الملكة في الصنـدوق السفلي ومعها أقـراص الحضنة المقفولة، أمـا الصندوق العلوي فيوضـع به أقراص البيض واليرقات والعسل وحبوب اللقاح، وتوضع بينها (البراويـز) الحاملة للكـؤوس. على أن يفصل بين الصندوق العلوي والسفلي حـاجز ملكات لمنع الملكة من هدم و إتلاف البيوت الملكية.

٦ ـ الإعداد لخروج الملكات العذارى:

يمكن نقل البيت الملكي في اليوم التـاسع بعد التطعيم إلى الطـوائف المحتـاجـة إليها أو نـويـات التلقيح (**شكل ٩**)، أو يحفظ كـل بيت ملكي في قفص سلكي بعد وضع قطعة صغيرة من الكاندي (سكر بودرة مع العسل على شكل عجينة) وتوضع مجمـوعـة من الأقفـاص السلكية في إطـار خـاص (**شكل ١٠**) ويحفظ في طـائفة لتدفئتهـا حتى يتم فقس الملكات العذارى.

○ جهاز وضع البيض في الكؤوس البلاستيكية

باستعمال هذا الجهاز لا نحتاج إلى عملية نقل اليرقات إلى الكؤوس، ويـوجد حاليًا عـدة أشكال منه تختلف بـاختــلاف الشركـة التي تقـوم بصنع الجهاز، إلا أن الفكرة الأساسية للجهاز تنحصر في جعل الملكـة تضع بيضهـا مباشرة في الكـؤوس البـلاستيكيـة، ويتكـون الجهاز من ثـلاثـة أجـزاء أساسية وبعض الأجزاء المكملة.

والجزء الرئيس من الأجـزاء الأساسيـة هو الجزء الأوسط وهو قطعة من البـلاستيك الخاص العديم الـرائحة، مطبـوع عليها الشكل السـداسي لشمع الأسـاس وبـه ١١٠ عيون سـداسيـة، وهي ممتـدة للخلف بحيث تــدخل في كأس بــلاستيك من

الخلف حيث تضع فيه الملكة البيضة، والجزء الأمامي عبارة عن حاجز ملكات حيث يسمح بدخول وخروج الشغالات، ويعمل على حبس الملكة داخل الجهاز، والجزء الخلفي عبارة عن غطاء شفاف لمنع سقوط الكؤوس. والجهاز مزود بفتحة لدخول وخروج الملكة منها ومكان لوضع الكاندي ومكان للتثبيت.

وقد قام الكاتب بعمل تحوير في الجزء الأوسط من الأجزاء الأساسية، حيث استعمل قطعة من الخشب مستطيلة الشكل (١٧ × ٢٢ سم) والسمك ٣ مم، وتم عمل ١١ صفًّا من الثقوب كل صف يحوي ١٥ ثقبًا، قطر الثقب ٨ مم، يوضع على السطح العلوي قطعة من شمع الأساس ويُعمل بها الثقوب حيث تكون عليه الملكة والشغالات، أما السطح السفلي فيوضع أسفل الثقوب مباشرةً الكؤوس المصنوعة من البلاستيك حيث تضع فيها الملكة البيض مباشرة. وهذا التحور يقلل التكلفة المادية وزيادة عدد الكؤوس المستعملة، ونتائجه ممتازة.

وبعد تربية الملكات والحصول عليها يمكن اختيار الملكات ذات الصفات الجيدة وتخزينها في بنك الملكات عذراء أو ملقحة لحين الحاجة إليها. (أوضح BOCH and JAMIESON (1960) أن هناك علاقة مباشرة بين وزن الملكة وعدد البيض الذي تضعه).

وقد أوضحت الأبحاث التي أجراها الكاتب النقاط التالية:

● إن معدل وضع البيض للملكة يختلف باختلاف الوقت من السنة، فالملكة تتوقف أو تضع بيضًا محدودًا خلال شهر (تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ـ كانون الثاني/ يناير) [تحت الظروف البيئية والمناخية لمنطقة كفر الشيخ ـ مصر]. ثم تبدأ في زيادة معدل وضع البيض حتى يصل إلى قمته في الفترة من منتصف شهر نيسان/ أبريل وحتى أول شهر حزيران/ يونيو وذلك لوجود زهرة البرسيم المنتشرة في تلك الفترة، ثم يحدث انخفاض مفاجئ أيضًا بعد جمع العسل (القطف) ويبدأ في الازدياد الطفيف خلال شهري تموز/ يوليو وآب/ أغسطس لوجود زهرة القطن، ثم تبدأ في



شكل (٩)



شكل (١٠)

الانخفاض بعد ذلك. وأيضًا وجد أن هناك تلازمًا بين وزن الملكة ونشاطها في وضع البيض، حيث وجد أن وزن الملكة يصل إلى قمته خلال شهر أيار/ مايو (٢٢٥ ملليجرام)، بينما يصل إلى أدناه خلال شهر كانون الأول/ ديسمبر (١٩٥ ملليجرام).

● إن محصول العسل المنتظر يتوقف ـ بالإضافة إلى وجود المحاصيل الزهرية التي يجمع منها النحل الرحيق وحبوب اللقاح ـ على عدد الشغالات السارحة، فكلما كانت الطائفة قوية زاد متوسط إنتاجها من العسل المرتقب.

● إن الملكات الملقحة حديثًا يمكن أن تعيش على بيئة مكونة من حبوب اللقاح والعسل وسكر القصب المطحون بنسبة (٢ : ٤ : ٥) لمدة ٧٤ يومًا، وبالنسبة للملكات العذارى يمكن أن تعيش على بيئة الكاندي (سكر القصب المطحون والعسل) لمدة تصل إلى ٦١ يومًا. والملكات المخزنة توضع في أقفاص ٥ × ٥ × ٢,٥ سم مغطاة بسلك من الجانبين، وتوضع البيئة في القفص ثم توضع الأقفاص في برواز حامل الأقفاص (٤٠ ـ ٤٥ قفصا لكل برواز) وتوضع في وسط براويز الخلية المعدة لهذا الغرض (بنك الملكات).

● يمكن أيضًا تخزين الملكات الملقحة في أقفاص مغطاة بسلك شبكي مساحة ثقوبه (٢,٥ مم٢) لإمكان الشغالات من إدخال خرطومها وتغذية الملكات لمدة ٤٢ يومًا وذلك من طائفة عديمة الملكة أو لمدة ١٦ يومًا عندما تكون الطائفة ذات ملكة.

● إن أفضل طرق إرسال الملكات هو وضع الملكة في قفص الإرسال مع عدد ٨ شغالات يتراوح عمرها بين أسبوع وأسبوعين مع الكاندي.

● وحول تأثير تخزين الملكة العذراء لفترات، بمعنى أن الملكة العذراء توضع في قفص خاص بها مع الغذاء وتُخزن لفترات مختلفة (١٥، ٣٠، ٤٥، ٦٠، ٧٥، ٩٠ يومًا) ثم توضع في نويات للتلقيح بعد هذه المدة، وتبين من البحث أن تخزين ملكات نحل العسل العذارى لمدد طويلة لا يعوق قدرتها على التلقيح الناجح، ولكن نسبة النجاح في التلقيح تنخفض مع طول الفترة، فمثلاً بلغت هذه النسبة ٦٢,٥٪ مع الملكات العذارى المخزنة لمدة ٣٠ يومًا، ٥٣,٥٪ للملكات المخزنة لمدة ٦٠ يومًا، ٤٠٪ للملكات المخزنة لمدة ٩٠ يومًا، بالمقارنة بـ ٩٢,٥٪ للملكات الحديثة القفس.

المراجع:

AVETISYAN, G. A. (1961): The relation between interior and exterior characteristicts of the queen and fertility and productivity of the bee colony. XVIII Int. Beekeep. Congr.: 44 - 53.

BOCH, R. and JAMIESON, C. A. (1960): Relationship of body weight fecundity in queen honeybees. Can. Ent. 92 (9): 700 - 701.

HELAL, R. M. Y. (1983): Studies on queen of the honeybee. M. Sc. Thesis, Fac. of Agric., Tanta Univ.

SHAWER, M. B. (1978): Investigation on the influence of some factors on the quality of the artificially reared queens. Ph. D. Thesis, Agric. Sci. Acad. Sofia, Bulgaria.

SHAWER, M. B. (1980): Effect of rearing season on certain characters of Carniolan honeybee queen at Kafr El - Sheikh governorate. J. Agri. Res. Tanta Univ. 6 (2): 195 - 203.

آفاق اجتماعية

رسالة إلى السيّاح العرب

تستهوي السياحة عددًا متزايدًا من المواطنين العرب عامًا بعد عام، والسياح العرب كغيرهم من سياح دول وأقطار الأرض يقصدون بقاعا متنوعة ومختلفة، ينشدون من وراء سياحتهم أهدافًا عدة وغايات متنوعة، فمنهم من لا يهدف من وراء زيارته لبلد أجنبي سوى تغيير الطقس أو المناظر والمشاهد أو كسر الروتين اليومي الذي اعتاد عليه في بلده، ومنهم من لا يطمح من وراء رحلته السياحية سوى المباهاة والتفاخر عند الأقارب والأصدقاء وجيران الحي وزملاء العمل، ومنهم من لا يقصد من سياحته إلا التبضع وشراء الألبسة وأدوات الزينة ومواد التجميل وبعض الحاجيات والبضائع الاستهلاكية، وعندما يعودون لأرض الوطن يشرعون في التحدث مع الأقارب والأصدقاء في مجتمعاتهم الصغيرة وتجمعاتهم: عندما كنا في باريس اشترينا هذا المعطف من الشانزليزيه، وعندما زرنا الولايات المتحدة تجولنا في الشارع الخامس بنيويورك، أما تلك العطورات الفواحة فقد حالفنا الحظ في العثور عليها في السوق الحرة بمطار روما... إلخ. وتراهم يشعرون بالفخر والغبطة إثر ذلك.

حتى لا نغمط السياح العرب حقهم، فهناك نوع آخر من السياح، وهم الأكثر جدية يرسمون أهدافًا لسياحتهم، إما لتعلُّم لغة من موطنها الأصلي، أو لغرض الاطلاع على مجتمعات وثقافات وحضارات أخرى لإنماء ثقافتهم، أو لحضور مؤتمر أو ندوة لاكتساب المزيد من المعارف والعلوم والآراء والأفكار. وفي الغالب تبقى اطلاعاتهم ومعارفهم وثقافتهم التي اكتسبوها محصورة ومقصورة عليهم، إذ ليس بإمكانهم نقلها إلا لفئة ضيقة وصغيرة لا تتجاوز نطاق الأهل وبعض المعارف.

ويا حبذا لو تنشر تلك الأفكار والمعلومات والمعارف والآراء والانطباعات التي يعود بها هؤلاء السياح الجادون لتستفيد منها فئات متعددة في المجتمع متعطشة للمزيد من الأفكار والمعلومات والمعارف لإغناء وإثراء ما عندهم، ولكن لن يكون هذا ممكنًا إلا بوجود مؤسسات خاصة ترحب بالعائدين من رحلاتهم، وتفسح لهم المجال لنقل ما يريدون نقله لأبناء بلدهم، فعدا الصحف والمجلات وبرامج الإذاعة والتليفزيون يجب أن يكون هناك مؤسسات صغيرة على مستوى الأحياء، وعلى مستوى المدينة أو القرية تستخدم المكتبات العامة، أو الأندية، أو القاعات العامة، أو المعاهد والجامعات والمدارس... إلخ كأمكنةً لعقد حلقات البحث والنقاش والحوار، ومثل تلك الحلقات لا يستهان بها في عملية تثقيف الرأي العام أو قطاعات معينة من الأفراد. ففي جامعة (وتشيتا) بولاية كنساس بأمريكا قابلت سيدة تلقي محاضرة أمام جموع من الطلاب، تكلمت فيها مطولاً عن فلسطين ومعاناة الشعب الفلسطيني على أرضه من خلال ما لمسته لدى زيارتها لفلسطين في إحدى رحلاتها السياحية، وأيدت كلامها بعرض مجموعة من الصور وأفلام الفيديو التي التقطتها أثناء زيارتها التي قصدت منها السياحة والاستفادة بالتعرف على قضية شغلت العالم، وقد رتبت خلال سياحتها زيارات متعددة لأماكن عدة، والتقت بشخصيات من مستويات متنوعة، وكونت فكرة واضحة عن معاناة شعب، وكانت ترد على أسئلة المستمعين وتناقشهم، ووعدت بعضًا منهم بلقاءات واجتماعات ضيقة لتزودهم بمعلومات أغزر وأكثر، وترد على تساؤلاتهم، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كتبت مقالات في بعض الصحف المحلية، وشاركت في برامج إذاعية وتليفزيونية نقلت خلالها ما شاهدته ولمسته وعاشته خلال رحلتها.

لذا فإني أتمنى على السياح العرب أن يخصصوا أثناء رحلاتهم وأسفارهم السياحية جزءًا من وقتهم للتعرف على حضارة البلد الذي يزورونه وثقافته، ويعودوا في جعبتهم حصيلة من المعارف والمعلومات والخبرات والتجارب الثرية يعرضونها على أبناء حيهم أو مدينتهم، ويتحدثون مطولاً عما تعلموه من تلك الرحلات من أشياء تفيدهم وتفيد من يحبون. كما أتمنى على مؤسسات المجتمع أن تكون مكانًا للتلاقي والحوار والنقاش وتبادل الخبرات والتجارب.

إن الذين حرموا من السياحة يتشوقون لمعرفة المزيد عن حضارات وثقافات وقضايا شعوب العالم، كذلك فإن الذين تمتعوا برحلاتهم يشعرون حتى أثناء سياحتهم بأنهم قادرون على تقديم خدمات لأبناء بلدهم، وأن عليهم مسؤولية تجاههم.. مسؤولية تزويدهم بمعلومات ومعارف تفتح مداركهم وتثري ثقافتهم. إن مثل هذا التلاقي يعمل على اجتذاب المئات إن لم نقل الآلاف من أبناء المجتمع وبخاصة الشباب، فيقضي بذلك على أوقات فراغهم الممل ويستقطب اهتماماتهم لاكتشاف آفاق جديدة وأفكار وآراء نافعة.

د. تماضر حسون

الطفل الخديج

د. محمد منار الكيالي

شهد مطلع القرن العشرين تطورًا كبيرًا في العلوم ولا سيما العلوم الطبية، ومن العلوم الوليدة في هذه الحقبة علم طب الوِلْدان (Neonatology)، وهو الفرع الذي يبحث في علم وفن تشخيص الاضطرابات التي تصيب الوليد ومعالجتها. ويطلق اسم الوليد أو المولود على الطفل اعتبارًا من اللحظة الأولى لولادته، وحتى يكمل الشهر الأول من عمره، وبتعبير علمي أدق حتى يتم (٢٨) يومًا من عمره.

الولادة هي الحدث الأكبر في حياة الكائن البشري، إذ يؤدي حدوث أي خلل أثناءها أو في الدقائق الأولى بعدها إلى نتائج في غاية الأهمية والخطورة؛ على سبيل المثال تأخر تنفس الوليد بعد الولادة دقائق معدودة قد يسبب عاهة دائمة تصاحبه مدى الحياة. وتحدث الولادة بعد أن يكتمل نمو الجنين في الرحم، وبعد أن تصبح أجهزته المختلفة جاهزة للعمل وللقيام بوظائفها المختلفة، ومستعدة لحمل رسالة الحياة دون الاعتماد على الأم، ذلك أن الجنين أثناء الحمل يكون معتمدًا إلى حد بعيد على أجهزة أمه في أداء مختلف وظائف جسمه الدقيق. مع الصرخة الأولى بعد الولادة ومع قطع الحبل السري، حبل الحياة بين الوليد وأمه، تبدأ أعضاء الوليد وأجهزته بالعمل في جدية ونظام رائعين، لتستمر معجزة الحياة إلى قدر معلوم يقدره رب العالمين.

لكن الرياح أحيانًا تأتي بما لا تشتهي السفن، إذ تحدث الولادة المبكرة، ويأتي إلى الوجود زائر جاء قبل موعده، اصطلح على تسميته «الخديج» أو المُبْتَسر preterm. تبلغ نسبة الولادة المبكرة ٧ ـ ١٠٪ من مجموع الولادات، وتختلف قليلاً من بلد إلى آخر، وحسب الظروف المالية والمستوى الاجتماعي للأسرة.

والخديج لغة مشتق من فعل خَدَجَ ـ خِداجًا: أي نقص، والحامل: ألقت ولدها قبل تمام أيامه، ويجمع على خِداج وخدائج وخُدَج. أما تعريفه الطبي فهو كل مولود يولد قبل أن يبلغ الحمل الأسبوعي السابع والثلاثين. وكما هو معروف تتم الولادة الطبيعية غالبًا في الأسبوع الأربعين من الحمل؛ أي تسعة أشهر وعشرة أيام. أما إذا حدثت الولادة قبل الأسبوع الخامس والعشرين من الحمل اعتبر ذلك إجهاضًا ولا يكون الجنين قادرًا على الحياة خارج رحم أمه، نتيجة لما سبق ذكره يكون الخديج كل مولود يولد بين الأسبوع الخامس والعشرين والأسبوع السابع والثلاثين من الحمل. جدير بالذكر أن منظمة الصحة العالمية أوصت الأطباء بالقيام بإنعاش وإسعاف كل وليد وزنه أكثر من ٥٠٠ غ، وظهرت عليه علامة من علامات الحياة بعد الولادة كشهيق أو خفقان قلب. وذلك بغض النظر عن مدة الحمل سواء كانت أكثر أو أقل من ٢٥ أسبوعًا.

يكون الطفل الخديج مكتمل الأعضاء من حيث الشكل الخارجي فقط، أي ملامح الوجه وشكل الأطراف والأصابع وغيرها. أما أجهزته الداخلية كالرئة مثلاً فتكون ناقصة النمو، ولا تؤدي وظائفها بشكل تام، لذا يعاني معظم الأطفال الخدج صعوباتٍ في التنفس، ويحتاجون إلى أجهزة تنفس اصطناعي لفترات زمنية قد تطول شهورًا حتى يكتمل نمو أنسجة الرئة للقيام بأعباء وظيفة التنفس على أكمل وجه. وما يقال عن الرئة ينطبق على باقي أجهزة الجسم مثل الكبد والأمعاء والكلية، وغيرها.

وينبغي أن لا يغيب عن البال أنه كلما نقصت فترة الحمل كان الخديج أقل وزنًا وأقل اكتمالاً في النمو، ومن ثم تقل فرصته في الحياة. تدل الإحصاءات في المراكز الطبية المتطورة على أن نسبة الوفاة تبلغ ٥٥٪ عند الخدج الذين تقل أوزانهم عند الولادة عن كيلو غرام واحد، بينما تهبط هذه النسبة إلى ١٥٪ فقط في الخدج الذين تتراوح أوزانهم بين (١ ـ ١,٥) كغ.

نبذة تاريخية

كان الاعتقاد في الماضي أنه لا أمل يُرجى من بقاء المواليد الخدج على قيد الحياة، لذا كانوا يُتْرَكون دون عناية حتى يلاقوا حتفهم، لكن مع مرور الوقت وتقدم العلوم الطبية بدأ الشعور ينمو بالاهتمام تجاه هؤلاء الخدج، والواقع أن الاهتمام بالمواليد والرضع كان قليلاً بشكل عام. تذكر المراجع الطبية أنه في فرنسا على سبيل المثال في عام ١٧٨٠ م كان يموت نصف المواليد قبل أن يكملوا العام الثاني من العمر. كما تذكر المراجع أن أول مستشفى للأطفال في العالم أنشىء في باريس عام (١٨٠٢ م). قبل ذلك كانت القابلات أو الممرضات يقمن بالعناية بالمواليد المرضى في المنزل. أما الأطباء فيتجنبون علاج المواليد لارتفاع الوفاة بينهم بالإضافة إلى قلة التدابير العلاجية المتوافرة آنذاك.

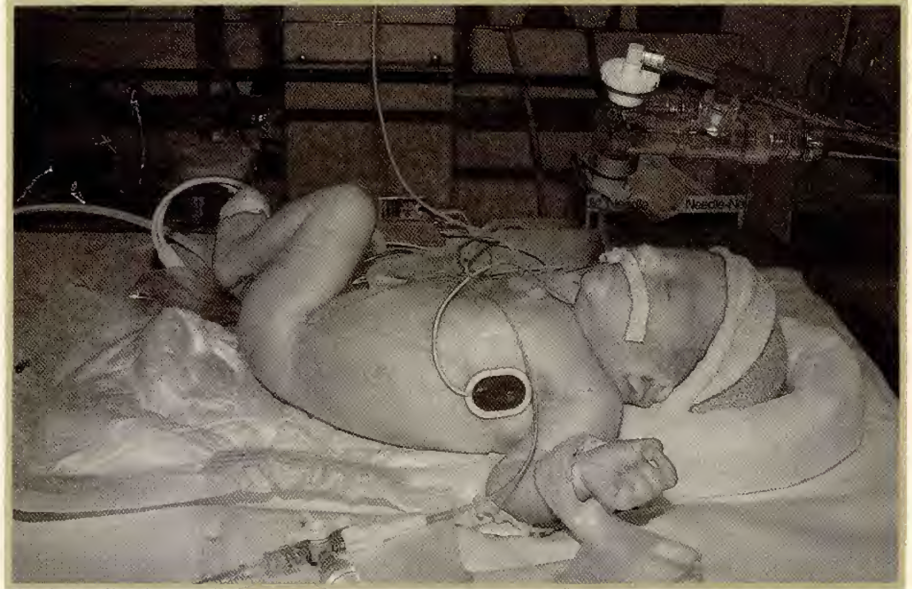
كان الطبيب جينيو (Gueniot) أول من عَرَّف الطفل الخديج اعتمادًا على الوزن في عام ١٨٧٢ م. قبل ذلك التاريخ لم يكن أحد من الأطباء يهتم بوزن المولود عند الولادة، لكن الفضل يعود إلى الطبيب تارنيه (Tarnier) وتلميذه بودين(Budin) في وضع

أسس العناية الحديثة بالأطفال الخدج، وذلك في أواخر القرن التاسع عشر، وهما أول من صمم حاضنة مغلقة تؤمن الحرارة اللازمة للأطفال الخدج، كما ابتكرا طريقة لتغذية الخدج الضعفاء جدا الذين لا يستطيعون القيام بعملية المص والبلع وذلك بإدخال أنبوب رفيع في فم الخديج حتى المعدة ومن ثم حقن الحليب من خلاله، وهما أول من أسس وحدة للعناية بالمواليد الخدج في العالم.

مع دخول القرن العشرين بدأ عدد السيدات

جهاز مقبول طبيًّا حتى عام ١٩١٦ م، ومع ذلك فإن الاستخدام العلمي لأجهزة التنفس الاصطناعي حدثت مع بداية الخمسينيات من هذا القرن.

الحديث عن التنفس الاصطناعي يدفعنا إلى ذكر غاز الأكسجين؛ هذا الغاز لا غنى للكائن الحي عنه، ولا معنى للتنفس الاصطناعي من دون وجوده. كان العالم جوزيف بريستلي (J. Priestly) هو أول من استخلص الأكسجين كغاز منفرد في عام ١٧٧١ م. وقد جربه على نفسه وعلى الحيوانات



طفل خديج يعاني من صعوبة التنفس موصول بجهاز تنفس اصطناعي

اللائي يلدن في المستشفيات يزداد، ونتيجة لذلك تنامى الاهتمام بإنشاء وحدات خاصة للمواليد، من ثم بدأ أطباء الأطفال يولون اهتمامًا للأمراض والاضطرابات التي تصيب المواليد.

في عام ١٩٢٢ ألف د. يوليوس هس (Juluis Hess) أول كتاب يتناول أمراض المواليد الخدج. أما أول حاضنة بمواصفات جيدة فقد ظهرت إلى الوجود عام ١٩٤٧ م، ومنذ ذلك التاريخ ظهرت في الأسواق أنواع مختلفة من الحاضنات المتطورة.

عند الحديث عن تطور طب الولدان والخدج، لا بد من التعرض لتطور أجهزة التنفس الاصطناعي؛ لأن غالبية الأطفال الخدج يحتاجون إلى تنفس اصطناعي؛ لعدم قدرتهم على القيام بوظيفة التنفس بذاتهم.

بدأت محاولات صنع جهاز تنفس اصطناعي مع نهايات القرن التاسع عشر، لكنه لم يتم تصميم

في المخبر، واستنتج أنه أساس للحياة. مع بداية الأربعينيات من هذا القرن بدأ استخدام الأكسجين بشكل علمي عند المولودين حديثًا والخدج حين لاحظ العلماء أن فائدته كبيرة في معالجة الزرقة (تلون الجلد باللون الأزرق) الناتج عن الاضطرابات التنفسية عند هؤلاء الأطفال، واعتبروه تقدمًا عظيمًا في ميدان الطب، وأصبح استخدامه منتشرًا دون قيد أو شرط، لكن مع الأسف ظهرت في عام ١٩٥٢ م أول دراسة أثبتت أن استخدام تركيزات عالية من الأكسجين عند الخدج يمكن أن يسبب إصابة الأوعية الدموية في الشبكية ويؤدي من ثم إلى العمى، عندها تنادى الأطباء إلى الحذر في استخدامه وإن كان ولا بد؛ فليكن إعطاؤه للخديج بكمية قليلة ولفترة قصيرة قدر الإمكان. بعد ذلك ظهرت دراسات أخرى تثبت تأثير الأكسجين الضار على رئة الخديج، مسببة الوزمة والالتهاب والتليف، بعد هذا كله كان لا بد

للطبيب المعالج أن يضع الأمور في ميزان دقيق حساس موازنًا بين الفائدة العظيمة للأوكسجين في إنقاذ حياة هؤلاء الخدج وآثاره السمية المحتملة إذا أُعْطِيَ بكميات كبيرة ولفترات زمنية طويلة.

وحدات الرعاية المشددة للمواليد

بعد الولادة يتم نقل الخديج إلى وحدة الرعاية المشددة التي تكون قريبة من غرف الولادة لتأمين العناية الطبية المكثفة في أسرع وقت ممكن.

وحدة الرعاية المشددة للمواليد باهظة التكاليف، ولا تتحمل نفقاتها إلا الدول الغربية المتطورة والدول الغنية؛ لأن العناية بالخديج تتطلب وجود الكثير من الأجهزة الطبية الحديثة. تقدر كلفة الخديج في وحدة الرعاية المشددة بـ (٤٦٧) جنيهًا استرلينيًّا في اليوم الواحد، ويحتاج الخديج إلى حاضنة تؤمن له درجة الحرارة المناسبة التي يعجز جسمه الضعيف عن توليدها، والحاضنة عبارة عن صندوق زجاجي شفاف، يتسع للخديج، ويمكن التحكم في درجة الحرارة والرطوبة في الداخل.

يحتاج الخديج أيضا إلى جهاز التنفس الاصطناعي وأجهزة مراقبة حركة القلب والتنفس وأجهزة متابعة غازات الدم وضغط الدم، إضافة إلى أجهزة الفحص بتخطيط الصدى (ULTRASONOGRAPGHY)، والأشعة السينية وغيرها كثير.

يشرف على الوحدة أطباء على درجة عالية من التخصص، متواجدون كل الوقت وعلى مدار الساعة. تتولى العناية المباشرة بهؤلاء المرضى الصغار ممرضات دُرِّبن تدريبًا خاصًّا في هذا الحقل الطبي، كما جرى العرف أن تتابع كل خديج ممرضة متفرغة له، تراقبه بدقة وانتباه، تسجل عدد خفقات قلبه ومرات تنفسه، وما يدخل من أدوية وسوائل مغذية، وما يخرج منه من بول وبراز، إضافة إلى وضعه العام وتغير درجات حرارة جسمه وغير ذلك.

العمل في وحدة المواليد أشبه ما يكون بخلية النحل؛ الكل يعمل ويتحرك في سرعة وفعالية، في تعاون وانسجام، في يقظة وانتباه، إن إهمالاً لدقائق قليلة قد يكلف غاليًا، وفيه قضاء على حياة أحد المرضى الصغار.

يسمح عادة للأبوين فقط بزيارة الخديج؛ هذا

الطفل الخديج

بعد وضع أردية خاصة فوق الثياب، وذلك للتقليل من فرص نقل الجراثيم والعدوى إلى هذه الكائنات الرقيقة.

أسباب الولادة المبكرة

ما زال الكثير من الأسباب المؤدية إلى الولادة المبكرة مجهولاً، وليس هذا بمستغرب إذا عرفنا أن الآلية الفيزيولوجية لبدء الولادة الطبيعية غير معروفة بشكل مؤكد حتى الآن، ولكن هنالك نظريات تحاول تفسير ذلك.

على كل حال هناك عوامل كثيرة تؤدي إلى حدوث الولادة المبكرة، من هذه العوامل ما يتعلق بالأم نذكر أهمها:

العوامل الجسدية:

* وزن الأم أقل من ٤٥ كغ.
* طول الأم أقل من ١٦٠ سم.
* عمر الأم أقل من ١٧ سنة أو أكثر من ٤٠ سنة.

العوامل الاجتماعية:

* الطبقات الاجتماعية
* الحمل غير الشرعي.
* سوء التغذية.
* العمل المرهق.
* إهمال النظافة الشخصية.

العوامل المَرَضية:

* تشوهات الرحم.
* ولادة سابقة لخديج.
* وجود إجهاض سابق.
* فقر الدم الشديد.
* ارتفاع الضغط الشرياني.

أما العوامل التي تتعلق بالجنين أو ملحقاته، نذكر أهمها:

* تشوهات الجنين.
* التوائم.
* ازدياد السائل الأمينوسي المحيط بالجنين.
* تشوهات المشيمة.

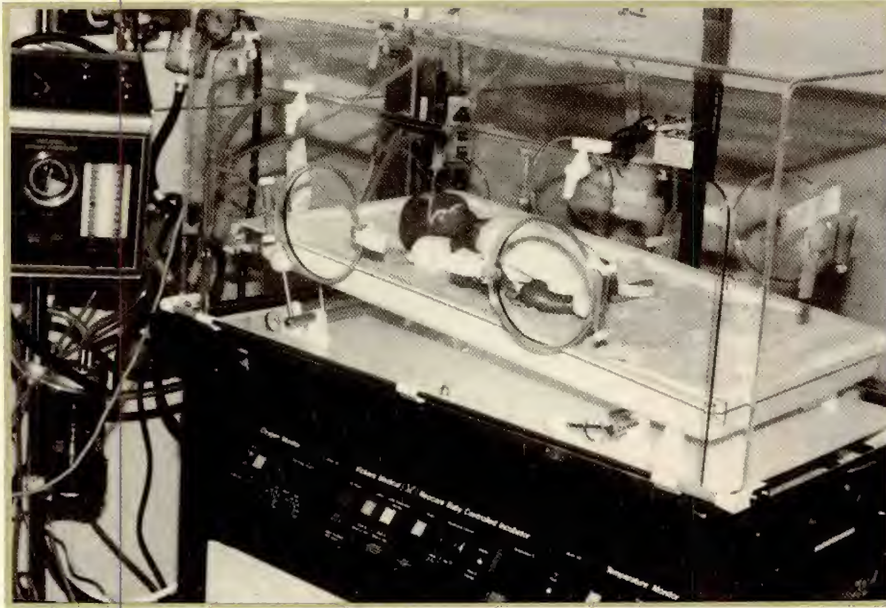
في غرفة الولادة

تحدث الولادة المبكرة في كثير من الأحيان بشكل فجائي، لذا يجب الإسراع بنقل الأم إلى مستشفى الولادة. ويعد وجود طبيب أطفال مختص في غرفة الولادة لاستقبال الخديج أمرًا لا مفر منه؛ لأن القادم الجديد جاء إلى العالم قبل أن يأخذ أهبة الاستعداد، فهو بحاجة ماسة إلى المساعدة والأخذ باليد على طريق الحياة الوعر.

يسارع طبيب الأطفال بعد الولادة فورًا إلى العناية بالخديج، يجفف جسمه من السوائل، ويضعه في مكان دافئ؛ ذلك أن الخديج لا يستطيع توليد الطاقة الكافية للمحافظة على حرارة جسمه. ويؤدي تعرضه للبرودة وإلى اضطرابات استقلابية سيئة العواقب. يُنظِف الطبيب فم وبلعوم الطفل بواسطة جهاز ماص للمفرزات.

لا يستطيع الخديج القيام بوظيفة التنفس بشكل فعال، خصوصا إذا كان شديد الخداج؛ أي مولودًا قبل الأوان بفترة طويلة، في هذه الحالة يقوم الطبيب بالتنبيب؛ وهو إدخال أنبوب رفيع إلى القصبة الهوائية عبر الأنف أو الفم، ومن خلال هذا الأنبوب يضخ الهواء المشبع بالأكسجين إلى رئة الخديج الناقصة النمو. قد يتعرض الخديج إلى تباطؤ القلب أو هبوط الضغط الشرياني أو الاحمضاض. ولكل حالة من الحالات الآنفة الذكر أدوية خاصة تحقن في الأوعية الدموية للخديج، تستخدم لهذه الغاية الأوعية الدموية في الحبل السري، بعد انتهاء الإسعافات الأولية للخديج، وتسمى «الإنعاش» ينقل بعدها إلى وحدة العناية المركزة لاستكمال العلاج.

يكون حجم الخديج صغيرًا، يتوقف وزنه على فترة الحمل، فكلما كانت قصيرة كان الوزن قليلاً. بشكل عام يتراوح الوزن من ٥٠٠ غ إلى ٢٥٠٠ غ، مع العلم أن متوسط وزن الطفل المولود في الأوان هو ٣٥٠٠ غ. تكون الأنسجة الدهنية تحت الجلد قليلة، لذا تبرز الأضلاع بشكل واضح، أما الجلد فهو رقيق شفاف لماع أحمر اللون، يكسوه وبر خفيف. شعر الرأس ناعم وقليل والأذن قليلة التجاعيد، أما الوجه فهو خالٍ من التعابير.



طفل خديج داخل حاضنة

اضطرابات يعانيها الخديج

الجهاز التنفسي:

إصابات هذا الجهاز هي الأكثر شيوعا والأكبر خطرًا عند الخديج. يسهم في نقص وظيفة التنفس ضعف عضلات القفص الصدري والحجاب الحاجز، إضافة إلى نقص نضوج مركز التنفس في الدماغ.

أشهر الأمراض التنفسية هو داء الأغشية الهلامية Hyaline membrane disease، سببه

نقص مادة تسمى سورفاكتنت Surfactant موجودة داخل الحويصلات الرئوية وتبطن جدرانها، نقص هذه المادة يؤدي إلى صعوبة انتفاخ الحويصلات أثناء الشهيق وربما إلى انكماشها وانهيار جدرانها. ولما كانت الحويصلات الهوائية في الرئة هي المكان الذي يتم فيه تبادل الغازات بين الهواء والدم، فإن انكماش عدد كبير من الحويصلات يؤدي إلى نقص كبير في تبادل الغازات ومن ثم إلى نقص في أكسجين الدم الضروري لحياة خلايا البدن، وإلى زيادة غاز ثاني أكسيد الكربون الضار، إذا استمر الحال هكذا دخل الخديج في حالة قصور تنفسي، وإذا لم يسعف بالتنفس الاصطناعي أدى ذلك إلى الموت.

من الاضطرابات التنفسية الشائعة عند الخديج انقطاع النفسApnea؛ وهو توقف تنفس الوليد لفترة تتجاوز الخمس عشرة ثانية، مما يؤدي إلى نقص أكسجين الدم ومن ثم إلى الزرقة وتباطؤ دقات القلب. والسبب الرئيس وراء هذه الآفة هو عدم اكتمال نمو مركز التنفس في الدماغ. ومن الأسباب الأخرى النزيف الدماغي ونقص سكر الدم وغيرها كثير.

الجهاز الهضمي:

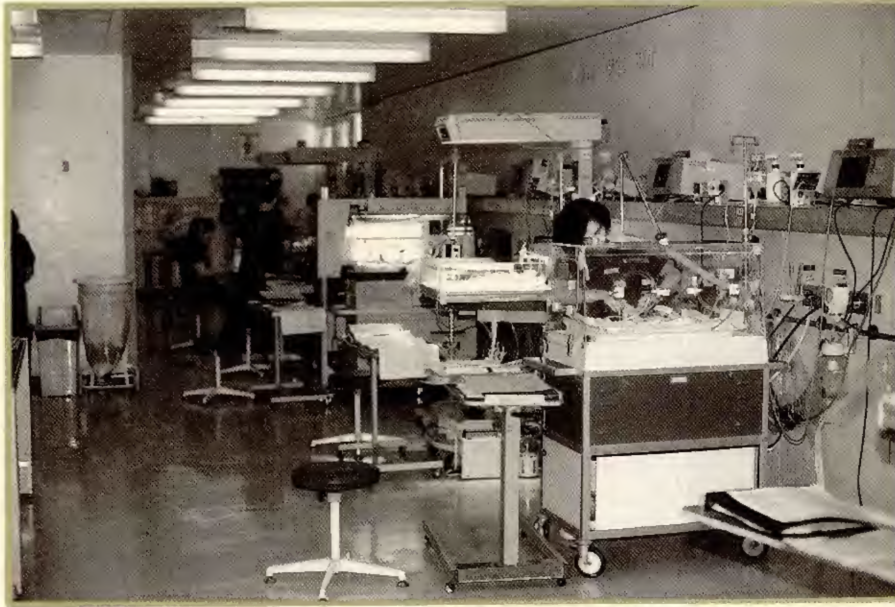
التغذية مشكلة عويصة عند الخدج، ولاسيما في حالات الخداج الشديدة، حيث لا تكون العصارات الهضمية كافية كمًّا وكيفًا لهضم الحليب، لهذا السبب يعطى الحليب في الأيام الأولى بعد الولادة بكميات قليلة وبشكل ممدد، ولما كانت منعكسات المص والبلع غير متطورة بالشكل الكافي، يحقن الحليب في أنبوب رفيع يمر عبر الفم إلى المعدة؛ ذلك أن متطلبات الخديج من العناصر الغذائية ومن الحريرات كبيرة؛ لأن معدل نموه سريع مقارنة مع نموه في الرحم في حال ولادته قبل الأوان. والمدخرات الغذائية في جسمه الصغير قليلة جدًّا. هذا إضافة إلى أن الخديج يفقد كمية مهمة من الحرارة، نظرًا لكبر مساحة جلده مقارنة مع وزنه. وأيضًا لرقة جلده وقلة الأنسجة الدهنية تحته. نظرًا لهذه الأسباب مجتمعة لا بد من إيجاد طريقة مناسبة تؤمن للجائع الصغير حاجته من الغذاء. من هنا كان تطور التغذية الوريدية الكاملة التي بواسطتها يمكن حقن الوريد بكافة العناصر الضرورية للبدن من ماء وبروتينات ودهون وسكر

○ احذروا من تعرُّض الطفل الخديج للإصابة بالنزيف الدماغي، فهو يُسبِّب له الإعاقة مدى الحياة.

اختراقه. يجب أن لا يغيب عن البال أن فصد الأوعية الدموية المتكرر من أجل أخذ عينات من الدم للفحوصات المخبرية، أو من أجل حقن الأدوية قد يكون طريقًا لدخول الجراثيم إلى داخل الجسم. لهذه الأسباب تجري محاولة عزل الخدج عن الجو المحيط بهم وتوخي جميع إجراءات التعقيم والنظافة، والمسارعة إلى العلاج بإعطاء المضادات الحيوية عند وجود أدنى شك في إصابة جرثومية.

مشكلات أخرى:

يتعرض الخديج إلى مجموعة كبيرة من الاضطرابات في الأجهزة الأخرى، من الاضطرابات



منظر عام لوحدة حديثي الولادة والخدج

وفيتامينات وعناصر معدنية. تحسب الكميات الغذائية بدقة متناهية حسب وزن الطفل الخديج وعمره وحالته، ويتم بفضل هذه الطريقة تأمين المواد الغذائية إلى حين إعطاء الخديج الكمية الكافية من الحليب عن طريق الفم.

الإصابات الجرثومية:

يعاني الخديج ضعفًا في جهاز المناعة، لذا فهو معرض بكثرة للإصابة بالجراثيم المختلفة، وربما هذه واحدة من أهم أسباب وفيات المواليد الخدج.

هنالك عوامل عديدة تؤدي إلى حدوث الإصابة، منها: نقص في كفاءة الكريات البيضاء في الدم، ونقص في تكوين مضادات الأجسام، إضافة إلى رقة جلد الخديج مما يسهل على الجراثيم

الاستقلابية يعتبر نقص أو زيادة سكر الدم واختلال شوادر الدم وحماض الدم من أهمها.

أما حظ الكبد من هذه الاضطرابات فيتجلى في ارتفاع مادة البيليروبين في الدم، نتيجة نقص في خمائر الكبد. تنتج مادة البيليروبين من انحلال الكريات الحمراء في الدم. هذه الزيادة تسبب اليرقان وهو اصفرار الجلد والأغشية المخاطية. وإذا لم تعالج حالات اليرقان الشديدة فإن مادة البيليروبين المتراكمة في الدم تتسلل إلى أنسجة الدماغ وتترسب فيها مخلفة إصابة عصبية مدى الحياة.

أخيرًا لا بد من الإشارة لإصابة خطيرة يتعرض لها الخديج بكثرة وهي النزيف الدماغي. تصل نسبة حدوثه في بعض الإحصاءات إلى ٤٠٪ من الخدج. وتحدث أغلب الإصابات خلال اليومين

الطفل الخديج

الأولين بعد الولادة، والأسباب غير معروفة يقينًا، لكن تغيرات حموضة الدم(PH) وثاني أكسيد الكربون وضغط الدم إضافة إلى هشاشة الأوعية الدموية في دماغ الخديج كلها مجتمعة أو منفردة مسؤولة عن حدوث النزيف. يمكن أن يكون النزيف قليلاً لا يلاحظ سريريًا، ولا يسبب اختلاطات دائمة، ولكن في حالات أخرى يكون شديدًا يخرب الخلايا العصبية، ويترك الوليد طفلاً معاقًا طول حياته.

المستقبل

مع تطورات وحدات الرعاية المشددة للمواليد تناقص معدل وفيات الخدج، وتراجعت نسبة الاختلاطات. يكفي أن نعرف أن ٧٠٪ - ٧٥٪ من الخدج المولودين في الأسبوع الثامن والعشرين يعيشون، و٨٥٪ من هؤلاء يخرجون من الوحدة دون مشكلات صحية خطيرة. لكن ينبغي ألا يغيب عن البال أن هذه الإحصاءات صادرة عن مراكز غربية متقدمة علميًا، لذا فهي تختلف قليلاً من مستشفى إلى آخر، ومن دولة إلى أخرى حسب الإمكانات المتوافرة والخبرة العلمية المتواجدة.

يبقى معظم الخدج أصغر حجمًا من أترابهم حتى السنة الثانية من العمر، ويظل عدد قليل منهم كذلك إلى أعمار متأخرة. ويكون التطور الحركي مثل الزحف والجلوس والمشي متأخرًا أيضًا. أما معدل الذكاء(IQ) فهو أقل من الطبيعي، ولعل مرد ذلك إلى نقص الأكسجين أثناء الولادة والأذية الدماغية الناتجة. وربما تكون الأسباب نفسها التي أدت إلى الولادة المبكرة قد أسهمت في التأثير في تطور الدماغ. لكن ذلك لا يمنع من وجود عدد لا بأس به من الخدج ذوي الذكاء العادي أو حتى الأعلى من المعدل المعتاد.

يعد الشلل المخي Cerebral Palsy من الإصابات الخطيرة التي تظهر بشكل أوضح بعد خروج الخديج من المستشفى، تتجلى الإصابة في ضعف عضلي يصيب الطرفين السفليين أو طرف واحد فقط، وفي حالات أقل مصادفة يكون الضعف في الأطراف العلوية، ومن النادر أن يصاب الطفل بشكل كامل. من الاختلاطات المصادفة أيضًا العمى والصمم، لكن لحسن الحظ فإن كل ما سلف ذكره من مشكلات صحية لا تتجاوز نسبة حدوثها ١٠٪ من مجموع الأطفال الخدج.

التدن القصبي الرئوي Bronchopulmonary Dysplasia يعد واحدًا من أهم العقابيل التي تصيب الخديج نتيجة لاستخدام الأكسجين وأجهزة التنفس الاصطناعي، حيث تصاب الرئتان بالتليف واضطراب التركيب النسيجي. يعاني الخديج صعوبة في التنفس لمدة قد تتجاوز السنتين، ويكون عرضة للإنتانات المتكررة.

يحرص الأطباء في وحدات العناية المركزة للمواليد على إقناع الأبوين ولا سيما الأم بزيارة وليدهم يوميًا، والمشاركة في العناية به، بما في ذلك لمس جسمه والتربيت عليه إذا كان داخل الحاضنة، وحمله وإرضاعه إذا كان وضعه الصحي يسمح. ذلك أن بعض الخدج يبقون في الوحدة لفترات طويلة قد تصل إلى أشهر عديدة، وانقطاع الأم عن الزيارة في هذه الحالة يضعف الرابطة بين الأم والطفل إلى حد خطير، قد تنشأ عنها صعوبات جمة في تقبل الأم للطفل بعد خروجه من المستشفى، ولا سيما أن هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى عناية دقيقة ومرهقة في البيت.

والحقيقة أن معاناة الخديج لا تنتهي عند خروجه من المستشفى إلى البيت، إذ إنه يحتاج إلى الكثير من الأدوية ولفترات طويلة، مثل الفيتامينات والحديد والأدوية المحسنة لوظيفة التنفس.

يفحص الخديج بعد خروجه من المستشفى بشكل دوري في عيادات خاصة للمواليد، حيث يقاس نمو جسده، وَ يُقَوَّم تطوره النفسي والحركي والعصبي وتجرى له بعض الفحوصات المخبرية والشعاعية كما تناقش مع الأهل أمور تغذيته.

مع تقدم الأجهزة العلمية والمستحضرات الدوائية والخبرات العلمية، بدأت تطفو على السطح مشكلة تزداد صعوبة مع الأيام، خلاصتها أن عددًا من الخدج يظلون على قيد الحياة بالرغم من إصابتهم الدماغية البالغة التي لا يرجى معها الحياة مستقبلاً. وكأن العلاج المتطور في هذه الحالة هو عملية إطالة حادث الموت. هذه الحالات لا تزال تثير الجدل على مختلف المستويات وفي شتى الأماكن، حيث تتداخل فيها العوامل الدينية والقانونية والطبية إضافة إلى الأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع.

المراجع

* المعجم الطبي الموحد، الناشر دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الرابعة ١٩٨٤ م.

* المنجد في اللغة والأعلام، الناشر دار المشرق، الطبعة السادسة والعشرون ١٩٧٥ م.

* المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، الناشر إدارة إحياء التراث الإسلامي، دولة قطر ١٩٨٥ م.

* المقرر في طب الأطفال، جامعة دمشق ١٩٨٢ م.

* Turner T. L < Douglas J. Cockburn. F., Craig,s Care of the newly born infant, Churchill Livingstone, 8 th Edition 1988.

* Ryan S, Sics A, Congdon P. Cost Of Neonatal Care.
Arch Dis Child 1988; 63; 303 - 6.

* Fanaroff, Avory A., Martin, Richard J., Neonatal - Perinatal Medicine, C. V. Mosby Company, 5 th Edition 1992.

* Gladman, G., Advances in Neonatal intensive Care, The Practitioner East Mediterranean edition 20, Feb. 1990.

* Schaffer & Avery, s, Diseases of the Newborn.
W. B Saunders Company, 6 th edition 1991.

من كتاب العدد

○ محمد منار الكيالي

- بكالوريوس طب، جامعة حلب، ١٩٧٤ م.
- شهادة الاختصاص العليا في طب الأطفال، ألمانيا الغربية، ١٩٨٣ م.
- شهادة مدرب في العلوم الطبية، منظمة الصحة العالمية، ١٩٨٨ م.
- يعمل حاليا استشاريا في طب الأطفال، قطر.
- قدم عددًا من الأبحاث والدراسات في مؤتمرات طبية عديدة، نُشرت باللغة الإنجليزية.
- من مؤلفاته باللغة العربية «في صحة الوليد»، «طفلك في وحدة حديثي الولادة».
- له مقالات عديدة نشرت في الدوريات العربية.
- قام بإعداد بعض الحلقات التلفزيونية المتعلقة بالصحة، وتقديمها في تليفزيون قطر

غرائب وفيات الأعلام

مـــأمـون صـــافـيـا

من المفيد أن يعلم القارئ، أن هذه المقالة هي تلخيص مكثف لبعض فقرات من فصول كتاب مخطوط وضعناه منذ سنوات، وأسميناه: (كشف اللثام عن غرائب وفيات الأعلام). وقد تعرّضت في كتابي المذكور إلى الأعلام من الرجال والنساء، في كل العصور، ومن مختلف الأمم والشعوب،.. ممّن عرفوا واشتهروا، وماتوا بطريقة غريبة أو تلفت النظر. وغصتُ ما يقرب من سبع سنوات في خضمّ من الكتب والدوريات حتى تيسّر لي إعداد مادة الكتاب. ولاشك أن مكتبة تراثنا العربي تحفل بهذا النوع من التأليف والتصنيف في موضوعات تتسم بالغرابة والطرافة والفائدة. وقد رأيت أن أقدّم إلى القارئ (نماذج) و(عينات) مختارة من ذلك.

أعلام ماتوا من الضحك

وعدد هؤلاء ليس بالقليل، نذكر منهم:

ـ بيترو آريتينو (١٤٩٢ ـ ١٥٥٦ م): وهو كاتب وصحفي إيطالي. مات في بيت الرسام تيسيانو بمدينة البندقية، أثناء حضوره سهرة ضمّت نخبة من عِلْية القوم، كالمهندس سان سوفينو، والمؤرخ ساميتو. فقد راح آريتينو يروي نكاته التي اشتهر بها، ومات وهو يضحك في غمرة تدفّقه في سرد أفضل النكات التي تمتلئ بها جعبته!! وقد ترك صاحبنا مجموعة كبيرة من الأعمال الأدبية، أشهرها مسرحيته (اوراتسيا).

ـ القنصل الروماني كراكوس، والشاعر فيليمون الشاب، والرسام اليوناني الأشهر زيوكس. جميعهم ماتوا من الضحك. وهذا الأخير استغرق في الضحك وهو يتأمل إحدى لوحاته بعد الانتهاء من رسمها... فمات!!.

أعلام ماتوا (بضربات من السماء)!

وهؤلاء يزيد عددهم في الكتاب عن ستين شخصية، نذكر منهم:

ـ أخيليوس (٥٢٥ ـ ٤٥٦ ق. م): الكاتب والشاعر المسرحي اليوناني الذي كتب حوالي (٧٠) مسرحية، مات عندما سقطت على رأسه سلحفاة، أفلتها نسر في السماء، ربما لتحطيمها على رأس الشاعر الأصلع، الذي قد يكون الطائر الجارح حسبه حجرًا.

ـ مانفريد وستيالا (ت ١٦٨٠ م)، وبنيامين فرانكلين (١٧٠٦ ـ ١٧٩٠ م): أما ستيالا فهو عالم فيزياء إيطالي مات سنة ١٦٨٠ م إثر سقوط حجر نيزكي عليه من السماء! وأما فرانكلين فهو سياسي وناشر وعالم وكاتب وفيلسوف أمريكي، وهو مخترع (المضاد للصواعق). مات فرانكلين إثر سقوط صاعقة عليه!.

ـ أديب نظمي (٠٠٠ ـ ١٩١٨ م): أديب وكاتب وصحفي سوري. أقعده المرض في أواخر حياته،.. وعندما دخلت طلائع العرب والإنجليز دمشق، خرج على كرسي متحرك إلى صحن داره، فحامت طائرة عثمانية وألقت قنبلة أصابته شظاياها فقتلته، وكانت القنبلة الفريدة التي ألقيت طوال مدة الحرب.

ـ توفيق يوسف عواد (١٩١١ ـ ١٩٨٩ م): الروائي والقاص والصحفي والشاعر والديبلوماسي اللبناني المشهور، ومؤلف (الصبي الأعرج) و(الرغيف) و(طواحين بيروت) وغيرها من الأعمال الأدبية المشهورة، مات في ١٦/ ٤/ ١٩٨٩ م إثر سقوط قذيفة على السفارة الإسبانية في بيروت، وكان وقتذاك؛ في زيارة ابنته، حرم السفير الإسباني.

أعلام ماتوا في مبارزات

ـ أفرست جالوا (١٨١١ ـ ١٨٣٢ م): عالم رياضي فرنسي له إضافات مهمة في نظرية المعادلات ونظرية الأعداد. كان أحد الأئمة في تأسيس نظرية المجموعات في التعويضات الجبرية. قتل في مبارزة مع أحد خصومه السياسيين.

ـ ميخائيل ليرمنتوف (١٨١٤ ـ ١٨٤١ م): الشاعر والروائي الروسي الكبير، مات في إحدى المبارزات ولم يكن قد أكمل السابعة والعشرين من عمره.

ـ فرديناند لاسال (١٨٢٥ ـ ١٨٦٤ م): اشتراكي ألماني انتصر لمبادئ هيجل معارضًا ماركس. ساعد في إنشاء أول حزب سياسي للعمال الألمان، أطلق عليه فيما بعد الحزب الديمقراطي الاشتراكي. لقي مصرعه في أثناء مبارزة قامت لأسباب غرامية.

أعلام ماتوا في أماكن (غير مألوفة)

وعددهم في الكتاب يزيد عن ثلاثمائة شخصية، نذكر منهم:

ـ د. محمود عزمي (١٨٨٩ ـ ١٩٥٤ م): الكاتب والصحفي المصري ورجل القانون ومؤلف (حقوق الإنسان) و(ملخص مبادئ الصحافة العامة)، وعميد كلية الحقوق ببغداد عام (١٩٣٦ م)، ورئيس وفد مصر في الأمم المتحدة،... توفي فجأة وهو يخطب في مجلس الأمن مفندًا بعض مزاعم اليهود.

ـ د. يحيى الدرديري (٠٠٠ ـ ١٩٥٦ م): كاتب مصري معروف ومؤلف (مكانة العلم في القرآن) و(التعاون). رئيس الاتحاد التعاوني العام بمصر.. توفي فجأة وهو يلقي كلمة في ندوة للتعاونيين بالقاهرة.

ـ توفيق الصائغ (١٩٢٣ ـ ١٩٧١ م): الشاعر اللبناني المعروف، وصاحب ديوان (ثلاثون قصيدة)، وصاحب مجلة (الحوار) التي أصدرها في بيروت (١٩٦٢ ـ ١٩٦٧ م). . . توفي فجأة في مصعد بناية بيركلي.

أعلام ماتوا في (وضعيات تثير الاستغراب)

ـ جاليليو جاليلي (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢ م): العالم الإيطالي الشهير. توفي في ٨/ ١/ ١٦٤٢ م وهو يملي على تلميذيه فيفياني وتوريتشيللي آخر نظرياته في تأثير المادة.

ـ علي الجارم (١٨٨١ ـ ١٩٤٩ م): شاعر وكاتب ومرب. درس في الأزهر وانجلترا. يقع ديوانه في أربعة أجزاء، وله سلسلة كتب بعنوان (النحو الواضح). يعتبر من شعراء مصر الكبار. توفي وهو يستمع إلى قصيدة من نظمه يلقيها نيابة عنه أحد أبنائه في حفل تأبين لمحمود فهمي النقراشي باشا.

ـ إبراهيم ناجي (١٨٩٨ ـ ١٩٥٣ م): الطبيب والشاعر المصري المعروف وصاحب قصيدة الأطلال التي غنتها أم كلثوم. توفي في ٢٥/ ٣/ ١٩٥٣ م. . . ففي ذلك اليوم كان يكشف على قلب مريض في عيادته، فتوقف قلبه فجأة، ومال رأسه على كتف المريض ثم لفظ أنفاسه الأخيرة.

أعلام ماتوا بطريقة غريبة

ـ حبّابة (ت ح ٧٢٤ م): وهي جارية يزيد بن عبد الملك، واسمها العالية. كانت طيبة الصوت وتعزف على العود. أخذت الغناء عن جميلة وعزّة الميلاء ومعبد. شرقت بحبّة رمّان. . . فماتت.

ـ البابا بولس الثاني: توفي بسبب عسر هضم أصيب به من البطيخ.

ـ صلاح عبد الصبور (١٩٣١ ـ ١٩٨١ م): الشاعر والأديب المصري المعروف. توفي في سهرة أقيمت في بيت صديقه الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي، إثر تعرضه لهجوم ونقد من أحد الأدباء الذين كانوا في السهرة. . ولم يحتمل قلبه، فمات في الحال.


إبراهيم ناجي


توفيق يوسف عوّاد

أعلام ماتوا في حوادث الطائرات والقطارات

ـ نعمان ثابت (١٩٠٥ ـ ١٩٣٧ م): شاعر وضابط عراقي، صاحب ديوان (شقائق النعمان) وله مجموعة من الكتب والدراسات، منها: (الجندية في الدولة العباسية) و(جواسيس الجبهة) ترجمه عن الألمانية. توفي في حادث طائرة عسكرية عراقية قامت للاستطلاع في فضاء السماوة.

ـ يوري جاجارين (١٩٣٤ ـ ١٩٦٨ م): رائد الفضاء السوفياتي المشهور. لقي مصرعه في حادث تحطّم طائرة على مدرج أحد المطارات.

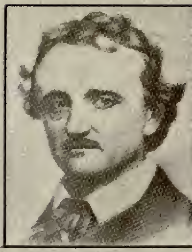
ـ محمود أحمد (١٨٨٠ ـ ١٩٤٢ م): مهندس وعالم آثار مصري. من كتبه (دليل موجز لأشهر الآثار العربية) زلّت قدمه وهو يركب القطار في القاهرة فتوفي على الأثر.

ـ جاك تاجر (١٩١٨ ـ ١٩٥٢ م): مترجم وأديب مصري من أصل سوري. تولى إدارة المكتبة الخاصة بقصر عابدين. اشترك في تأليف كتاب (إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية) وألّف (حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر) و(أقباط ومسلمون) وسواها من الكتب. . . وبينما كان في قطار «المترو» بين القاهرة ومصر الجديدة، ألجأهُ الزحام إلى ركوب سلّمِهِ، فزلت قدمه، فسقطَ تحت عجلاته قتيلا.

أعلام ماتوا غرقا

وعددهم في كتابنا يزيد عن مئة شخصية معروفة، نذكر منهم:

ـ بيرسي شللي (١٧٩٢ ـ ١٨٢٢ م): شاعر إنجليزي معروف. مات غرقا في إيطاليا إثر عاصفة بحرية جَرَفَتْهُ وزورقه الصغير، ولم يعثر على جثته إلاّ بعد عدة أيام من البحث فأحرقت على الشاطئ ونقلت الرفات إلى بريطانيا.


إدجار آلان بو


ماري كوري

ـ مرغريت فولر (١٨١٠ ـ ١٨٥٠ م) واسمها الكامل سارة مرغريت فولر ماركيزة اوسولي. مؤلفة وناقدة أمريكية. من مؤلفاتها: (المرأة في القرن ١٩) وترجمت: (محادثات مع جوته) لإكرمان. تزوجت الماركيز اوسولي في روما. ماتت مع زوجها في حادث غرق باخرة، في طريق عودتها من روما إلى مسقط رأسها في الولايات المتحدة.

ـ فرجينيا وولف (١٨٨٢ ـ ١٩٤١ م): روائية إنجليزية ومن كتّاب المقالات. من رواياتها (الليل والنهار) و(غرفة يعقوب) ومن كتبها النقدية: (القارئ العادي). ولها عدة مجموعات قصصية. انتحرت في ٢٨/ ٣/ ١٩٤١ م غرقا مخافة أن يصيبها انهيار عصبي.

ـ إبراهيم الأسطي (١٩٠٧ ـ ١٩٥٠ م): شاعر ليبي مات غريقا أثناء السباحة في شاطئ درنة. كتب سيرته وجمع أشعاره الأستاذ مصطفى المصراتي في كتابه: (شاعر من ليبيا).

ومن الغرقى نذكر ايضا، ودون الخوض في التفاصيل: عرب زاده (١٥١٣ ـ ١٥٦٢ م)، حسن الإسكندراني (١٧٩٠ ـ ١٨٥٤ م)، اللورد كتشنر (١٨٥٠ ـ ١٩١٦ م)، فريدريك بانتنغ (١٨٩١ ـ ١٩٤١ م). . . الخ.

أعلام ماتوا في سبيل العلم

ـ بليني الأكبر (٢٣ ـ ٧٩ م): عالم وكاتب روماني بارز، يعد كتاب: (التاريخ الطبيعي) الذي يقع في ٣٧ جزءا، من أهم مؤلفاته. مات اختناقا إثر ثورة بركان فيزوف التي حدثت في عام ٧٩ م، وذلك عندما قرّر أن يراقب عن كثب ثورة البركان. وهكذا فإن تطلّعه العلمي كلّفه حياته.

ـ دافو لينيو جنتيله (ت: ١٣٤٨ م): طبيب وعالم إيطالي. ولد ببولونيا ومارس مهنة الطب بها، واستقدم إلى بادوا ليعالج حاكمها المريض، فاستقر

بها ما يقرب من عقد من الزمن، وحاضر في جامعتها (١٣٣٧ ـ ١٣٤٥). ساهم في مقاومة الطاعون ففتك به المرض. له كتاب: (نصائح لمقاومة الطاعون).

ـ ماري كوري: (١٨٦٧ ــ ١٩٣٤ م): هي العالمة ماريا سكلود وفسكا، زوجة العالم الفرنسي بيير كوري وتعرف بمدام كوري، نالت جائزة نوبل مرتين. اكتشفت عنصر (البولونيوم) ونجحت في عزل (الراديوم) في حالته النقية الصافية. توفيت في ٤/ ٧/ ١٩٣٤ م نتيجة تعرضها للراديوم المشعّ أثناء أبحاثها.

أعلام ماتوا من صدمة

ــ بيير كوري (١٨٥٩ ــ ١٩٠٦ م): عالم ومكتشف فيزيائي فرنسي. اكتشف وزوجته البولونيوم والراديوم ونال جائزة نوبل ١٩٠٣ م للفيزياء. توفي بشكل مأساوي، إذ صدمته عربة أمام جامعة السوربون، ودارت عليه عجلات عربة أخرى.

ـ عبد الله حسين (١٨٨٦ ـ ١٩٤٨ م): أديب وصحفي ورجل قانون مصري. له مجموعة من المؤلفات المطبوعة. صدمته سيارة في شارع الهرم بالقاهرة، فتوفي في الحال.

ـ زكي مبارك (١٨٩٥ ــ ١٩٥٢ م): شاعر وباحث وصحفي مصري. يلقب بـ(الدكاترة) لأنه يحمل أكثر من شهادة دكتوراه. من مؤلفاته: (التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق) و(البدائع). أصيب بصدمة من عربة خيل (حنطور) أدّت إلى ارتجاج مخّه فلم يعش غير ساعات.

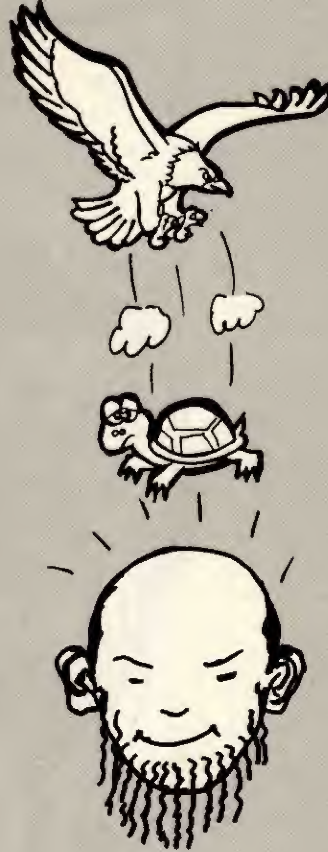
من هنا . . . وهناك

ونختم مقالتنا بهذه الفقرة المنوّعة المنتخبة من فصول الكتاب:

ـ لويس صابونجي (١٨٣٨ ــ ١٩٣١ م): باحث وعارف باللغات وأديب. أصدر أكثر من مجلة وجريدة. كان أستاذا لأبناء السلطان عبد الحميد، ومترجما خاصا له. استقر في لوس أنجليس واغتاله طامع بالمال وهو راقد في سريره ليلا، في أحد فنادقها.

ـ م. ع. الهمشري (١٩٠٨ ـ ١٩٣٨ م): شاعر مصري كبير. مات في عملية جراحية سهلة ينهض منها أضعف الناس بنية في يومين، وهي الزائدة الدودية.

ـ مساعد اليافي (١٨٨٦ ـ ١٩٤٣): صحفي وكاتب ومترجم من مواليد طرابلس. عاش في مصر وفي المهجر الأمريكي. وبينما هو عائد إلى منزله في مدينة (تيوفيدو أوتوني) من مقاطعة ميناس ليلا، طعنه آثم من الصهاينة بخنجر في صدره، ووجد في الصباح مضرجا بدمائه أمام بيته.



ـ عبد الرحيم محمود (١٩١٣ ــ ١٩٤٨ م): شاعر فلسطيني شهيد. أصيب بشظية مدفع في معركة (الشجرة) بمنطقة الناصرة، فحمله رفاقه في سيارة جيب لنقله إلى مشفى الناصرة، ولكن السيارة تدهورت في واد سحيق، فأسلم الروح.

ـ جمال حمدان (١٩٢٨ ـ ١٩٩٣ م): باحث وكاتب أكاديمي مصري كبير، صاحب موسوعة (شخصية مصر) وله أكثر من ثلاثين كتابا آخر. توفي يوم ١٧/ ٤/ ١٩٩٣ م إثر حريق شبّ في مطبخ بيته، نتج عن انفجار اسطوانة غاز.

ـ سنكا (٤ ق. م ـ ٦٥ م): فيلسوف روماني. غضب عليه الامبراطور نيرون، وأمره أن ينتحر بقطع شرايينه، ففعل . . . ومات.

ــ مايكل سرفتوس (١٥١١ ــ ١٥٥٣ م): طبيب ولاهوتي أسباني. قيل إنه سبق (هارفي) بقرن من الزمن في اكتشافه الدورة الدموية (وقد تناسى الجميع أن ابن النفيس سبق الاثنين في ذلك بقرون). رفض عقيدة التثليث، فقبض عليه في جنيف تنفيذًا لأوامر (كلفن) وحوكم وأحرق على الخازوق بتهمة الهرطقة.

ـ كريستوفر مارلو (١٥٦٤ ــ ١٥٩٣ م): كاتب مسرحي وشاعر انجليزي، يعد أكبر مؤلف مسرحي بعد شكسبير، أهم مسرحياته: (تيمورلنك) و(دكتور فاوستوس). مات مطعونا بيد أحد رفاقه.

ـ جان باتيست موليير (١٦٢٢ ـ ١٦٧٣ م): كاتب مسرحي فرنسي شهير. من أعماله: (طرطوف) و(دون جوان) و(مريض بالوهم). وبينما كان موليير يؤدي أحد الأدوار الهزلية المفضلة لديه على خشبة المسرح ويضحك العشرات من عشاقه، فاضت روحه.

ـ توماس تشاترتون (١٧٥٢ ــ ١٧٧٠ م): شاعر إنجليزي شهير، لم يكمل العشرين. مات منتحرًا بتناول جرعة من الزرنيخ.

ـ ادجار آلان بو (١٨٠٩ ـ ١٨٤٩ م): قصّاص وشاعر أمريكي شهير. أدمن على المسكرات، اختفى يوم حفل زواجه الثاني، وعثر عليه فاقد الوعي من جراء تناول المسكرات في أحد شوارع بالتيمور، ولم يفق من غيبوبته.

ـ ليوتولستوي (١٨٢٨ ـ ١٩١٠ م): الروائي الروسي الشهير، مؤلف (الحرب والسلم) و(أنّا كارنينا) وغيرها من الروايات الشهيرة. سببت له فلسفته شقاقا بينه وبين أسرته فهجر بيته وهام على وجهه، ووجد ميتا في كشك محطة سكة حديد صغيرة مقفرة.

ـ توماس ادوارد لورانس (١٨٨٨ ـ ١٩٣٥ م): شاعر وجندي وباحث بريطاني. يعرف باسم لورانس العرب. أشهر مؤلفاته: (أعمدة الحكمة السبعة). مات بحادث اصطدام سيارة بدراجته البخارية.

ـ فيديريكو غارثيا لوركا (١٨٩٨ ـ ١٩٣٦ م): شاعر ومسرحي أسباني كبير. قتل في تموز ١٩٣٦ م بيد عصبة مجهولة في الأيام الأولى من الحرب الأهلية في إسبانيا.

مسرحية

وادي السباع

من الأعمال التي تنشر لأول مرة

تأليف: علي أحمد باكثير



(في كوخ الشيخ ماجد السلمي في جانب مرتفع من الوادي)

ماجد: يا أم ليلى هذان العابدان لا يصلحان لابنتيك.

سعدى: وما يدريك يا أبا ليلى؟

ماجد: إنهما هجرا المدينة وهبطا هذا الوادي الموحش، وادي السباع فرارا من الناس لينقطعا لعبادة الله، ولا يلتفتا لشيء في الدنيا فما بالك بالزواج؟

سعدى: الزواج سنة رسول الله يا ماجد، فكيف يتعبدان لله ويمتنعان عن سنة رسول الله؟

ماجد: لعلهما قد تزوجا من قبل ولعل لكل منهما زوجته في المدينة.

سعدى: ذاك شيء لا يعنينا يا أبا ليلى. كل ما يعنينا أن امرأتيهما لم تأتيا معهما إلى الوادي.

ماجد: هل يعقل عندك أن يهربا من امرأتيهما في المدينة ليتزوجا ابنتيك في الوادي.

سعدى: ماذا يمنع؟ إنهما يكرهان المدينة ويعشقان الوادي.

ماجد: أغلب الظن أنهما لو آنسا منا رغبة في تزويجهما فسيفران من وادينا هذا الى وادٍ آخر.

سعدى: لماذا؟ لأن ليلى وسلمى دميمتان؟ أين يجدان مثل ليلى وسلمى؟

ماجد: ليلى وسلمى ليستا بدميمتين لكن هذين الرجلين لا يرغبان في الزواج.

- ٢ -

(في شبه مصلًّى يفصل بين كوخ حمة وكوخ عامر)

عامر: هل لي أن أكلمك يا أخي في الإسلام، فقد مكثت هنا أربعين يوما وليلة وأنا أهم أن أكلمك فلا يطاوعني لساني خشية أن أشغلك عما أنت فيه؟

حممة: هكذا كان حالي أيضا معك.

عامر: الحمد لله نحن إذن متوائمان، فمن أنت رحمك الله؟

حممة: أنا رجل من المسلمين.

عامر: واسمك؟

حممة: اسمي حممة.

عامر: حممة؟ أنت حممة.؟

حممة: نعم ألا تصدقني؟

عامر: لئن كنت حممة الذي سمعت كثيرا عنه لأنت أعبد من في الأرض.

حممة: استغفر الله. إني لمقصر بعد.

عامر: اتشتهي أن تزيد في اليوم والليلة على ثمانمائة ركعة؟

حممة: اشتهي أكثر من ذلك.

عامر: وهل تطيق ذلك يا حممة؟

حممة: نعم فإن عمرنا في دار العمل قصير.

عامر: صدقت والله يا حممة.

حممة: وأنت إنك لم تخبرني باسمك.

عامر: أنا عامر بن عبد قيس.

حممة: أنت عامر بن عبد قيس؟

عامر: أجل.. هل سمعت بي من قبل؟

حممة: سمعت بك كثيرا لئن كنت إياه لأنت أعبد الناس.

عامر: استغفر الله. إني والله ما أصلي صلاتك ولا نصفها ولا ربعها.

حممة: أما إنها ليست بعدد الركعات، ولكن بالصدق والخشوع والإخلاص، فبالله ألا ما أخبرتني كيف تعمل وما أرجى عمل عندك؟

عامر: إن كان عندي شيءٌ أرجو أن يقبله الله مني فهو أن هيبة الله قد عظمت في صدري حتى ما أهاب شيئا غيره كائنا ما يكون.

حممة: حتى هذه السباع التي تسمع زئيرها أحيانا بالليل؟

عامر: نعم حتى تلك السباع.

- ٣ -

سلمى: هل بلغك يا ليلى أن أبانا ذهب إلى هذين الشابين العابدين؟

ليلى: لعل أمنا هي التي دفعته إلى ذلك.

سلمى: أجل ما زالت به حتى رضي وهو مرغم.

ليلى: لكن أمرًا واحدًا لا تعرفينه أنت يا سلمى.

سلمى: ما هو؟

ليلى: إني أنا التي حرضت أمنا لتكلم أبانا في ذلك.

سلمى: أحقا يا ليلى؟

ليلى: اسأليها.

سلمى: يا لك من ماكرة.

- ٤ -

عامر: حُمَمَة ماذا ترى فيما عرضه

علينا الشيخ ماجد؟

حمة: إنه إنما لمّح ولم يصرح.

عامر: في مثل هذه الشؤون يا أخي يغني التلميح عن التصريح.

حمة: لا حول ولا قوة إلا بالله. إنما هبطنا هذا الوادي لنفر من مثل هذا.

عامر: خبرني يا حمة ما غايتنا من فرارنا هذا من الناس؟ أليست هي الانقطاع إلى الله بغية القرب منه؟

حمة: بلى.

عامر: فهل نحن على يقين أن ما نحن فيه هو خير سبيل إلى غايتنا المبتغاة؟

حمة: ما خطبك يا عامر؟ أشكًا بعد يقين؟

عامر: كلا يا حمة بل عين يقين بعد يقين. أو علم إحاطة بعد علم وفوق كل ذي علم عليم.

حمة: أكان هذا كله من أثر زيارة الشيخ ماجد؟

عامر: أجل لقد كان لكلام هذا الشيخ ما فتح عين بصيرتي على الحق، فجعلت أنظر في حالي وفي حاله وأوازن بينهما؛ أيّ الحالين أحرى أن يدني صاحبه إلى الله فوجدت أنه أفضل مني في كل شئ.

حمة: ليتني ما لقيتك يا عامر ولا رأيتك.

عامر: أما أنا فأحمد الله أن لقيتك وصحبتك فما كنت لأهتدي إلى ما اهتديت إليه اليوم لو لم أكن رأيتك وتحدثت معك.

حمة: لقد كنت مطمئن النفس في هذا الوادي إذ كنت وحدي حتى جئت أنت فأثرت قلقي.

عامر: ويحك يا أخي لأن يكون الشيطان ثالثنا أهون لنا من أن يكون ثاني كل منا، ففي الأولى نحن اثنان على واحد وفي الثانية ينفرد بكل منا وحده.

حمة: كأنك تريد أن تتزوج إحداهما يا عامر؟

عامر: على أن تتزوج أنت الأخرى.

حمة: وانقطاعنا لعبادة الله؟

عامر: سيبقى كما كان وأفضل؟

حمة: بل سيشغلك عنها ما لزوجك من حق عليك.

عامر: لكن قيامك بهذا الحق سيكون عبادة يأجرك الله عليها ويثيبك.

حمة: والله ما أدري أتدعوني إلى خير يا عامر أم إلى شر.

عامر: في سنة رسول الله ﷺ ما يزيل اللبس عنك. قال ﷺ:

«النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني.»

حمة: هل دار بخلدك يا عامر من أين نمهرهما، ثم من أين ننفق عليهما؟

عامر: إن لنا في موسى إذ تزوج ابنة شعيب عليهما السلام لأسوة حسنة.

حمة: أتريد منا أن نعمل لأبيهما راعيين؟

عامر: نعم.

حمة: ونترك عبادة ربنا؟

عامر: بل نعبده خيرا مما كنا نعبده.

حمة: كيف؟

عامر: سنعمل لغيرنا كما نعمل لأنفسنا، ونقدم للناس ما ينفعهم في معاشهم، ونتصدق بما يفضل من كسبنا، ونحصن فتاتين مسلمتين، وننجب منهما إن شاء الله ذرية صالحة طيبة يعبدون الله ويدعون لنا بخير.

- ٥ -

ليلى: (تنادي في خوف وقلق) عامر! يا عامر! السبع وراءك يريد أن يفترسك.

حمة: صه. دعيه يا ليلى لا تهيجيه فإنه لن يؤذي زوجك.

ليلى: لكن زوجي ليس في يده سلاح.

حمة: سلاحه في قلبه يا ليلى هيبة الله.

عامر: (يسمع صوته من بعيد) ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود.

سلمى: انظري يا ليلى إن السبع يتشممه.

ليلى: وعامر يضع يده على منكبه.

سعدى: الحمد لله يا بنيتي. قد ذهب عنه دون أن يؤذيه.

ليلى: أو قد ذهب عنه حقا؟

حمة: أجل. ها هو ذا قد أقبل عامر.

عامر: ما خطبك يا ليلى؟ أو قد خشيت أن يأكلني السبع؟

ليلى: إي والله يا عامر.

سعدى: كلنا يا بني أشفق عليك منه.

ماجد: الحمد لله إذ أنجاك الله منه يا بني.

عامر: إذا رأيتموه يقترب مني مرة أخرى فاتركوه ولا تهيجوه فذلك أحرى أن يكفه عني فلا يؤذيني.

حمة: أنا قلت لهم ذلك يا عامر فلم يصدقوني.

عامر: لأنك أنت نفسك كنت في ريب من أمري يا حمة.

حمة: أجل كنت والحق أخشى عليك منه وإنما تجلدت أمامهم لأثبت قلوبهم.

ماجد: يا سعدى، يا ليلى، يا سلمى تعالين معي لِندَعْ عامرا وحُمة ليفرغا قليلا لعبادة ربهما.

ليلى: ألا نصلي المغرب يا أبي معكم جماعة؟

ماجد: بلى. عندما يحين وقت المغرب يا بنتي (ينسحبون).

عامر: ألم تر يا حمة إلى حدب الشيخ علينا وحرصه على رضانا حتى أنه ليبعد أهله وبناته عنا لنفرغ للعبادة؟

حمة: أجل، ما أكرمه وما أحناه. لكن الوقت الذي يخلص لنا لنتعبد فيه أضحى أقل من القليل.

عامر: أنادم أنت على ذلك بعد؟

حمة: شيئا ما. وددت يا عامر لو كان شطر اليوم في الرعي وشطره في العبادة.

عامر: الليل كله لك. ألا يكفيك الليل؟

حمة: في الليل حقوق أخرى يا عامر لنفسك ولأهلك.

عامر: إن شئت كلمت لك الشيخ فأعفاك من الخروج معنا إلى المرعى وبقيت هنا تحرس الكوخ وتتعبد؟

حمة: ويلك يا عامر ألست تعتقد أن الرعي عبادة؟

عامر: بلى إنه لكذلك.

حمة: فلم تريد أن تحرمني ثواب ذلك؟

عامر: لا والله إني لأحب لك ألا ترتاب بعد في الحق الذي أرانا الله إياه.

إننا اليوم في عيشنا هذا الجديد أقرب إلى رضوان الله مما كنا فيه أمس.

حمة: أجل يا عامر لقد كنت في ريب من ذلك، بل كنت أعتقد أننا قد أضعنا كثيرا مما كنا قد أحرزناه بالانقطاع والمجاهدة إلى أن شهدت بعيني حادث اليوم.

عامر: تعني حادث السبع؟

حمة: أجل فأيقنت أننا لم نفقد شيئا مما أحرزناه بل كسبنا ألوانا أخرى من رضوان الله إن شاء الله.

عامر: الحمد لله يا أخي. الآن استقام لنا السبيل في وادي السباع.

(ستار)

شمس الظهيرة

جوانب من اللغة والثقافة اليابانية

نافذة على ثقافة الغرب



تأليف:
دلك ويلسون
تقديم:
فوزي دسوقي خليفة

لاشك أن اليابان قد تأثرت ثقافيًا وحضاريًا بالثقافة الغربية، غير أن تأثيرها في الغرب من هذه النواحي كان تأثيرًا هامشيًا ضئيلاً. بيد أن الأمر الذي لاشك فيه هو اندهاش الغرب بأصالة الفنون اليابانية وتنوعها. من هنا ظهر تأثير الفنون اليابانية على الفنون الغربية، بدءا من الحركة الانطباعية وانتهاء بمسرحيات «ييتسي» الأخيرة، وقصائد أزرا باوند، والمصنوعات الفخارية لبرنارد ليتش، ثم جاء انتقال التقنية المتمثل في خشبة المسرح المتحرك الذي تم اختراعه من أجل مسرح «الكابوكي» الياباني ثم انتقل إلى أوربا في منتصف القرن التاسع عشر.

ولقد سبقت الهندسة المعمارية اليابانية نظيرتها الأوربية أيضا.

بيد أن هذه الأشياء التي قدمتها اليابان إلى الغرب تغدو ضئيلة بالمقارنة بما استفادته اليابان من أوربا وأمريكا. لقد كان لدى اليابان حماسة وولع شديدان بالموسيقى الكلاسيكية الأوربية على الرغم من الفجوة الثقافية التي بين الشرق والغرب.

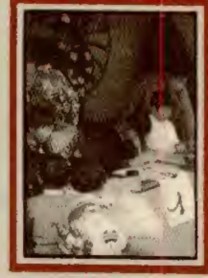
ويعتقد يوكيو ميشيما أن رواياته تتسم بالطابع الغربي بحيث إنها تفتقر إلى «المساحة البيضاء» ذات القيمة الكبيرة في الفن الياباني التقليدي.

ويعتقد اليابانيون أن ملء اللوحة بالألوان وإضافة تفاصيل كثيرة بالقصة أمر سهل، ولكن الأمر الذي يمتع الشخص الياباني هو أن يُترَكَ ليخمّن وليستخدم خياله، ليشترك في العمل بدلا من أن يظل متفرجًا سلبيًا.

ولقد حاول كثير من الفنانين اليابانيين أن يمزجوا بين العناصر الغربية والفن الياباني التقليدي في أعمالهم مثل الفنان كومي سوجاي، وهو رسام مقيم في باريس اتبع بصرامة القواعد الغربية في الرسم، لكنه في الوقت نفسه استخدم حساسيته في التصاميم النابعة من المصادر اليابانية. وكذلك حذا حذوه المهندس كِنْزو تانْج الذي أدخل الروح اليابانية الفريدة في المباني الحديثة التي قام بتصميمها من أجل الاحتياجات الصناعية أو التجارية الحديثة.

التغريب واستعارة الذوق الفني

أما اللغة التي يستخدمها الجميع فقد ظهر فيها التغريب بشكل واضح للغاية، فبالنسبة للأفكار الجديدة القادمة من الغرب لم تكن هناك كلمات يابانية ملائمة تدل على هذه الأفكار، ولم تحاول اليابان أن تصاب بالشوفينية الثقافية، فلم تخترع



شمس الظهيرة
جوانب من اللغة والثقافة اليابانية

كلمات يابانية صناعية من أصول قديمة. فكلمة جرام صارت جرامو، وغير ذلك. وكانوا يتهجّون حروف الكلمات الإنجليزية بطريقة تناسب خصائص النطق الياباني.

وهناك إحصائية تقديرية لعدد الكلمات التي استعارتها اليابان من اللغات الأوروبية تقدر بـ ٢٥,٠٠٠ كلمة، ولا تزال الاستعارة مستمرة. وهناك من علماء اللغة من يخشى أن تصبح اللغة اليابانية مجردة من كل شيء ما عدا بعض الكلمات القليلة التي تستخدم فقط كإطار لاحتواء الكلمات الأجنبية.

ولم تستعر اليابان الكلمات فقط، بل استعارت أيضًا الذوق الفني؛ فقد جعلت القيم الفنية والذوق الفني الغربي الحديث اليابانيين يكتشفون بعض إنجازاتهم من خلال النظرة الغربية.

وفي الوقت المعاصر اتجه كثير من الفنانين اليابانيين إلى باريس وروما ولندن ونيويورك سعيا وراء الشهرة. فقد وصلت شهرة تيجي تكاي وهيساو دوموتو وفنانين آخرين إلى الغرب قبل أن يكتسبوا شهرتهم في اليابان. ولا تزال هذه الظاهرة قائمة برغم النضوج الكبير الذي وصل إليه المناخ الفني الياباني.

قلة الكلام

يتميز اليابانيون بأنهم شعب قليل الكلام، فهم يقولون: دع الأعين تتكلم. كما أنهم يميلون إلى استخدام الكلمات المطولة الغامضة المليئة بالنغمات الأسلوبية والصور البصرية (وذلك راجع لحروف كتاباتهم). وكلماتهم في الغالب ليست دقيقة. فمثلهم في الحياة أن يعيش الشخص عواطفه بدلا من أن يتكلم عنها أو يقتلها تفكيرا.



يوكيو ميشيما

وكان هناك مسح أُجري بعد الحرب دل على وجود زوجة أحد المزارعين في الشمال الشرقي من اليابان كانت تنطق في اليوم الواحد ما لا يزيد على كلمتين أو ثلاث فقط. ويقول أحد رجال الأعمال الألمان إن اليابانيين يتحدثون القليل جدا عن أنفسهم، أو عن أي شيء آخر.

ويذهب هذا الألماني في قوله إلى أن الاجتماعات الشخصية لليابانيين غالبا ما تكون مملة. فمثلا إذا كانت هناك مناسبة اجتماعية عامة فإن أحد الأجانب قد يسهب في الحديث عن مشروعاته وأهدافه، بينما يكتفي الياباني في مثل هذا الموقف بإشارات هادئة عن الموضوع الذي يتكلم فيه، وهو - أي الياباني - يعتبر الحديث أثناء الطعام أمرًا لا يليق بالأدب وغير مناسب للهضم. ويتذكر بعض الأجانب الحيرة والارتباك التي أصيب بها اليابانيون وهم يشاهدون إعلانًا تجاريًا في التلفاز قدّمه الممثل المعروف أورسن ويلز وهو يعدد مميزات بعض أنواع الأطعمة وخصائصها المعينة، فقد وجده اليابانيون مسهبًا جدًا، وكان يكفي الإشارة فقط للسلعة. ذلك؛ لأن اليابانيين يعتقدون أن الصمت من ذهب وبخاصة لدى الذكور، فهم يقولون: إن الرجل الثرثار يشبه المرأة تماما. كما أن الرجل المسهب في حديثه يثير الشك والريبة. ويقول روبرت أوزاكي الياباني الأمريكي: إنهم في اليابان يعدون الشخص الذي يتحدث بطلاقة وبطريقة منمقة منتميا إلى عالم المهرجين، ولا ينتمي إلى عالم الوقار والرزانة. كما أن الشخص الذي يعتمد على قدراته الشفهية وسيلةً للتعبير عن مشاعره يوصف بأنه يتسم بالطيش والرعونة والخداع.

ويعتقد أوزاكي أنه من الصعب إتمام الصفقات التجارية بشكل مؤثر إذا أخذ كل طرف من الأطراف يتكلم بلغة الإيحاء والإشارات، وهذا معناه أن اليابانيين كافة لا يحبون المرافعة أو الإقناع أو المحاورة مع الآخرين. وتعتبر المواجهة المكشوفة حتى لو كانت شفهية فقط شيئًا يثير التقزز.

والياباني يفضل اتباع الرأي الجماعي، مهما كان هذا الرأي، ولا يصرح برأيه أو حكمه أو يخوض في تفاصيل الموضوع، فهم يقولون إن الفم يمكن أن

海上飛行中緊急事故
場合に於ける心

海上不時着の時の心得

航海なさる場合に救命具の事に就いてよく慣らされると同
に航空機に乗られた場合も万一に備へて避難又は機を放棄
時の処置を知つて置く事は賢明な事と存じます。この說明

الطفل الياباني يتعلم ١٨٥٠ كلمة تقوم مقام الحروف التي يتعلمها نظيره الأوربي في المدرسة

يكون مصدرا للمشكلات.

في أعماق الياباني - كما يرى الروائي يوكيو ميشيما - يوجد احتقار الساموراي للتبرير الذاتي. وهذا في التعبير الدولي يعتبر كارثة. فالياباني الذي لا يحتاج للتعبير عن نفسه شفهيا لشخص آخر يعتبر ضعيفا في العلاقات العامة مع الأجانب.

وفي منظمة الأمم المتحدة اكتسبت عدة وفود يابانية متتابعة شهرة خاصة في أنهم لا يمارسون إلا ثلاثة أشياء تشترك في أن كلا منها يبدأ بحرف (إس) في الإنجليزية، وهي: الابتسام والنوم والصمت.

وفي أحد المصانع المملوكة لأحد البريطانيين في إنجلترا نجد أن الاجتماع الشهري للموظفين يمكن أن يتمخض عن مشاعر التوتر للجانبين، فالإنجليز يجدون أنفسهم في حيرة؛ لأن اليابانيين لم يدلوا بآرائهم ولم يخرجوا بنتيجة. وهذا يجعل الإنجليز عدوانيين، بينما يأخذ اليابانيون في التعجب من هذه الحماسة التي لا يبدو لهم أن لها سببا معينا.

أنواع الضحك الياباني

ويميز اليابانيون بين خمسة أنواع من الضحك، ولكل ضحكة كلمة أو لفظة معينة، فمثلا:

آهاها: تعني الضحكة المرحة.

إهيهي: تعني ضحكة مبتذلة.

يوهوهو: تعني ضحكة للتهكم والسخرية.

أهيهي: تعني ضحكة الأحمق المغفل.

أوهوهو: وهي ضحكة الشخص الوقور المتحفظ.

حاجز اللغة

ويجد الغربيون صعوبة في التواصل مع اليابانيين، وذلك بسبب اللغة التي يصفها سفير أمريكي سابق في اليابان وهو متخصِّص في الثقافة اليابانية بأنها «أحد الحواجز الهائلة» للأجانب. ولقد أدت صعوبة اللغة اليابانية التي تفتقر إلى التعبير الدقيق والتركيبات النحوية إلى عزل اليابان ثقافيا. ويوجد عدد محدود للغاية من الغربيين يستطيعون التحدث باليابانية مثل أهلها، غير أن اليابانيين ينظرون إليهم في رعب وعدم تصديق وكأنهم يشكلون تهديدًا خطيرًا على اللغة والثقافة اليابانية. كما أن هنالك صعوبات جمّة في الترجمة إلى اللغة اليابانية. وفي الواقع يتقاضى المترجم الذي يترجم من الإنجليزية إلى اليابانية مبالغ تفوق ما يتقاضاه المؤلف الإنجليزي نفسه.

وتفتخر اليابان بأن مستويات التعليم لديها على درجة عالية من الكفاءة، بحيث استغنى مثقفوها عن السفر إلى الخارج، على عكس ما حدث في الهند والصين.

من أسباب تأخر الثقافة

غير أن بعض جوانب الثقافة اليابانية القديمة أدى إلى إعاقة تقدم اليابان، ومنها نظام الكتابة المأخوذ من الصين ثم تطور عبر العصور. ولكن عندما يلتقي أحد اليابانيين مع أحد الصينيين فإن أحدهما لا يفهم لغة الآخر رغم وجود تشابه في كلمات اللغتين وطريقة الكتابة.

وبينما يتعلم الطفل الأوربي ٢٦ حرفًا هي مجموع حروف لغته، يتعلم نظيره الياباني ١٨٥٠ كلمة تقوم مقام الحروف في المدرسة.

ويقضي الطالب الياباني عامين أكثر من نظيره الأوربي في تعلم المبادئ الأولية للغة. ويعتقد بعض مفكري اليابان أن كثيرًا من الجهد والوقت يضيع سدى في تعلم الكلمات اليابانية وتذكرها، ويشبهون ذلك بالجهد المبذول في تحريك أثقال دون رفعها على دواليب. كما يعتقد بعض المفكرين المعاصرين أن حروف اللغة كانت سببا في تأخر تطوير الثقافة اليابانية، ويذهب بعضهم إلى أنهم لو كانوا غيّروا لغتهم المكتوبة لكانوا كسبوا الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ م.

الإعلانات التجارية وأثرها في لغتنا

د. أحمد محمد المعتوق

لقد تنبهت الشركات والمؤسسات الصناعية والتجارية في البلدان المتقدمة اقتصاديًا إلى ما بلغه كل من التلفاز والمذياع من تطور وانتشار وقدرات فائقة على التأثير في الجمهور، فاستغلت هاتين الأداتين لنشر وتسويق صناعاتها، ورصدت لذلك مبالغ طائلة. وقد أدى تنافس هذه الشركات والمؤسسات وبذلها السخي على الإعلان في هاتين الأداتين، إلى أن تستوعب الإعلانات التجارية جزءًا وافيًا من زمن البث خلالهما، وتصبح فقرات أساسية متكررة في برامجهما، وعلى مرور الزمن أصبح لإخراج هذه الاعلانات متخصصون فنيون وأجهزة خاصة، وشركات تتنافس بدورها في التفنن في إخراجها، وتلهث وراء الأرباح الطائلة التي تجنيها من عملها. وهكذا أصبحت الإعلانات التجارية المسموعة والمرئية ظاهرة بارزة مهمة جديرة بالبحث والدراسة على أصعدة مختلفة.

وقد تسربت هذه الظاهرة إلى كل بلدان العالم، والبلدان العربية بطبيعة الحال من بين هذه البلدان. وكان **تطور الصناعة واتساع نطاق الحركات التجارية والنمو الاقتصادي عامة سببًا في اتساع هذه الظاهرة**، وتطورها في هذه البلدان. ولا يزال نطاقها في تطور واتساع مستمر فيها، حسب ما تشهده هذه البلدان من نمو وتطور اقتصادي وتقني، وحسب حاجتها إلى الموارد المالية، ثم حسب موقفها من الإعلانات التجارية، ومدى البث المتاح في أجهزتها الإعلامية أيضًا.

ومع أن الإعلانات التجارية تُبث بصورة ملحوظة من خلال المذياع في عدد كبير من البلدان الصناعية والبلدان المتطورة اقتصاديًا بصورة عامة، فإن الإعلانات التجارية التلفزيونية فيما يبدو هي السائدة في الوقت الحاضر؛ وربما كان ذلك لكثرة انتشار التلفاز وغلبة استخدامه ونفوذه وشدة تأثيره. ومهما كان الأمر فالمقصود هنا هو الإعلانات التجارية التلفزيونية، نظرًا لاتساع نطاق البث والاستقبال التلفزيوني في الوقت الحاضر واتساع نطاق الإعلانات التجارية نفسها، وتعدد القنوات التي تُنقل خلالها في التلفاز العربي، وفي تلفاز دول الخليج خصوصا[1].

إن للإعلانات التجارية التي تظهر على شاشة التلفاز جوانب إيجابية متعددة، كما أن لها جوانب سلبية أيضا. فهي من جانب تجدد نشاط المشاهد وتجدد حيويته وتخرجه من الجو الرتيب الذي يفرضه تسلسل البرامج والفقرات أو تسلسل الأحداث في فيلم طويل مثلاً، وتشعره بشيء من الراحة والمتعة، لما يصحبها من مشاهد وحركات سريعة وأنغام جاذبة مسلية. كما أنها تعطي المشاهد أحيانًا فرصة لتجديد نشاطه، أو للتحرر بعض الوقت وقضاء مهام جانبية أو عرضية، ربما يواصل بعدها المشاهدة بإقبال وحيوية أكثر. وهي من جانب آخر قد تفرض عليه انقطاعًا غير مرغوب، وتقطع عليه استغراقه في مشاهدة برنامج معين، شعر معه بالانسجام وتفاعل مع فقراته، كما أنها قد تداهمه بشيء يكره سماعه، ومشاهدة ما يرتبط به من مناظر أو تصورات، كأن تقحمه في مشهد إعلاني عن دواء قشرة الرأس أو مزيل للشعر أو علاج للصلع أو القروح أو البقع والأورام الجلدية القبيحة، وتطلعه على تفاصيل استخدام هذا العلاج أثناء جلوسه على مائدة الطعام، أو أثناء جلسة رومانسية ممتعة.

والذي يهمنا هنا بصورة أساسية، هو أثر

الإعلانات التجارية على حصيلة المشاهد اللغوية، وحصيلة المشاهد الناشئ بخاصة. فمن الملاحظ أن الإعلانات التجارية تثير الأطفال على اختلاف أعمارهم وتجتذبهم إلى حد بعيد، إلى درجة أن نجد الطفل ينتظر الإعلانات التجارية بفارغ الصبر، وما تأتي حتى ينصرف عن كل شيء يشغله، ويتجه بلهفة وشوق إليها، يردد ما يصحبها من أصوات أو مقاطع غنائية في فرح واغتباط، ويبقى يترنم أو يدندن بما سمعه منها بلذة ومرح بعد انتهائها. ولا شك أن لهذا الانجذاب والانشداد آثارا إيجابية عديدة على شخصيته في كثير من جوانبها وعناصر تكوينها، يجب أن تُستغل أو تستثمر على نحو سديد مدروس؛ لتؤدي دورها المطلوب، وليقوم التلفاز أخيرًا بدوره المفترض، ويحقق أهدافه المنشودة في خدمة المجتمع، والنهوض بحضارة الأمة.

لا شك أن الإعلانات التجارية التلفزيونية تمتع الطفل بمشاهدها الجميلة، أو صورها الكاريكتيرية المضحكة، وحركاتها الفنية البارعة السريعة، والنغمات الموسيقية التي تصاحبها، وهي أيضًا تسليه وتلهيه لفترات معينة عن أعمال العبث التي قد تضر به، وتشغل الراشدين بمتابعته، لاسيما عندما يكون هذا الطفل في سن مبكرة وفي أوج حركته وجنوحه للعب والعبث. إضافة إلى ذلك فإنها تكسبه معارف كثيرة، وتنمي ذوقه وقدراته الخيالية، وتعمل بشكل واضح على ارتقاء مهاراته اللغوية وتثري محصوله من مفردات لغته أو تزيد هذا المحصول نماء.

من خلال هذه الإعلانات يتعرف الطفل أسماء وصفات كثير من الأشياء، وما يرتبط بهذه الأسماء والصفات من الأفعال والأدوات والدلالات الجانبية، وهو يتعلم من خلال سماعه لها أيضًا طرق لفظ الكلمات وطرق تركيبها وصياغتها، خصوصا أن الجمل التي تُسمع في هذه الإعلانات تكون في العادة سهلة من حيث المضمون والتركيب أو الصياغة، قصيرة موجزة، ومتنوعة الموضوعات، كما أنها تكون مقترنة بالمشاهد والصور والأصوات المنغمة التي تجسدها وتجسد معانيها في الذهن.

إن الصور والحركات والمشاهد والأنغام الموسيقية الجاذبة التي تصاحب العبارات المنطوقة في الإعلانات التجارية من شأنها أن تعمل على تثبيت الكلمات المسموعة في مخيلة المتلقي، ومن ثم فهي تعمل على استقرار هذه الكلمات في ذاكرته، وحضورها في ذهنه ربما لأمد طويل. ويزيد من هذا الاحتمال التكرار الكثير للعبارات والجمل ذات الألفاظ والدلالات المتشابهة، الذي ينقل الكلمات إلى المتلقي، ويلح في ترسيخها في ذهنه وغرسها في ذاكرته. وهذا بلا شك مكسب جيد؛ فهو طريق سوي لإثراء حصيلة الناشئ من مفردات لغته. وكثيرًا ما نرى أطفالنا يرددون الجمل والكلمات والصيغ اللغوية التي يلتقطونها من الإعلانات التجارية، ويحاولون استخدامها في مخاطباتهم أو يحاكون طريقة تلفظها وإلقائها، متندرين هازلين، وجادين أحيانًا، يفهمون من معانيها ما يفهمون، وإن عجزوا عن فهمها أو فهم بعضها لجأوا إلى تخيلها أو السؤال عنها أو الجدال مع أقرانهم حولها، حتى يتسنى لهم إدراكها. وربما ظلوا يرددون الكلمات والجمل دون فهم لمدلولاتها فترة من الزمن، حتى ترد سياقات كلامية أخرى تفسرها، وهكذا ينمو محصول الطفل من الكلمات والصيغ والمعاني اللغوية مع مرور الزمن.

ومع ما لانجذاب الطفل إلى الإعلانات التجارية وتفاعله معها وانبهاره بطريقة العرض فيها من آثار إيجابية على اللغة، فإنه لا يخلو من آثار سلبية على اللغة نفسها، لا سيما وقد بلغت هذه الإعلانات في الوقت الحاضر من الكثافة حدًّا لا يمكن معه التمييز والانتقاء، فهذه الإعلانات أصبحت تقتحم عالم الطفل في كل وقت، وفي كل مكان. وقد بلغت التوجهات المادية النفعية بطائفة كبيرة منها مستوى، لا يعترف معه بالأهداف القومية ولا بأصول وقواعد ونواميس اللغة اعترافًا تامًّا، فالكلمات والتراكيب تحشد فيها بشكل ارتجالي أو عشوائي، وتفرغ في قوالب لغوية هجينة، تختلط فيها العامية بالفصحى، التراكيب السليمة بالتراكيب غير السليمة ومفردات اللغة الأم الأصيلة بمفردات أجنبية من لغات شتى. بينما أذهان الناشئين تلتقط دون تمييز ودون تروٍّ أو فحص أو توجيه مضمون، ومن هنا تنبع خطورة الإعلانات التجارية على لغة الجمهور، والأطفال منهم خصوصا.

من المعروف أن تثبيت اللفظ أو التركيب أو المعنى اللغوي أسهل من اقتلاعه واستئصاله من مخيلة المتلقي وذاكرته بعد ثباته واستقراره فيهما.

وإذا صح ما نقل الجاحظ من: (٢) «أن المعنى الحقير الفاسد، والدنيء الساقط، يعشعش ثم يبيض ثم يفرخ، فإذا ضرب بجرانه ومكن لعروقه، استفحل الفساد وبزل وتمكن الجهل وقرح». وأن «اللفظ الهجين الرديء والمستكره الغبي، أعلق باللسان، وآلف للسمع، وأشد التحامًا بالقلب من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم»، إذا صح ذلك، وهو بلا شك على جانب كبير من الصحة، فإن المفردات والتراكيب والأساليب اللغوية التي تنقل إلى الجمهور من خلال الإعلانات

الإعلانات التجارية
وأثرها في لغتنا

التجارية، ومن خلال التلفاز خصوصًا، يجب أن تكون فصيحة رفيعة منتقاة، أو مهذبة سليمة جيدة الصياغة، وإلا أدى التلفاز إلى الإضرار بحصيلته اللغوية.

«إن التلفاز أداة للإعلام والتثقيف ونشر المعرفة وتعميم نفعها، وهو وسيلة لخدمة الأهداف الدينية والوطنية والقومية والإنسانية عامة، وجهاز يُفترض أن يُتولى من خلاله تقويم لغة الجمهور ويُعمل على الارتقاء بها. وإثراء حصيلة هذا الجمهور من مفرداتها لا بد أن يكون هدفًا من الأهداف الرئيسة، لأنه أساس في تحقيق الارتقاء؛ وبناء على ذلك فإنه من المفترض أن تُسخر برامج التلفاز وفعالياته ونشاطاته كلها ومن بينها الإعلانات التجارية لخدمة هذا الهدف، بل أن تكون لغة هذه البرامج هي القدوة في ثرائها، وأن يكون المذيع العربي - كما يقرر بعض الباحثين اللغويين - معيارًا للصواب اللغوي»[٣].

ليس هناك كبير جدوى من المعارف والخبرات التي ينقلها التلفاز إلى الجمهور ما لم تنقل هذه المعارف والخبرات إليه في أوان نقية صافية، ليتمكن من إدراكها واستيعابها بيسر وشوق، وليتمكن من إعمال ذهنه فيها، ثم نقلها إلى الأجيال القادمة بيسر ووفاء، وبذلك تسير عجلة الحضارة ويتحقق التقدم. والأواني النقية الصافية التي يجب أن تنقل بها أو تحمل فيها المعارف والخبرات لهذا الجمهور، هي الكلمات الفصيحة السليمة التركيب، والعبارات الثرية في مضامينها أو مدلولاتها، والصيغ التي تحفظ للغة أصالتها، وتصون تراثها، وتبرز شخصيتها، وترفع مقام أهلها وترتقي بحضارتهم.



"الترويج للبضاعة الأجنبية لا يعني الترويج للغة منتجيها دون غربلة وانتقاء"

«ويفترض في الإعلانات التجارية كما يفترض في كل فقرات برامج التلفاز والإذاعة التي لها الدور نفسه والأهمية نفسها والتأثير نفسه أن تخرج بلغة سليمة ناصعة، أو بما يطلق عليه لدى بعض اللغويين باللغة المخففة، التي تقع وسطًا بين العامية المنقحة والفصحى العالية»[٤].

يقول أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ): «الكلام ثلاثة أضرب: ضرب يشترك فيه العلية والدون، وذلك أدنى منازل القول. وضرب هو الوحشي، كان طباع قوم فذهب بذهابهم. وبين هذين ضرب لم ينزل نزول الأول ولا ارتفع ارتفاع الثاني، وهو أحسن الثلاثة في السماع، وألذها على الأفواه، وأزينها في الخطابة، وأعذبها في القريض، وأدلها على معرفة من يختارها»[٥]. وهذه هي اللغة التي يُفترض أن تتبناها الأجهزة المذكورة في كل ما تقدمه من برامج، بعد إخضاعها لسنن التطور اللغوي، وجعلها مواكبة للتغيرات الحضارية ومستجدات الحياة، وجعلها ملائمة للعصر الذي نعيشه، على ضوء المقاييس والقواعد والتوصيات التي تصدر عن المؤسسات اللغوية.

إضافة إلى ما سبق فإن الإعلانات التجارية يجب أن تؤدى بأصوات رخيمة قادرة على نقل الألفاظ والتراكيب اللغوية بدقة وطلاقة وأناقة، وقادرة على مشاركة الصور والحركات في الإيحاء بمعاني هذه الألفاظ وهذه التراكيب وتجسيدها، والإشارة إلى دلالاتها المعجمية والسياقية والحسية، وإلى كل ما تحمل من طاقات لغوية، بالإضافة إلى كونها متمكنة تمام التمكن من تمييز وإبراز مخارج حروفها على النحو الكامل والسليم.

من الإعلانات التجارية ما يُترجم ويُنقل عن أصول لغوية وحضارية أجنبية، والمفترض في مثل هذه الإعلانات أمانة النقل، مع سلامة الأداء والحرص الشديد على التعبير عن المعاني والمواقف، وفق مقاييس وأصول وقواعد اللغة المنقول إليها، وليس اللغة المنقول منها.

لا مانع من تكييف بعض الألفاظ والتراكيب الأجنبية وتطويعها وإدراجها في قاموس اللغة القومية، ولا مانع أيضًا من إدخال هذه الألفاظ والتراكيب إذا عز أو صعب تكييفها وتطويعها، فقد نقل العرب قديمًا عددًا كبيرًا من الألفاظ والصيغ من لغات أجنبية مختلفة عندما احتاجوا إلى

ذلك. عمدوا في نقلها إلى الترجمة أولاً، ثم لجأوا إلى التعريب عندما عزت عليهم الترجمة في بعضها، كما أدخلوا ما لم يكن بد أو مشاحة من إدخاله، وبذلك أثروا لغتهم وجعلوها طيعة مرنة واسعة وافية بمطالب الحياة وحاجات العصر، ولكنهم لم يرضوا لها الضعف أو التراجع والذوبان في اللغات الأخرى.

يمكن للتلفاز العربي في العصر الحاضر وهو يحمل رسالة تعميم المعرفة ونشر اللغة سواء من خلال البرامج الإعلامية والتثقيفية أو من خلال الإعلانات التجارية، أن يُسَخَّر لخدمة اللغة وتعزيز نشرها وإثرائها وتنمية حصيلة الجمهور من مفرداتها وتراكيبها - كما سبق القول - وفق المناهج التي سلكها القدماء والطرق والوسائل التي أقرتها أو تقرها المؤسسات اللغوية القومية، وبخاصة أن العربية تواجه في هذا العصر ظروفًا حضارية متداخلة، مشابهة لتلك الظروف التي واجهتها في الماضي، هذا بالطبع مع الفارق الحضاري الذي كانت فيه هذه اللغة آنذاك، إذ كانت في موقف الغالب المتقدم.

طوائف الألفاظ الأجنبية ترد إلينا كل يوم، تدفع بها مسمياتها المستوردة بعنف إلينا، وهي في تزايد مستمر، وإفساح المجال أمامها من غير تحفظات ومن دون حدود، يعني دفع اللغة الأصلية نحو التراجع والضعف، ومن هنا كان لا بد من السعي بحرص ودقة، لإيجاد البدائل السليمة المناسبة المرادفة للألفاظ والتراكيب الأجنبية من اللغة القومية الفصحى، وعلى نحو منظم مدروس، قبل أن تنفذ هذه الألفاظ والتراكيب وتستقر في الأذهان، وتزيح الأصول أو تختلط بها، فتوجد نوعًا من الازدواجية اللغوية التي لا تفضي إلا إلى الضعف أو التذبذب اللغوي. وينبغي بناء على ذلك، تجنب الارتجال والاختيار العشوائي في ترجمة أو نقل هذه الألفاظ والتراكيب الأجنبية، كما ينبغي تفادي اللجوء في ترجمتها أو نقلها أو تفسيرها إلى العامية الدارجة التي تهبط بلغة الجمهور إلى حدود الإقليمية الضيقة، فيضيق معها فهم المتلقي، ويتقلص مدى اكتسابه للمعرفة، وتتسع الحواجز بينه وبين أبناء قومه من أصحاب اللهجات المحلية المختلفة.

إن التسويق والترويج للبضاعة الأجنبية لا يعني بأية حال من الأحوال التسويق والترويج للغة منتجيها ولطابعهم الحضاري، دون غربلة وتمحيص وانتقاء. كما أنه لا يعني الرزوح تحت سيطرة النزعات والاتجاهات الإقليمية التي تتنافى في واقعها حتى مع هدف الإعلان التجاري نفسه؛ لأنها تحدد مساحة رواج السلعة وترسم لعرضها وتسويقها حدودًا إقليمية ضيقة.

من كتاب العدد



● د. أحمد محمد المعتوق

- مواليد المملكة العربية السعودية ١٣٦٨ هـ.

- دكتوراه في الأدب والنقد - جامعة بنسلفانيا - الولايات المتحدة.

- عمل في السلك التعليمي بالمملكة العربية السعودية والولايات المتحدة.

- عضو في عدد من اللجان والجمعيات العلمية والثقافية.

- يعمل حاليًا أستاذا بقسم الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

- له أعمال شعرية وقصصية، وبحوث ودراسات متنوعة منشورة في عدد من الدوريات العلمية والمجلات الثقافية العربية.

إننا في الوقت الذي نشير فيه إلى محاذير التأثر باللغات الأجنبية، والسلبيات التي قد تنجم عن زيادة تسرب الألفاظ والتراكيب الدخيلة أو العامية المحلية من خلال الإعلانات التجارية والفقرات المترجمة أو البرامج المحلية التي يقدمها التلفاز، يمكن أن نقول باطمئنان إن احتمالات حدوث هذه السلبيات أصبحت في تضاؤل مستمر، نظرًا لما تشهده بلادنا من نمو اقتصادي متواصل يغنيها عن الإغراق في التسويق للبضائع الأجنبية أو الإعلان عنها، ولما يشهده مجتمعنا من وعي وحرص على التمسك باللغة القومية وبتراثها الروحي والفكري؛ ولما تولَّد عن هذا الوعي وهذا الحرص من اتجاه لتطوير الكفاءات اللغوية العامة في مجالات الإعلام.

إن الصناعات والنتاجات المحلية العربية في تنام مستمر، والدعم المادي والمعنوي الذي تلقاه اللغة ومؤسساتها من صانعي القرار جاد ومتواصل، والتعاون بين القائمين على وسائل الإعلام وهذه المؤسسات في طريقه إلى النمو، وكل هذا كاف لأن نقرن حذرنا وحيطتنا بكثير من التفاؤل.

هوامش:

١ - للمزيد من الاطلاع على ما يتصل بتطور الإعلان الإذاعي وأثره وأنواعه وصوره وكيفية صناعته، انظر: د. إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتليفزيوني، ط ٢ (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٥ م)، «الفصل العاشر: فن الإعلان الإذاعي»، ص ١٣٩ - ١٥٩.

٢ - عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ط ٥، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م)، ص ٨٥ - ٨٦.

٣ - د. أحمد مختار عمر، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، ط ٢ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣ م)، ص ١٩.

٤ - د. محمد كامل حسين، اللغة العربية المعاصرة (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦ م)، ص ٨٨.

٥ - أحمد بن فارس، متخير الألفاظ، تحقيق هلال ناجي (بغداد: مطبعة المعارف، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م)، ص ٤٣.



إعداد: د. محمد علي الجندي

علماء أندلسيون

"في العلوم الطبيعية والرياضية"

أ

أبو الصلت :

هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت، ولد في بلدة «دانية» شرق الأندلس عام ٤٦٠ هجرية، وهو من أهل الفضل، والماهرين في صناعة الطب وغيرها من العلوم الأخرى، وقد بلغ في علم الطب مبلغًا لم يبلغه أحد غيره من الأطباء في زمانه، وكان أوحد عصره في العلم الرياضي، متقنا لعلم الموسيقى، جيد الضرب على العود. ولأبي الصلت معرفة كبيرة بالأدب بلغ بها مبلغًا لم يصل إليه غيره من الأدباء.

ومن مؤلفات أبي الصلت: كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية، وكتاب في الهندسة، ورسالة في الموسيقى، ورسالة في العمل بالإسطرلاب، وكتاب حديقة الأدب.

توفي أبو الصلت يوم الاثنين غرة المحرم سنة ٥٢٩ هجرية بمدينة المهدية بتونس ودفن بالمنستير، وقبل وفاته بقليل قال أبياتا من الشعر طلب أن تنقش على قبره وهي:

سكنتك يا دار الفناء مصدقا	بأني إلى دار البقاء أصيرُ
وأعظم ما في الأمر أني صائر	إلى عادل الحكم ليس يجور
فياليت شعري كيف ألقاه عندها	وزادي قليل والذنوب كثير
فإن أكُ مجزيا بذنبي فإنني	بشرِّ عقاب المذنبين جدير
وإن يك عفو ثَمَّ عني ورحمة	فثَمَّ نعيم دائم وسرور

أبو القاسم الزهراوي :

هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، ولد بالزهراء إحدى ضواحي قرطبة، وإليها نُسب. كان مولده عام ٩٣٦م. وهو من أوائل الأطباء العرب المسلمين الذين نبغوا في علم الجراحة، وعلى يديه وصل علم الجراحة إلى قمته في ذلك الوقت، ويعتبره بعضهم فخر الجراحة العربية، وثالث ثلاثة نبغوا في الطب العربي: الرازي وابن سينا والزهراوي.

والزهراوي هو أول من استعمل ربط الشرايين لمنع النزيف. واستخدم عدة آلات جراحية في عمله جراحًا. وكان أكثر هذه الآلات من ابتكاره. وقد احتوى كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» على رسوم لعدد من هذه الآلات الجراحية، وبذلك وُصف الزهراوي بأنه أكبر جراح عرفته الحضارة الإسلامية، والعصور الوسطى قاطبة.

وكتاب «التصريف» للزهراوي يعتبر دائرة معارف طبية واسعة مقسمة إلى ثلاثين فصلاً مبوبة في ثلاثة أقسام: الأول في الطب الداخلي، والثاني في الأقراباذين والكيمياء، والثالث في الجراحة.

وقد ترجم جيرار الكريموني قسم الجراحة من الكتاب، وأصبح المرجع المهم في جامعات أوربا كجامعة سالرنو وجامعة مونتيليه وغيرها، كما ترجم الكتاب أكثر من مرة، حيث ترجم إلى العبرية واللاتينية في مدينة البندقية عام ١٤٩٥م، وفي ستراسبورج عام ١٥٣٢م، وفي بال عام ١٥٤١م. وعموما لم تذكر المصادر التاريخية أنه ألّف من الكتب سوى هذا الكتاب. توفي الزهراوي بالأندلس عام ١٠١٣م.

ب

ابن البنّاء المراكشي :

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، المعروف بابن البنّاء؛ لأن والده كان بنّاءً، الملقب بالمراكشي؛ لأنه ولد في مدينة مراكش. عاش بين عامي ٦٥٤ و٧٣١ هجرية (١٢٥٦ - ١٣٢١م).

درس ابن البناء الحديث والفقه والنحو في مراكش على مشاهير العلماء هناك، ثم ذهب إلى فاس فدرس الطب والرياضيات والفلك، فبرع في هذه العلوم، حتى وفد إليه العلماء من الآفاق للتتلمذ على يديه في جميع فروع المعرفة، ومن بين هؤلاء عبد الرحمن بن خلدون.

يُذكر عنه أنه نبغ في الرياضيات، وله فيها مؤلفات قيمة ورسائل نفيسة تجعله من المقدمين في تاريخ العلوم، وقد بلغت تآليفه نيفا وسبعين ما بين كتاب ورسالة في الرياضيات والفلك، من هذه المؤلفات: كتاب تلخيص أعمال الحساب، وكتاب رفع الحجاب عن علم الحساب، ورسالة في علم المساحة، ورسالة في الجذور الصُّم جمعها وطرحها،

ورسالة في التناسب، وكتاب الأصول والمقدمات في الجبر والمقابلة، وكتاب تحديد القبلة.

ويعدّ كتابه «تلخيص أعمال الحساب» من أهم كتبه على الإطلاق، فقد احتوى على أفكار رياضية متقدمة خدمت العلوم جميعا، واهتم بهذا الكتاب علماء العرب والمسلمين اهتماما بالغا لما له من أهمية كبيرة.

ابن البيطار:

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد ضياء الدين المالقي المشهور بابن البيطار. ولد في مالقة في أواخر القرن السادس الهجري، يصفه تلميذه ابن أبي أصيبعة مؤرخ الطب العربي بقوله: «إنه كان أوحد زمانه، وعلّامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختباره، ومواضع نباته، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها. عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات، وفي نقل ما ذكره ديسقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب منه». وقد تعلم ابن البيطار علم النبات على عدد من العلماء والأفاضل في هذا الميدان، منهم أبو العباس النباتي الذي كان يجمع النباتات من منطقة أشبيلية.

وحين شب ابن البيطار وله من العمر عشرون سنة، طاف شمال أفريقية ومراكش والجزائر وتونس لدراسة النباتات الموجودة بهذه المناطق، ووصل إلى مصر في زمن الملك الكامل الأيوبي حيث التحق بخدمته وعُين رئيسا للعشّابين. انتقل بعد ذلك إلى دمشق واتخذها مقرا له. وهناك درس نباتات سورية، وطاف أيضا بعض بلدان آسيا الصغرى.

ويعدّ كتاب ابن البيطار «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» الذي وضعه في أربعة أجزاء في حوالي ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير من عمدة الكتب في بابه، وكان سبب شهرته الواسعة التي طبقت الآفاق وأحلته منزلة عالية في تاريخ الطب والصيدلة، فقد جمع فيه بين الدواء والغذاء، ودقق في أهمية النبات غذاءً وعلاجًا. وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية والألمانية، وهو أكمل ما ألفه العربُ في هذا الموضوع.

توفي ابن البيطار - يرحمه الله - بدمشق في شهر شعبان من سنة ٦٤٦هـ.

ج

جابر بن الأفلح:

ولد جابر بن الأفلح في أشبيلية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وتوفي بقرطبة في منتصف القرن الثاني عشر للميلاد، وهذا العصر الذي عاش فيه جابر هو العصر الذي بدأت فيه العلوم في المغرب والأندلس تأخذ طريقها نحو الازدهار والتقدم.

وقد اشتهر جابر بن الأفلح في علم الفلك والرياضيات، وكان لمؤلفاته أثر كبير في تقدم هذه العلوم في عصر النهضة الأوربية، حيث ترجم العديد منها إلى اللاتينية وغيرها من اللغات الأخرى في تلك الفترة.

وتذكر بعض مصادر تاريخ العلوم أن جابر بن الأفلح ألّف تسعة كتب في علم الفلك، يبحث أولها في المثلثات الكروية، وقد ترجم جيرار الكريموني هذه المؤلفات إلى اللاتينية، وطبعت في مدينة نورمبرغ عام ١٥٣٣م.

وكان لمؤلفات جابر في المثلثات الكروية قيمة عالية في تاريخ هذا العلم، حيث إن لجابر بن الأفلح أيضا «كتاب في الهيئة في إصلاح المجسطي» الذي نقله جيرار الكريموني أيضا إلى اللاتينية، وترجمه في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي موسى بن تبون إلى العبرية، وفي هذا الكتاب انتقد جابر نظريات بطليموس التي تتعلق بالكواكب. وينسب إلى جابر بن الأفلح كذلك اختراع بعض الآلات الفلكية التي استخدمت في مرصد مراغة.

ح

ابن حمزة المغربي:

من علماء القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) المبرزين في الرياضيات، ولا يعرف تاريخ مولده ووفاته بالضبط، جزائري الأصل، قضى ردحا من الزمان في إسطنبول يدرس ويُدَرِّس علم الرياضيات، وقد أجاد اللغة التركية حتى إنه ألّف فيها كتابه المشهور «تحفة الأعداد لذوي الرشد والسداد».

اهتم ابن حمزة اهتماما بالغا بالمتواليات العددية والهندسية والتوافقية التي قادته في آخر الأمر إلى وضع أسس اللوغاريتمات. وقد أجمع مؤرخو العلم على أن ابن حمزة المغربي هو مبتكر هذا العلم الذي خدم العلوم التطبيقية بأكملها.

وابن حمزة عالم رياضي مبتكر، له طرق خاصة ومميزة في حل الكثير من المسائل الرياضية. ومن المؤسف أن معظم مؤلفاته مطمورة بين دفات الكتب القديمة أو المخطوطات البالية المهجورة في مكتبات العالم، وتحتاج إلى العالم المخلص الذي يعمل على إخراجها إلى النور.

إلا أن كتابه «تحفة الأعداد...» السابق ذكره جاء مبوبا على الطريقة الحديثة، فقد بحث في المسائل الحسابية التي يستعملها الناس كل يوم، كما يدور حول المساحات والحجوم، وقد كتبه في مكة المكرمة، ورتّبه على مقدمة وأربع مقالات وخاتمة في عصر السلطان مراد بن سليم، خصص

المقدمة لتعريف علم الحساب والترقيم، أما المقالة الأولى فتشمل الأعداد الصحيحة والعمليات الحسابية، وتبحث الثانية في الكسور والجذور، وتحتوي المقالة الثالثة على الطرق المختلفة لاستخراج قيمة المجهول، وتضم المقالة الرابعة مساحات الأشكال والأجسام الهندسية. وخصص الخاتمة لحل الكثير من المسائل التي استعصت على سابقيه ومعاصريه.



ابن الزرقيال:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال الأندلسي، ولد في القرن الخامس الهجري. يقول عنه القفطي: «إنه أبصر أهل زمانه بإرصاد الكواكب وهيئة الأفلاك واستنباط الآلات النجومية، وله صحيفة الزرقيال المشهورة في أيدي أهل هذا النوع التي جمعت من علم الحركات الفلكية كل بديع مع اختصارها».

وتذكر المصادر التي درست حياة ابن الزرقيال أنه قام بحوالي ٤٠٢ رصد لتعيين أقصى بُعد للشمس، وقام بتحديد مقدار حركة المبادرة السنوية لنقطتي الاعتدالين بخمسين ثانية، أي ما يعدل ما جاء في الأزياج (الجداول الفلكية الحديثة) بالضبط.

وكان ابن الزرقيال يراقب حركة الأفلاك بآلات اخترعها بنفسه، كما قام بصناعة ساعات دقاقة أعجب بها أهل طليطلة إعجابا لا حد له.

توفي ابن الزرقيال بقرطبة سنة ٤٩٣ هجرية، وعلى الرغم من علو شأنه باعتباره عالما فلكيا ورياضيا له إسهاماته في علم الحساب، فإن المصادر التاريخية لم تمدنا إلا بالقليل من المعلومات عن حياته.

ابن زهر:

هو أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر، الطبيب الأندلسي المشهور، ينحدر من عائلة اشتهر معظم أفرادها بالطب، فأبوه أبو العلاء ابن زهر كان مشهورًا بالحذق والمعرفة والتضلع في صناعة الطب. وقد لحق أبو مروان والده في هذه الصناعة فكان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة، وذاعت شهرته في بلاد الأندلس وغيرها من البلدان الأخرى حتى أصبح مرجعًا في الطب يشتغل الأطباء بمؤلفاته، ولم يوجد في زمانه من يماثله في مزاولة العمل ا لطبي.

ولد ابن زهر في أشبيلية عام ٤٦٤هـ، وتوفي بها سنة ٥٥٧هـ. وتشير بعض الدراسات إلى أن ابن زهر أثر تأثيرًا بالغًا في الطب الأوربي، وأن هذا التأثير ظل حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وذلك عن طريق ترجمة بعض كتبه إلى اللاتينية والعبرية.

ومن أشهر مؤلفات ابن زهر كتاب «التيسير في المداواة والتدبير»، وفيه يصف الأمراض بشكل واضح وجلي دون الدخول في النظريات الفلسفية كما كان يفعل بعض الأطباء، وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية، وطبع عدة مرات، واستخدم في التدريس في الجامعات الأوروبية.

بالإضافة إلى كتاب التيسير ألف ابن زهر عددا من الكتب منها: كتاب الأغذية، وكتاب الزينة ـ وهو تذكرة لولده أبي بكر في أمر الدواء المسهّل وكيفية أخذه ـ ومقالة في علل الكلى، ورسالة كتبها إلى بعض أطباء أشبيلية في علتي البرص والبهق.



ابن السمح الغرناطي:

هو أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح المهندس الغرناطي، ولد في القرن الرابع الهجري في زمن خلافة الحكم. وكان محققا لعلم الحساب والهندسة بارعا في علم الفلك وحركات النجوم وكانت له بالإضافة إلى ذلك عناية بعلم الطب.

وله في كل هذه المجالات مؤلفات قيمة. ففي علم الحساب أو العدد له كتاب «طبيعة العدد»، بالإضافة إلى كتابه المشهور «ثمار العدد» الذي اشتهر باسم «المعاملات». وفي علم الهندسة ألّف كتابا كبيرا في الهندسة وضح فيه أجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحني.

وفي علم الفلك وحركات النجوم له عدة كتب منها كتابان في الآلة المسماة بالإسطرلاب، أحدهما في التعريف بكيفية صنعها، وقسّمه إلى مقالتين، والآخر في كيفية العمل بالإسطرلاب والتعريف بفوائده، وقد قسمه إلى مائة وثلاثين بابا. وكذلك له زيج ألف على أحد مذاهب الهند المعروف «بالسند هند»، وهو عبارة عن كتاب كبير قسمه إلى جزءين: الأول في الجداول، والثاني في رسائل الجداول.

توفي ـ يرحمه الله ـ بغرناطة سنة ٤٢٦ هجرية.



القلصادي:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي المعروف بالقلصادي، ولد ببسطة بالأندلس سنة ٨٢٥ هـ، وتوفي سنة ٨٩١ هـ بباجة من القطر التونسي (١٤١٢ م ـ ١٤٩٦ م).

درس القلصادي ببسطة، وتتلمذ على كبار علمائها، ثم انتقل إلى غرناطة فاستوطنها لطلب العلم. يقول عنه الزركلي في كتابه «الأعلام»:

«والقلصادي عالم كبير بالحساب، فقيه من فقهاء المالكية. وهو آخر كبار المؤلفين من أهل الأندلس».

من أشهر مؤلفاته كتاب «كشف الأسرار عن علم الغبار»، حيث كان أول من استعمل الرموز والإشارات الجبرية التي تستعمل إلى يومنا الحاضر. وقد بقيت مؤلفات القلصادي في الحساب مستعملة حتى القرن العشرين في مدارس أوروبا وجامعاتها والعالم أجمع، كما كان لإسهاماته في علم الجبر أكبر الأثر في تطوير هذا العلم، وجعله من الموضوعات العلمية الضرورية في عصرنا الحاضر.

م

مسلمة المجريطي:

هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي الأندلسي. ولد بمجريط (مدريد) في منتصف القرن العاشر الميلادي حوالي عام ٩٥٠ م. وذكر القفطي أنه كان «إمام الرياضيين بالأندلس وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك وحركات النجوم، كانت له عناية بإرصاد الكواكب وشغف بتفهم كتاب المجسطي، وله كتاب حسن في ثمار العدد وهو المعنى المعروف بالأندلس بالمعاملات». وهذا الكتاب الذي ذكره القفطي «المعاملات» كتاب يبحث في أمور الحساب وعلاقته بالتجارة.

برع مسلمة في الرياضيات والفلك والكيمياء، ففي الرياضيات كتب عددًا من الكتب في الحساب والهندسة، وكانت له مهارة فائقة في الاشتغال بالأعداد ونظرياتها، خاصة فيما يتعلق بالأعداد المتحابة، وله في ذلك عدة رسائل، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى في علم الحساب.

وتذكر بعض كتب التاريخ أنه ألّف عدة مؤلفات في الهندسة. وفي الفلك كان لمسلمة دور رائد وعظيم، وقد أجاد في أعماله الفلكية.

ومن أهم الأعمال التي قام بها عنايته بالجداول الفلكية أو الأزياج كما كانت تسمى، فقد أعد كتابًا اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني، وعُني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي ونقل تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي. وألّف مسلمة المجريطي في الكيمياء كتابين هما «رتبة الحكيم» و«غاية الحكيم». وقد تمت ترجمة «غاية الحكيم» إلى اللاتينية حوالي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي بأمر من الملك «ألفونس» ملك قشتالة.

وقد تتلمذ على يد مسلمة المجريطي كثير من علماء الأندلس الذين كان لهم دور كبير في تقدم العلوم بالأندلس، وبخاصة في قرطبة ودانية وغيرهما، منهم ابن السمح الغرناطي، وابن الصفار، والزهراوي وغيرهم كثيرون. توفي مسلمة بن أحمد المجريطي عام ٣٩٨ هـ - ١٠٠٧ م.

القراءة وطن

شعر: السيد الصديق حافظ

يَا رُبَّ مغْتَرِبٍ والدارُ دانِيَةٌ
مُستَوْحَشِ الروحِ قد ضلَّتْ مَطَايَاهُ!
وربَّ أمرٍ لنا في نَيْلِهِ وَطَرٌ
النفسُ ترضاه والأقدارُ تأباه
إني مقيم ولي روح على سفرِ!
أوّاهُ يا غربَةَ الأرواحِ أوّاهُ!

***

أصحابُك الكُتُبُ فلْتَسْعَدْ بصُحبتِها
لكنَّ أكرَمَها ما اللهُ أوحَاهُ!
في كل حرفٍ نعيمُ اللهِ يَسْكُنُهُ!
ما أكرَمَ الحرفَ مبْنَاهُ ومعْنَاهُ!
إنَّ القراءةَ ما أحببتَها وطنٌ
فيه الغِنَىٰ والمُنَىٰ، والمجْدُ والجَاهُ!
من صاحَبَ الكُتْبَ لم يشْكُ الفراغَ ولَمْ
يستَنْفِدِ العُمْرَ في لَهْوٍ تَغَشَّاهُ!

***

بالكُتْبِ أرشَدَنَا المولىٰ وعلَّمَنَا
لولا المعارفُ فيها ما عَرَفْنَاهُ!
لولا الكتابُ هِمْنَا في جَهَالتِنَا
وكانت الناسُ كالأنعام لولاهُ!
قد أودعَ اللهُ نورَ العِلْمِ في كُتُبٍ
وضمَّنَ اللهُ ألواحًا وصايَاه!
وخط في اللوحِ في أمّ الكتابِ فلا
يمحُو ويثبتُ ما قَدْ شاءَ إلا هُو!
اقرأ كتابَك لا تحفِلْ بمن عَدَلُوا
عن الصراطِ وفي أوْهَامِهِمْ تَاهُوا

***

المنهل
ALMANHAL

المجلة السعودية الأولى .. مجلة الأصالة والمعاصرة .. تطالعك غرة كل شهر عربي



إطلالة حيّة .. سياحة واقعية ممتعة .. تقف فيها على عادات الأمم وتقاليد الشعوب من خلال أدب الرحلات .

جولات في فكر المرأة .. آراء المرأة في الثقافة والأدب والاجتماع ... وإبداعها .. أقلام نسائية مبدعة وجادة .. المرأة والرجل وجهاً لوجه.. مساجلات أدبية حية ..





الفكر الأصيل والتوجّه المتميز .. قضايا ثقافية متنوعة في إخراج متميز .. أعداد خاصة ومتخصصة موضوعاتها تجمع بين التراث والمعاصر.

المركز الرئيسي - جدة ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٩٢٥ ت: ٦٤٣٢١٢٤/ ٦٤٢٥٦٨٧
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣

ردود خاصة

○ الأخ عبد الرحمن محمد سعيد - عدن - اليمن :

المجلة تهتم بعلماء الأمة وأعلامها، القدماء منهم والمعاصرين، وتنشر عنهم بشكل يتوازن مع بقية اهتماماتها. أما رسالتك فقد أحيلت إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ونأمل أن يستجيب لطلبك.

○ الأخ حميد محمد خير - حمص - سورية :

رسالتك عرضناها على الشيخ صالح بن سعد اللحيدان، وستقرأ الرد على استفساراتك في أحد الأعداد القادمة في باب «طريق الهدى» إن شاء الله.

○ الأخت خديجة بلعلمي - ورقلة - الجزائر :

الطرائف التي بعثت بها غير مناسبة للنشر في «استراحة العدد»، ننتظر منك محاولات أخرى.

○ الأخ فؤاد عبد الفتاح أبو رحاب - بور سعيد - مصر :

الحج ركن من أركان الإسلام، لكنه يتوجب على «من استطاع إليه سبيلا»، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

○ الأخت فائزة بوقديدة - سوسة - تونس :

نرحب بإسهاماتك الأدبية والكتابية، وإذا كانت الأخبار الثقافية التي لديك استعداد لتزويدنا بها مناسبة وصالحة للنشر فلن نتردد في نشرها.

طلباتك الأخرى محل الاهتمام وسنلبيها في حدود الإمكانات المتاحة.

○ الأخ عدنان عزيز - قسنطينة - الجزائر :

الكتب التي نتناولها في باب «كتب وردت إلى المجلة» ننشر عنها كخدمة إعلامية للقارئ والمؤلف على حد سواء، وليس بمقدورنا تزويد القراء بها؛ لأن ذلك من اختصاص شركات التوزيع والمكتبات التجارية والناشرين.

○ الأخ صالح السيد حنفيش عبد الجواد - البحيرة - مصر :

لا نرى ضرورة تخصيص باب مستقل عن الشعراء، على الأقل في الوقت الحاضر، فنحن نتناولهم بالدراسة والنقد والتعريف وننشر نتاجهم بالصورة التي يألفها قراء المجلة الكرام.

وعموما هناك تطوير يتعلق بالمادة الشعرية المنشورة سيلحظه القارئ في الأعداد القادمة، ولكن ليس بالطريقة التي اقترحتها.

○ الأخت شافية موسى الصديق - الجزائر العاصمة :

بانتظار ما لديك للاطلاع عليه قبل إعطاء رأي نهائي حول إمكان نشره، سواء كإصدارات مستقلة أو بحوث في المجلة.

○ إلى (أحد القراء السوريين) - دمشق - سورية :

سعدنا بملاحظاتك وآرائك، ولكنك نسيت كتابة اسمك! ولعلك أقدر من غيرك على معرفة أن هذا الرد يخصك أم لا:

رأيك حول ما نشرناه في «دائرة المعارف» تحت عنوان «أعلام المفسرين» في محلّه، أما الاستطلاعات المصورة فنحن ننشرها دون التقيد بالأبواب التي ذكرتها، وأما قولك «يغلب على المجلة الطابع الأدبي البحت» فهو صحيح إلى حد ما، وإذا كنت تقصد أن نقلل من ذلك فغيرك يطالبنا بالعكس! وبالنسبة لصدور العدد ٢٠٠ بخلاف ما كنت تتوقعه فنظن أن ما كتبه رئيس التحرير حول هذه النقطة في «إطلالته» كان كافيا. ويبقى أخيرا ما ذكرته حول جوائز المسابقة، وهذا موضوع تكرر إيضاحه والرد عليه كثيرا في الأعداد السابقة، فيمكن الرجوع إليها لمعرفة رأي المجلة.

○ الأخ عبد الله وحيد عتر - حلب - سورية :

لا ننوي أن تكون في «الفيصل» «استراحة رياضية». ألا تظن معنا أن في الصحف العربية من المواد الرياضية ما يكفي ويشفي؟!

○ الأخ معيض درويش المنتشري - الظهران :

سنرسل إليك بعض الأعداد التي طلبتها، كما سيصلك إيضاح حول كيفية اقتناء المجلدات.

○ الأخ سعد الدين ختام - حلب - سورية :

ليست هناك شروط معينة للكتابة في «الفيصل»، لكننا نقترح عليك الاطلاع على «الملاحظات» المنشورة في الصفحة الثالثة من كل عدد، والموضوعات ترسل إلينا مباشرة بالبريد.

○ الأخ عادل بابكر عمر الحاج - الخرطوم - السودان :

رسالتك حولت إلى قسم الاشتراكات، وموضوعك محل

الاهتمام .

○ الأخ المنصف كريمي ـ تونس :

التأخر الذي حدث في التجاوب مع رسالتك الأولى سببه كثرة رسائل القراء التي تضطرنا إلى ذلك ؛ لأن الرد عليها والتجاوب «العملي» مع ما يمكن التجاوب معه من تلك الرسائل يتم بالترتيب حسب أسبقية ورود كل رسالة . عموما رسالتك الثانية أحيلت إلى القسم المختص ، ونأمل أن يكون قد تحقق ما طلبته مع نشر هذا الرد .

○ الأخ دحان ذبيح أبو بكر ـ أم البواقي ـ الجزائر :

المجلة تصدر في مطلع كل شهر هجري ، وهي للأسف لا توزع في الجزائر الشقيقة لأسباب خارجة عن إرادتنا . والطريقة الوحيدة حاليًا لمتابعتها بانتظام بالنسبة للقراء الجزائريين هو الاشتراك السنوي فيها .

○ الأخ نضال القاسم ـ المدينة السكنية بالفوسفات ـ الأردن :

سنعمل على زيادة النسخ المخصصة لمختلف مناطق الأردن الشقيق في أقرب فرصة ، والعددان المطلوبان في طريقهما إليك .

○ الأخ أحمد المكينسي ـ الرباط ـ المغرب :

شكرا على مشاعرك الكريمة وتمنياتك الطيبة للمجلة والعاملين فيها ، وجزاك الله خيرا .

○ الأخ فيصل علي المسلم ـ درعا ـ سورية :

قسم الاشتراكات والتوزيع سيرد على طلبك حول الأعداد التي انقطعت عن الأسواق السورية . وللعلم فالمجلة ليس فيها ركن للتعارف .

○ الإخوة : فلاحي إبراهيم ـ كلميم ، بوشيخي يوسف ـ وجدة ـ المغرب ، عبد الله ـ ليموج ـ فرنسا :

نعتذر من عدم إمكان التجاوب مع طلباتكم لكونها ليست من اختصاص المجلة ، مع الشكر على ثقتكم فيها .

○ الإخوة : علي كاظم الأعرجي ـ رفحاء ، خالد حمد كوش ـ حلب ـ سورية ، عمر محجوب موسى ـ الخرطوم ـ السودان :

المجلة لا تقدم اشتراكات مجانية ، ويؤسفنا عدم إمكان تلبية رغباتكم في هذا الصدد .

○ الإخوة : عبد الله أحمد اليوسف ـ الدمام ، تشيش حمد ـ فاس ، عبد اللطيف جلاب ـ سلطان ـ المغرب ، رفوي شكري ـ برج بوعريريج ، علي بن عيسى ـ البرواتية ، محمد دايرة ـ بسكرة ، السر محمد ـ بوسعادة ، محاوشي محفوظ ـ التلاغمة ، عبد الله بودراعة ـ تمنراست ، قاقا عبد الحليم ولحول بلقاسم ـ الجلفة ، زعباط عبد الخير ـ جيجل ، زهير لمطاعي ـ سطيف ، فري نور الدين ـ غرداية ، جمال بن المداني ـ المسيلة ـ الجزائر ، سيف الدين العمري ـ لاهور ـ باكستان ، محي الدين كوتي ـ كيرالا ـ الهند ، محمد أحمد نور ـ فارسا ، طيب عبده علي ـ جاريسا ـ كينيا :

سنعمل على تلبية طلباتكم في حدود الإمكانات المتاحة .

○ الإخوة : صابون محمد راشد ـ القاهرة ـ مصر ، الحبيب محمود مامي ـ جربة ـ تونس ، مسعود الكلميمي ـ تارودانت ـ المغرب :

الأعداد التي طلبتموها في طريقها إليكم .

○ الإخوة : صلاح أحمد الطنوبي ـ الرياض ، علي عبد الله الفياض ـ مدينة الشمال ـ قطر ، إدريس آيت داود ـ مراكش ـ المغرب ، أحمد وآمال عزوز ـ أولا خضير ، إسماعيل يوسف ـ بئر مراد رئيس ، مسعودي سفيان ـ تلمسان ، لحبيب بيقة ـ عين صالح ، بريك محمد الطاهر ـ ورقلة ـ الجزائر ، محمد شفيع حسن الأركاني ـ كراتشي ـ باكستان :

نعتذر منكم عن عدم إمكان إتاحة اشتراكات مجانية ، حيث إنها تفوق طاقة المجلة ولا تسمح بها إمكاناتها .

○ الإخوة والأخوات : أحمد صالح الشطيب ـ الجفر ـ الأحساء ، عمر بن عمار ـ معتمدية العامرة ـ تونس ، بداوي عبد الله ـ ميدلت ـ المغرب ، غراس أحمد بن محمد ـ أدرار ، دحان ذبيح أبو بكر ـ أم البواقي ، فدرور علي ـ برج بوعريريج ، مسعودة رزيق ـ بسكرة ، معيفي الأمين بن علي ـ تبسة ، رفيق لعماري ـ خنشلة ، مواطي مداني ـ غرداية ، نصار بويعقوب ـ مستغانم ، فلاح أحمد ابن عنترة ـ النعامة ، صولي محمد السعيد ـ نقرت ـ الجزائر :

طلباتكم سيتولى الرد عليها قسم الاشتراكات متضمنا المعلومات اللازمة .

مـزالق تـاريخيـة يجب الاحتراس منها



إن تناول الأحداث والوقائع بالتدوين، أو التحليل والتفسير، مما يحتاج إلى كثير تأمل وتدقيق من الباحثين والمتلقين؛ تحريًا للصدق - أو مقاربته - وسعيا إلى الوقوف على الحقائق - أو ما يدني منها - شأن الأمور الإنسانية التي يطلق عليها في العصر الحديث (**العلوم الإنسانية**)؛ لما تقوم عليه من توجيهات وتقديرات لما هو رهن الضمير أو العقل والعواطف، مما يوسع - في تناولها - ميادين البحث، ويعدد الآراء، ويبرز الاختلافات الحادة، بخلاف البحث في الماديات، من علوم رياضية، أو كيميائية، فإن البحث فيها محدد، يكاد لا يختلف فيها الباحثون إلا في إضافة من هنا، وفيما يجد من كشوف!

ولعل مما يؤكد ذلك ما قدمه **الأستاذ الدكتور زكريا سليمان بيومي** في مقاله «**خطورة الصياغة القومية الإقليمية للتاريخ**» الذي طالعتنا به مجلتنا الغراء «**الفيصل**» في **العدد ٢٠٣** الصادر في **جمادى الأولى سنة ١٤١٤ هـ**، والذي نبّه فيه الدكتور مشكورًا إلى تلك الخطورة، داعما مقاله ببعض الأمثلة التي تكشف عن خلل ذلك المنهج التأريخي، والتي تقرر ما نبه إليه من خطر على الأمة الإسلامية ووحدتها، مشيرًا إلى من وراء ذلك الخلل المنهجي من القيادات الاستعمارية الصليبية، وإلى ما وراءه من فكر وتدبير.

ويبدو أن شدة إيمان الأستاذ الدكتور بذلك الخلل - الذي نوافقه عليه من غير شك - دفعه إلى شيء من الحماسة التي دفعته إلى بعض الأحكام العاطفية فعمم الأحكام من غير توثيق، وأصدر بعض الأحكام من غير أناة.

الانتصار للغة صياغة إسلامية أم إقليمية؟

ذكر **الأستاذ الدكتور زكريا** أن انتقال الباحثين من إطار الثقافة الموسوعية إلى الثقافة التخصصية الضيقة كجزء من الصياغة الإقليمية القومية للدراسات الإنسانية، قد جاء بمردود مغاير في إطار بعض العلوم الإنسانية وبخاصة في أقطار الشعوب العربية الإسلامية.

ومثّل لذلك بصنيع **بطرس البستاني** في معجمه «**محيط المحيط**» الذي بُهر به الكثيرون من المتخصصين في فروع اللغة العربية، على الرغم من أنه قد رمى بعمله هذا إلى إثارة النعرة القومية العربية التي قصدت بها المحافل الماسونية تمزيق الإطار الإسلامي الموحد، الذي كانت تمثله الدولة العثمانية. ولم يبين الدكتور ما في هذا المعجم من مظاهر الإثارة والدعوة إلى النعرة القومية العربية، على ما تستوجبه الحيدة العلمية!

ولم يكتفِ الدكتور بذلك المثال، ولكنه عطف عليه شعر **محمود سامي البارودي**، معللا قصد **البارودي** إلى إثارة النعرة القومية العربية بعلتين - أو مظهرين - هما: التزامه وحدة القافية في شعره، وانتصاره للغة العربية الفصحى بعد أن بدأ العديد من محاولات الدعوة إلى العامية التي رأى فيها بعضهم وسيلة لإثارة الجماهير ضد النفوذ الأجنبي، واتساع نطاق الحركة الوطنية، متأثرين في ذلك بما لمسوه في أوربا من التمرد على اللاتينية لصالح اللهجات المحلية التي أصبحت لغات قومية!

هكذا، دفعت الحماسة الأستاذ الدكتور إلى أن يعيب على البارودي التزامه وحدة القافية في شعره، وانتصاره للغة العربية الفصحى، ليقرر بعد ذلك - في صراحة - أن البارودي بشعره هذا كان يخدم أهم أهداف المحافل الماسونية، وهو إثارة النعرة القومية العربية التي كانت ضرورية لفصم عرى الترابط الإسلامي.

وهكذا، دفعت الحماسة بالأستاذ الدكتور إلى أن يسوغ ذلك الربط الغريب بين انتصار الشاعر للغة العربية الفصحى وإثارة النعرة القومية العربية؛ لأن الشاعر انتمى إلى المحافل الماسونية التي تدعو إلى إثارة النعرة القومية العربية.

على الرغم من أن الدكتور يعلم أن للماسون مكرهم ودهاءهم في إغراء المفكرين والقادة بالانضمام إلى محافلهم، واستغلال ذلك في الإساءة إلى الكثيرين ممن ينضمون إليهم ثم ينفصلون عنهم عند وقوفهم على حقيقة الماسونية، وأنهم تارة يلجؤون إلى التصفية الجسدية، وتارة أخرى يلجؤون إلى التلويح بانضمامهم إلى المحفل الماسوني في وجوههم، ليشككوا بذلك في وطنيتهم وفي إيمانهم، كي يصرفوا الناس عن الإفادة منهم، فيقضون بذلك عليهم معنويًا وماديًا، مطمئنين إلى أنهم في الحالتين يحققون بعض ما يهدفون إليه، ماداموا لم يتمكنوا من تجنيدهم في إنفاذ مخططاتهم.

ومن هذا المنطلق - في التخطيط الماسوني - كان الماسونيون - ومازالوا - حريصين على أن يضموا إلى محافلهم كل من يتوسمون فيه الزعامة أو الريادة في مختلف ميادين الحياة، متوسلين إلى ذلك بشتى أساليب الإغراء.

وعلى فرض أننا تحققنا من انضمام **البارودي** إلى المحافل الماسونية، ولم نتثبت تاريخيا من انفصاله عنهم، لا نستطيع أن نسلم مع الأستاذ الدكتور بأن التزامه في شعره وحدة القافية، وانتصاره للغة العربية الفصحى دليل على قصده إلى إثارة النعرة القومية العربية، بحجة انتمائه الماسوني؛ لأن الرسول ﷺ وصحابته ومن تلاهم من مخلصي المسلمين كانوا ينتصرون للغة العربية الفصحى، كما هو معلوم.

لقد كان على الدكتور أن يقدم لنا من شعر **البارودي** ما يتضمن ميلا إلى قيمة واحدة أو فكرة تتعارض مع القيم الإسلامية، وتتجه بنا إلى النعرة القومية

المقابلة للوحدة الإسلامية، أو ما يُشتم منه رائحة النزوع القومي المقابل للوحدة الإسلامية؛ لنسلم معه بما قال.

ومما يؤكد اندفاع الدكتور وراء حماسته أنه كال بمكيالين متعارضين في وقت واحد، فنراه مع **عبد الله النديم** يجعل تأثره بالانتماء الماسوني هو الذي جعله يركز على العامية، بدلا من اللغة العربية الفصحى، حتى يجسد البعد القومي.

فالبارودي ـ في رأي الدكتور ـ بانتصاره للفصحى يجسد البعد القومي، مبتعدًا عن الإسلامية، والنديم بانتصاره للعامية يجسد البعد القومي كذلك. إذن ماذا كان يُرجَى من هذا ومن ذاك، حتى يكون وطنيا إسلاميا؟!

الانتماء الماسوني وراء بروز الزعامات؟

ويواصل الدكتور مساره على الطريق الانفعالي نفسه، فيضم إلى **البارودي والنديم** غيرهما من المفكرين العرب، مثل **عبد الرحمن الكواكبي، وشكيب أرسلان، وأحمد شوقي، وطه حسين**، فيدعو إلى إعادة النظر حولهم؛ لأن المحافل الماسونية أسهمت في إبرازهم كجزء من الحملة على التراث الإسلامي، والسعي لربط الشرق بالحضارة الأوربية، بعد أن يفقد الثقة في رصيده وقدرته الحضارية.

وإذا سلمنا للدكتور زكريا بذلك في شأن **طه حسين**؛ لأن آثاره التي تقرر ذلك أشهر من أن تغيب عن أحد، فضلا عن أنه لحق بالرفيق الأعلى، دون أن يعلن رجوعه عن شيء من هذا، ودون أن يصدر منه ما يفيد رجوعه؛ إذا سلمنا بذلك، فلا يمكن أن نسلم له به مع واحد من الثلاثة الآخرين، ويكفي أن نتصفح نتاج كل منهم لنتأكد من أنه لم يؤثر عن واحد منهم دعوته ـ ولا ميله ـ إلى الحملة على التراث الإسلامي، بل **إن أرسلان والكواكبي أفنيا عمرهما في الدعوة الصريحة إلى الوحدة الإسلامية، ولقد ظل شكيب أرسلان طوال حياته يجاهد بالكلمة وبالسلاح في سبيل الوحدة الإسلامية.**

أما شوقي فيبدو أن الدكتور تأثر في حكمه عليه بما أثر عنه من شعر يرحب فيه بثورة مصطفى كمال (أتاتورك). ولو أمعن الدكتور نظره في هذا الشعر لوجد **أن أحمد شوقي** ما ناصر أتاتورك القومي ولا العلماني، ولكنه ناصر أتاتورك الثائر الإسلامي على ضعف الخلفاء العثمانيين، بقصد تخليص الأمة منهم، حتى يرد للدولة الإسلامية هيبتها بعد أن تمرد عليها جيرانها من الروس والأوربيين. ويكفي أن تعيد النظر إلى شعره لتجده يرى في مصطفى كمال خالد الترك الذي نهض ليجدد خالد العرب، والذي حذا حذو صلاح الدين، ولتجده يرى أن مصطفى كمال قام ليخرج الناس من الذل والفشل، فتلفت البيت الحرام له، وهشت له الروضة المشرفة، ونهضت الممالك الإسلامية المختلفة فرحة به:

الله أكبر، كم في الفتح من عجب! ... يا خالد الترك، جدد خالد العرب
حذوت حرب الصلاحيين في زمن ... فيه القتال بلا شرع ولا أدب
أخرجت للناس من ذل، ومن فشل ... شعبا وراء العوالي غير منشعب
لما أتيت ببدر من مطالعها ... تلفت البيت في الأستار والحجب
وهشت الروضة الفيحاء ضاحكة ... إلى المنورة المسكية الترب
وأرج الفتح أرجاء الحجاز، وكم ... قضى الليالي لم ينعم، ولم يطب
وازينت أمهات الشرق، واستبقت ... مهارج الفتح في الموشية القشب

ومع أن **أحمد شوقي** في تهانيه ــ كما رأينا ــ كان إسلاميا، نرى أنه حين كُشفت له حقيقة أتاتورك نهض هو وكثير من شعراء العربية يبكون دولة الإسلام التي قضى عليها هذا الثائر الضال المضلل، فكانت قصيدة **شوقي** الحائية التي رثى فيها الخلافة، وتألم لمصابها الفاجع، مطالبا زعماء المسلمين أن يتوجهوا إلى مصطفى كمال بالنصح، لعله يرعوي ويعود إلى الحظيرة، وذلك قوله[٣]:

عادت أغاني العرس رجع نواح ... ونعيت بين معالم الأفراح
كنت في ليل الزفاف بثوبه ... ودفنت عند تبلج الإصباح
شيعت من هلع بعبرة ضاحك ... في كل ناحية، وسكرة صاح
ضجت عليك مآذن، ومنابر ... وبكت عليك ممالك ونواح

أما أن يخدع إنسان في مذهب أو شخص فيميل إليه، أو ينتمي له، فهذا لا يعني مطلقا أنه استمر على ذلك، ولم ينخلع منه حين رأى حقيقته، فكثيرون بيننا اليوم تقلبوا بين مختلف التيارات والمذاهب، ثم استقروا في النهاية على ما اطمأنوا إليه، وفي مقدمة هؤلاء ـ على سبيل المثال ـ الأستاذ الشهيد **سيد قطب**، الذي تنقل في مبتدأ حياته بين المذاهب الفكرية والسياسية المختلفة، ثم كان بعد أن محصته التجارب هذا الداعية الإسلامي. وها هو ذا **الدكتور مصطفى محمود، والأستاذ فهمي هويدي، والأستاذ جلال كشك، والدكتور محمد عمارة**، وغيرهم كثيرون، عادوا إلى حظيرة الإسلام بعد أن خلبت عقولهم وأنظارهم الماركسية وغيرها من المذاهب الحديثة. وكلما ضاق بواحد منهم من أصر على ماركسيته تقمص الدور التاريخي ليذكرنا بما كان عليه في ماضيه، بغية أن نرفض كتاباته الإسلامية بعد أن تاب وأناب!

وبعد، ألا ترى أن هذا الحكم القاضي، القائم على الأخذ بالشبهة، والمحاسبة على ما كان في بعض مراحل الحياة قد يكون فيه ظلم وجور على هؤلاء؟ كما قد يكون فيه ـ ما هو أخطر من ذلك ـ تشكيك الأجيال الناهضة في كلّ ـ أو جلّ ـ قياداتنا وزعمائنا، كي يستولي عليهم الفراغ المهلك، فلا يجدون مفرًا من الاستسلام للقيادات الماسونية، أو للوقوف جامدين في سلبية محيرة؟! وهذا وذاك من أهم ما تسعى إليه المحافل الماسونية، وأندية الروتاري وغيرهما مما تفرضه التوجهات الصهيونية تحت مختلف اللافتات.

من هنا يجب أن يكون تحرك دعاة الفكر الإسلامي المستنير لصياغة منهج علمي قويم لإبراز الحقيقة، وتحديد المعالم المتطورة لهوية شعوب المنطقة، المستمدة من تراثها القيمي، لتكون نقطة الانطلاق الصحيحة للحاق بالركب الحضاري المعاصر، والتفاعل معه.

د. إبراهيم محمد إسماعيل عوضين
المنصورة ـ مصر

المسرح العربي والتاريخ



طالعت العدد ٢٠١ من مجلتنا الغراء «**الفيصل**»، لشهر **ربيع الأول ١٤١٤ هـ ـ أغسطس/ سبتمبر ١٩٩٣ م**، واستمتعت بكل ما فيه، غير أن هناك دراسة في العدد أثارتني (. . .) وهي بعنوان «**المسرح العربي والتاريخ : دراسة في العلاقات الفنية**». لم يتعرض الكاتب (**الأستاذ كمال سعد خليفة**) للمسرح العربي إطلاقا ولا للتاريخ، ولم يأت بأمثلة تعضد ما ذهب إليه (. . .). وحتى لا يختلط الأمر على القارئ وإحقاقا للحق كان هذا التعقيب.

هل كان للعرب مسرح ذو شكل متميز يمكن الرجوع إليه ونبذ القوالب الأجنبية؟ من الضروري البحث عن مسرح عربي الشكل والمضمون، شرط أن نرفض تلك الأعمال الرديئة التي تجد في قضية الشكل العربي جواز مرور يمكنها من ستر ضعفها إلى حين. لقد درس كثير من الباحثين الأجانب والعرب أمر المسرح العربي، فلم يعثر له على أثر يذكر، وإن كانت الظاهرة المسرحية في التراث العربي لا تنكر.

يجدد شكلاً عربيًا يتشيع فيه لدعوته، ولن يكون هذا الاحتفالي مسرحًا عربيًا لاحتفاليته؛ لأن المسارح الغربية والأمريكية سبق أن دعت لذلك ومارسته على الـ«The Living Theatre». ومسرح الحكواتي الذي تدور فكرته على أساس البحث عن قصة أو حكاية شعبية من التراث أو التاريخ لم يكن غريبًا على الغرب، فقد سَبَقَنا في ذلك المنهج البريختي التقريبي الذي يعمد إلى كسر الإيهام ومشاركة المتلقي، واستفدنا منه بعدما عُرضت مسرحيته «الاستثناء والقاعدة» على معظم مسارح الدول العربية.

لا يهمنا سبق غيرنا، المهم تأصيله، فكم من العلوم سَبَقَنا غيرنا فيها وبعد قليل أبدعنا فيها وصححنا أخطاء غيرنا، ولكن العرب لأسباب ـ ليس هذا التعقيب مجالها ـ لم يأخذوا عن اليونان مسرحهم ولم يطوروه بما يلائمهم كما فعلوا بالفلسفة اليونانية.

ولا ينبغي أن نصر ونجعل من الظواهر المسرحية التراثية شكلاً لمسرحنا،

من قضايا المسرح

«المسرح العربي والتاريخ»

دراسة في العلاقات الفنية

كمال سعد خليفة

يُعدُّ المسرح من الفنون ذات الحضور الطاغي في العصر الحديث؛ لما لهذا الفن الإبداعي أدوات فنية تعمل على جذب الذوات المتلقية، « فتملأ نفوسهم بالسعادة والنشوة، كما

ويتجهون نحو مسارهم الحضاري

استلهام التاريخ
ليس هروبا من الواقع

الاتكاء على التاريخ في كتابة المسرحية ليس هروبا من الواقع الذي نعيشه، أو انزواء وراء ماض نتباكى عند أطلاله ورسومه. فالتاريخ هو الواقع، وما الواقع الذي نعيشه إلا امتدادٌ لهذا التاريخ
إسقاطٌ على الواقع، أو اتخاذه رمزًا للتعـ
التعبير المباشر، أو إعادةٌ للوعـ

لقد نادى **يوسف إدريس** باتخاذ «السامر» مسرحًا مصريًا، وكتب «**الفرافير**» التي تأثرت كثيرًا بمسرح العبث واللامعقول وبمسرحية «**في انتظار جودو**» لبيكيت. واعتبر **توفيق الحكيم أن «السامر» شكل غير أصيل في كتابه «قالبنا المسرحي» وأصاب في ذلك لأن «السامر» جاء مصر بعد الحملة الفرنسية، ونادى الحكيم بشكل مسرحي عربي يقوم على الحاكي ومقلد ومقلدة، وهذا أيضا غير مناسب، إذ إن توفيق الحكيم** نفسه لم يكتب نصًا عربيًا ضمن هذا القالب الذي ذهب إليه.

ودعا **عبد الكريم برشيد** إلى مسرح عربي يقوم على الظاهرة الاحتفالية، ولم

فهذا يسيء إلى التراث وإلى المسرح معًا، والقالب المسرحي المتداول لدينا عالميًا محصلة جهود طويلة، واستخدامه لا يضير المسرح العربي إذا أحسن استخدامه واستغلاله والسيطرة عليه.

أليس من الخطأ الإصرار على البحث عن مسرح عربي جديد من مسرح عربي قديم وُجِدَ وهمًا ولم يوجد أصلاً؟ إن العربية في المسرح هي روح تملأ المسرحية بهجة وحيوية، ومن أجل ذلك **لابد للمسرح أن يتخطى مرحلة التجريب. ومازال البحث عن صيغة مميزة للمسرح العربي هو الشغل الشاغل لمعظم المسرحين العرب**.

بين المسرح والتاريخ تراث

في العلاقة بين المسرح والتاريخ، ناقض الأستاذ كمال نفسه إذ يقول: «الفنان المسرحي عندما يلجأ إلى التاريخ في إبداعه الفني لا يسرد لنا الأحداث كما حدثت في الواقع التاريخي لنعرف سيره. . . »، ثم يقول: «المبدع عندما يتعامل مع التاريخ باعتباره خامة علمية «مضمونا» لعمله الأدبي يجب ألا يعمد إلى لي عنق الحقيقة التاريخية. . . فإن ذلك يعد تزييفًا للتاريخ. . . »!

لا أدري عن أي نوع من المسرحيات يتحدث، إذ لم يذكر مثالاً واحدًا لذلك، لعله شاهد «**الملك لير**» لبيتر بروك، ما رأيه فيما فعله، أمعهُ أم عليه؟

إن مسرح الإسقاط السياسي يلجأ إلى قناع من التاريخ، وهو لا يهتم ببعث الماضي ولا بتمجيده، فكتب التاريخ أكثر صدقًا ودقة، لكنه يحاكم الماضي في ضوء مفهوم معاصر نعايشه ويتعامل الكاتب بحرية من خلال التداخل والافتراق.

والمسرح التسجيلي موجود لدينا، وإن كنا نتبع أسلوب بيتر **فايس** ونأخذ موضوعاته من واقعنا العربي كطرح أطروحة تاريخية حقيقية ثم تحميلها مفهومًا سياسيًا، كما فعلتُ في «**الوزير الخالد، ابن بقية**» و«**موال البنادق**» لعبد الكريم برشيد، وهناك نوع آخر لتسجيل حدث مع أنها ليست أعمالاً مسرحية تسجيلية مثل «**نداء الأرض**» بمناسبة يوم الأرض الفلسطيني.

لقد استفاد المسرح من منهج التداخل والمباعدة والإغراب نحو المسرح الملحمي والتعليمي والتسجيلي مثل «**حفلة سمر من أجل ٥ حزيران**» لسعد الله ونوس، و «**وطني عكَّا، والحسين ثائرًا وشهيدًا**» للشرقاوي، و«**المهرج**» للماغوط، ومثل تجارب مسرح الشوك مسرحيات إسقاط سياسي، ويمكن اعتبار المسرحية تحريضية ملحمية في آن واحد، الأمر الذي يدعونا إلى القول بأن هذه التقسيمات قد تكون تعسفية إلى حد ما، وإن كنا نحتكم إلى الجانب الغالب في النص المسرحي.

والتراث العربي كنز لا ينضب، قادر على إمداد الكتّاب بالموضوعات والأفكار والشخصيات، فكثيرًا ما نجد فيه سبقًا لأمور كثيرة تعد من القضايا المعاصرة دون أن نمسرح فيه ما لم يكن ممسرحًا. واستخدام القالب العالمي لا يحول دون فنية العمل المسرحي، فالتراث وحده لا يكفي لجعل العمل ذا قيمة فنية، فالحاجة ماسة إلى النظر لشكسبير، فكل ما هو جدير بالاهتمام عند **بريخت وبيكيت وأرتو** موجود في شكسبير، ليس المنهج الشكسبيري هو ما يثير اهتمامنا، لكنه الطموح الشكسبيري.

ولا جدوى من انتزاع شرائح من القيم الشكسبيرية ثم استخدامها، **إن ما نطمع فيه هو مسرح عربي ملتزم تحتويه الفنية ويحتويها، ولا يسقط في الدعائية، يقترب من الواقعية من أجل التواصل، وليس ذلك بالعسير على العقل العربي الذي أثبت فاعليته وقدرته في ميادين كثيرة بجدارة.**

عبد الرحمن أبو المجد

الدومارية - إدفو - مصر

بين الطب والأدب



طالعت بشغف العدد ١٩٧ من «الفيصل» - ذو القعدة ١٤١٣هـ مايو ١٩٩٣م - وقد لفت انتباهي وأثار شجوني مقال «**الأدب والعلاقة التكاملية بين المعارف**». وبعد أن انتهيت من قراءة المقال وجدتني مندفعاً لأن أخط تعليقا حول فقرة بعنوان «بين الأديب والطبيب» لما أثارته من شجون.

من المأثور عن بعض الروائيين أنهم يراجعون ملفات الشرطة أو يبحثون داخل المجتمع، وذلك لينتفعوا من بعض الأحداث التي تتراكم فيهما ويوظفوها كمادة قصصية حافلة، بحيث يكون العمل واقعيا، بيد أن الطبيب ليس بحاجة إلى مراجعة هذه الملفات واستلهامها أو الاقتباس منها؛ لأن بين يديه ملفات إنسانية تختلج وتتألم، تبوح وتصرح، تتعرى جسديا وروحيا أمام هذا الطبيب، وهذا حظ الطبيب الأديب.

يقول الطبيب الأديب **أنطون تشيكوف**: «إن الطب هو روجتي الشرعية والأدب هو عشيقتي، وعندما تسأمني إحداهما أذهب لتمضية الليل لدى الأخرى». ويقول أيضا عن دراساته الطبية: «إنها وَسَّعَتْ على نحو كبير حقل ملاحظاتي وأغنتني بالمعارف التي لها قيمة بالنسبة إليّ ككاتب، ولا يتيسر إدراك هذه القيمة إلا لكاتب هو نفسه طبيب».

ويقول **سومرست موم** في كتابه «**تلخيص حياتي**»: «لست أعرف مراناً للكاتب أفضل من أن يقضي بضع سنوات في مهنة الطب، إنك قد تعرف الكثير عن الطبيعة الإنسانية في مكتب المحامي، لكنك تلتقي هناك بأناس كاملي السيطرة على أنفسهم، أما الطبيب فيستطيع أن يدرس طبيعة الإنسان عارية مجردة. إذ إن المرض يزيل كل تظاهر وكل تكلف. وإلى جانب ما أمدني به تعلم الطب من معرفة بطبيعة الإنسان، فإنه زودني بالمعرفة بأصول العلم وأسلوب البحث في ميدانه».

وهكذا يتحدث **جورج ديهاميل** عن ازدواجية الطب والأدب وأيهما يفضل، يقول: «صحيح أنني بذلت جل حياتي في تأليف ما يقرب من ثمانين كتاباً والناس جميعا يعتبرونني أديباً، إلا أن الطب هو الذي نما في ظله شبابي وهو الذي فتح عيني على الدنيا، إن «أبو قراط» هو أستاذي وسأظل أعتبره كذلك وأحييه على هذا الأساس إلى أن ألفظ النفس الأخير».

وفي النهاية، لا يمكن أن أغفل ذكر **أمحوتب**، إله الطب عند المصريين القدماء، الذي كان في الوقت نفسه كاهناً ووزيرا ومهندساً وأديبا وموسيقياً، وقد عاش في القرن الثلاثين قبل الميلاد.

صلاح عبد الستار محمد الشهاوي

كفر الشيخ - مصر

احفظ أربعًا

قال علي بن أبي طالب يوصي ابنه الحسن رضي الله عنهما : يا بني احفظ عني أربعًا ، لا يضرك ما عملت معهن : أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، والحسب حسن الخلق .

أعلى نبتة في العالم

تعد النبتة المعروفة باسم «النبتة الوسادة» أعلى نبتة في العالم حيث تنمو فوق قمة جبال الهملايا على ارتفاع يزيد عن ٢٠ ألف قدم!

راحة... وقلة

قال بعض الحكماء :

راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام ، وراحة النفس في قلة الآثام ، وراحة اللسان في قلة الكلام .

لهذا ساد قومه

قال رجل للأحنف بن قيس : بم سوّدك قومك ، وما أنت بأشرفهم بيتًا ، ولا بأصبحهم وجهًا ، ولا بأحسنهم خلقًا؟! قال : بخلاف ما فيك يا ابن أخي! قال : وما ذاك؟ رد الأحنف : بتركي من أمرك ما لا يعنيني ، كما عناك من أمري ما لا يعنيك!

من عجائب الخلق

في جسم الغزال أمكنة أخرى للتنفس غير المنخرين ، وقد أمده الله بها حتى لا يجهد تنفسه إذا أركن للفرار من مطارديه .

ويأتيك بالأمثال

كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الأدِيمُ

يضرب للأمر الذي قد انتهى فساده . وذلك أنَّ الجلد إذا حَلِمَ فليس بعده إصلاح .

وهذا المثل يُروى عن الوليد بن عُتبة أنه كتب إلى معاوية :

فإنك والكتاب إلى عليٍّ ... كدابغة وقد حلم الأديم

وقال المفضَّل : إن المثل لخالد بن معاوية أحد بني عبد شمس بن سعد حيث قال :

قد عَلِمتْ أحسابنا تميمُ ... في الحرب حين حلم الأديمُ

الحسنة والسيئة

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن للحسنة ضياء في الوجه ، ونورا في القلب ، وقوة في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق . وإن للسيئة سوادًا في الوجه ، وظلمة في القلب ، ووهنًا في البدن ، ونقصًا في الرزق ، وبغضة في قلوب الخلق .



سوق الحراج والجامع الكبير بمدينة الرياض والأسواق والمحلات المحيطة به ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩ م

الإخوان ثلاثة

قيل : الإخوان ثلاثة : مخالب ، ومحاسب ، ومراغب . فالمخالب الذي ينال من معروفك ولا يكافئك ، والمحاسب الذي يقبلك بقدر ما يصيب منك ، والمراغب الذي يرغب في مواصلتك دون طمع .

فكري أباظة يصف نفسه

كتب الصحافي الراحل فكري أباظة يصف نفسه : متكور الوجه ، أضيق العينين في ضيق محاجر ، مقرون الحاجبين ، لو رأيته مع إخوته لحسبته بعض تلك النباتات التي تخرج وحدها لم يتعهدها منجل البستاني بالتسوية والتهذيب .

خمس خصال

قال ابن المقفع : من تزود بخمس خلال آنسته في كل غربة ، وقرّبن له البعيد ، وأكسبنه المعاش والإخوان : كف الأذى ، وحسن الأدب ، ومجانبة الريب ، وكرم الخلق ، والنبل في العمل .

يطالع في الروح

مرض الأديب المصري الراحل حفني ناصف يوما مرضا شديدا ، فمنعه الطبيب من القراءة وسائر الأعمال الفكرية ؛ حتى لا يرهق ، وحين جاء لعيادته بعد يومين فوجئ به يطالع كتاب جوستاف لوبون «روح الاجتماع» ، فغضب الطبيب ، وقال له : ألم أنهك عن القراءة؟ قال ناصف : لا تغضب يا أخي ، فقد كنت أطالع في الروح .

حكمــــة

إذا المرء أعيتـــه المروءة يـــافعًـا
فمطلبهـــا كهـــلاً عليــه ثقيـل

معارضة شعرية

«شـــوقـي» يقـــول ومـــا درى بمصيبتي
«قـم للمعلـم وفِّـــه التبجيــــلا»
اقعـــد فـــديتك هـل يكـــون مبجـــلا
من كـــان للنشء الجـــديـــد خليـــلا ؟!

ابراهيم طوقان

إذا

إذا جهلت فاسأل.
وإذا أسأت فاندم.
وإذا ندمت فاقلع.
وإذا تفضلت على أحد فاكتم.
وإذا منعت فأجمل.

شــيء بــشيء

لا خير في القول إلا مع العمل، ولا في الفقه إلا مع الورع، ولا في الصدقة إلا مع النية، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصداقة إلا مع الوفاء، ولا في الحياة إلا مع السرور.

رجل شؤم

قال الأصمعي: حدثني أبي قال: أُتي عبد الملك بن مروان برجل مع بعض مَنْ خرج عليه، فقال: اضربوا عنقه. قال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا جزائي منك. قال: وما جزاؤك؟ قال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالتطير لك، وذلك أنني رجل مشؤوم ما كنت مع رجل قط إلا غُلب وهُزم، وقد بان لك صحة ما ادّعيت به، وكنت عليك خيرا لك من مئة ألف معك. فضحك عبد الملك وأخلى سبيله.

خرج ولم يعد !

قال رجل يومًا مفاخرًا ابن شبرمة: من عندنا خرج العلم. قال ابن شبرمة: نعم، لكنه لم يعد إليكم مرةأخرى!

«كـــام هير»

يُروىٰ أن أحدهم رغب في تعلم اللغة الإنجليزية، فذهب إلى إحدى المدارس وأمضى فيها ستة أيام، وعاد ليبشر أصحابه بأنه تعلم الإنجليزية. فقال له أحدهم: كيف تعلمتها وأنت لم تقضِ أكثر من ستة أيام في المدرسة؟ أجاب: هذا ذكاء! قال: اخبرني إذًا كيف تقول لي بالإنجليزية تعال إلى هنا؟ رد الأول: «كام هير»، قال: وإذا أردت أن تقول لي اخرج؟ قال: أخرج أنا من الغرفة وأقول لك «كام هير»!

فتّش في نيويورك!



ما دام القاتل مجهولاً فهاك أحد العرب، من أي بلاد العروبة الشاسعة وسرعان ما يتم القبض عليه ويُودع في أحد سجون نيويورك. إنه فيما عدا سرحان بشارة سرحان، نجد قضايا القتل تتلبس بالضحايا العرب، ويتحول الضحية المسكين إلى إرهابي مجرم أثيم أمام الرأي العام المستلقي.

وأجمل الصيد أن يكون عربيًا مسلمًا. ويا سلام إذا كان إمام مسجد! فذلك يتيح المجال لضحايا جدد يدخلون السجون مع المجرمين القتلة ومروجي المخدرات.

ويكفي اتهام كهذا لكي يصبح كل من صلّى وراءه - ولو مرة عابرة واحدة - عرضة لتهمة العلاقة مع ذلك الذي صلى إمامًا مستقبلاً مكة المكرمة ومستدبرًا صفوف المصلين الذين لا يعرف معظمهم. فما بالك إذا كان أعمى؟

حسنًا. هذا هو متهم ما أمام القضاء، وعلى القضاء أن يقول كلمته. لكن ذلك لا يحدث إلا بعد أن تتحرك السلطة الرابعة، فتقول كلماتها غير المقدسة التي يشوبها من المبالغة والتدليس وإصدار الأحكام، بحيث لا يتاح للقضاء أن يقول كلمته بعيدًا عن تأثير هذه السلطة الصحفية التلفزيونية الفضائية الدَّشيَّة، التي تشوّه البريء، وتعذب المتهم أيما تعذيب.

لكن هذه السلطة الرابعة تقوم بدور مريب آخر.

هو إنه إذا كان المتهم يهوديًا فإن التحقيقات تأخذ منحى متعاطفًا معه، وتصبح السلطة القضائية هدف التأثير والتشهير. أما المتهم فإن له مبررات نفسية وتاريخية وتربوية ومثالية عندما ارتكب ما ارتكب، حتى إن بولارد الجاسوس الأمريكي الشهير الذي تجسس لصالح إسرائيل وحكمت المحكمة بجريمته، يتلقى الآن حملات الشفقة والرأفة بلا حساب من قبل السلطة الرابعة هناك؛ بهدف إطلاق سراحه.

ودور مريب ثالث، فقد ارتكب عدَّة يهود مجزرة الحرم الإبراهيمي، وفجأة تظهر من سباتها قضية تفجير نائمة منذ عام في نيويورك، ويحكم القاضي على عرب بالإدانة، وتبدأ السلطة الرابعة في التهام «علف» مناسب يغطي على جريمة يهودية حاضرة ماثلة تنزف دمًا أمام الشاشات والدشّات.

إنه إعلام شرير، ماكر، دنيء، قميء، يعتمد على الزور وينشر الزور وللأسف فإنه يتمدد خارج حدوده ويعطي الصلاحيات الواسعة لنفسه، بما لديه من مؤهلات عالية، كما شرحنا بعاليه للتنويه والتنبيه!

ختام:

أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتسويد وجوه المزورين وإركابهم على دابة بالمقلوب. تُرى، ما العقاب المناسب للمزورين في عصرنا؟

محمد علي الجفري

المجموعة الشعرية الكاملة لمحمد عبد القادر فقيه



مجموعة شعرية تضم ديوانَي الشاعر محمد عبد القادر فقيه «أطياف من الماضي»، «صور وظلال». تدور أغراضها بين الوطنية والوجدانية والدعوة إلى الحق والعدل والسلام، كما تضمنت قصائد إخوانية تبادلها الشاعر مع أقرانه، وذيّل للمجموعة عدد من الشعراء والأدباء العرب البارزين.

المجموعة صدرت هذا العام في طبعتها الأولى، في ٩٣٥ صفحة من القطع الصغير.

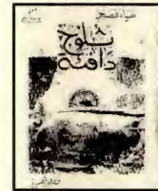
أحكام الأجل في الفقه الإسلامي



بحث نال به الدكتور محمد بن راشد العثمان درجة الدكتوراه، يتناول علاقة الشريعة الإسلامية بعامل الوقت «الأجل» وسبقها بوضع الأسس والقواعد الدقيقة التي تحدد أوقات العبادة وربطها بالعلاقات الكونية الظاهرة، مستمدًا أهمية الأجل من حاجة الإنسان إلى التعامل معه بوحدات القياس القديمة أو الحديثة على مرِّ الأزمان، ويناقش ضمن ذلك أقسام الأجل القائمة على اعتبارات مختلفة مبينًا خصائص وجزئيات كل قسم مقابل أحكام سقوط الأجل وتفرعات أحكامه كتأكيد لما تتسم به الشريعة الإسلامية من اليسر وعدم المشقة.

صدر الكتاب هذا العام في مجلد من ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير.

ثلوج دافئة



مجموعة قصصية للقاصة السورية ضياء قصبجي، تحكي مواقف متباينة تتراوح بين الوطنية والوجدانية الذاتية كما في قصة «زيارة ودية» وقصة «شروخ الخيمة». وفي قصة «ظلال الخريف» تتناول الكاتبة مواقف إنسانية، حيث تعمد مقيمة في إحدى البنايات المكتظة إلى تَرَقُّب كهل يقطن العمارة نفسها في رواحه وغدوه وانضباطه الدقيق في ذلك، حتى افتقدته ولم تعد تراه، فتهيأت لزيارته فإذا به يلفظ أنفاسه وحيدًا فبادرت لإسعافه، إلا أنه ما لبث أن فارق الحياة، مما أصابها بالذهول والخوف من أن تتهم بسرقة ممتلكاته التي يحرص عليها ورثته أكثر من أي شئ آخر.

والمجموعة هي الإصدار السابع للقاصة، حيث سبق أن أصدرت خمس مجموعات قصصية ورواية بين عامي ١٩٧٢ و١٩٨٥ م، وقد صدرت هذه المجموعة ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٩١ م، في ١٣٣ صفحة من القطع المتوسط.

أشواك



خماسيات شعرية للشاعر المهجري زكي قنصل، تضم مائتين وخمس عشرة خماسية يغلب عليها طابع الحكمة وتتخللها لمحات من النقد لبعض الاتجاهات والتيارات التي لا تتفق وفكر الشاعر، كما تناول أغراضًا إخوانية ووطنية وأخرى تنفث أشجان الغربة وتعدد أنّاتها.

المجموعة الشعرية صدرت هذا العام ضمن السلسلة الشعرية لدار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض، في ٢٢٣ صفحة من القطع الصغير.

سلوة المصلين



كتاب للشيخ محمد أولى الأنصاري، يتناول الصلاة ومكانتها في الإسلام وإعلاء منزلتها بين العبادات، حيث جُعلت الفرق بين الكفر والإسلام. يتضمن الكتاب الأحكام المتعلقة بالصلاة وما يتفرع منها من عبادات، وصفة كل عبادة وما ورد فيها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآراء الأئمةوالفقهاء.

والكتاب من إصدار مطابع دار طيبة للنشر بالرياض عام ١٤١٣ هـ، في ١٦٧ صفحة من القطع المتوسط.

عندما يرتجف الضوء



خواطر وآراء للكاتب عمرو ابن عبد العزيز الماضي، تناقش هموم الإنسان وانطباعاته، فيتحدث عمن يتشدقون بأحوال الآخرين من وراء أقنعة زائفة لا تدوم حتى تنقشع عن الوجه الحقيقي، وفي طرف آخر يحث على دماثة الخلق وكيف أنها تكسب صاحبها مودة الآخرين واحترامهم، على نقيض التجهم الذي يولِّد الحواجز والنفور دون أن يلبي المأمول منه من هيبة ووقار، كما تناول الكاتب مشاهد وصورًا اجتماعية تستدعي التأمل والاعتبار.

الكتاب من إصدار مطابع مرامر

بالرياض هذا العام، في ١٦٧ صفحة من القطع المتوسط .

أسباب ورود الحديث



بحث من إعداد الدكتور محمد رأفت سعيد، يتناول كيفية التلقي من الينابيع الأولى في الكتاب والسنة، ويحدد الضوابط للحيلولة دون المجازفات والجنوح الفكري من خلال تقويم أسس التعامل في الحديث النبوي، مفصلاً ضمن ذلك أسباب ورود الحديث وارتباطه بسبب النزول في ضوء النظرة المتباينة لكل من الأئمة السيوطي والبلقيني والدمشقي .

صدر الكتاب هذا العام ضمن سلسلة «كتاب الأمة» التي تنشرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، في ١٥٨ صفحة من القطع الصغير.

الحلم يسقط في اليقظة



مجموعة قصصية للقاص العراقي المهاجر رحيم كريم، يصوغها بحرقة الحنين إلى الوطن ومرارة المنفى في الشمال الأوربي . وتدور المجموعة حول شخصية واحدة، تتسم بالهدوء والتأمل، وتواجه مختلف المتاعب والعقبات . والمجموعة تضم ثلاث عشرة قصة، وهي الإصدار الثالث للقاص، حيث أصدر مجموعته الأولى «النيران الأزلية» عام ١٩٨٢ م، و«ليلة العراء» عام ١٩٩٠ م . صدرت هذه المجموعة عن مركز الإنماء الحضاري للدراسة والنشر بسورية لعام ١٩٩٣ م في ١٣٥ صفحة من القطع المتوسط .

الخوف الاجتماعي «الخجل»



دراسة علمية للاضطراب النفسي من إعداد الدكتور حسان المالح، تتناول الشخصية الاجتنابية الهروبية، والمضاعفات المرافقة للخوف الاجتماعي، والأسباب المؤدية إليه، وعلاجه بالأساليب المتعددة من خلال تعريف الحالة بأمثلة عملية وتشخيصها نفسيًا، مما يعتمد على تفاعل المريض وجهوده في إنهاء اضطراباته . وألحق المؤلف بالكتاب نماذج تضم اختبارات نفسية، وملخصات للبرامج العلاجية .

الكتاب صدر عن دار المنارة للنشر بجدة هذا العام في ٢١١ صفحة من القطع المتوسط .

الاجتماعات كيف نجعلها ناجحة؟



كتاب من تأليف مالكوم بيل، ترجمة مشيرة محمود ومراجعة يوسف القبلان . يقدم الكتاب أفكارًا عملية وتطبيقية لتغطية جوانب الاجتماعات من خلال تجسيد الأدوار الأساسية المشاركة، وتحديد أساسيات الاجتماع التي يحددها بالتخطيط المسبق وتوافر الوسائل المكتبية، وانضباط سلوكيات المشاركين . كما يناقش الكتاب ضمن ذلك أنواع الاجتماعات المختلفة «القانونية، المؤتمرات، الخاصة»، ويقدم إطارًا للتفكير وتوجيهات حول كل عنصر من عناصر الإطار.

صدر الكتاب في ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط عن مطابع أطلس للأوفست بالرياض .

اليهود في القرآن والسنة



يتناول فيه الدكتور محمد أديب الصالح قضايا صرّح بها الإسلام من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تدعو للحفاظ على وجود المسلمين المتميز ووحدتهم وتكاتفهم بعيدًا عن التقليد الأعمى للأمم الأخرى وبخاصة «اليهود» الذين هلكوا باختلافهم وفرقتهم، مستدلاً بآيات الذكر الحكيم وما ورد في تفسيرها، وما روي عن السنة المطهرة، وآثار السلف الصالح رضوان الله عليهم في تبيان ما يصبو إليه اليهود بخبيثهم ومكابرتهم، وما كان منهم في محاولة تحريف كلام الله وتبديله حتى قست قلوبهم وطردهم الله جل وعلا من رحمته .

الكتاب من إصدار الهدى للنشر والتوزيع، ويقع في ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط .

الانحدار



مجموعة قصصية للقاص محمدمنصور الشقحاء، من إصدار نادي الطائف الأدبي عام ١٤١٣ هـ. تضم المجموعة اثنتي عشرة قصة قصيرة تغلب عليها الروح الاجتماعية، مثل «الصلاحية»، وقصصًا حماسية مثل «القطار» وأخرى عاطفية مثل «العشاء» و«الصيد، النهر». تتميز المجموعة بالقصر البالغ لبعض قصصها التي كتبت بين عامي ١٤٠٣ و١٤١١ هـ. يقع الكتاب في ٧١ صفحة من القطع المتوسط .

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً) .

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا) .

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا) .

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص . ب . ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

○ أجوبة مسابقة العدد (٢٠٦) ○

ج ١ : يرخص التخلف عن صلاة الجماعة عند حدوث حالة من الحالات الآتية :

أ ـ البرد والمطر : لورود الأحاديث في ذلك . ومنها : ما رواه الشيخان عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه كان يأمر المنادي بالصلاة، فينادي : «صلّوا في رحالكم في الليلة الباردة المطيرة في السفر» . ومثل البرد الحرّ الشديد والظلمة والخوف من ظالم .

ب ـ حضور الطعام : لما رواه البخاري عن ابن عمر، قال : قال النبي ﷺ : «إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضي حاجته منه وإن أقيمت الصلاة» .

ج ـ مدافعة الأخبثين : فعن عائشة قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : «لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافع الأخبثين» . رواه أحمد ومسلم وغيرهما . (الأخبثان : البول والغائط) .

□□□

ج ٢ : لا بأس للحاج أن يتاجر، ويؤاجر ويتكسب، وهو يؤدي أعمال الحج والعمرة . قال ابن عباس : إن الناس في أول الحج (أي في الإسلام) كانوا يتبايعون بمنى وعرفة، وسوق ذي المجاز ومواسم الحج، فخافوا البيع وهم حُرُم . فأنزل الله تعالى : ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾، في مواسم الحج . رواه البخاري ومسلم والنسائي . وهناك أحاديث أخرى تبين جواز ذلك .

□□□

ج ٣ : صاحب كتاب «النهاية في غريب الحديث» هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ/ ١١٤٩ ـ ١٢١٠ م) . ولد بجزيرة ابن عمر، ثم انتقل إلى الموصل، واتصل بخدمة الأمير مجاهد الدين قايماز بن عبد الله . ثم اتصل بخدمة عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل، ونور الدين أرسلان شاه . اعتراه مرض في يديه ورجليه منعه من الحركة والكتابة . قال عنه ابن خلكان : إنه أنف معظم كتبه ـ إن لم يكن كلها ـ وهو على هذه الحال . له مؤلفات عديدة في التفسير والحديث والنحو وصنعة الكتابة .

□□□

ج ٤ : أول صحيفة صدرت بالعربية هي : «الحوادث اليومية»، أصدرتها قيادة الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٩ م، وذلك لنشر أخبار مصر وإذاعة أوامر قيادة الاحتلال الفرنسي . وقد عهدت بتحريرها إلى الشاعر إسماعيل بن سعد الخشاب، إضافة إلى صحيفتين بالفرنسية هما : كاد ايجيبسين (العصر المصري)، وكوريبه ديجيبت (بريد مصر) . ثم توقفت هذه الصحف الثلاث برجوع الحملة إلى فرنسا في ١٤ أكتوبر ١٨٠١ م . أما أول صحافي عربي أصدر صحيفة (أهلية)، فهو رزق الله حسون (الحلبي)، الذي أنشأ عام ١٨٥٥ م، جريدة أسبوعية باسم (مرآة الأحوال) في استانبول .

□□□

ج ٥ : أقدم مدن العالم الباقية حتى الآن، مدينة «أريحا» التي تقع شمال شرقي القدس، وهي مدينة كنعانية قديمة يرجع تاريخها إلى نحو سبعة آلاف عام . تنخفض ٢٦٠ مترًا عن سطح البحر، اكتشف فيها أقدم فخار وأقدم نحت في العالم . غير أنها هُجرت بعض الوقت، لذا فإن دمشق ودمنهور تعدان ـ بعدها ـ أقدم المدن المعمورة، إذا إن الحياة البشرية مستمرة فيهما دون انقطاع منذ أن ظهرا إلى الوجود حتى الآن .



○ نتائج مسابقة العدد (٢٠٦) ○

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريـال سعودي، **عبد الفتاح عبد العـزيز كابلي**، المدينة المنورة ـ **المملكة العربية السعودية**.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، **سامية بنت ضو عبعاب**، مدنين ـ **تونس**.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، **غدير أيوب عبد الفتاح المحروق**، عمّان ـ **الأردن**.

□ □ □

ب ـ فاز بجائزة الإشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ د. **محمد إبراهيم عبد الغني الحفار**، برمنجهام ـ انجلترا.

٢ ـ **حسن رشيدي عبد المولى عطاي**، أسوان ـ **مصر**.

٣ ـ **محمد مصطفى المصطفى**، حلب ـ **سورية**.

٤ ـ **يسعد زينب الميسوم**، الجلفة ـ **الجزائر**.

٥ ـ **علي محمد عبده الغزالي**، الظهران ـ **المملكة العربية السعودية**.

□ □ □

ج ـ فاز بجائزة الإشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ **عبد اللطيف محمد الشماع**، الشارقة ـ **الإمارات العربية المتحدة**.

٢ ـ **ياسر محمد الهادي علي الحسين**، ود مدني ـ **السودان**.

٣ ـ **ديدي الطالب**، العيون ـ **المغرب**.

٤ ـ **أميمة أحمد سليمان الحجاوي**، العريش ـ **مصر**.

٥ ـ **الهادي بن الهادي بن الحبيب خلفة**، تطاوين ـ **تونس**.

٦ ـ **محمد فهد مسعد الأحمدي**، المدينة المنورة ـ **المملكة العربية السعودية**.

٧ ـ **يعقوبي فطيمة**، المسيلة ـ **الجزائر**.

٨ ـ **محمد رزق المصري**، درعا ـ **سورية**.

٩ ـ **محمد عبد العزيز عبد الله حمدان**، بلجرشي ـ **المملكة العربية السعودية**.

١٠ ـ **غادة عبد الله متولي**، القاهرة ـ **مصر**.

□ □ □

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١ ـ **بثينة محمد فتحي الحريري**، دبي ـ **الإمارات العربية المتحدة**.

٢ ـ **بيبات بن محمد فاضل**، العيون ـ **المغرب**.

٣ ـ **نجاة عبد الناصر عبد الله السروري**، صنعاء ـ **اليمن**.

٤ ـ **حسام جابر الحميدان**، الرصيفة ـ **الأردن**.

٥ ـ **بثينة ناصر**، حلب ـ **سورية**.

○ أسئلة مسابقة العدد (٢٠٩) ○

السؤال الأول:

الطعام، منه ما هو حلال، ومنه ما هو محرّم. وهناك آية في كتاب الله جمعت المحرمات من الطعام. ما هي؟

□ □ □

السؤال الثاني:

شرع الإسلام الزواج لحفظ نسل الجماعة المسلمة، كما أمر بإعلان الزواج بين المسلمين. فما الحكمة في ذلك الإعلان؟

□ □ □

السؤال الثالث:

من أول من حوّل العرب عن دين إسماعيل ـ عليه السلام ـ إلى عبادة الأصنام؟

□ □ □

السؤال الرابع:

«قوة حصان»، تعبير يستخدم لقياس السرعة التي تدور بها الآلات. من الذي وضع هذا المقياس؟

□ □ □

السؤال الخامس:

قدم «توماس أديسون» للبشرية العديد من المخترعات النافعة، من أهمها «المصباح الكهربي»، الذي تضاء به كل مدن العالم الآن. ما أول مدينة أضيئت بالكهرباء في العالم؟



□ برامـــج ونشاطـات ثقافيـــة وفنيـــة جـديــدة في السعـوديــة .

□ اكتشـاف بـرنامج للحـاسـوب يحرّف القـــرآن الكـــريـم .

□ حلقـة علميـــة في القــاهـرة لفهرسـة المخطـوط الإسـلامي .

□ معجـــم سـوري لأطبــــاء المغـــرب والأنــــدلس .

□ متحف مصـــوّر في بـــاريس للحضـــارات العـــربيـــة .

السعودية

تكريـم الحميدان والشاعر والخطيب

أقــامت الجمعيــة العربيـة السعودية للثقـافة والفنــون في الحادي عشر من شهـر رمضـان الماضي ١٤١٤هـ، **أمسية قصصية في حـديقـة الفـوطـة تم خـلالها تكـريـم الأدبـاء: إبراهيم الناصر الحميدان، وعبـد الـرحمن الشـاعـر، وعبـد الكـريم الخطيب، بمنحهم شهادات تقـدير ودروع**.


عبد الكريم الخطيب


إبراهيم الناصر الحميدان


عبد الرحمن الشاعر

و إبــراهيـم النــاصر **الحميدان** قاص وروائي، وُلـد في الـريـاض عــام ١٣٥٢هـ، من أبرز أعماله روايتـي **«ثقــب في رداء الليل»** و **«أمهـــاتنـــا والنضال»**، ومجموعته القصصية **«أرض بلا مطر»**.

أما **عبد الرحمن الشاعر** فهو من مـواليد حائل عـام ١٣٥١هـ، أصـدر مجمـوعـة قصصيـة عـام ١٣٨١هـ، وهو أيضاً كاتب مسرحي وصحـافي، حيث ترأس تحرير مجلة **«الدفاع»**.

وعبد الكريم محمود الخطيب باحث وقاص من مواليد مدينة ينبع عام ١٣٥٥هـ، من نتاجه: **«من زوايا التاريخ»** ومجموعـة قصصية عنـوانها **«شجرة الليمون»** وقصة طويلة **«حي المنجـارة»**، ومؤلفات أخـرى. إلى جـانب تقـديمـه العـديـد من البرامج الإذاعية الهادفة.

نشـرة نصف سنويـة تعنى بالآثار وأبحاثها

أصدرت الجمعية السعودية للدراسات الأثرية العـدد الأول من نشرتها **«كندة»**، وهي نشرة نصـف سنـوية غير محكمـة تعنى بـالآثـار في المملكة ومـا يتبعها من دراسات واكتشافات وأبحاث وتقارير.

يرأس تحريـر النشرة د. **خليل المعيقل**، وتضم هيئة تحريرها الـدكاتـرة: **محمـد محمد الكحـلاوي وعبـدالعزيـز بن سعود الغـزي وعبد الله بن سعـود وناصر الحارثي**.

مجلة للحياة الفطرية

صدر ـ مؤخراً ـ باللغة الإنجليزية **العدد الأول من المجلـة العـربيـة للحيـاة الفطـريـة**، حاوياً مـوضوعـات متنوعـة في المجالات المتعلقـة بالحيـاة الفطرية وحمايتها و إنمائها.

أصدرت المجلة الوكالة الـدولية للنشر في لندن (بلانت) بـالتعاون مع الهيئـة الوطنية لحمايـة الحياة الفطرية و إنمائها.

وأكد رئيس التحـريـر الأمـيــن العـام للهيـئـة **د. عبد العزيز حـامد أبو زنادة** أن الهيئـة تتطلع إلى إصـدار المجلـة بـاللغـة العــربيـــة تحت مسمى **«الحمى»**.


د. عبد العزيز أبو زنادة

أسبوع ثقافي لجامعات دول مجلس التعـــاون

تنظم جـامعـة الملك فهـد للبترول والمعـادن في الظهران في الثاني عشر من شهر ذي القعدة الجاري **الأسبوع الثقافي الأول لجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية**.

يضم الأسبـوع أربعة نشـاطـات متنوعـةهي: المسـابقـات وتشمل المجـالات الثقافيـة والـدينيـة والاجتماعيـة والفنيـة، والمعــارض وتضم معــارض علمية وفنيـة، والندوات والمحـاضرات، وحفلات السمر وما يتبعها من مساجلات شعرية وخطابية.

يقـام الأسبوع بـرعـاية الأمـانـة العـامـة لمجلس التعـاون، ويهدف إلى إتـاحـة الفـرصـة للطـلاب لإظهـار قدراتهم ومـواهبهم، وتنمية روح التنـافس

خطة للنشاطات الثقافية والفنية :

■ تكريم الرواد، وجائزة لأفضل كتاب

■ التوازن بين مجالات النشاطات الثقافية والفنية


الأمير فيصل بن فهد

صدرت موافقة صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز** الرئيس العام لرعاية الشباب، وصاحب السمو الملكي **الأمير سلطان بن فهد بن عبد العزيز** نائب الرئيس العام لرعاية الشباب، على مشروع خطة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون لعام ١٤١٤/ ١٤١٥هـ.

تضمنت الخطة مجموعة من **البرامج والنشاطات الجديدة** في فروع الجمعية بمناطق المملكة، من أبرزها :

- المهرجان الثقافي الأول في الطائف .

- تكريم الرواد من الأدباء والفنانين الذين أسهموا بجهد كبير في دفع الحركة الثقافية والفنية في المملكة، بمناسبة مرور أكثر من عشرين سنة على تأسيس الجمعية .

- جائزة أحسن كتاب، وسيتم تخصيصها هذا العام لأحسن عمل إبداعي .

- إصدار نشرة شهرية من المركز الرئيسي تحمل اسم «أخبار الثقافة» .

- إقامة عشرات المعارض التشكيلية .

- الموافقة على صدور ملف ثقافي وفني لفرع الجمعية في المنطقة الشرقية بالدمام بعنوان «دارين»، وآخر عن فرع الجمعية في جدة بعنوان «الشاطىء» .

- افتتاح مركز إعلامي داخل المركز الرئيسي في الرياض؛ ليسهم في خدمة الصحافة والصحفيين وتقديم كل ما يمكن أن يساعدهم على أداء رسالتهم .

- الاستمرار في تنفيذ برنامج النشاط الثقافي في لندن، وإقامة معرض للفن التشكيلي السعودي هناك ومعرض للكتاب السعودي .

- افتتاح فروع جديدة وبيوت شعبية في عدد من مناطق المملكة .

- اكتمال الترتيبات لإعلان جائزة الأمير فيصل لثقافة الطفل، وسيتم نشر شروطها والتعليمات الخاصة بهذه الجائزة قريبًا .

- العمل على تقديم أكثر من عمل مسرحي محلي في كل من الرياض وجدة والدمام والطائف والقصيم .

- البدء في ضم عدد من المثقفين والفنانين إلى لجان للجمعية في عدد من الفروع .

- تكثيف العمل الثقافي الموجه للرجال وللنساء .

- العمل على تنشيط لجنة الكتاب والترجمة .

- افتتاح المرحلة الأولى من القوافل الثقافية، بعد أن مرت هذا العام بمرحلتها التجريبية، ونالت إثرها استحسان الفكرة وتأييدها ونجاح تنفيذها، وكذلك تطوير المراكز الثقافية في المملكة .

الشريف بينهم .

مجلة «النص الجديد»

انضمت إلى ركب المجلات الأدبية العربية مجلة جديدة تحت مسمى **«النص الجديد»**، لتكون منبراً للكتابات الأدبية الحديثة .

تُصدر المجلة **دار الخشرمي للنشر**، وتتولى طباعتها وتوزيعها المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت .

موسوعة مصورة لمعالم النهضة والتراث

تعكف مجموعة من المصورين العالميين، حالياً، على تنفيذ **أول موسوعة مصورة من نوعها عن مظاهر النهضة والتراث في مدن المملكة وقراها** .

يتكلف المشروع أكثر من أربعة ملايين ريال، وقد تم - حتى الآن - إنجاز ٨٥٪ منه .

يدير المشروع **عبد الله عبد الرحمن العقيل** بالتنسيق مع شركة .O.T.V الألمانية المتخصصة في أمور التصوير .

جزءان جديدان من فهرس مخطوطات جامعة أم القرى

أصدرت عمادة شؤون المكتبات بجامعة أم القرى الجزءين الثالث والرابع من فهرس مخطوطات الجامعة .

ضم الجزء الثالث ٣٥٠ عنواناً، والجزء الرابع ٢٨٢ عنواناً، في شتى العلوم والمعارف .

معرض آثار


د . خالد عبد الغني

افتتح أمين مدينة جدة د . **خالد عبد الغني** في منتصف شهر رمضان الماضي معرضاً ضم أربعة آلاف قطعة أثرية من عدة بلدان .

ومثلما تنوعت المعروضات ما بين منسوجات وسجاد وأثاث وتحف فضية وزجاجية، تنوع تاريخها أيضاً حيث تعود إلى عصور متباينة بين القرن السادس والقرن الثاني عشر الهجري .

نظّم المعرض **فيصل عبد الحميد السعداوي**

الحركة الثقافية

ضمن سلسلة معارض «فنون وآثار» التي اعتاد تنظيمها.

تمديد فترة المشاركة في جائزة أبها الثقافية

تقرر تمديد فترة قبول المشاركات في **جائزة أبها الثقافية** إلى نهاية شهر ذي القعدة الحالي.

يأتي القرار بغية إتاحة الفرصة أمام أكبر عدد من المبدعين للتقدم بأعمالهم للجائزة.

«المصمك» يفتتح قريبًا

يجري حاليًا عمل دؤوب للانتهاء من أعمال الترميم والتجديد في قصر المصمك بالرياض تمهيدًا لافتتاحه بعد ثلاثة أشهر.

وقد أنشئ بالقصر الذي كان المقر الأول للملك المؤسس عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ وشهد فتحه مدينة الرياض؛ متحف حربي يتماشى مع سمته الخاصة، ويضم مجموعات متنوعة من الأسلحة القديمة. وكلفت عملية الترميم وإنشاء المتحف التي قامت بها الإدارة العامة للآثار والمتاحف أكثر من خمسة عشر مليون ريال.

معجم مفسر لألفاظ النبات في القرآن

صدر ـ مؤخرًا ـ عن نادي جدة الأدبي الثقافي **«المعجم المفسر لألفاظ النبات الواردة في القرآن الكريم وما جاء بها من الأحاديث وأقوال أهل اللغة وعلم النبات والطب ورجال التفسير فيها»**.

يعد المعجم دراسة جديدة عن موضوع لم يسبق تناوله في دراسة موسعة، وهو من إعداد **مختار فوزي النعال**.

كتب جديدة

● **العقل الأدبي**، جـ ١، تأليف **أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري**، صدر عن نادي القصيم الأدبي.

● **من سمات الأدب الإسلامي**، تأليف د. **مصطفى عبد الواحد**، صدر ضمن سلسلة «دعوة الحق» عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

● **كشف النقاب عن الأسماء والألقاب**، تأليف الحافظ **جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي** (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق د. **عبد العزيز بن راجي الصاعدي**، صدر عن دار السلام في الرياض.

● **الطب النبوي**، تأليف **عبد الملك ابن حبيب الأندلسي**، تحقيق وشرح وتعليق د. **محمد علي البار**، صدر عن دار البشير في جدة.


د. محمد علي البار

● **الاقتصاد في الاعتقاد**، تأليف الحافظ **تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي** ت ٦٠٠ هـ، تحقيق د. **أحمد عطية الغامدي**، صدر عن مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة.

● **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، تأليف الشيخ **عبد الفتاح السيد المرصفي**، ط ٢، صدر عن دار طيبة في الرياض.

● **أين الطريق؟ مقالات ودراسات في الدين والحياة والاقتصاد**، تأليف **أحمد محمد صلاح جمجوم**، صدر برقم ١ ضمن سلسلة «من تراثنا الصحفي» عن مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر في جدة.

● **البيان والتعريف بما في القرآن الكريم من أحكام التصريف**، تأليف د. **محمد حسين الحبيب الشنقيطي**.

● **الحجرات الشريفة: سيرة وتأريخًا**، تأليف **صفوان عدنان داوودي**.

صدر الكتابان السابقان عن دار القبلة للثقافة الإسلامية في جدة.

● **رسالة الحجاب في الكتاب والسنة**، تأليف **عبد القادر السندي**، صدر عن دار المنار في الخرج.

● **عسير: الإنسان، المكان، الزمان**، كتاب إعلامي صدر عن وكالة الإعلام الداخلي بوزارة الإعلام.

● **أحوال الديار**، مجموعة قصصية لعبد العزيز المشري، صدرت عن نادي جدة الأدبي الثقافي.

● **الأدب الإسلامي عبر العصور**، تأليف د. **محمد بن سعد بن حسين**، صدر عن دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع.

● **نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين**، تأليف الإمام الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** ـ يرحمه الله ـ، صدر عن دار العمير للثقافة والنشر.

● **الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة**، تأليف **إبراهيم إسماعيل**، صدر عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

● **أساسيات أدب الأطفال**، تأليف د. **محمود شاكر سعيد**، صدر عن دار المعراج للنشر في الرياض.

● **المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي**، تأليف **نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود**، صدر عن دار أمية للنشر والتوزيع في الرياض.

● **مخلاف عشم: قرية عشم، قرية مسعودة محلة النصايب، محلة الأحسية الجنوبية**، دراسة **حسن بن إبراهيم الفقيه**، صدر عن مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.

● **رمضانيات فيلسوف**، تأليف **محمد حسن فقي**، صدر ضمن سلسلة «المكتبة الصغيرة» برقم ٥٥.


محمد حسن فقي

● **أشواك: خماسيات من المهجر**، ديوان للشاعر **زكي قنصل**، صدر برقم ٩ ضمن السلسلة الشعرية.

صدر الكتابان السابقان عن دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع في الرياض.

● **دعاوى الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين**، تأليف د. **جميل المصري**، صدر عن دار البشير في جدة.

بلخوجة والشافعي وبارتا يحاضرون في الإمارات

الإمارات ـ من مراسل «الفيصل» :

ألقيت ـ مؤخراً ـ ثلاث محاضرات، ضمن أبرز فعاليات الموسم الثقافي الحالي لدولة الإمارات العربية المتحدة، استقطبت الاهتمام. حيث حاضر **فضيلة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بلخوجة** أمين عام مجمع الفقه الإسلامي بجدة، في المجمع الثقافي بأبوظبي عن **«نقد الشعر بين البلاغة عند العرب ومناهج اليونان والفرنجة في الغرب»**. وألقى **السيد حسين الشافعي النائب الأسبق للرئيس المصري محاضرة بعنوان** «تجارب وخواطر» في دبي، **وتحدثت الأمريكية** كارولين بارتا عن «ثورة الاتصالات: عصر المواجهة بين وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية» في المركز الثقافي بالشارقة.

ركز فضيلة الشيخ بلخوجة في محاضرته على أهمية الشعر في الحياة الإنسانية ووظيفته لدى الأمم المختلفة، مقدماً العديد من المفاهيم التي ساقها الشعراء والنقاد والفلاسفة في معرض التعريف بالشعر وأنواعه، ومبرزاً الفرق بين آراء النقاد العرب والغربيين بصفة عامة حول ماهية الشعر وقواعده.

كما أكد أن سمات الشعر العربي تمثلت في مدارسه الثلاث: التجديدية والرومانسية والعصرية الجديدة. **واختتم محاضرته بالتأكيد على ضرورة إيجاد نظرة نقدية جديدة إلى النمط الشعري الذي تشهده الساحة العربية الآن، ومحاولة استلهام سماته الأدبية من الداخل، حيث إن مهمة الناقد ليست الاستحسان المؤقت ولا صرخات الإعجاب أو الاستنكار.**

وكانت محاضرة **حسين الشافعي** ـ خلافاً لما توقعه الكثيرون من انصرافه للحديث عن السياسة ـ رحلة محلقة في آفاق الروح، حيث تحدث بكثير من التأثر عن رحلته مع المغفور له **الملك فيصل بن عبد العزيز** إلى جبل الرحمة الذي حرص على الصعود إلى قمته؛ استلهاماً للحظة روحانية نادرة في عمر أي انسان تشكل زاداً روحياً لرحلته الشاقة في الدنيا.


د. محمد الحبيب بلخوجة


حسين الشافعي


كارولين بارتا

تناول **الشافعي** مجموعة أخرى من الخواطر، **أكد في إطارها أنه لا سبيل إلى استعادة الأمة الإسلامية لأمجادها إلا بالالتزام بالمنهج الإسلامي وبترابط الأخوة الإسلامية**. وشدّد على أن المسلمين ينبغي لهم أن يتطلعوا إلى القوة البناءة لا إلى القدرة المدمرة، ونّوه على أهمية الجمع بين الدين والعلم بحيث يكون لدينا الطبيب المؤمن الذي يعرف أمور دينه ويتقن أسرار مهنته، والمعلم المؤمن، والمهندس المؤمن وغير ذلك.

وحظيت المحاضرة التي ألقتها الإعلامية الأمريكية **كارولين بارتا**، باهتمام كبير، إذ دارت حول موضوع نوقش مؤخراً في الإمارات في إطار الاستعداد لتعديل قانون المطبوعات والنشر. استهلت بارتا المحاضرة بالإشارة إلى أن نهاية الحرب الباردة والنزاع في منطقة الخليج أحدثا تغييرات هائلة في طريقة إرسال المعلومات والأخبار إلى المتلقين على إمتداد العالم، وأن الإرسال الفوري المباشر عبر الأقمار الصناعية قد غيرّ العالم تماماً.

وأكدت المحاضرة أنه مع وجود التغطية الفورية للأخبار يصبح من الأهمية بمكان بالنسبة للصحف القيام بإعداد التحليل الضروري لها، واستخراج الحقيقة من خلال الكم الهائل من المعلومات الخاطئة التي قد تمر عبر المعالجة العارضة وغير الدقيقة أثناء البرامج المباشرة العديدة، مشيرة إلى أن التحليل والبحث والدقة تشكل كلها مفاتيح المستقبل بالنسبة للصحافة.

● **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**، تأليف د. **عبد الباسط بدر**، صدر في المدينة المنورة.

الإمارات

اكتشاف أقدم موقع إماراتي مأهول

عثر فريق آثاري بريطاني في جزيرة دلما على آثار لأقدم موقع مأهول يتم اكتشافه في دولة الإمارات.

تعود آثار الموقع المكتشف إلى ما قبل سبعة آلاف عام على الأقل.

وكان الفريق ذاته قد عثر في وقت سابق على آثار مدينة إسلامية في جزيرة بني ياس.

معرض تشكيلي

شارك ٦٧ فناناً وفنانة في المعرض العام الثالث للفنون التشكيلية في **الشارقة**.

نظمت المعرض دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، بالتعاون مع جمعية التشكيليين.

مهرجان للطفولة

اختتم ـ مؤخراً ـ في المجمع الثقافي في أبو ظبي **مهرجان الطفولة**.

تضمن **المهرجان معارض للكتب والخط والحاسب الآلي والمجسمات، إضافة إلى عروض مسرحية وسينمائية، وتميز بخروج نشاطاته خارج إطار المدينة لتوسيع نطاق مشاركة الصغار.**

كتب جديدة

● **الإسلام والتحديات الجديدة**، تأليف د. **محمد عمارة**، صدر ضمن سلسلة «معارف إنسانية» عن ندوة الثقافة والعلوم بدبي.

● **بعيداً عن الطريق في الإمارات**، تأليف **داريوش زاندي**، صدر باللغة الإنجليزية ضمن سلسلة «التراث العربي» عن دار موتيف إيت للنشر في دبي.



البحرين

إسطبل خيل

من الفترة البرتغالية

عُثر في وسط **قلعة البحرين** على إسطبل للخيل يعود إلى الفترة البرتغالية.

دلت عمليـــات التنقيب على أن القـــادة البرتغـاليين استغلـوا هذا الإسطبل لـوضع خيـولهم فيـه، حيث عثـر على الأحـواض الخاصـة بإطعـام الخيل مع بقايا مخلفاتها وهيكل عظمي لحصان فقد رأسه.

سلطنة عمان

أسبوع للتراث

أقيم ــ مؤخراً ـ في ولاية نزوى **أسبوع للتراث العماني** ضم معروضات لست عشرة صناعة وحرفة وطنية.

جسّـدت المعـروضـات، بما ضمـت من مشغـولات فضيـة ونحـاسية وصنـاعـات جلـديـة وغزلية، ثراء التراث العماني وتميزه.

كتب جديدة

● **صوت الضمير**، ديوان للشـاعر **سعيد بن سليمان العسائي**، صـدر عن مطـابع النهضـة في مسقط.

● **فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي عام ١٩٩١ ـ ١٩٩٢م**، إعداد مجموعة باحثين، صدر عن وزارة التراث القومي والثقافة.

قطر

برنامج للحاسوب

يحرّف القرآن الكريم

أبـدت وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلاميـة انزعاجها لاكتشاف **برنـامج للقرآن الكـريم مُـخزّن على قرص للحاسب الآلي يتضمـن أخطاء متعمدة وتزييفا لبعض الآيات القرآنية**.

أهابت الوزارة بالجهات المعنية في مختلف أقطار العـالم الإسـلامي تحذيـر المسلمين من تـداول هـذا البرنامج الـذي يهدف إلى تخريب العقيدة، والعمل على منع تداوله.

من الكتب الجديدة

● **التراث الشعبي في دول الخليج العـربيـة**، إعداد مجموعة من الباحثين، صدر عن مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.

الكويت

ملتقى عـالمي

للأندية العلمية

تستضيف الكـويت في نهايـة صيف العـام الميـلادي المقبل ١٩٩٥م، **الملتقى العـالمي الخامس للأندية العلمية**.

يشـارك في الملتقى نحـو **ألف مبدع** من شتـى أنحاء العـالم إضافة إلى أبناء الكـويت، ويقام على هـامشه معـرض تقـدم فيـه أنديـة علميـة من دول مختلفة اختراعاتها وابتكارات أعضـائها، إضافة إلى مسابقات علمية وندوات ومحاضرات.

ندوة فكرية

تعتزم رابطة الأدباء تنظيم **ندوة فكرية كبرى** في شهـر أكتـوبر المقبـل ١٩٩٤م، يشارك فيهـا نحـو **مائتي مفكر عربي إضافة إلى بعض المستشرقين**.

تـدور محاور النـدوة حـول: الفكـر العـربي والتبعيـة، ودور الديمـوقراطيـة في الفكر العـربي، والإعلام والفكر العربي.

كتب جديدة

● **في فقـه التـديـن فهماً وتنـزيـلاً**، تـأليـف د. **عبدالمجيد نجار**.

● **وظيفـة المرأة المسلمـة في المجتمع الإنسـاني**، تأليف **علي القاضي**.

صـدر الكتـابـان السـابقـان عن دار القلم في الكويت.

● **الشفاهية والكتـابية**، تـأليـف والتر. ج. **أونج**، تـرجمه إلى اللغة العـربيـة د. **حسن البنـا عز الدين**، وراجعه د. **محمد عصفـور**، صـدر ضمن سلسلة «عـالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقـافة والفنون والآداب.

مصر

قانون جديد

لحماية الإبداع


فاروق حسني

أوضح وزيـر الثقافـة **فـاروق حسني** أن هنـاك **قـانـوناً يجري الإعـداد لـه حـاليـاً لحماية الإبـداع والمبـدعين بهدف الحفـاظ على الملكات الفنية**.

وكان الوزيـر قد هاجم بشـدة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد والذين يسـاندونها في رفض خـروج الآثار المصرية للعرض في الخارج، مؤكداً أنها لا تملك أية أدلة تدين بها عملية سفر الآثار.

ويُذكـر أن لجنة المعارض الخارجية بهيئـة الآثار قد وافقت ـ بصفة مبدئية ـ في اجتماع عقدته مؤخراً على انتقال معرض «ملكات مصر» مـن اليابان بعد انتهـاء فترة عرضـه في ٢٧ نـوفمبر المقبل إلى كوريـا ومنها إلى السـويد والـدانمارك والنرويـج لمدة عام، رغم قرار محكمة القضاء الإداري بالموافقة على طلب د. نعمات فؤاد بحظر سفر الآثار المصرية للخارج.

وفاة متري والجمل

غيب الموت الناشر **شفيق نجيب متري** مؤسس «دار المعارف» والصحافي **عبد الفتاح الجمل**.

يعد شفيق متري الـذي توفي في فـرنسا عن ٩٠ عاماً أحد الذين أسهمـوا في تطويـر شكل حروف الطباعـة العربيـة، إضافـة إلى جهوده في مجال نشر أمهات الكتب العـربية في سلسلة «ذخائر العرب» وأول كتاب للطفل، وتأسيس سلسلة «إقرأ».

أما عبـد الفتاح الجمـل فقد بـدأ حياتـه المهنية

فهرسة المخطوط الإسلامي وقضاياه في حلقة علمية

القاهرة ـ من مراسل «الفيصل» :

اختتمت في التاسع والعشرين من شهر شعبان الماضي (٩ فبراير ١٩٩٤ م) أعمال حلقة بحث حول «فهرسة المخطوط الإسلامي»، التي نظمتها جامعة القاهرة بالتعاون مع مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي برعاية رئيسها أحمد زكي يماني، ومشاركة باحثين عرب ومسلمين وغربيين.

استمرت الحلقة ستة أسابيع، ناقشت خلالها عدة موضوعات، تأتي في مقدمتها: الملامح الفنية للمخطوط، وأنواع فهارس المخطوطات وتاريخها من ابن النديم إلى اليوم، والمخطوطات الإسلامية الفارسية والتركية، وتسخير التقنية الحديثة في خدمة المخطوطات صيانة، وترميماً، وغير ذلك من البحوث التي قدمت إلى الندوة: المخطوط العربي، نشأته وتطوره في المشرق العربي للدكتور عبر الستار الحلوجي، أنواع الفهارس والبيبلوجرافيات وتاريخها للدكتور سعد الهجرسي، المخطوط العربي، نشأته وتطوره في الغرب الإسلامي للدكتور محمد بن شريفة، المخطوط الإسلامي في القارة الأفريقية للدكتور جوث هانويك، المخطوط التركي، نشأته وتطوره للدكتور نصر الدين مبشر الطرازي، المخطوط الإسلامي في أنحاء العالم للدكتور يان ياست ويتكام، المخطوط الفارسي، نشأته وتطوره للدكتور السباعي محمد السباعي، المخطوط الإسلامي في الهند لمولانا محمد حبيب الرحمن خان، صناعة المخطوط العربي للدكتور عبد الستار الحلوجي، الملامح الفنية للمخطوط الإسلامي للدكتور حسن الباشا، المراجع الأساسية التي يستعان بها في فهرسة المعاجم للدكتور محمود فهمي حجازي، تاريخ الخط العربي وأنواعه وأنماطه وتطوره للدكتور قاسم أحمد السامرائي، تاريخ الخطوط الفارسية وأنواعها وتطورها للدكتور محمد بيومي مدكور، أهم مجموعات المخطوطات الإسلامية في العالم الإسلامي للدكتور يحيى الساعاتي، أهم مجموعات المخطوطات الإسلامية في العالم الغربي للدكتور أيمن فؤاد سيد.

مدرساً، ثم انتقل عام ١٩٥٦م إلى صحيفة «المساء»، ومنها انتقل في الستينيات الميلادية إلى صحيفة «الأخبار» وأشرف على الملحق الأدبي بها، حيث رعى من خلاله العديد من المواهب في مجالات الأدب المختلفة، ووصل في العمل الصحافي إلى درجة مدير تحرير، وقبيل نهاية الثمانينيات الميلادية اعتزل العمل الصحافي وتفرغ للكتابة، وهو حاصل على جائزة الدولة التقديرية.

جائزة للعمارة الإسلامية

أوصى مؤتمر «**البحوث الهندسية من أجل التنمية الشاملة**» الذي نظمته ـ مؤخراً ـ في القاهرة كلية الهندسة بجامعة الأزهر بتخصيص جائزة سنوية لأفضل مشروع في مجال العمارة الإسلامية.

تقرر أن تحمل الجائزة اسم فضيلة شيخ الجامع الأزهر.

المؤتمر العاشر لعلم النفس

اختتمت ـ مؤخراً ـ اجتماعات **المؤتمر العاشر لعلم النفس في مصر**، الذي نظمته الجمعية المصرية للدراسات النفسية بالتعاون مع كلية التربية بجامعة حلوان.

ناقش المؤتمر عدة موضوعات من أبرزها: الآثار النفسية لحرب الخليج، وسيكولوجية تعليم اللغة، وسيكولوجية الحوار، والشخصية والقياس النفسي، وعلم النفس وقضايا المجتمع.

موسوعة طبية صوتية

صدرت ـ مؤخراً ـ في القاهرة موسوعة « **أطلس أصوات اللغة العربية**».

تعد هذه أول موسوعة طبية صوتية عالمية، وقد صدرت بثلاث لغات: العربية والإنجليزية والألمانية.

قام بتأليف الموسوعة د. **وفاء البيه** أستاذ الصوتيات بأكاديمية الفنون، ومستشار أمراض الكلام والسمع.

الدورة الرابعة لندوة العلاقات المغربية ـ المصرية

اختتمت ـ مؤخراً ـ في القاهرة الدورة الرابعة لندوة «العلاقات المغربية المصرية» التي استضافتها دار الأدباء بمشاركة أكثر من **ثلاثين باحثاً ومفكراً** مغربياً ومصرياً.

ارتكزت الندوة في دورتها الرابعة على **خمسة محاور**، تناول الأول «**التماثل والتباين في الثقافة بين مصر والمغرب**»، ويناقش الثاني «**البعد المتوسطي في ثقافة البلدين**»، وبحث الثالث «**الإسهام المغربي في الفكر الإسلامي**» ودار المحور الرابع حول موضوع « **الإسلام في حوار مع العصر**»، وعرض المحور الأخير لموضوع « **المحلية والعالمية**».

اختتمت الدورة بإصدار **توصيات** من أبرزها توصية بإنشاء دار مصرية ـ مغربية مشتركة للكتاب، وأخرى خاصة بتشجيع تبادل البعثات والمنح العلمية والنشاطات الثقافية والأدبية والفنية بين البلدين.

ويذكر أن الدورة الأولى قد عقدت في المغرب عام ١٩٨٨م، والثانية في القاهرة عام ١٩٩٠م، والثالثة في المغرب عام ١٩٩٢م.

جمعية عربية للتنمية الإدارية

أسست مجموعة من رجال المال والأعمال والاقتصاديين والإداريين العرب جمعية جديدة في نوعها هي «الجمعية العربية للتنمية الإدارية».

يرأس مجلس إدارة الجمعية د. **عاطف عبيد**

الحركة الثقافية

وزير الدولة للتنمية الإدارية، وتهدف إلى تطوير الفكر الإداري العربي في إطار المعتقدات الإسلامية، وتنسيق جهود رجال الإدارة العرب، وتحقيق التواصل مع مصادر الفكر الإداري العالمي والانفتاح عليها لفتح المجالات أمام المدير العربي لمعرفة كل جديد في هذا المجال والتوجهات المستقبلية.

افتتاح متحف المجوهرات الملكية

افتتح رئيس الهيئة العامة للآثار د. **محمد عبدالحليم نور الدين**، متحف المجوهرات الملكية الذي أقيم في قصر الأمير يوسف كمال بالإسكندرية، بعد انتهاء أعمال الترميمات والتحسينات التي أجريت فيه.

وقد أجريت تعديلات على الشكل الداخلي للمتحف وطريقة عرض المجوهرات التي يبلغ عددها ١٥٠ قطعة، تشمل مجوهرات أسر الخديوي اسماعيل والخديوي توفيق وتاج الأميرة شويكار أولى زوجات الملك فؤاد وتاج الملكة فريدة الزوجة الأولى للملك فاروق، فضلاً عن إكسسوارات الملكة نازلي ثانية زوجات الملك فؤاد وأم الملك فاروق، والملكة ناريمان زوجة الملك فاروق الثانية.

كتب جديدة

● **عظماء أغفلهم التاريخ**، تأليف **أحمد سويلم**.

● **الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية**، تأليف **عبد التواب يوسف**.


عبد التواب يوسف

● **آيات السجود في القرآن الكريم**، تأليف **جمال بدران**.

● **البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني**، تأليف د. **عبد الحليم عبد اللطيف الصعيدي**.

● **الإنسان وتلويث البيئة**، تأليف د. **محمد السيد أرناؤوط**.

صدرت الكتب السابقة عن الدار المصرية اللبنانية.

● **تعليم الدين الإسلامي بين النظرية والتطبيق**، تأليف د. **حسن شحاتة**، صدر عن الدار العربية للكتاب.

● **النقش على تمثال عبد الرحمن الداخل**، ديوان للشاعر د. **أحمد عبد العزيز**، صدر عن مكتبة الأنجلو المصرية.

● **معجزة الإسلام: عمر بن عبد العزيز**، ط ٤، تأليف **خالد محمد خالد**.

● **دعاء الكروان**، ط ٢١، تأليف د. **طه حسين**.

● **طغاة التاريخ**، تأليف د. **محمود متولي**، صدر ضمن سلسلة «إقرأ».

● **تأملات في الفن**، تأليف **فؤاد كامل**، تقديم **بدر الدين أبو غازي**.

صدرت الكتب السابقة عن دار المعارف.

محاضرات وندوات

● «**التقنيات الحديثة في خدمة العلوم الشرعية**» عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، المهندس **محمود المراكبي**.

● «**أخطاء معاصرة في التعامل مع السنة النبوية**» عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من جمعية الحديث الشريف وإحياء التراث في الجامعة الأردنية، د. **شرف القضاة**.

● نظم منتدى الفينيق بالأردن أمسيتين شعريتين للشاعر **إبراهيم نصر الله**، و**ضيف يوسف**.

● «**محو الأمية**» موضوع محاضرة ألقاها في جمعية سيدات جرش بالأردن، **سعدي عبد الجواد**.

● «**تجربتي مع الإذاعة**» عنوان محاضرة ألقتها في جامعة البنات بالأردن، **عائشة التيجاني**.

● «**الجامعة اللبنانية: مشروع توحيد وتحديث**» عنوان محاضرة ألقاها في المجلس الثقافي في بيروت، د. **أسعد دياب**.

● «**الاستثمار المالي في فلسطين**» موضوع محاضرة جماعية في منتدى شومان الثقافي بالأردن شارك فيها كل من د. **نبيل كوكالي** و**أحمد عابدين**.

● «**الصحافة الإسلامية في الجزائر قبل الاستقلال**» عنوان محاضرة ألقاها في معهد علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر، د. **زهير أحدادن**.

● «**الأم في القوانين**» موضوع ندوة نظمتها لجنة الأمهات في لبنان، شارك فيها كل من: **أوغست باخوس**، **إلياس أبو رزق**، و**فيقة منصور**، وأدارتها **ريما عميري الخطيب**.

● «**تحفتي الأثرية**» عنوان محاضرة ألقتها في المركز الثقافي البريطاني بالمنصورية في الكويت، الشيخة **حصة الصباح**.

● «**ثلاثية الخوف**» عنوان محاضرة ألقتها في ثانوية عبد الله السالم بالكويت، **ميرني شين**.

نظّمت المحاضرتين السابقتين دار الآثار الإسلامية في الكويت.

● «**روحانية الصيام**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الرحمة بمدينة الثقبة، الشيخ **عبد المحسن البنيان**.

● **فن الإلقـــاء**، تأليف الفنـان الـراحل **عبدالوارث عسر**.

● **التـاريخ من شتى جوانبـه**، تأليف **ستيفن أوزمنت وفرانك تيرنر**، جـ١، ترجمه إلى اللغة العربية د. **أحمد حمدي محمـود**، وصــدر ضمن سلسلـة «**الألف كتاب الثاني**».

● **المعادن الثمينـة : استخراج عيناتها وتقـدير عياراتها ودمغاتها**، تأليف **رياض خليل جاد**.

● **الإنسان والتدخين**، تأليف د. **جمال الـدين محمد موسى**.

صـدرت الكتب السـابقـة عن الهيئـة المصريـة العامة للكتاب.

● **أنا وعاصفة الصحراء**، تأليف **لورنس ديونا**، ترجمه إلى اللغـة العربيـة **محمـد مستجير مصطفى**، وصدر عن دار سينا.

● **ثرثرة على البحر**، (أحدث كتاب عن الأديب نجيب محفوظ) تأليف د. **عادل ناشد**، صدر عن دار مطابع المستقبل.

● **تاريخ مصر والمـــزوّرون**، تأليف د. **عبد العظيم رمضـان**، صـدر عن دار الزهـراء للإعـلام العربي.

● **اللغة والبـلاغة و الميـلاد الجديد**، تأليف د. **مصطفى ناصف**.

● **الإبداع القصصي عنـد يـوسف إدريس**، تأليف المستشرق الهولندي **ب. م. تـربـرشـويك**، تـرجمه إلى اللغـة العـربيـة **رفعت سلام**.

رفعت سلام

صدر الكتابان السابقان عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

● **مختـارات مـن القصـة القصيرة**، لمجموعة قـاصين من ١٨ بلداً عـربيـاً، صـدرت عن مركز الأهرام للترجمة والنشر.

● **مقدمـة في علم الأخلاق**، تأليف د. **محمود حمدي زقزوق**.

● **شخصية المعلـم وأداؤه في ضوء التـوجيهات الإسلامية**، تأليف د. **علي راشد**.

صـدر الكتـابـان السـابقـان عن دار الفكـر العربي.

● **القيم الجماليـة في العمارة الإسـلاميـة** تأليف د. **ثروت عكـاشة**، صدر ضمن سلسلـة «تـاريخ الفـن : العين تسمـع والأذن تـرى» عن دار الشروق.

د. ثروت عكاشة

● **لمحات من تـاريخ الحجـاز قبل الإسـلام**، تأليف **محمـد علي المغـربي**، صـدر عن دار المدني بالقاهرة.

● **مصر الفرعـونية بين الماضي والحاضر**، تأليف د. **فـوزي الأخنـاوي**، صـدر عـن دار المستقبل العربي.

● **إعراب القـراءات السبع وعللها**، تأليف **أبي عبـد الله الحسين بن أحمد بـن خـالـويـه الهمـذاني الشـافعـي** (ت ٣٧٠هـ). تحقيـق د. **عبـد الـرحمن بن سليمان العثيمين**، صدر في جزءين عن مكتبة الخانجي في القاهرة.

● «**أمتنا وفقه الأولـويات**» عنوان محاضرة ألقـاها في المجمـع الثقافي بأبوظبي، **الشيخ د. يوسف القرضاوي**.



الشيخ يوسف القرضاوي



الطيب صالح

● «**القصة والهوية في سياق التجربـة الاستعمارية : شهادة شخصية**» عنـوان محاضرة ألقاهـا في كليـة الدراسـات الشرقية والإفـريقيـة بجامعـة لندن، **الطيب صالح**.

● «**التفـاعل النـووي لتحليل العنـاصر الخفيفة بـاستخـدام مسرع التانديترون**» عنوان محاضرة ألقاها في معهـد البحوث التابع لجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران د. **علي كوبان**.

● «**من أحكـام الصيـام**» عنوان محاضرة ألقـاها في جـامع البايـونية بمدينة الخبر، **الشيخ ناصر الأحمد**.

● «**يا بـاغي الخير أقبل**» عنوان محاضرة ألقـاها في مسجـد المثنى بن حارثة في الدمام، **الشيخ محمد بن أحمد الشيخ**.

● «**الأمة الإسـلامية بين عـامين**» عنوان نـدوة نظمها مكتـب المعهد العالمي للفكر الإسلامي في القـاهرة، حاضر فيها **فهمي هويدي**، وقدم لها **طارق البشري**، وعلق عليها **الشيخ محمد الغزالي**، و د. **محمد عمارة**.

● «**مصر من نافـذة التاريخ**» عنوان ندوة أقيمت في معـرض القـاهرة الدولي للكتـاب، شارك فيهـا كل من : د. **عبـد العظيم رمضـان**، **جمال بدوي**، **لمعي المطيعي**، و د. **يونان لبيب رزق**.

● «**لبنان المستقبل في ضوء التطورات الإقليمية**» عنوان محاضرة ألقاها في جامعة بيروت العربية، د. **سمير المقدسي**.

● «**الوقاية من تأثير الرمال والسيول الجارفة على جسور السكة الحديد والطـرق والمطـارات**» عنـوان نـدوة نظمتهـا أكـاديميـة البحث العلمي والتكنولوجيا في القاهرة، شارك فيها عدد من المتخصصين.

● «**قـانون الضريبـة الجديد وأثـره في الاستثمارات اللبنانيـة في مصر**» عنـوان محاضرة ألقاهـا في مقـر جمعية الصداقـة المصريـة ــ اللبنانيـة في القاهرة، **سعيد الطويل**.

الحركة الثقافية

● **موسوعة القبائل العربية: بحوث ميدانية وتاريخية**، إعداد **محمد سليمان الطيب**، صدر عن دار الفكر العربي.

● **المواجهة: مبارك وحرب تحرير الكويت**، تأليف **علي منير**، صدر عن المركز الإعلامي الكويتي في القاهرة.

العراق

كتب جديدة

● **نافذة جديدة على تاريخ الفراتين**، تأليف **جعفر الساكني**.

● **صبر أيوب**، ديوان للشاعر **عبدالرزاق عبدالواحد**.

صدر الكتابان السابقان عن دائرة الثقافة والشؤون الثقافية في بغداد.

لبنان

أول ترجمة عربية ليوميات بن جوريون

صدرت ــ مؤخراً ـ أول ترجمة عربية ليوميات ديفيد بن جوريون تحت عنوان «**يوميات الحرب ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩م**».

يأتي صدور هذه الترجمة في إطار مشروع تنفذه مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لترجمة أمهات الكتب الصهيونية وتقديمها للقارئ العربي؛ ليعرف كيف يفكر الصهاينة، مما يساعده على فهم كيفية اتخاذهم للقرارات.

ترجم اليوميات عن اللغة العبرية **سمير جبور**، وراجعها وكتب مقدمتها **صبري جريس**.

معرض الكتاب بصيدا

شاركت **١٢٠ داراً للنشر في معرض الكتاب العربي العاشر** الذي أقيم ــ مؤخراً ــ في مدينة صيدا، وضم قرابة ١١ ألف عنوان.

رافقت المعرض نشاطات ثقافية وفنية مختلفة ما بين ندوات ومحاضرات وأمسيات شعرية وقصصية وفنية، إضافة إلى معرض تشكيلي للفنان حسن الجوني.

وفاة فرحات وحايك


خليل فرحات

توفي ــ مؤخراً ـ الكاتب والشاعر **خليل فرحات** عن عمر يناهر ٧٥ عاماً، والشاعر والروائي **فرج الله حايك** عن عمر يناهز ٨٥ عاماً.

وُلد **فرحات** عام ١٩١٩م، وتلقى علومه في الكلية الشرقية، وكان أول من حصل فيها على شهادة البكالوريا، وواصل تعليمه بالمراسلة مع جامعة مونبلييه الفرنسية، تخصص لغة فرنسية وآدابها، ثم عمل مدرساً، ومارس الكتابة الشعرية والنقدية والتاريخية في العديد من الصحف والمجلات مثل «**المكشوف**»، «**الحكمة**»، «**النهار**»، و«**الجمهور**»، ثم هاجر عام ١٩٥١م إلى أفريقيا وأمضى عشر سنوات مغترباً عاد بعدها إلى وطنه.

وهو شاعر كلاسيكي تأثر بالرمزية والبرناسية،

رسائل جامعية

○ «**أثر مسلمي أهل الكتاب في الدفاع عن القضايا القرآنية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **محمد عبد الله صالح السحيم**.

○ «**شرح مقامات الحريري لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي المتوفى سنة ٦٨١ هـ ــ من أول الكتاب إلى نهاية شرح المقامة العشرين: دراسة وتحقيق**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **أحمد سعيد محمد قشاش**.

○ «**ابن قدامة ومنهجه الأصولي وطريقة فهمه لبعض القضايا في العلاقات الدولية في القانون الإسلامي في المذهب الحنبلي**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة مانشستر في بريطانيا، تقدم بها **ناصر عبد الرحمن عبد الله اليحيى**.

○ «**آراء القاضي الباقلاني وأثره في علم أصول الفقه**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **قطب مصطفى سانو**.

○ «**دور المجامع والمؤسسات العلمية العربية في ترقية اللغة العربية**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة تيزي أوزو بالجزائر، تقدم بها **صالح بلعيد**.

○ «**الفصيح في اللغة والنحو حتى أواخر القرن الرابع الهجري**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة دمشق، تقدم بها **عبد الفتاح محمد**.

○ «**المنسوجات الشعبية اليدوية في الحجاز والإفادة منها في التربية الفنية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم التربية الفنية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدمت بها **ليلى محمد بدر**.

○ «**الحياة العلمية في أفريقيا في عصر بني زيري: من ٣٦١ هـ إلى ٥٥٥ هـ**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، تقدمت بها **لطيفة محمد البسام**.

○ «**الاغتراب في مسرحيات الكاتب العربي ألفريد فرج والكاتب الألماني بيتر فايسو**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة لندن، تقدمت بها **ليلى أحمد ديسى**.

○ «**التخلف في القراءة وأثره في مجالي النصوص والتعبير**» عنوان رسالة

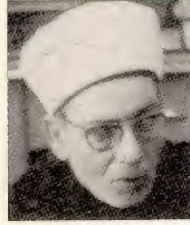
عرف بنفوره من الحداثة، له العديد من المؤلفات منها دواوين: «**قصائد أفريقية**»، «**من الأعماق**»، «**تباريح**»، «**الفارس والأبراج**»، «**في محراب علي**»، و«**هي الكتاب**». وقصة «**الدروب الحمراء**» وكتب «**موجز في تاريخ لبنان**»، و«**دراسات جديدة في الأدب**».

وقبيل وفاته طلبت منه منظمة اليونسكو إعداد كتابين عن «**زحلة الشاعرة**» و«**زحلة الناثرة**»، ولا يُعرف هل انتهى من إعدادهما أم لم يسعفه أجله.

أما **حايك** المولود عام ١٩٠٩م فقد كان **يكتب باللغة الفرنسية**، وبدأ مشواره الأدبي عام ١٩٢٧م بمجموعة شعرية عنوانها «**دموع وزفرات**»، أتبعها بمجموعة أخرى رأى بعد نشرها أنه أخطأ في النشر، ثم اتجه عام ١٩٤٠م إلى الرواية مقدماً روايته «**برجوت**»، توالى بعدها إنتاجه الروائي وأشهره ثلاثيته «**أولاد الأرض**» وروايته «**أرض وشعب**».

وقد أُعيد طبع العديد من رواياته أكثر من مرة، كما ترجمت إلى لغات عالمية عدة منها الإنجليزية والإيطالية ومنحته الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٦٨م **جائزة «مونسو»** تقديراً لكامل إنتاجه.

تكريم العلايلي


عبدالله العلايلي

كرمت الحكومة اللبنانية ـ مؤخراً ـ العلامة **عبدالله العلايلي** بمنحه وسام الأرز الوطني من مرتبة الوشاح الأكبر، تقديراً لدوره الوطني، ولنتاجه في مجالات الفكر والأدب واللغة والفقه.

قام رئيس الوزراء **رفيق الحريري** بتقليد العلايلي الوسام خلال حفل كبير أقيم في منزل المحتفى به بحضور مجموعة من علماء الدين ورجال الفكر والثقافة.

كتب جديدة

● **رفيق الجمال في واحة عمر أبو ريشة**، تأليف **ربيع الدبس**، صدر عن دار بشاريا.

● **الطب بين الحقائق والأوهام**، تأليف د. **منير شماعة**.

● **الفتح العربي الإسلامي: في سيرة مالك بن الريب المازني**، تأليف **سليمان الخش**.

صدر الكتابان السابقان عن دار رياض الريس للكتب والنشر.

● **مزامير الريح**، مجموعة شعرية **لنادر هُدى**؛ صدرت عن دار الحداثة في بيروت.

● **غريب القرآن في شعر العرب** (سؤالات نافع ابن الأزرق إلى عبد الله بن عباس)، تحقيق **محمد عبد الرحيم وأحمد نصر الله**، صدر عن مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت.

● **صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى**، تأليف د. **رضوان السيد**.

● **الشوكاني مجتهد القرن الثالث عشر**، تأليف **عبد الرحمن بكر**.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر في بيروت.

● **الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث**، تأليف د. **بشرى موسى صالح**.

● **المدينة في العصر الوسيط**، (الكتاب عبارة عن قضايا ونصوص في التاريخ الحضري المغربي) تأليف **عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات**.

ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة دمشق، تقدم بها **محمد جهاد أحمد جمل**.

○ «**تقويم تحصيل البلاغة في المدرسة الثانوية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة دمشق، تقدمت بها **باسلة جلو**.

○ «**ما سَكَتَ عنه الإمام أبو داوود وفي إسناده ضعف**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **محمد بن هادي علي المدخلي**.

○ «**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر العسقلاني، من بداية باب ترويح القلوب من كتاب (العلم) إلى نهاية باب فضل الدعاء من كتاب (الأذكار والدعوات): تحقيق ودراسة**»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **قاسم بن صالح بن فهد القاسم**.

○ «**دراسة أبي بكر الحازمي وكتابه (الفيصل في علم الحديث) وتحقيقه كتابي الهمزة والياء**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **محمد يعقوب بابا غلام حسن**.

○ «**نصوص مقامية أندلسية غير منشورة: تحقيق ودراسة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في مركز الدراسات الجامعية للبنات بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدمت بها **حصة بنت عبد الله عبد الرحمن عدوان**.

○ «**الولايات الخاصة في الفقه الإسلامي**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **محمد بن عبد الله الودعاني**.

○ «**شعر العقاد بين النظرية والتطبيق**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الجزائر، تقدمت بها **حورية عروي**.

○ «**دراسة مجموعة العملات الفاطمية الموجودة في الإدارة العامة للآثار والمتاحف في الرياض**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **عبد الرحمن البراهيم**.

○ «**منهج الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في قسم المبتدأ والسيرة والراشدين**» موضوع رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **شمس الله محمد صديق**.



صدر الكتابان السابقان عن المركز الثقافي العربي في بيروت .

● **التركيب الاستثنائي في القرآن الكريم**، تأليف **ربيعة الكعبي**، صدر عن دار الغرب الإسلامي في بيروت .

● **الإمام علي بن أبي طالب وتجربة الحكم** ، تأليف **د. حسن الزين**، صدر عن دار الفكر الحديث في بيروت .

الأردن — كتب جديدة

● **الأعمال الكاملة للشاعر الراحل عبد الرحيم محمود**، طبعة مزيدة ومنقحة ، صدرت عن دار الكرمل للنشر والتوزيع بعمان .

● **على دروب الانتفاضة**، تأليف د. **أسعد عبدالرحمن**، صدر عن اللجنة الشعبية الأردنية لدعم الانتفاضة .


د. إحسان عباس

● **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، تأليف د. **إحسان عباس**، طبعة مزيدة ومنقحة .

● **المرجع في مبادئ التربية**، تأليف مجموعة من التربويين بإشراف د. **سعيد التل** .

● **الاستعداد للقرن الحادي والعشرين**، تأليف بول كينيدي ، ترجمه إلى اللغة العربية **محمدعبدالقادر وغازي مسعود** .

صدرت الكتب السابقة عن دار الشروق في عمان .

● **ثلاثون قضية استخبارية وأمنية في إسرائيل** ، تأليف رجل الاستخبارات الإسرائيلي يوسف ارجمان، ترجمة وإصدار دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية في عمان .

سورية — معجم لأطباء المغرب والأندلس

صدر ـ مؤخراً ـ معجم جديد بعنوان «**معجم أطباء المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى**» .

يضم المعجم تراجم الذين مارسوا الطبابة من أطباء المغرب والأندلس منذ الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية القرن التاسع الهجري .

كما يتضمن فهارس عامة تشمل فهارس : الأعلام وأسماء القبائل والبيوتات والمصطلحات الحضارية والأماكن والبلدان .

قام بجمع وتحقيق المعجم الدكتوران **إبراهيم زعرور وعلي أحمد** .

كتب جديدة

● **التوكل على الله**، لابن أبي الدنيا ، تحقيق **ياسين السواس ، ويوسف بديوي** .

● **كشف النقاب عن الأسماء والألقاب**، لابن الجوزي ، تحقيق **محمد رياض المالح** .

صدر الكتابان السابقان عن دار ابن كثير في دمشق وبيروت .

● **أثر القرآن في الشعر العربي الحديث**، تأليف **د. شلتاغ عبود شرّاد** .

● **الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز**، تأليف **عبد الغني النابلسي** ، تحقيق **رياض عبد الحميد مراد** .

صدر الكتابان السابقان عن دار المعرفة في دمشق .

المغرب — كتب جديدة

● **إشكالية المنهاج في الفكر العربي والعلوم الإنسانية**، تأليف مجموعة من الباحثين .

● **الإسلام في المغرب**، تأليف ديل ايكلمان ، ترجمه إلى اللغة العربية محمد عفيف .

صدر الكتابان السابقان عن دار توبقال في الدار البيضاء .


محمد العربي الخطابي

● **جوامع الأخلاق والسياسة والحكمة**، تأليف **محمد العربي الخطابي**، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) .

● **الفرانكو فونية والسياسة اللغوية والتعليمية الفرنسية بالمغرب**، تأليف د. **عبدو الودغيري**، صدر ضمن سلسلة كتاب العلم في الرباط .

السودان — معرض كتاب

استضاف بيت الثقافة السوداني ـ مؤخراً ـ **معرض الخرطوم العالمي للكتاب** الذي نظمته جامعة الخرطوم .

اشترك في المعرض مجموعة من دور النشر العربية والإسلامية والأجنبية ، وأقيمت على هامشه نشاطات ثقافية تمثلت في محاضرات وندوات وأمسيات شعرية وقصصية وفكرية .

الجزائر — مهرجان للشعر الملحون

أقيم في مدينة وهران **المهرجان الأول للشعر الملحون (الشعبي) والأغنية البدوية** .

نظمت المهرجان الجمعية الثقافية التقليدية ، وشارك فيه ٦٤ شاعراً من المخضرمين والشباب ، من بينهم الشيخ **أحمد بالي كاو**، الذي يبلغ من العمر ٩٨ عاماً!

كتب جديدة

● **الموجز في علمي الإجرام والعقاب**، تأليف

د. نظير فرج مينا. طبعة ثانية.

● **محاضرات في علم النفس اللغوي**، تأليف د. **حنفي بن عيسى**. طبعة رابعة منقحة ومزيدة.

● **المدخل للعلوم القانونية**، تأليف **حبيب إبراهيم خليلي**.

● **نظريتا القانون والحق**، تأليف **إسحاق إبراهيم منصور**.

● **مدخل لعلوم الإعلام والاتصال**، تأليف د. **زهير إحدادن**.

● **التربية ومتطلباتها**، تأليف **بوفلجة غيّاث**.

● **الاتجاهات الزراعية وعوائق التنمية الريفية في البلدان النامية**، تأليف **مبروك مقدّم**.

● **الترشيد الاقتصادي للطاقات الإنتاجية في المؤسسة**، تأليف **أحمد طرطار**.

● **أسس الكيمياء البنيوية**، تأليف **زاجية عتيق**.

صدرت الكتب السابقة عن ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر.

تونس: قانون لحماية التراث والآثار

وافق مجلس النواب التونسي في جلسة عقدها - مؤخراً - على الصيغة القانونية لحماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية.

يهدف هذا القانون إلى الحفاظ على التراث الحضاري بمختلف أنواعه وحماية المواقع الأثرية وصيانتها.

ويجري حالياً استكمال إعداد خرائط المعالم والمواقع الأثرية في تونس، التي يتوقع أن يصل عددها إلى نحو ١٥٠ خارطة، انتهى العمل من ربعها.

تركيا: ترميم جدار القسطنطينية

يُنتظر أن تنتهي في مطلع العام الميلادي المقبل ١٩٩٥م **عملية تجديد جدار القسطنطينية وترميمه**.

يُعد الجدار أقدم تراث تاريخي في أسطنبول، وقد بدأت عملية تجديده وترميمه منذ أشهر، وخصص لها ١٣,٥ مليون دولار.

يُذكر أن المعالم الأولى للجدار المحيط بالمدينة تعود إلى عصر الإمبراطور تيودوسو الثاني عام ١٤١٣ ق.م، وقد اختفى ثلث الجدار خلال الحقبة العثمانية نتيجة للهزات الأرضية.

ماليزيا: معرض إسلامي عالمي

يقام في ماليزيا اعتباراً من ١٨ محرم ١٤١٥هـ الموافق ١٧ يونية ١٩٩٤م ولمدة أربعة أشهر، **المعرض الإسلامي العالمي**.

يهدف المعرض إلى التعريف بالحضارة الإسلامية قديماً وحديثاً، حيث يضم آثاراً قديمة وصناعات حديثة، وتشارك فيه العديد من البلدان الإسلامية.

الصين: أسبوع ثقافي خليجي

تستضيف بكين في شهر مايو ١٩٩٥م أسبوعاً ثقافياً لدول مجلس التعاون الخليجي.

يشتمل الأسبوع على معارض للكتاب ورسوم للأطفال والفنون التشكيلية والأزياء والمصنوعات والمنتجات الشعبية والصور الفوتوغرافية، إلى جانب أمسيات شعرية وقصصية ونقدية، وعروض فلكلورية وأفلام تلفازية وسينمائية عن دول المجلس.

بلغاريا: المرحلة الأولى من جامعة الملك فهد

أعلن مفتي بلغاريا د. نديم حافظ عن قرب الانتهاء من المرحلة الأولى لمشروع بناء جامعة إسلامية عالمية في العاصمة صوفيا.

تحمل الجامعة اسم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، وتضم خمس كليات هي: الشريعة، واللغة العربية، والاقتصاد، والحقوق، والزراعة.

كرواتيا: توديمان «لَحَسَها» واعتذر لليهود!

قدم الرئيس الكرواتي **فرانيو توديمان** اعتذاراً خطياً لمنظمة بناي بريث الصهيونية الأمريكية سحب فيه ما أورده في كتابه «**الواقع التاريخي لأراضي الخراب**» من أنه لا توجد أدلة علمية تدعم مفهوم مقتل ستة ملايين يهودي على أيدي النازيين خلال الحرب العالمية الثانية.

وأعرب **توديمان** في رسالة سلمها للمنظمة القائم بأعمال سفير كرواتيا في واشنطن، عن أسفه الشديد مبرراً بأنه ألف كتابه الذي نشر عام ١٩٨٩م حين كان سجيناً سياسياً في أوائل الثمانينيات الميلادية.

وقال الرئيس الكرواتي: «إنني أدرك الآن الإساءة التي تتضمنها أجزاء في هذا الكتاب، وسوء الفهم الذي تسببت فيه»!!

فرنسا: المعرض الثالث للكتاب الأوربي - العربي

ينظم معهد العالم العربي في باريس بالتعاون مع منشورات سندباد خلال الفترة من ١٣ - ١٩ ذي الحجة ١٤١٤هـ (٢٤ - ٢٩ مايو ١٩٩٤م) **المعرض الأوربي - العربي الثالث للكتاب**.

ينتظر أن يشارك في المعرض عدد كبير من الناشرين الفرنسيين والأوربيين والعرب، وتقام على هامشه ندوات ومحاضرات وأمسيات متنوعة.

يذكر أن المعرض يقام كل عامين، وقد سبقت إقامته عامي ١٩٩٠م و١٩٩٢م، وتميز بمستوى ثقافي عال.

متحف مصور للحضارات العربية

يُعدُّ معهد العالم العربي في باريس حالياً

www.ahlaltareekh.com

الحركة الثقافية

لتأسيس أول متحف مصور عن الحضارات العربية.

يستغرق إنشاء المتحف ما بين عامين وثلاثة أعوام، ويضم صوراً وشرائح لجميع الحضارات العربية. وبانوراما لما خلفته من تراث حضاري على مرّ العصور.

قاموس لكلمات الحاسوب

أعدت مجموعة من الخبراء قاموساً للكلمات والتعبيرات المستخدمة في مجال الحاسوب.

يحتوي القاموس على أكثر من ١٢٠ ألف كلمة ومصطلح ويهدف إلى مساعدة مستخدمي الحاسوب.

أحدث الكتب

● **أغنية عمر الخيام**، تأليف **صادق هدايات**، صدر عن دار نشر كورتي في باريس.

● **ذكريات أوربا**، تأليف **أوتو دو هابسبورج** (ابن آخر إمبراطور حكم النمسا والمجر قبل تفككهما)، صدر عن دار نشر كريتيريون.

● **جاك.. إدوار.. شارل.. فيليب.. والآخرون**، (قصص صعود سياسيين فرنسيين وفشلهم) تأليف **كريستين كليرك**، صدر عن دار نشر البين ميشيل.

قبرص ▼ مجلة «المبتدأ»

صدر - مؤخراً - العدد الأول من مجلة «**المبتدأ**»، وهي مجلة شهرية ثقافية تهتم بالنص الجديد وتصدر بين قبرص ولبنان وسورية، ويرأس تحريرها **محمد المصري**.

أصدرت المجلة دار المبتدأ للطباعة والنشر، وحوى العدد الأول مجموعة من المقالات والإبداعات الشعرية والقصصية تنتمي إلى النص الجديد، إضافة إلى ملف عن «حرية الكتابة» شارك فيه عدد من الكُتّاب والأدباء.

إيطاليا ▼ مؤتمر لآثار الأردن وتاريخه

تستضيف مدينة تورنتو في العام الميلادي المقبل ١٩٩٥م، **مؤتمر آثار الأردن وتاريخه**.

يشارك في المؤتمر الذي يعقد كل عامين أثاريون من مختلف أنحاء العالم.

ينتظر أن يبحث المؤتمر وضع بروتوكول تعاون بين الأردن وإيطاليا لإنشاء المعهد الأردني - الإيطالي للآثار، والمساعدات الإيطالية لتمويل مدرسة الفسيفساء في مدينة مادبا، إلى جانب بحث إقامة متحف للتراث البدوي في منطقة الدبس.

بريطانيا ▼ وفاة طاهري

توفي - مؤخراً - الإذاعي والمؤرخ الإيراني **أبو القاسم طاهري** عن عمر يناهز ٧٥ عاماً.

يعد **طاهري** أحد أعمدة القسم الفارسي بهيئة الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي) التي عمل بها لمدة ٣٣عاماً.

إلى جانب شهرته الإذاعية فهو أيضاً مؤرخ، كتب التاريخ الاجتماعي للعهد الصفوي في إيران في القرن الخامس عشر، وترجم إلى اللغة الفارسية عدة كتب أهمها كتاب جيبون «سقوط الإمبراطورية الرومانية».

فوالا

هذا هو الاسم الذي اختاره الصحافي **خلدون الصلح** ليطلقه على المجلة الجديدة التي أصدر عددها الأول - مؤخراً - من لندن.

فوالا VOILA مجلة شهرية اجتماعية مصورة، تصدر باللغة الإنجليزية.

أحدث الكتب

● **موديلياني المجهول**، (عن حياة الفنان التشكيلي الإيطالي إميديد موديلياني) تأليف **نويل إلكسندر**، صدر عن دار نشر أبرامز.

● **الصراع من أجل الخير، صعود المرأة المراسلة**، (عن نشاطات المرأة في مجال العمل مراسلة صحافية) تأليف **آن سيبا**، صدر عن دار نشر هودر.

● **مردوخ**، (سيرة حياة إمبراطور الصحافة روبرت مردوخ) كتبها **ويليام شوكروس**، صدرت عن دار نشر بان.

● **الأباطرة الجدد**: ماو، ودينج، تأليف **هاريسون أي. ساليز بوري**.

● **المشكلة مع الأطفال**، (شرح لعناصر التركيبة النفسية للطفل) تأليف **أنجيلا فيليب**. صدر الكتابان السابقان عن دار نشر هاربر كولينز.

● **الطبيعة غير الطبيعية**، (مقارنة بين العلم ونشاطات عقلية أخرى كالحدس والتخمين) تأليف **لويس وولبرت**، صدر عن دار نشر فابر.

● **ممسوس بالنار**، (عن الأمراض النفسية والعصبية التي تصيب المبدعين)، تأليف **كاي ريد فيلد جيمسون**، صدر عن دار نشر فري برس.

● **آخر رجال فرنسا العظام**: حياة الجنرال ديجول، تأليف **تشارلز وليامز**.

● **الحرب واللاحرب: البقاء على أعتاب القرن الحادي والعشرين**، تأليف **ألفين وهايدي توفل**. صدر الكتابان السابقان عن دار نشر ليتل براون أند كو في لندن.

● **خطط الأعمال**، (إرشادات واستشارات لرجال الأعمال) تأليف **برايان فينيس**، صدر عن دار نشر كوجان بيج.

● **ويليام كامروز: عملاق فليت ستريت**،

تأليف **لورد هارتويل**، صدر عن دار نشر ويدنيفيلد.

● **استبصارات حول القرن الحادي والعشرين**، تأليف **شيليا مور كروفت**، صدر عن دار نشر ادمانتين برس.

● **مستقبل الثورة الليبرالية**، (عن التحولات السياسية الأخيرة في أوربا الشرقية) تأليف **بروس ايكرمان**، صدر عن دار نشر جامعة بيل.

● **رسائل وتقارير الأعمال**، تأليف **كليف جود وورث**، صدر عن دار نشر باتر وورث هانيمان.

ألمانيا — صحيفة جديدة للمتشردين

انتقلت إلى هامبورج موضة **صحافة المتشردين** التي ظهرت للمرة الأولى في لندن، حيث صدرت في هذه المدينة الألمانية صحيفة شهرية ملونة تحت اسم **«هنتساونت كونتس»** تنطق باسم متشردي هامبورج.

تصدر الصحيفة في أربعين صفحة، ويزيد توزيعها على مائة وخمسين ألف نسخة، وتستخدم ثلاثمائة بائع متشرد لتوزيعها، وتقدم لقرائها تفاصيل الأحداث والمناسبات المنتظرة إلى جانب عرض وسائل لكيفية الخروج من بوابة الفقر!

أحدث الكتب

● **السفر داخل المنافي البعيدة**، تأليف **يوسف سعيد**، صدر عن منشورات الجمل.

● **مذكرات الأديب الألماني توماس مان**، صدرت ـ مؤخراً ـ عن دار فيشر للنشر.

الولايات المتحدة — معرض للكتاب العربي والإسلامي

يقام خلال الفترة من ٩ ـــ ١٥ ربيع الآخر ١٤١٥هـ (١٤ ـ ٢٠ سبتمبر ١٩٩٤م) في مدينة فيلا دلفيا المعرض الثاني للكتاب العربي والإسلامي.

تأتي إقامة المعرض بعد الإقبال الذي لاقاه المعرض الأول، رغم تخلف العديد من دور النشر العربية عن المشاركة فيه نتيجة لتأخر استلامها دعوات المشاركة، وهو ما سعى منظمو المعرض إلى تلافيه في الدورة الجديدة بالتبكير في إرسال دعوات المشاركة.

أحدث الكتب

● **مهمة في أعماق الفضاء**: عرض شامل لرحلة فوياجور الاستكشافية، تأليف **وليام بوروز**.

● **أحواض تربية أسماك الزينة**، تأليف **ليندا كابوس ريلي**، تصوير **مايكل بيتوف**.

● **الشواطئ المتغيرة**: **طبيعة التراكيب الجيولوجية للشواطيء البحرية وتغيراتها**، تأليف **ريتشارد دافير جونير**.

● **الزلازل والاكتشافات الجيولوجية**، تأليف **بروس بولت**.

● **اكتشاف عوالم الكواكب**، تأليف **دافيد موريستون**.

● **العمليات الحيوية في النباتات**، تأليف **آرثور جالستون**.

● **السوبركومبيوتر وتطور العلم**، تأليف **وليام كوفمان ولاري سمار**.

● **الجزيئات والأمراض العقلية**، تأليف **ساموبل بارونديس**.

● **تعدد صور الحياة في الغابات المطريّة الإستوائية**، تأليف **جون تيربورغ**.

● **تموجات في الكون**: **نظرة إلى ما وراء مشاهدات علم الكون الحديث**، تأليف **مايكل روان روبنسون**.

● **تطور العلم من عهد بناء الكهوف حتى صناعة الكومبيوتر**، تأليف **هاري روبين**.

● **الإدمان**، تأليف **أفرام جولدشتاين**.

● **اكتشاف سلوك الحيوانات**، قراءات من مجلة «ساينتيفيك أميريكان» إصدار **بول شيرمان وجون الكوك**.

صدرت الكتب السابقة عن مكتبة ساينتيفيك أمريكان.

● **الإسلام والغرب**، تأليف **برنارد لويس**.

● **الخطر الإسلامي**: **خرافة أم حقيقة**، تأليف **جون ل. اسبوستو**.

● **فيدل كاسترو**، تأليف روبرت كويرك، صدر عن دار نشر نورتون في نيويورك.

● **وداعاً لسمنة الجنس اللطيف**، تأليف **ديبرا واتر هاوس**، صدر عن دار نشر دوبلداي.

● **قدر هونج كونج**، تأليف **جيرالد سيجال**، صدر عن دار نشر سان مارتينز في نيويورك.

● **الحرب الباردة الجديدة**، تأليف **مارش جور جنسمير**.

● **الإبصار الثاني**، (تجربة إنسانية لمريض أصيب بالعمى وشفي بجراحة) تأليف **روبرت هاين**.

صدر الكتابان السابقان عن منشورات جامعة كاليفورنيا.

● **مواجهة باسلة**: **كيف ننقذ الاقتصاد من المديونية الساحقة ونعيد بناء الحلم الأمريكي؟** تأليف **بيتر. جي. بيترسون**، صدر عن دار نشر سايمون أن شوستر.

● نهوض الصين: **كيف يصنع الإصلاح الاقتصادي قوة عظمى جديدة**، تأليف **ويليام. هـ. أوفرهولت**، صدر عن دار نشر نورتون في نيويورك.

كندا — مجلة ثقافية شهرية

صدر في العاصمة الكندية أوتاوا ـ مؤخراً ـ العدد الأول من مجلة **«المهاجر»** الثقافية الشهرية.

أصدر المجلة الكاتب اللبناني **رضا منصور**، وتهتم بإبداعات عرب المهجر، وبالذات في كندا.

على موعد



النشر عندهم وعندنا

دعاني ناشر إنجليزي لحضور حفل خاص بمناسبة صدور كتاب جديد عن الدار التي يديرها . ومع أنني حضرت حفلات كثيرة من هذا النوع في لندن فلا أدري لماذا شغلتني في هذا الحفل بالذات فكرة المقارنة بين تقاليدهم وتقاليدنا في نشر الكتب؟ .

ومثل هذه الحفلات تقليد ثابت ومرعيّ عند جميع الناشرين ، ونجمها هو المؤلف بالطبع ، وجمهورها من المهتمين بالكتب عادة ، ابتداء من الجامعيين إلى الإعلاميين . ويسبقها توزيع نسخ من الكتاب الذي أقيم الحفل من أجله على عارضي الكتب ونقادها في وسائل الإعلام . وعندما تُرسل الهدايا هذه تُرفق بقصاصة أنيقة أو ورقة منفصلة عليها خلاصة بيانات الكتاب : مثل عدد صفحاته ، وملخصه ، وسعره ، وتاريخ ظهوره في السوق . وهذا التاريخ مهم جدا ، فهو أشبه بالمنبه لعارض الكتب وناقدها ؛ لأنه يضبط الظهور مع نشر المواد عن الكتاب ، حتى يتجمع هذا النشر أو الإعلام في وقت واحد أو لنقل : في أسبوع واحد . وعادة ما يكون تاريخ ظهور الكتاب في السوق بعد نحو شهر من وصوله إلى الصحفيين والنقاد ، وهي مهلة كافية لقراءته والكتابة عنه .

لا يتكبد المؤلف في هذا كله أي مشقة . فهو أشبه بالعروس ، أو والد العروس ؛ لأن العروس الحقيقي هو الكتاب . ولا يدور على الإعلاميين بكتابه ، فنصيبه من النسخ لا يزيد على عشر، والمجاملة في هذه الأحوال غير مستحبة .

وحين تحين ساعة نزول الكتاب من مخازن الناشر إلى مكتبات البيع تكون معزوفة ظهوره قد بدأت ، وهي معزوفة تؤديها أصوات المعلقين والنقاد . وكلما تعددت هذه الأصوات نال الكتاب نجاحاً أكبر، شريطة أن يكون العزف من النوع المادح ؛ لأن النوع القادح يقضي على الكتاب في مهده .

ولكن ، ماذا يحدث عندنا؟

العكس تماماً للأسف . فلا أحد يحتفل بظهور الكتاب الجديد عندنا سوى مؤلفه المسكين . وأقول «المسكين» ؛ لأن احتفاله سري وشخصي قد لا يشاركه فيه أحد ؛ ولأنه هو نفسه يصاب بالإجهاد والصداع وعسر الهضم من مراجعة البروفات وتصحيح أخطاء الطباعة ، والجري وراء الإعلاميين لمنح كل منهم نسخة من الكتاب ممهورة بتوقيعه . وبعدها نادرا ما يكتب عنه أحد ، أو يذيع عنه أحد ، إلا إذا كان هو نفسه من أصحاب النفوذ في أي مجال . وهكذا يأتي ما يُكتب أو يُذاع عن الكتاب الجديد من باب المجاملة ، أو من باب الإعلان أو الإعلام على أحسن الفروض . ولا يزيد هذا الإعلام على خبر منقول أساسا عن مقدمة الكتاب ، أو فهرسه ، أو ما ينطبع في ذهن الإعلامي عنه . وهكذا أيضا لا يربح فورا من هذه العملية كلها سوى موزع الكتاب ؛ لأنه الوحيد الذي يحصل على أجر جهده في الحال . أما الناشر فربحه مؤجل عادة . وأما المؤلف فله رحمة الله .

ولا شك أن هذا وضع غير صحي وغير متكافئ . ولكن ، من هو ذلك الشجاع الذي سيتطوع بتغييره؟!

د. علي شلش

- من مجموعة المقالات التي خص بها الكاتب - رحمه الله - «الفيصل» قبل وفاته بشهرين .